



70/71 2002 ييع

رئيس التحرير

محمسود درويسسش

مدير التحرير حسن خضر

حسن حصر

تصدر عن : مؤسسة الكرمل الثقافية مركز خليل السكاكيني الثقافي – ص.ب ۱۸۸۷ – رام اثله – فلسطين هاتف : ۱۹۵۹۳۷٤(۲۰) – هاتف/ فاكس : ۱۶۴۹۸۷۲۷٤(۲۰)

E-mail : editor@alkarmel .org

E-mail ; editor@alkarmel .org الكرمل على الانترنت http://www.alkarmel.org

تصدر طبعة الاردن عن : دار الشروق للنشر والتوزيع. ص.ب ٩٢١٤٦٣ الرمز البريدى ١١١١٠ – عمان – الاردن – هاتف ، ٤١٠٨١٩٠/١ – فاكس ، ١١٠٠١٥

Mr. S. Hadidi باریس،

17, avenue Georges Duhamel

94000 Creteil France

الاشتراكات السنوية ، ` أ دولاراً للأفراد ١٠ دولاراً للمؤسسات (بما فيها نفقات البريد) ترسل الاشتراكات شبكاً الى العنوان البريدي أو حوالة بنكية على حساب للؤسسة Al-Carmel Cultural Foundation

Arab Bank - Manara branch - Routing number : 49852 Ramallah - Palestine

العدد 70-71 شتاء-ربيع 2002



فصلية ثقافية

لا لمديع التكبّب. فليس من الحياة في شيء أن يتحوّل التعابش مع العقاب إلى كُطُر حياة. إنّ القدرة على ابتكار طرق التقافية خاصة بنا، في الصّخر وفي الطين، ومراوغة الديابات للإنتقال من زاروب سركيّ إلى شارع مجاور... هي تعبير عن إرادة الحياة فينا، ولكنّها تعبّر أيضاً عن لدرة الحياة ويؤسها في واقع يطبع إلى تجريدتا من الشروط الإنسانية الأولية، كأن يعود بنا إلى ما قبل الشارع، وما قبل وسائل المواصلات، وما قبل الساعة، وما قبل الأثوق.

مضطرون. لأنّ على قرة الحياة الكامنة في الكائنات أن تعمل. ولكن مديم التكيّف يحدُّد للإرادة حيِّر عمل شديد الضيّق. إذّ يصبح هذا الشرط اللازنساني الامتحان البائس لمنظلبات إنسائيتنا ، بحوله إلى شكل من أشكال الروتين، فنفرح بانسحاب دبابة من باب منزل، أو بالخروج من عنت الزجاجة عند حاجز قلندية، أو بترقق الأبائشي عن التحليق والقصف لملة يوم واحدا، ليس أفق الحرية وحده هو الذي يضيق بالحصار، فانها تخشى التحدُّد على ما يشبهها ، كأنْ لشيء إلا لألها مؤلّة دائماً. أمّا الحياة المحاصرة فإنها تخشى التحدُّد على ما يشبهها ، كأنْ تألف صورتها في ما ليس منها. كأنْ هذه الحياة هي المعلى المكن الوحيد من الحياة، فتحدُّ الكثرية للتكيّف مع ما يناقض جوهرها، كأنها حلم أو مشروع قابل للتأجيل والتفاوض. فيصبح ختنا في عونة إنسائية، بعناها الحام، أحد بنود الحلى الثهائي!

ليس الصراخ عيباً. فلنصرخ إذاً، لا يسمعنا أحد، فلا يجرق أحد على الإصغاء إلى صرختنا لله إلى المنظم الله الشكل المثل عن التعرف على عاديّة هذا العدارض مع رعينا الإنسانيّتنا. إن تحسّل العذاب شيء يختلف عن التعرف على عاديّة هذا العذاب وروتينه اليومي المقتوح على ابتكار أغاط تألف جديدة.

فلنصرخ، لا ليسمعنا أحد. بل لتوقظنا صرختنا ثما نحن فيه. كيف التبس على الوعي العالمي الفارق بين المقاومة والإرهاب؟ كيف تم الإنتقال من التنافس مع الآخر على صورة الضحيّة الذي كسبناه بعض الوقت.. إلى التنافس مع الآخر على سؤال: مِن أين يأتي العنف ومن أين يأتي العنف ومن أين يأتي العنف المضاد؟ { إف ١٦ مقابل هاون من صنع بيتي }. وكيف استطاع العالم الظالم أن يرسم لنا صورة شائعة: صورة الإرهاب؟

لقد أدرج سؤالنا ، سؤال العدالة والإستقلال والتحرّر من آخر احتلال على الكرة الأرضية في سباق الحرب على الإرهاب. وتمُّ تحويل الإحتلال الإسرائيلي من إرهاب دولة وسمي إلى دفاعٍ عن النّفس في حرب استقلال لا تنتهي إلاّ بالقضاء على معركة استقلال بدأت.

فلنصرخ إذا التوقطنا صرختنا : إنّ مقاومة الإحتلال، بوسائل ملائمة لا تشوّه صورة حثنا وحقيقتنا، ليست إرهاباً... حتى لو تراقق ذلك مع مرت المرجعيّات العالميّة، بعدما أصبح مجلس الأمن الدولي شديد الشّيه بمجلس الأمن القومي الأميركي، ويعدما أصبح ذهب السكوت العربي لامعاً إلى هذا الحلا : حصارً خلف حصار. وأميركا تحاصر العالم. فماذا نفعل إذا ما حاصر فرعها الشرق أوسطي المدنّ والقرى الفلسطينيّة؟ سؤالٌ عاديٌ في وضع غير عاديّ. لكنّه يهدّد الجميع بالسقوط في الهاوية. وفي الهاوية متّسع للجميع، لولا الأمل... لولا الأمل...





المواد المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي والكرمل،

فزين اللامرئيات	فؤاد التكرل <i>ي</i>	771 - 770
مختارات لجحيم : الانشودات الثماني الأولى	ترجمة وتقديم كاظم جهاد	7A4 - 78Y
نویل ۲۰۰۱		
ايبول : سولجنتسين العالم الثالث	ص. ح	799 - 79.
قواسقواس		
لتلاعب بالعديد من ذرات الغبار	عدنية شبلي	۳.9 - ۲
وان جونيه مستعاداً	ك. ج	TY T1 -
ستثمار اليومي في شعر صلاح		
عبد الصبور	فخري صالح	PY4 - PY1
لكتبة		TOY - TT
بسام حجار: سوف تحيا من بعدي		
جاك دريدا، إليزابيث رودنيسكو:		
ما سيكون عليه الغد	ك. ج	
دوارد سعید: ۰		
عن فلسطين ومفارقة الهوية	ف. ص	
مجموعة مؤلفين:		
عصر النهضة: مقدمات ليبرالية للحداثة	عمر کوش	
سماغيل وتمام شموط:		
بداريات السيرة والمسيرة	ف. ډ	

الفهرست

Y Y	محمود درویش	حالة حصار
		ملف ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
r4 - r1	اعداد: صبحي حديدي	إرهاب الحرب / الحرب على الارهاب
		الذاكرة المستعادة
41 - 2.	منير العكش	أميركا والكنعانيون الحمر
		دراسات ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
1.4-94	ادوار سعيد	التلفيق، الذاكرة والمكان
177 - 1-9	تبري إيفلتون	الثقافة في طبعاتها المختلفة
176 - 178	فيصل دراج	التاريخ وصعود الرواية
140 - 170	نزيه أبو عفش	عرس خالتنا
171 - 181	عبد الكريم كاصد	قصائد
		رواية ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
		فراسخ الخلود غربأ
716 - 117	سليم پركات	إلى وأدي قرة صو
		تصص
776 - 710	زیاد بر ک ات	العشاء الأخير



حالة حصـار

(مقاطعه)

محمود دروينت

هنا، عند مُشْحَدَرات التلال، أمام الغروب ومُوَّهة الوقت، مُرْب بساتينَ مقطوعة الظلم، نفعلُ ما يفعلُ السجناءُ، وما يفعل العاطلون عن العمل : رُبِّي الأملُ.

> بلالا على أهْبَة الفجر. صرنا أقلُّ ذكاءً، لاَّنَّا لَحَشَلْقِ فِي ساعة النصر: لا لَيْلَ فِي ليلنا المثلاق بالمدفعيَّة. أعداؤنا يسهرون وأعداؤنا يُشْعِلون لنا النورَ في حلكة الأقبية.

> هنا، بعد أشعار وأتوب » لم ننتظر أحداً...

سيمتدُّ هذا الحصارُ إلى أن نعلَّم أعداءنا نماذ يج من شِعْرنا الجاهليِّ.

ألسماءُ رصاصيَّةٌ في الضُّحي بُرُتَهَاليُّهُ في الليالي. وأمَّا القلوبُ فظلَّتْ حياديَّةً مثلِّ ورد السياخ.

elifa Y a lia

هنا ، يتذكُّرُ آدمُ صَلْصَالَهُ . . .

يقولُ على حاقة الموت:

لم يَبْقُ بي مَوْطِيٌّ للخسارة :

حُرِّ أَنَا قرب حريتي. وغدي في يدي.

سوف أدخُلُ عمًّا قليل حياتي، وأولدُ حُرّاً بلا أبويْن،

واختارٌ لاسمى حروفاً من اللازورد...

في الحصار، تكونُ الحياةُ هيّ الوقتُ بين تذكُّر أوُّلها .

ونسيان آخرها.

هنا ، عند مُرْتَقَعات الدُخان، على دَرْج البيت،

لا وَقُتَ للوقت . نفعلٌ ما يفعلُ الصاعدون إلى الله:

ئنسى الأَلمُ.

الالغ

مُوّ : أن لا تعلُّق سيُّدة البيت حَبْلَ الغسيل صباحاً، وأنَّ تكتفي بنظافة هذا العَلَمْ.

لا صدى هوميري لشيء هنا. فالاساطير تطرق أبوابنا حين نحتاجها. لا صدى هوميري لشيء. هنا جنرالً يُنَقِّبُ عن دَوْلَة نِائِمةُ

تحت أنقاض طُرُوَادَة القادمةُ

يقيسُ الجنودُ المسافة بين الوجود وبين العَدَمُ بمنظار دَبَابةِ . . .

نقيسُ الساقة ما بين أجسادنا والقذائف بالحاسّة السادسة.

ألِيها الواقفون على الفقبات الدخلوا ، واشربوا معنا الفهوة العربيّة [قد تشعرون بانكمُ بَشَرٌ مثلنا]. أيها الواقفون على عنبات البيوت! أخرجوا من صباحاتنا ، نظمئن إلى أننا بَشَرٌ مثلكُمْ ال

> لَّجِدُ الوقتُ للتسليةُ : نلمبُ النرد، أو تَتَمَلَّهُ مَّ أَخَبَارُنا في جرائد أمس الجريح، ونقرا زاويةَ المُظُّ: في عام ألفين واثنين تبتسم الكاميرا لمواليدُ بُرْح الحصار،

حُكُما جاءني الأمسُ، قلت له: ليس موعثنا اليوم، فلتبتعث وتعالَ خداً ا

أفكر، من دون جدوى : بماذا يُفكّر مَنْ هُوَ مثلي، هُنَاكَ على قشّة التلّ، منذ ثلاثة آلاف عام، وفي هذه اللحظة العابرة؟ فتوجعتُى الخاطرة

وتنتعش الذاكرة

عندما تختفي الطائرات تطير الحمامات، بيضاء بيضاء، تغسلُ خَنُّ السماء باجنحة خُرَّة، تستميث البهاء وملكنية الجوّ واللّهو، أعلى وأعلى تطيرُ الحمامات، بيضاء بيضاء ليت السماء حقيقية لآقال لي رَجَلٌ عابرٌ بين قنبلتن]

الوميضُ، البصيرةُ، والبرقُ قَيْدَ السَّشَابُهِ . . . عشا قليلٍ ساعرفُ إن كان هذا هو الوحيُ . . .

سو سو سي ١٠٠٠ أو يعرف الاصدقاء الحميمون الَّ القصيدة مُرَّتْ، وأَوْدَتْ بشاعرها

[إلى ناقد :] لا تُفسُّر كلامي بملغقة الشاي أو بفخاخ الطيورا يحاصرني في للنام كلامي كلآمي الذي لم أقلة : ويكتبني ثم يتركني باحثاً عن بقايا منامي

شُجُرُ السرو، خلف الجنود، مآذُنُّ تُعمي السماءَ من الانحدار. وخلف ميام الحديد جنودٌ يبولون ـ تُحت حراسة دُلاية ـ والنهارُ الخريفيُّ يُكُملُّ لُزْهَتُهُ اللّـميَّةِ في شارع واسع كالكنيسة بعد صلاة الأحد. . . .

> نحبُّ الحياةُ غلاً عندما يَصِلُ الغُدُّ موف نحبُّ الحياة كما هي، عاديَّةً ماكرةً

رماديّة أو مُلوَّنةً .. لا قيامة فيها ولا آخِرَةُ وإن كان لا بُدُّ من فَرَسِم فليكن خفيفاً على القلب والمخاصرة و فلا بُلْدَعُ الْمُؤْمِنُ المشمرُنُ من فرَسٍ . . . مُرَّكِنْ ال ع من فرَسٍ . . . مُرَّكِنْ ال

> قال لي كاتبٌ ساخرٌ : لو عرفتُ النهاية، منذ البداية، لم يُبْقَ لي عَمَلٌ في اللَّغَةُ

[إلى قاتل:] لو تأقُلُتُ وَجَّة الضحيَّة وفكُّرت، كُنْتَ تَلكُّرْتُ أَمُّكُ في غُرُقة الغاز، كُنْتَ تَحَرُّرتَ مَن حكمة البندقيُّة وغيُّرت رايك: ما مكذا تُسْتَعادُ الهُولِّةُ

[إلى قاتل آخر :] لو تَرَكَّتُ الجنينُ ثلاثين يوماً ،
إِنَّ التغيَّرِتُ الاحتمالاتُ :
قد ينتهي إلا حتلالُ ولا يتذكّرُ ذاك الرضيعُ زمانَ الحصار ،
ويدرُّس في معهد واحد مع إحدى بناتكُ
ويدرُّس في معهد واحد مع إحدى بناتك وقد يتعان معاً في شباك الفرام .
وقد يُنْجبان أبنةً (وتكونُ يهوديّةُ بالولادة) .
صارت ابنتُك الآن أرملةً ،
صارت ابنتُك الآن أرملةً ،
والحقيدةُ صارت يتيمةً ؟
فماذا قعلت بأسرتك الشاردة .

لم تكن هذه القافية

ضرُوريَّةً ، لا لضبط التَّعْمُ ولا لاقتصاد الألمَ إنها زائدة كذباب على المائدة

الضبابُ ظلام، ظلامُ كثيفُ البياض تقشَّرُهُ البرتقالةُ والمرآةُ الواعدة.

الحصارُ هُوَ الانتظار هُوَ الانتظارُ على سُلَّم ماثل ِوَسَطَ العاصفةُ

-وَحيدونَ، نحن وحيدون حتى التُمالةِ لولا زياراتُ قوْم ِ قُزَحْ

ولا تتركونا وحيدين، لا تتركونا،.

لنا اخوةً خلف هذا اللدى. اخوةً طبّيون . يُحبُّوننا . ينظرون إلينا ويبكون . ثم يقولون في سرّهم : وليت هذا الحصار هنا علنيّ . . ، ولا يكملون المبارة :

> خسائرُنا: من شهيلدين حتى ثمانية كُلُّ يوم. وعشْرَةُ جرحى. وعشرون بيتاً. وخمسون زيتونةً... بالإضافة للخَلل البُنْيويّ الذي

سيصيب القصيدة وللسرحيَّة واللوحة الناقصة

في الطريق لُلضًاء بقنديل منفى أرى خيمةً في مهبّ الجهاتٌ: الجنوبُ عصيٌّ على الريح، والشرقُ عَرْبٌ تُصوُّفَ،

والغربُ مُدائةُ قتلي يَسُكُون نَقْد السلام؛ وأمّا الشمال، الشمال البعيد فليس بجغرافيا أوجهة إنه مَجْمَعُ الآلهة قالت امرأة للسحابة: غطِّي حبيبي فإذً ثيابي مُبَلِّلَةٌ بدَمة إذا لم تُكُنُّ مَطَراً يا حبيبي فكُنّ شجراً مُشْتِعاً بِالْحُصُوبِةِ، كُنْ شَجِرا وإن لم تكن شجرًا يا حبيبي فكرز حجرا مُشْبِعاً بالرُّطُوبة، كُنْ حَجَرا وإن لم تُكُنُّ حجراً يا حبيبي فكن قمرأ في منام الحبيبة ، كُنْ قمرا 7 مكذا قالت امراة لابنها في جنازته]

> أيها الساهرون ! ألم تتعبوا من مُرَاقِبة الضوء في ملحنا ومن وَهَج الوَرْد في جُرْحنا ألم تتعبوا أليها الساهرون ؟

واتفون هنا . قاعدون هنا . دائمون هنا . خالدون هنا . ولنا هدف واحادٌ واحادٌ : أن نكون . ومن يعده نحن مُستَّقلُون على كُلِّ شيء : على صُيرة القَلَم الوطنيّ (ستُّخسنُ صُنَّماً لو اخترتَ يا شعبيَ الحيُّ رَمَّزَ الحمار البسيط) . ومختلفون على كلمات النشيد الجديد (مستَّخسنُ صُنْماً لو اخترتَ أَعْنَيَّةً عن زواج الحمام) . ومختلفون على واجبات النساء (ستُحُسنُّ صُنَّماً لو الحَثَرَّت سَيُّدةً لرئاسة أَجهزة الأمن). مختلفون على النسبة المثوية، والعام والخاص، مختلفون على كل شيء. لنا هدف واحد: أن نكون ومن بعده يجدُّ الفَرِّدُ مُتَسعاً لا ختيار الهدفُّ .

> قليلٌّ من المُطلَق الأزرقِ اللا نهائيُّ يكفي لتخفيف وَطأة هذا الزمانُ وتنظيف سُماة هذا الكان

على الروح أن تترجّل وتمشي على قدّ ثنيها الحريريّة ين إلى جانبي ، ويدا أبيد، هكذا صاحبيّن قديمين بقنسمان الرغيف القديم وكام النبيد القديم لنقطع هذا الطريق معا ثم تذهب ألبامنا في انجاهين مُحقّلَهين : أنا ما وراة الطبيعة . أمّا هي صحرة عالية فتختار أن تجلس القرفساء على صحرة عالية

[إلى شاعر :] كُلّما غاب عنك الغياب تورَّطتَ في عُزَلَة الآلهة فكن وذات ، موضوعك التائهة و دموضوع، ذاتكَ . كُنُّ حاضراً في الغياب،

يَجِدُ الوقت للسُّخْرِيَّةُ: هاتَّفِي لا يركُّ ولا جَرَسُ الباب ايضاً يركُّ فكيف تيقُّنتِ من أُنني لم اكن ههنا ا

يبيد الوقت للأشنية : في انتظارك لا استطيع انتظارك . لا أستطيع قراءة دوستويفسكي ولا الاستماع إلى ألم كلثوم أو ماريًا كالاس وغيرهما . في انتظارك تمشي المقارب في ساعة اليد نحو اليسار . . . إلى رُمْن لا مكان له . ين ننظارك الم انتظارك انتظارت الارُلْ.

> يَقُولُ لها: أَيْ زَهْرٍ تُحَبِّينَةُ فَتَقُولُ : القُرْيُقُلُ . أَسودُ يقرل : إلى أين تمضين بي، والقرنفل أسودُ ؟ تقول : إلى تُؤرة الضوء في داخلي وتقولُ : وأتبقد . . أَيْعَا: . . أَيْعَا:

سيمتك هذا الحصار إلى أن يُحِسُّ الحاصرُ، مثل المُحَاصَرَ، أن الضَّجُرُ صفة من صفات البشر.

لا أحبُك، لا اكرهُك.
لا أحبُك، لا اكرهُك.
قال مُعْتَقَلِّ للمحقَّق : وقلبي مليء
بما ليس يَغنيك. قلبي يغيض برائحة المُرِّمميَّة.
قلبي بريء مضيء مليء،
ولا وقت في القلب للامتحان. بلى،
لا أحبُك، بَنْ أنت حتَّى أحبُك؟
ها رائت بعض أنائ، وموعد شاي،

وَهُخَهُ نَاي، وأَغْنَيَهُ كِي أُحبُّك؟ لكنني آكرة الاعتقال ولا أكرفك هكذا قال مُغَنَقلً للمحقّق : عاطفتي لا تُخْصُّك. عاطفتي هي ليلي الخُصُوصيُّ... ليلي الذي يتحرُّكُ بين الوسائد حُرَّاً من الوزن والقافية !

> جَلَسْنَا بعيدينَ عن مصائرنا كطيور تؤكَّثُ أعشاشها في تُقُوب التماثيلَ، أو في المداخن، أو في الخيام التي تُصبّتُ في طريق الأمير إلى رحلة الصبّية. . .

> > ملى طُلَلي ينبتُ الظُلُّ أَخضرُ، والذَّبُ يغفو على شَغْر شاتي ويحلُمُ مثلي، ومثلُ الملاكُ بانُّ الحياةُ هنا ... لا هناكُ

الا ساطير ترفضُ تقديلُ عَبْكتها رئيما تشها خَلَلُ طارئُ رئيا جَنَحتُ شُفُنُ نحو يابسة غيرِ ماهولة، فاصيب الخياليُّ بالواقعيُّ، ولكنها لا تغيِّر حبكتها. خُلَما رَجَدَتْ واقعاً لا يُلاثمها عنائة بجرًافة.

فالحقيقة جارية النصّ، حسنناء، بيضاء من غير سوء ...

[إلى شبه مستشرق :] ليكُنْ ما تَظُنَّ. لَنَقْتَرِضِ الآن أني غبيِّ، غبيٍّ، غبيٍّ، غبيٍّ. ولا ألعبُ الجولف . لا أفهُمُ التكنولوجيا،

ولا أستطيخ قيادة طيّارة!. أَلَهِذَا أَخَذَتُ حِياتِي لتصنّعَ منها حياتُكُ؟ لو كُنْتُ غيرَكَ، لو كنتُ غيري، لكُنًا صديقين يعترفان بحاجتنا للغباء. أما للغبي، كما لليهوديّ في و تاجرالبُنْدُوّيَة » قلسً، وخيًّ، وعينان تغرو قان؟

> في الحصار ، يصير الزمانُ مكاناً تُمجَّرُ في أَثِدة في الحصار ، يُصير المكانُّ زماناً تخلّف عن أمسه وَغدة

هذه الأرضُّ واطنهُ عاليةً أو تُقدُّتُهُ : وافيهُ لا تُبالي كثيراً بسحر الصفات فقد تُمصَّيمُ الفرجُ، فرُجُ السماوات، جغرافيةً ا

ألشهيد يُحاصرُني كُلُما عِشْتُ يوماً جديداً ويسالني : أين كُنْتَ ؟ أعدُ للقواميس كُلُّ الكلام الذي كُنْتَ أَهْدَيْتَنِهِ، وخَفْفُ عن النائمين طنين الصدى

الشهيدُ يُعَلِّمني : لا جماليُّ خارجَ حريتي.

الشهيث يُوَضِّعُ لي: لم افتُضْ وراء المدى عن عدارى الحلود، فإني أحبًّ الحياة على الارض، بين الصُنُوْبر والتين، لكنني ما استطعت إليها سبيلًا، ففتَّشتُ عنها بآخر ما أملكُ: الله في جَسَد اللازورد.

الشهيدُ يُحاصِرُني : لا تُسِرِّ في الجنازة

إِلاَّ إِذَا كُنْتَ تعرفني. لا أُريد مجاملةً من أحدد .

الشهيد يُحَدُّرُني: لا تُصَدَّقُ زَغارِيدَهُنَّ. وصدَّقُ أَبِي حَن ينظر في صورتي باكياً: كيف بدُلُتُ أدوارنا يا بُنيِّ، وسِرِّتَ أمامي. أنا أولاً، وأنا أوَلاً إ

الشهيئ يُنخاصرني: لم أُغيَّرُ سوى موقعي وأثاثي الفقير. وَصَّعَتُ غَزالاً على مخدعي، وهلالاً على إصبعي، وهلالاً على إصبعي،

رسب على إسبي. كي أخفّف من وَجَعي ا

سيمتكُ هذا الحصار ليقنعنا باختيار عبوديّة لا تضرّ، ولكن بحريّة كاملة!!.

أن تُقاوم يعني : التاكُّدُ من صبحة القلب والخصيَّة بن، ومن دائكَ المتاصّل: داء الأملّ.

-وفي ما تبقّى من الفجر أمشي إلى خارجي وفي ما تبقي من الليل أسمع وقع الخطى داخلى .

> سلامٌ على مَنْ يُشَاطِرُنِي الأنتباة إلى نشوة الضوء، ضوء الفراشة، في ليل هذا النَّقَقْ.

سلامًّ على مَنْ يُقَاسمُني قَدَّحي في كثافة ليل يفيض من المقعدين: سلامً على شَبَعى.

-[إلى قارئ :] لا تُثِقْ بالقصيدة ـ

بنت الغياب . فلا هي خاش، ولا هي فكّر، ولكنّها حاسّة الهاوية .

> _ إذا مرض الحبُّ عالجتُّهُ بالرياضة والسُّخْرية وَبَعْصُلِ الْغَنِّي عن الاُغْنيةُ

أصدقائي يُعدُّون في دائماً حفلةً للرداع، وقبراً مريحاً يُظَلِّلَهُ السنديانُ وشاهدةً من رخام الزمن قاسيقهم دائماً في الجنازة : تن مات . . من ؟

الحصارُ يُحَوِّلني من مُغَنَّ الى . . . وَتَرِسادس في الكمانُ!

الشهيدة بنت الشهيدة بنت الشهيد وأخت الشهيد وأخت الشهيد واخت الشهيد واخت الشهيد حرارة حمّ الشهيد وجرارة حمّ الشهيد [الغ . .]
وجارة حمّ الشهيد [الغ . . الغ . .]
ولا تبا يزمج العالم المتمثل، المؤمّن البربريّ انتهى .
والضحيّة مجهولة الاسم، عاديّة ،
والضحيّة مجهولة الاسم، عاديّة ، الغر . . الغر]

هدوءاً ، هدوءاً ، فإن الجنود يريدون في هذه الساعة الاستماع إلى الاغنيات التي استمع الشهداءُ إليهاء وظلّت كرائحة البُرّ في دمهم، طازجة . البُرّ في دمهم، طازجة .

هدئة ، هدئة لاحتبار التماليم : هل تصلُّخ الطائراتُ محاريثَ ؟ قلنا لهم : هدئة، هدئة لامتحان النوايا، فقد يتسرَّبُ شيءً من السلِّم للنفس. عندئذ نتبارى على حُبُّ أشيائناً يوسائلُ شعريَّة. فأجلبوا: الا تعلمون بان السلام مع النَّفْس يفتح أبوابَ قلعتنا لِمقامِ الحجاز أو النَّهُولُد ؟ فقلنا: وماذا ؟ ... وَبقد ؟

> الكتابة جَرُّقُ صغيرٌ يَعْضُّ العَدَمُ الكتابة تَجرَّحُ من دون دَمْ. .

فناجينُ قهوتنا . والعصافيرُ والشَّبَخُرُ الأخضرُ الأ زرقُ الطَّلِّ . والشَّمَثُ تقفَّز من حائط نحو آخرَ مثل الغزالة . والمائح في الشُّخب اللانهائية الشكل في ما تبقَّى لنا من مساء . وأشياءً اخرى مؤجِّلَةُ الذَّكريات تدلُّ على أنَّ هذا الصباح قوي بهيَّ، وإلَّا ضيوف على الأبائةُ .

رام الله ـ يناير ۲۰۰۲



إرهاب الحرب/الحرب علم الإرهاب

اعداد وترجمة: صبحب حديدب

المواد التالية تتابع الملف الذي نشرته والكرمل؛ في عددها الماضي، والذي تناول موضوعة والإرهاب ما قبل 1 اليلول وبعده، وضم قفرات مطوئة من مادة شهيرة كتبها غرانت وودلو، احد أفضل داوسي ظاهرة الإرهاب وبين الأكثر موضوعية وإنصافاً. كذلك ضمّ الملف تعليقات حول الهجمات الإنتحارية على مانهاتن والبنتاغون، من موقع رد الحدث إلى جدوره في السياصة الخارجية الأمريكية وما تيره من سخط شعبي وضعبوي سكوني، وإقماب المدلة (الذي تحارسه معظم القوى العظمى، والولايات المتحدة في الطليعة) وإرهاب الأفراد والجماعات.

ومواد هذه العدد تتابع الخور ذاته، بعد النقاط الأنفاس قلياً وامتلاك بعض القدرة على التعليل الأهداً. مايك دافيز يحاول العودة إلى ماضي يبويورك لاستيعاب ما جرى في ١١ أيلول (سبتمبر)، ومقالته الموسعة تحيل إلى الأدب أساساً (من خلال هد ج. ولز، إرنست يلوخ، جون دوس باسوس، وسيئه قطب)، وتربط بين ماضي القمع وحصاده الحاضر. مقالة بوريار، التي باتت شهيرة تماماً الآن، تواصل اختط الفلسفي الذي سبق أن دشكه المفكّر الفرنسي في الموقف من حرب الخليج الثانية: رصد الحدث من خلال قيمه الرمزية، وسطوة المصروة، والخيط الرفيع الفاصل بين الواقع والخيال، صمير أمين لا يقول جديداً في الواقع، أو هو يعيد تشديد سلسلة استنتاجات أجمع عليها معظم الذين نظروا إلى الحدث من موقع آخر غير الحماس الهموم الأعمى له حرب الخير على الشرّع، لكنّ المعية المادة تكمن في تسجيل شهادة وموقف علني شجاع من رجل في أهمية أمن على صعيد قضايا العالم الثالث وعلاقات الشمال / الجنوب.

ص. ح.

صبحى حديدي، كاتب وناقد سوري يقيم في باريس

لهيب نيويورك مايك دافيز

سرعان ما انقلبت مانهاتن السفلى إلى أتون من اللهيب القرمزي، الذي لم يعد منه مهرب. السيارات والقطارات والسفن الناقلة توقفت، ولم يعد من بصيص ضوء ينير درب الهارين المشوشين في شفق ذلك الإضطراب، ما خلا ضياء الحريق. الغبار والدخان الاسود انصبًا في الطرقات، وأُصيبا على الفور باللهيب الاحمر (١٠)

هذه الصورة، وهي جزء من إنذار طويل حول 8 مذبحة نيويورك 8، غفت طيلة قرن تقريباً على رفت السود في المكتبة العمومية لمدينة نيويوك. وكان ه. ج. ويلز، ذلك النوسترادامو الإشتراكي، قله خطّها في عام ١٩٠٧، والطبعة الامريكية من كتابه والحرب في الفضاء ٣ تضمنت تصويراً فالثقاً رايكون من صنع الـ ٢٠١١) لحريق هائل ابتلع وول ستريت ٤، وترك كنيسة Trinity والدخان يتعالى منها في الحلفية. كذلك قدم ولز بعض الافكار الثاقبة وغير الودية عن إيمان نيويورك الخلاصي بانها مستثناة من الجانب السيء للتاريخ.

وطيلة آجيال لم تلق نيويورك بالأ للحرب، ما عدا أنها تحدث في البعيد، وأنها تؤثّر على الاسعار وتزوّد الصحف بعناوين وصُور مثيرة. والنيويور كيون شعروا أنّ الحرب في ارضهم مسالة مستحيلة... لقد رأوا الحرب تماماً كما رأوا التاريخ، من خلال غبش قرحي، منقى الروائح، معطّر بالفعل، وفظائعه الجوهرية قد طُمست كلّها على نحو أنيق. هتفوا للمثلم من باب العادة والتقليد، واحتقروا الأم الاخرى، وكلما ظهرت مشقَّة دولية كانوا يبرهنون عن حسّ وطني مكثّف، أي أنهم كانوا في صغتً المناهضة الشرسة لاي سياسي وطني فاته أن يقول، ويهلده، ويقوم باشياء حادة لا هوادة فيها ضلة الشعد، (1)

وحن يحدث أنّ السياسة الخارجية، المحكومة بالشركات المملاقة والإحتكارات الدولية، تتورّط في 3 حرب قوى 2 عامّة، كان النيويوركيون يواصلون عدم اكتراثهم بائيّ خطر حقيقي، ويلتقون حول العلم، والحلوى، والرئاسة الإمبريالية.

إلى ان حلّ يوم على حين غرّة، وجاءت الحرب إلى عالم منشغل _بسلام في شؤون التسلّع وتطوير الطاقة التدميرية. والاثر المباشر على نيويورك كان، ببساطة، تكتيف التهابها المعتاد. تجمّعت حشود عظيمة، لكي تهتف وتصغي إلى خطابات وطنية حماسية . . . وتفشّى وباء حقيقي للاعلام الصغيرة والازرار . . . وبكى رجال أشداء أمام الشعار الوطني . . . وتنشّطت على نحو هائل تجارة الاسلحة الحقيفة . . . وبات من الخطر عدم ارتداء ازرار الحرب . . .

القناع. أنظروا القناع. رمل، وتمساح، وخوف فوق نيويورك. فدريكو غارسيا لوركا^{ر»}،

لو أن ويلز، من خلال منظار التجستس الإدواردي الخاص به، كان قد استبصر نهاية الإستثناء الامريكي في يؤرة دقيقة مخيفة، فإن رؤيته لن تكود سوى واحدة بين رؤى آخرى لا ثمنة ولا تحصى، لا مريكي في يؤرة دقيقة مخيفة، فإن رؤيته لن تكود سوى واحدة بين رؤى آخرى لا ثمنة ولا تحصى، ترتة إلينا منذ أصبح و مركز النجارة الدولي في ورحماً لكل الترهب. وقصائد لوركا النيويوركية، على سبيل المثال، طافحة اللازع والننبز حتى أنه كان في الاصل قد عنونها به هفتمة إلى الموت ، وفي يوم وبيال المثال، طافحة الاصلي، عام ١٩٦٩ (١)، كان الشاعر الأندلسي يتجزل في وديان رول ستريت وبراقب بدهشة المستشرين المفلسين وهم يقذفون بانقسهم من نوافذ الابنية الوحشية. وكتب يقول: وسيارات الإسعاف كانت تجمع المنتحرين الذين كانت أيديهم ملاى بالحواج، وفي غمرة وصمت سوى التعقى، الموت بلا أمل، الموت الذي ليس طريق واعاصير الذهب، وواضطرام النوافذ، ووهو حدس غجري، ربا، بالسحابة السوداء التي ابتلعت نيويورك في ايلول. (١٠) أم لعل سحابة الموت حائز ما موافق وكام ع، الذي حدر نا منها والتر بنيامين. (٥٠)

والشك المحض يبدو مشلول القرة إزاء نرع القناع الذي ترتديه الاحداث. وحين يلتقط المصابون برسواس المرض وباء خوفهم الاعظم، فإن مشاعرهم الوجودية تميل إلى الإضطراب والإنزياح. طفل آحد الاصدقاء كان يشاهد انهيار البرج الجنوبي لـ « مركز التجارة الدولي »، فصاح تلقائياً: « ولكنّ هذا ليس حقيقياً بالطريقة التي تكون عليها الاشياء الحقيقية حقيقية » ا نحم، بالضبط. هنائك، بالطبع، تسمية لهذا الإحساس الخيف بان الفائتاز يا تفزو الواقع، و الأثر الخارق للطبيعة » كتب فرويد، « ينتج غالباً، وبسهولة، حين يتحي التمييز بين الخيّلة والواقع، كما حين يظهر أمامنا في الواقع الحيّ شيء كتا حتى الآن نعتبره متخيّلاً ». (١)

> الشك في العرب بات طبيعة ثانية ، على نحو مباشر ونهائي . فرانز فانون(٧)

منذ زمن طويل أرسل سائح في نيويورك بطاقة إلى بلده . ولقد كتب الشاعر سيّد قطب: ولو أنَّ المالم أصبح أمريكا، فهذه لا ريب كارثة للإنسانية جمعاء و(ب). وقطب، الذي أوفدته الحكومة المصرية لدراسة طرائق التعليم في الولايات المتحدة، نزل في الشارع ٤٢، خريف ١٩٤٨، وكانَّ معجباً بالحداثة الليبرالية . لكنّ آمريكا ترومان آثارت في نفسه الإشمعزاز ، ومرّ بطور من التحوّل الديني العبيق. عاد إلى القاهرة بعد سنتين وهو عضو متحمّس في تنظيم والإخوان المسلمين » . وسرعان ما اعتُقل بوصفه أبرز الدعاة . بعد ١١ سنة في السجن، أعدم شنقاً في عام ١٩٦٦ ، بتهمة ملفقة هي النامر على قلب نظام حكم عبد الناصر . وقطب معروف علي نطاق العالم بوصفه الفيلسوف الابرز للإسلام الراديكالي ، إذا لم يكن .. كما تزعم ونيويورك تاعز » .. والاب الفكري لاسامة بن لادن وأتباعه الإرهابيين » . وكتابه ومعالم على الطريق » يوصف عادة بالطبعة الإسلامية من كتاب لينين « ما العمل » (٩٠٩)

لماذا أصبح قطب معادياً لـ [والت] ويتمان، نافراً مشمئراً من الإثارة الاسطورية التي تتمتم بها مانهاتن؟ إنّ فهم عدائه التلقائي لـ 8 عاصمة القرن المشرين 8 قد يساعد في إلقاء الضوء على سلالة الاوساط الإسلامية التي هللت لتدمير الرمز الاعظم لراسمالية الولايات المتحدة. التحليل الخفيف

يضع الرجل في نمط مسبق الصنع بالطبع. وهكذا، عند روبرت وورث وجوديث شولفيتز (في «نيويورك تايمزه، كلُّ على حدة)، فإنَّ الناقد الأدبي والشاعر المصري البالغ من العمر ٤٢ عاماً كان، مثل المتشنة دين المسلمين، قد صُدم بـ و تفسّخ ، المدينة الكبيرة، وتقرير كينزي (ج)، والرقص والإختلاط الجنسي. والحق أنَّ قطب اشتكي بالفعل من المحتوى والبورنوغرافي و للثقافة الشعبية الأمريكية، مثلما انتقد المهوس الوطني بالتسكع في الأزقة على حساب الحياة العائلية، وتكريس نزعة مادية تعطّل الأعمال الخيرية. غير أنّ فضيحة نيويورك الكبرى، ورد فعل قطب عليها كان شبيهاً برد فعل غارسيًا لوركا قبل عشرين عاماً، تمثّلت في «التمييز العنصري الشرير المتعصب». ولا ريب في أنّ قطب، وهو رجل أسود من أعالي مصر، قد ذاق طعم اللقاءات الجارحة مع العنصريين البيض(١٠). تجارب قطب السياحية يمكن أن تكون اليوم أشد مرارة، إدْ قد يكون محتجزاً في عزلة تامة عن الأقارب أو المحامى، بسبب الجريمة والإرهابية ، المتمثلة في تجاوزه مئة تأشيرة الدخول، أو إثارة اشتباه جيرانه بكلِّ بساطة. والعبء الحقيقي للخوف المديني الجديد، اي الجزء الذي لا يمتّ بصلة إلى الهذيان والمبالغة المفرطة، يقع على عاتق الذين تنطبق عليهم مواصفات القلق الأبيض: الأمريكيون العرب والمسلمون، ولكن أيّ شخص يرتدي غطاء رأس غير مألوف، وأيّ جواز سفر شرق ـ أوسطى، أو أيّ آراء غير شعبية حول إسرائيل. «الآخرية ، ـالعرب والقرآن وما أشبه _أصبحت هوساً مركزياً في مؤتمرات البنتاغون الصحفية واحتفالات جورج و. بوش المعدّة للتلفزة الامريكية. والحقّ أنّ فكرة ٩ تهديد أمريكا، وهي شبكة أخرى مزدهرة، تُصور على نحو يشبه هبوط كاثنات فضائية. الشرق الأوسط هو ١ الكو كب الأحمر الجنون ١ الذي يرسل وحوشه لكي تعيش بين ظهرانينا وتسفك دماءنا. والصحافة الاساسية لا تعكس سوى القليل من رد الفعل الداخلي العنيف. الصحف اليومية في المدن الكبري وشبكات الاخبار أبرزت القلق الوطني على صورة الولايات المتحدة في الخارج عن طريق التقليل ثمّا يمكن أن يُعدّ مكافئاً صالحاً لـ وليلة الرجاج ٤ . (د) ومع ذلك فإن الإحصائيات القليلة

المتفرقة تبعث على القشعريرة. منظمات الحقوق المدنية تقدّر أنه، في الاسابيع الستة بعد ١١ أيلول، وقعت ستّ جرائم قتل على الاقلّ، ونحو الف اعتداء جنتي ضة الناس الذين يصتّفون في خانة والعربي ء و المسلم ، بما في ذلك هجمات عدة على السيخ. (١٠٠ وصحيفة و تكساس أوبزرفره ، وهي أسبوعية تقدّمية رفضت التقليل من شان الترهيب الداخلي ، نشرت الكثير في مطلع تشرين الأول أسبوعية تقدّمية رفضت التقليل من شان الترهيب الداخلي ، نشرت الكثير في مطلع تشرين الأول واشتعلن. والكوضافة إلي القتل الفوري لصاحب بقالة باكستاني مهاجر، قصفت ثلاثة مساجد او تعرّضت لإطلاق نار، وضُرب روماني كان يمارس الركض لانه بدا و شرق . أوسطياً »، وطُمن إثيوبيان وهما ينتزهان في حديقة . ولقد أنحى القادة المسلمون الخليون باللائمة على وسائل الإعلام، خصوصاً يتنزهان في حديقة ، ولقد أنحى القادة المسلمون الخليون باللائمة على وسائل الإعلام، خصوصاً يسحيفة ذلام مورننغ » لانها حرّضت على العنف بعناوينها الصارخة، من نوع: وجنود الإرهاب يسكنون لصق بهوتنا» (١٠)

وإذا كانت مثل هذه الحوادث تعيد إلى الذاكرة عمليات وصيد العرب وفي فرنسا المتروبوليتية خلال حرب الجزائر، والتي استنكرها فرانز فانون قائلاً: وحتى الامريكي الجنوبي كان يُغربل بالرصاص لانه بدا شبيها بالإفريقي الشمالي (١٠١٠)، فإن بحث وزارة العدل [الامريكية] المحموم عن ونائمي لانه بدا شبيها بالإفريقي الشمالي (١٩٠٠، فإن بحث وزارة العدل [الامريكية] المحموم عن ونائمي القاعدة ويرد الذاكرة إلى ذلك والصيد الإرهابي و الآخر للبشر، اي غارات فترة ١٩١٩ ٢٠ ١٩٠٠ حين متفجرة في واشنائل المواجرين بدون مذكرة توقيف أو سبب، وترحيل المعات منهم، بعد سلسلة طرود متفجرة في واشنطن (وقصف وول ستريت اعثبر بمثابة ثار فوضوي المعاتم متاجراء عمليات الترحيل). وفي الإمان هذه نقلت ونيوورك تاجرتها الحكرمة (١٩٠٠) والكثير من هؤلاء فقدوا في المتاهم في سياق و التحقيفات الإرهابية و التي اجرتها الحكومة (٢٠٠٠) والكثير من هؤلاء فقدوا في المتاهم وأجبروا على تنفيذ اختبارات كشف الكذب. ولقد توفي معقل واحد على الاقل، والمعات منهم ما يزالون قيد الإعتقال استناداً إلى مئة التوقيف المقتوحة التي ينص عليها قانون الهجرة . وتقول الشائمات يزالون قيد الإعتقال استناداً إلى مئة التوقيف المقتوحة التي ينص عليها قانون الهجرة . وتقول الشائمات المعتفرة الدخول، او استخدموا وثائق شخصية مزيفة، وهذه الحال ليست البتة غير شائمة في بلد تقول التقديرات إث قرابة ١٠ - ١٢ مليون مهاجر يقيمون فيه بصفة غير شرعية ويوقرون العمل الرخيص الذي لا غنى عنه عنه عنه عنه عنه عنه عنه .

والأرجح أن فانون ما كان سيُدهش لانَّ محققي مكتب التحقيقات الفيدرالي الخبطين، مثل عناصر الأمرنسي قبلهم، يبذلون المساعي لكسب التابيد لفكرة نقل الموقوفين المتمردين إلى الأقبية الكام الغرنسي قبلهم، يبذلون المساعي لكسب التابيد لفكرة نقل الموقوفين المتمردين إلى الأقبية هنالك حملة رسمية عامة لتبرير استخدام التعذيب أثناء تحقيقات الشرطة. وبمسائدة كتّاب راي ليبراليين، من أمثال جوناثان الترفي «نيرزويك»، يسمى الـ FBI إلى اعتناق الطرائق التي تصفها واشنطن بوست»، في تعبير ملطف، بو تلك التي يستخدمها المققون الإسرائيليون بين حين وآخره. وإذا تقاعست المحاكم الأمريكية أمام هذا العمل الفظ، فإنّ البديل هو تصدير المهمة إلى ما وراء البحار، إلى محترفين مثل جهاز الموساد. «هنالك فكرة آخرى»، حسب الصحيفة، هي « ترحيل الموفوف إلى الملاورة إلى بلدان حليفة، حيث تستخدم اجهزة الأمن أسلوب تهديد أفراد أسرة الموقوف أو اللجوء

إلى التعذيب ٤.

وهكذا اصبحت عولمة الخوف نبوءة ذاتية التحقق. ومجلس الامن الدولي، على نحو آلي تماماً، ومكذا اصبحت عولمة الخوف نبوءة ذاتية التحقق. ومجلس الامن الدولي، على نحو آلي تماماً، من البيت الابيض من أجل و تخليص العالم من الشرّئ، تاركاً طيّاري القنابل العنقودية التي الشرّئ، تاركاً طيّاري القنابل العنقودية التي تُعبت عليها بالطباشير اسماء رجال المطافىء القتلى في مانهاتن، الترهيب أصبح قوت الإمبراطورية، وأياً كان مقدار العصبية فإنّ النظام المؤسساتي أقلح في حشد الناس من حول الغلّم الامريكي. وكما اشار هنري كيسنجر، هذا المتعجرف الذي لم يمت بعد: إنه الحدث إلا فضل منذ أن تعشّى مترنيخ مع القيصر. (هـ)

إشارات المؤلف

- [1] H. G. Wells, The War in the Air, New York 1908, pp. 210-11; hereafter WA.
- [2] WA, pp. 181-82.
- [3] Poet in New York, pp. 190.
- [4] Poet in New York, pp. 192:93.
- [5] This storm is what we call progress. Walter Benjamin, Theses on the Philosophy of History, Illuminations, New York 1969, p. 257 ff.
- [6] The Uncanny (1919), in Volume 14: Art and Literature, The Penguin Freud Library, London 1985, p. 367.
 - [7] Fanon, Racist Fury, p. 103.
- [8] Robert Worth, The Deep Intellectual Roots of Islamic Terror, New York Times, 13 October 2001; and Anthony Shadid, Legacy of the Prophet: Despots, Democrats, and the New Politics of Islam, Boulder 2001, p. 58. For a balanced assessment of Qutb's thought a fascinating combination of anarcho-humanism and Koranic chiliasm see Ahmad Moussali, Moderate and Radical Islamic Fundamentalism, Tallahassee 1999, chapter 5.
- [9] Worth, Roots of Islamic Terror; Judith Shulevitz, The Close Reader: At War with the World, New York Times Book Review, 21 October 2001; and Legacy of the Prophet, p. 57. See also John Calvert, The World is an Undutiful Boy: Sayyid Qutb's American Experience, Islam and Christian–Muslim Relations, vol. 11, no. 1, 2000.
- [10] Tally of hate crimes from Council on AmericansIslamic Relations, 22 October; murders, see Washington Post, 26 October 2001.
 - [11] Karen Olsson, Letter from Dallas, Texas Observer, 12 October 2001.
 - [12] Fanon, Racist Fury, p. 163.
 - [13] 10 November 2001.

ملف: إرهاب الحرب/الحرب على الإرهاب

إشارات المترجم

(١) في تلميح إلى و الحميس الاسوده، حين انهار سوق بورصة وول ستريت بتاريخ ٢٩ تشرين الأول (اكتوبر)
 ١٩٢٩ والذي أفضى بعدلذ إلى الركود الشهير الذي عرفته أمريكا والعالم.

(ب) غنيّ عن القول إذ المقتبسات من سيّد قطب مترجمة هنا عن الإنكليزية، ولم نتمكن من العودة إلى أصولها العربية .

(ج) الغريد شاراز كينزي (١٨٩٤ - ١٩٥٦))، الفتص بعلوم الحيوان والباحث الجنسي الشهير. وه التغريره المشار إليه هنا هر دراسته العروفة و السلوك الجنسي عند الكائن البشري الذكر ٤، والتي صدرت في عام ١٩٤٨ و وأثارت جدلاً وأصاً .

(د) وليلة الزجاج ، Kristallnacht هي ليلة ٩ . . ١ تشرين الثاني ١٩٣٨، حين قامت الميليشيات النازية في المانيا والنمسا يتنفيذ هجمات منظمة على اليهود ومعابدهم وبيوقهم ومحالهم.

(هـ) نقرات مختارة من مقالة مطولة بالمنوان ذاته. ومايك دافيز كاتب أمريكي تقتامي تتناول أعماله مسائل خراب البيئة والتدمير المديني جزاء الإستثمار الأعمى والليبرالية الوحشية ، وله عملان شهيران في هذا الموضوع بعنوان ومدينة الكوارتز: مستقبل لوس أنجليس» وه يبغة الخوف » . وهو اليوم رئيس تجرير مجلة «نيو ليفت ريفير » ، العي تشرت مقالته هذه في عددها وقم ١٢ ، تشرين الثاني - كانون الأول ٢٠٠١ .

رود الإرهاب

جات بودريار

لقد شهدنا العديد من الاحداث الكونية، من موت ديانا إلى كام العالم؛ وشهدنا احداثاً اكثر عنفاً وواحداً كونياً رمزياً، بمعنى أنه عنفاً وواقعية، من الحروب إلى المذابح الجماعية، ولكننا لم نشهد حدثاً واحداً كونياً رمزياً، بمعنى أنه لا ينطوي على تبعات كونية فحسب، بل يسائل سيرورة العولمة ذاتها، وخلال التسعينيات الراكدة توقر ما يشبه «الإضراب عن الاحداث a greve des evenements (حسب تعيير الكاتب الارجنتيني ماسيدونيو فرناندي) . حسناً، لقد انتهى الإضراب الآن، ولملّنا، مع الضربات التي نالت من مركز التجارة الدولي ونيويورك، نواجه الحدث المطلق، « امّ » الاحداث، الحدث الخالص الذي هو جوهر كلّ الاحداث التي لم تقع . (1)

لم يتقرّض التاريخ كله والعاب القوّة فحسب، بل تقرّضت شروط التحليل أيضاً. وينبغي أن ياخذ المرء وقته، لانه ما دامت الاحداث تشهد حالة من التوقف التام، فإنّ على المرء أن يتكهّن بها ويتغلّب عليها. ولكنها حين تنسارع فإنّ على المرء أن يبطيء، دون أن يضيع في لجّة من الخطابات وسحابة الحرب، ودون أن يطفىء التماعة الصُور التي لا تُنسى.

جميع الخطابات والتعليقات تنم عن محاولة هائلة لإزالة عقدة الحدث ذاته والسحر الذي يمارسه. والإدانة الاخلاقية والإتحاد المقدس ضدة الإرهاب يتساويان مع ذلك الإحتفاء المذهل الناجم عن كون المرء شاهداً على تدمير قوة كونية عظمى . ومن الأفضل رؤيتها وهي تدمر ذاتها بذاتها في قليل أو كثير، أو حتى تجنح إلى انتحار استعراضي .

ذلك يجري بالرغم من أنّ هذه القوّة العظمى، بوسيلة جبروتها الذي لا يُحتمل، هي التي استولدت كلّ هذا العنف المتخمّر في العالم، واستولدت بالتالي هذه المخيّلة الإرهابية التي تسكننا جميعاً دون أن ندري.

وان نكون قد حلمنا بهذا الحدث، وان يكون الجميع قد حلموا به بلا استثناء، لان على الجميع ان يحلموا بتدمير أيّة قوّة مهيمنة إلى ذلك الحدّ، أمر ليس مقبولاً في نظر الضمير الاخلاقي الغربي، غير ان الامر حقيقة مع ذلك، وهو حقيقة تُقاس عن حقّ بمقدار العنف المحزن الذي يكتنف كلّ تلك الحطابات التي تحاول محو الحقيقة.

والأغلب أنهم هم الذين قاموا بالفعل، ونحن الذين أردناه. وإذا لم يأخذ المرء هذا الأمر بعين الإعتبار، فإنّ الحدث سوف يفقد كلّ بُمده الرمزي لكي يصبح مجرّد حادثة محضة، وفعلاً عشوائياً تماماً، وفانتازيا مجرمة لحفنة متطرّفين لسنا بحاجة إلى ما هو آكثر من تصفيتهم. ولكننا نعرف حقّ المعرفة أنّ الأمر ليس كذلك. ومن هنا كلّ هذه التعاويذ الهذيانية المضادة للخواف: أنّ الشرّ مقيم، في كلّ مكان، بوصفه موضوع رغبة ميهمة. ودون هذا التواطؤ العميق فإنّ الحدث ما كان سيحمل كلّ هذه التبعات، ولا ريب في أنّ الإرهابيين يعرفون في قرارة استراتيجيتهم الرمزية أنهم يستطيعون الإعتماد على هذا التواطؤ غير المعترف به.

ذلك يتجاوز بكثير مسألة الحقد على قرّة كونية مهيمتة ، من جانب المستضعفين والخاضعين للإستغلال ، هؤلاء الذين يقمون في الجانب الخاطىء من النظام الكوني . تلك الرغبة الخبيثة كامنة في قلب اولئك الذين يتقامسمون منافع ذلك النظام . والحساسية ضدّ كلّ نظام نهائي ، ضدّ كلّ قوّة نهائية ، هي مسألة كونية لحسن الحظّ . وثرجا و مركز التجارة الدولي »، في حال التوامة بالذات، يجسدان هذا النظام النهائي على أكمل وجه .

لا حاجة لوصية موت أو رغبة في تدمير الذات، ولا حتى إلى الآثار الشاذة , إنه لمن المنطقي والثابت اثن حماعد قرة القرة يستثير إرادة تدميرها . والقوة متواطئة مع عامل تدميرها ذاته . وحين انهار البرجان انتابنا الإنطباع بانهما يردان على انتحار انتحاري الطائرات بانتحارهما هما أيضاً . ولقد قبل: ولقد قبل: ولا يعلن الحرب على ذاته » . حسنا، إنه يستطيع ذلك . فالغرب، في احتلاله موقع الله أن يعلن الحرب على ذاته » . حسنا، إنه يستطيع ذلك . فالغرب، على ذاته » موقع الله (ذي القرة المقدسة ، والشرعية الأخلاقية المطلقة) اصبح انتحارياً ، واعلن الحرب على ذاته وافلام الكوارث العديدة شاهدة على هذا الإستيهام Phantasme الذي من الواضح انها تحيطه يتماويذ البحسور وتحجبه خلف المؤثرات الخاصة . ولكنّ الجاذبية الكونية التي تمارسها هذه الإفلام تُبيّن ، تمام كما المورنوغرافيا ، كيف ان تحقيق الإستيهام في متناول البد دائماً : الدافع لاستنكار كلّ يصبح اقوى إذا كان ذلك النظام قريباً من الكمال أو التفوق المطلق .

ولعلم من اختصل أيضاً أن الإرهابيين (تماماً كالخبراء) لم يتكهنوا بانهبار البرجين، الامر الذي شكل الصدمة الرمزية الاعمق، اكثر بكثير من الهجوم على البنتاغون. الإنهبار الرمزي لنظام باسره مراجع إلى تواطؤ غير مرشي، وكان البرجين بانهبارهما، بانتحارهما، دخلا اللعبة لاستكمال الحدث. وعلى نحو ما كان النظام باسره هو الذي، عن طريق هشاشته الداخلية، ساعد الفعل الإبتدائي. وكلما كان النظام متركزاً كونياً بحيث بشكل شبكة واحدة في نهاية الامر، فإن ضعفه يزداد اكثر عند نقطة معينة (ونعرف ان فتى فليبينياً متلصصاً نجح، باستخدام كومبيوتره المحسول، في إطلاق فيرورة كارثية عشر انتحارياً سيرورة كارثية كونية، من خلال سلاح الموت المسلح بالكفاءة التكنولوجية).

وحين تحتكر قوة عظمى الموقف على هذا النحو؛ وحين يتمامل المرء مع هذا التكثيف الباهر لجميع الوظائف من خلال الآلة التكثيف الباهر لجميع الوظائف من خلال الآلة التكنوقراطية والفكر الاحادي، أي سبيل آخر يتبقى سوى التحويل الإرهابي للموقف؟ إنه النظام ذاته من خلق الشروط الموضوعية لهذا التشويه الحاد. وعن طريق الإستحواذ على كل الاوراق يجبر و الآخرة على تبديل قواعد اللعبة. والقواعد الجديدة شرسة، لان الرهانات شرسة. وإزاء نظام تحلق قوته المفرطة حالة من التحدي المستعصى، يجيب الإرهابيون بفعل نهائي يستحيل معه إجراء التبادل. الإرهاب فعل يعيد إدخال فرادة غير قابلة للإختزال إلى نظام تبادل معتم، وإن آية فرادة (تخص الانواع، أو الافراد، أو الثقافات) دفعت بموتها ثمن إقامة حلقة كونية تهيمن عليها قوة

فردية، هي التي يُثار منها اليوم عن طريق هذا التحويل الموقفي الإرهابي.

ترهيب ضنة ترهيب، ولم تعد توجد إيديولوجيا خلف هذا كلّه. نحن اليوم أبعد ما نكون عن الإيمية أبعد ما نكون عن الإيديولوجيا والسياسة. ما من إيديولوجيا، وما من قضية، وما من حتى قضية إسلامية، تستطيع النسبّ في الطاقة التي تغذي الترهيب. إنها طاقة لم تعد تستهدف تغيير العالم، لانها (مثل كلّ هرطقة في زمانها) تستهدف تجذير العالم من خلال التضحية، في حين أنّ النظام يستهدف تحقيق المالم عن طريق القوّة.

الإرهاب، مثل الفيروس، ينتشر في كلِّ مكان. وإذ ينغمس كونياً فإنه، مثل ظلَّ آئِ نظام هيمنة، جاهز لكي ينبئق هنا وهناك على هيئة وكيل مزدوج. لا حدود لتعريفه؛ إنه في سويداء الثقافة التي تكافحه؛ والشقاق المرتي (والكراهية) التي تضع المستَقلِّ والمتخلّف في مواجهة العالم الغربي على صعيد كوني، إنما ترتبط على نحو سرّي بالشرخ الداخلي للنظام المهيمن. وفي وسع هذا النظام مواجهة آية خصومه مرئية. ولكن مع الإرهاب، وبنيته الفيروسية، يبدو وكان كل جهاز هيمنة كان يخلق جسمه المضاد، كيمياء الإندار الخاصة به؛ والجهاز لا حول له ولا قرّة في وجه هذا العكش شبه الآله؛ لقرّته ذاتها، والإرهاب هو موجة الصدمة لهذا المكس الصاحت.

بهذا فإن الأمر ليس صدمة حضارات، أو أديان، وهو يتجاوز بكثير الإسلام وأمريكا، حيث يحلو للبعض تركيز الصراع للإيهام بوجود مواجهة مرئية وحلّ ممكن عن طريق القوّة. ولا ريب في أنها للبعض تركيز الصراع للإيهام بوجود مواجهة مرئية وحلّ ممكن عن طريق القوّة. ولا ريب في أنها خصومة جذرية، ولكنها لمن نوع يُظهر، من خلال طيف أمريكا (الذي في المقابل ليس تجسيد ذاتها، ولكنها ليسست تجسيد العولمة)، ومن خلال طيف الإسلام (الذي في المقابل ليس تجسيد الأولمان)، العولمة الظافرة وهي تقاتل نفسها. وبهذا المعنى فالأمر حرب عالمية، ليست الثالثة، بل الرابعة والوحيدة العالمية حقّا، لان رهانها ينصب على العولمة ذاتها. الحربان العالميتان الأولى والثانية النها النازية. الثالثة، التي لم تقم، كانت الحرب الباردة الردعية، وانهت الشيوعية. ومن حرب إلى آخرى سرنا أبعد في كلّ مرة نحو نظام عالمي واحد. واليوم فإنّ هذا العالم، الذي تمّ إنجازه افتراضياً، يواجه قوى. تناحرية، مبثوثة في قلب الكون، في كلّ اضطراباته المعلمة، حرب كسورية حيث تثور كلّ الفرادات تماماً كما تفعل الأجسام المضادة. ونزاع لا يُسبر غوره إلى درجة تحتّم على المرء ان يحفظ، بين وقت وآخر، إنتاجات استمراضية من نوع الخليج أو افغانستان اليوم. لكنّ الحرب العالمة الرابعة في مكان آخر. إنها تلك التي تسكن كلّ نظام كوني، وكلّ إخضاع مهيمن: إذا هيمن الإسلام على العالم، فإن العالم، فإن الإرهاب سوف يقاتل ضده.

ذلك لأنّ العالم ذاته هو الذي يقاوم الإخضاع.

الإرهاب لا أخلاقي. وأحداث «مركز التجارة الدولي»، هذا التحدي الرمزي، لا أخلاقية، وهي تردّ على عولمة هي نفسها غير أخلاقية. لنكن لا أخلاقيين نحن أيضاً إذا أردنا فهم أمر ما، ولنذهب أبعد من ثنائية الخير والشرّ. ولائنا، هذه المرّة، نملك حدثاً لا يتحدى الأخلاق فحسب بل كلّ تأويل، فلنحاول التحلّي بذكاء الشرّ. النقطة الحاسمة هاهنا: في هذا المعنى المضادّ للخير والشرّ في الفلسفة الغربية، فلسفة الأنوار. نحن نؤمن بسذاجة الا تقتام الخير، وصعوده في كل الميادين (العلوم، والتقانة، والديمة راطية، والديمة راطية، والديمة راطية، وحقوق الإنسان) امر يتوافق مع هزيمة الشرّ. ولا يبدو الا احداث أيدرك الا الخير والشرّ يصعدان على نحو متلازم، وفق الحركة ذاتها. انتصار الواحده لا يسفر عن محق والآخره. والمرء ميتافيزيقياً يعتبر الشرّ مصادفة، غير الا هذه البديهية واهمة رغم انها راسخة في كل الحروب المانوية للخير ضنة الشرّ، الخير الشرّ، الخير الشرّ، الخير الشرّ، الخير الشرّ، الخير المستقبل الموسات عنف عائلة عن بعضهما البعض. وفي العمق لا يستطيع الخير هزيمة الشرّ إلا إذا انكر ذاته، لانه إذا حاز على احتكار كولى للقرّة فإنه سوف يخلق استجابة عنف عائلة.

وكان الكون التقليدي ما يزال قائماً على توازن بين الخير والشرّ، وفق علاقة جدلية ضمنت، في كثير او قليل، التوثر والتوازن في الكون الاخلاقي، على نحو يذكّر بعض الشيء بالحرب الباردة حين كانت القوتان تقفان وجهاً لوجه وتضمنان توازن الرعب. وبهذا لم يكن هناك تفوق لقوّة على اخرى. وهذا النسق ينكسر حالما يتوقر استقراء شامل للخير (هيمنة الإيجابي على أيّ شكل سلبي، وانتفاء الموت، وايّة قوّة معادية محتملة: أي الإنتصار المطلق للخير)، ومن هنا ينكسر التوازن، بحيث يبدو أنّ الشرّ استحوذ على استقلال ذاتي غير مرثي، متطوراً عندئذ إلى وجهة دليلية Bxponentielle.

والإيقاء على التوازن في كلّ شيء هو، في قليل أو كثير، ما جرى في النظام السياسي مع إمحاء الشيوعية والإنتصار الكوني للقرّة اللببرالية: لقد ظهر عدرٌ بديع، متتشر في كلّ أصقاع المممورة، متوغل في كلّ شيء مثل فيروس، منبثق من كلّ صدع قوّة. إنه الإسلام. ولكنّ الإسلام ليس أكثر من الجبهة المتحركة لتَبُلُورُ هذه الحصومة. هي خصومة في كلّ مكان، وفي داخل كلّ واحد مثّا. وهكذا، ترهيب ضدّ ترهيب . . . ولكنه ترهيب مناف للنسق. وهذا الإنتفاء للنسق يترك القوّة العظمى مجرّدة تماماً من الاسلحة. وإذّ تقاتل ذاتها فإنه لا يعود في وصعها سوى أن تخفق في منطقها الخاصّ بملاقات القوّة، دون أن تكون قادرة على اللعب في ميدان التبادل الرمزي والموت، حيث أنها قامت بتصفية الموت من ثقافتها.

وهذه القوّة الإندماجية نجحت عمرماً في امتصاص الازمة، وكلّ جانب سلبي، خالقة بذلك موقف يأس عميق (ليس بالنسبة إلى المعتبين في الأرض، بل بالنسبة إلى الأغنياء والمتحمين ايضاً، في راحتهم الجذرية). والمحدث الجذري هو أنّ الإرهابين قد توقفوا عن العمليات الإنتحارية الفارّغة، وهم الآن ينظمون موتهم الخاص بطرق هجومية وفقالة، وفق حدس استراتيجي ليس سوى الحدس بالهشاشة الهائلة لخصمهم، هذا النظام الذي يبلغ كماله شبه الاقهى ويصبح بالتالي ضعيفاً أمام أصغر شرارة. لقد نجحوا في جعل موتهم هم سلاحاً مطلقاً ضد نظام يقتات على انتفاء الموت، حيث المنال هو الدرجة صفر في الموت، وكلّ نظام قائم على الدرجة صفر في الموت هو نظام الحصيلة صفر. وكلّ وسائل الردع والتدمير تصبح عاجزة ضد عدو تراضى لتزه على جعل موته بمثابة هجوم مضاد. وماذا عن القصف الأمريكي ارجالنا راغبون في الموت بقدر رغبة الأمريكين في الحياة اه الما الغشر وماذا عن القصف الأمريكي ارجالنا واغبون في الموت بقدر رغبة الأمريكين في الحياة اه المادة صفر في الموت.

وهكذا فإن الموت هنا هو مفتاح اللعبة، ليس في مستوى الإنفجار الصاعق للموت على الهواء مباشرة، في الزمن الفعلي، بل أيضاً في انفجار موت أكثر من حقيقي : موت رمزي، موت في التضحية، الحدث المطلق الذي لا استثناف فيه. . - -

تلك هي روح الإرهاب.

إنها ليست، البتة، مهاجمة النظام من خلال علاقات القوة. هذا ينتمي إلى الخيلة الثورية التي فرضها النظام نفسه، الذي يعيش عن طريق مواصلة استدراج خصومه لكي يقاتلوا في ميدان الخقيقي، وهو الميدان الذي يملكه النظام دائماً. إنها نقل القتال إلى الميدان الرمزي، حيث القاعدة هي قاعدة التحدي، والمكس، والتصعيد. وهكذا لا يمكن الرد على الموت إلا بموت مساورا و أعلى. تحدي النظام عن طريق موهبة لا يستطيع الاخير مبادلتها إلا بوسيلة موته وانهياره.

والفرضية الإرهابية تقول إن النظام نفسه ينتحر استجابة للتحديات المتضاعفة القائمة على الموت والإنتحار. لا مهرب للنظام، ولا للقورة، من الإلتزام الرمزي، وفي هذه المصيدة تكمن الفرصة الوحيدة لإنزال كارثة بهما. وداخل هذه الحلقة الدوترة من النبادل المستحبل للموت، يكون موت الإرهابي نقطة متناهية الصغر تسنفر طموحاً هائلاً، وفراغاً وتناقلاً عالياً للسخونة. ومن حول هذه النقطة الدقيقة يكتسب كامل نظام الواقع والقوة كثافته، يتجمّد، ينضغط، ويهبط في ميدان فعاليته العظمى كانها. وتكتيك الإرهاب هو استغزاز مقدار مفرط من الواقع ودفع النظام إلى الإنهبار تحت ثقل ذلك الإراط. وسخرية الموقف ذاتها، فضلاً عن عنف القوّة المتراكم، ينقلبان على النظام لان أفعال الإرهابي هي، في آن معاً، المراة المكترة لعنف النظام وعوذج العنف الرمزي الذي لا يستطيع بلوغه، العنف الوحيد الذي لا يستطيع مارسته: ذلك الخاص بموت النظام ذاته.

هذا هو السبب في آن كلّ هذه القوّة المرئية لا تستطيع إبداء ردّ فعل ضنة موت متناهي الصغر، ولكنه رمزي، لحفنة من الأفراد.

وعلى المرء الإعتراف بولادة نوع جديد من الإرهاب، وشكل جديد من الفعل الذي يدخل اللعبة ويحاصص في تحديد قواعدها، يحيث يفلح أكثر في بلبلتها. وهؤلاء الناس لا يتجنبون القتال بسلاح مكافىء فحسب، إذ ينتجون موتهم الخاص الذي لا يتوقر رد نمكن عليه (« إنهم جبناء »)، ولكنهم أيضاً يحاصهون في كلّ اسلحة القوة المهيمنة، للمال والمشاربة النقدية، تكنولوجيا المعلومات والطيران، إنتاج شبكات الإستعراض والإعلام: لقد تمثّلوا كلّ ما في الحداثة والعولمة، وحافظوا في الآن ذاته على هدف تدميرها.

الاكثر دهاء أنهم استخدموا عاديّة الحياة اليومية الامريكية كقناع ولعبة مزدوجة. لقد ناموا في ضواحيها، وقراوا ودرسوا مع عائلاتها، قبل أن يستفيقوا بفتة مثل أجهزة ناسفة مؤجّلة التوقيت. والسيطرة التامّة على هذه السرّية تكاد أن تكون إرهابية بقدر الفعل المشهدي ليوم ١١ أيلول. ذلك لانها تجعل المرء يرتاب في آن كلّ فرد مسالم يمكن أن يكون إرهابياً محتملاًا وإذا تمكّن اولفك الإرهابيون من المرور دون إثارة الشك، فعندها يكون أيّ منّا مجرماً لا يثير الشك (وتكون كلّ طائرة مشبوهة أيضاً)، وقد يكون الامر صحيحاً في نهاية الامر. وهذا قد يتواقق تماماً مع شكل لاواع من

الجريمة الكامنة، المقدّمة، المكبوتة جيداً، ولكن القابلة دائماً للتناغم السرّي مع مشهد الشرّ، إذا لم نتحتث عن اضطرامها واشتعالها . وهكذا فإنّ الحدث ينبسط في تفصيلاته، فيكون منهم إرهاب آخر اكثر تعقيداً من الناحية الذهنية .

والفارق الجوهري هو ان الإرهابيين، في تمكّنهم من حيازة جميع اسلحة النظام، يمتلكون في الآن ذاته سلاحاً آخر فتاكاً: موتهم هم.

فإذا اكتفوا بمقاتلة النظام عن طريق استخدام أسلحته ذاتها، فإنهم سيتعرّضون للتصفية الغورية. وإذا لم يناهضوا النظام بموتهم، فإنهم سوف يندثرون بسرعة اندثار تضحية لا طائل من وراثها. وهذا كان دائماً، على وجه التقريب، مصير الإرهاب حتى الآن (كذا العمليات الإنتحارية الفلسطينية)، والسبب في آلها محكومة بالفشل.

ولقد تغير كل شيء حالما وظفوا كل الوسائل الحديثة المتوقرة في خدمة هذا السلاح الرمزي الاعلى . وهذا الاخير يضاعف كمونهم التدميري على نحو لانهائي . وإن مضاعفة هذه العوامل (التي تبدو في ناظرنا غير قابلة للتصالح) هي التي تعطيهم مثل ذلك التفوق . وفي المقابل فإن استراتيجية الدرجة صفر في الموت، الحرب والنظيفة ٤، التكنولوجية ، تفتقر تماماً إلى ذلك التحويل للقوّرة والفعلية ٤ عن طربق القوّرة الرمزية .

والنجاح المذهل لمثل هذا الهجوم يطرح مشكلة، وبغية فهمه ينبغي على للرء أن يجرّ نفسه بعيداً عن منظورنا الغربي، لاستكناه ما يجري في أذهان الإرهابين ومنظمتهم. فهذه الفعالية سوف تدلّ، بالنسبة إلينا، على درجة قصوى من التحسّب والعقلانية، الأمر الذي نُجد صعوبة في تحثّبله متوفراً لذى سوانا. وحتى في حالنا نحن لن يكون هنالك مفرّ من بعض التسريبات والأخطاء، كما هو الأمر في كلّ منظمة عقلانية أو جهاز سرّي.

وهكذا فإن سرّ مثل هذا النجاح يكمن في مكان آخر. الفارق، في حالتهم، أنه لا يوجد عقد عمل عمل بين ميثاق والتزام بالتضحية. هذا الإلترام خال من الإرتداد والفساد. والمعجزة هي التلاؤم مع شبكة عللية، مع بروتو كولات تقنية دونما أي خسران لهذا التواطؤ مع الحياة ومع الموت. والميثاق، على نقيض من العقد، لا يربط بين الأفراد، لان وانتحار عهم ذاته ليس بطولة فردية، بل هو فعل تضحية جماعي يصادق عليه مطلب مثاني. وإنّ هذا الإقتران بين هاتين الاواليثين، البنية العملياتية والميثون، هو الذي يجعل هذا العمل للفرط ممكناً.

لم نعد نملك اية فكرة عن ماهية هذا الحساب الرمزي، كما في البوكر والعاب الفوز بالهدايا، حيث الرهانات محدودة والنتيجة عظمى. وهذا بالضبط ما فاز به الإرهابيون في الهجمة على مانهاتن، والذي سوف يكون استعارة جيدة لنظرية الفوضى العميمة: صدمة ايتدائية، استثارة عواقب غير محسوبة، في حين أنّ الإنتشار الأمريكي الهائل (8 عاصفة الصحراء ») أسفر عن تأثيرات مثيرة للسخرية العاصفة انتهت في وقة جناكي فراشة، كما ينبغي القول.

الإرهاب الإنتجاري كان إرهاب الفقراء، وهذا هو إرهاب الأغنياء. وهذا بالضبط ما يفزعنا: لقد أصبحوا اغنياء وولديهم كلِّ الوسائل)، دون أن يكثوا عن الرغبة في اجتنائنا. واستناداً إلى نظام القِيّم الخاصّ بنا، لا ريب في إنهم يغشّون: ليس في باب اللعب أنّ المرء يضع موته محطّ رهان. ولكن لم يكن في وسعهم أن يكترثوا أقلّ، وقواعد اللعبة الجديدة ليست من صنعنا.

نبذل كل شيء لكي نشرة سمعة افعالهم. وهكذا، نطلق عليهم أسماء و الإنتحاريين، و و الشهداء و. ونضيف مباشرة أن مثل هذه الشهادة لا تبرهن على شيء، وأن لا صلة تجمعها بالحقيقة، بل إنها (في اقتباس نيتشه) عدرة الحقيقة. ولا ريب في أن موتهم لا يبرهن على شيء. ولكن ما من شيء يمكن البرهنة عليه داخل نظام تكون فيه الحقيقة ذاتها موارية، أم أننا نزعم امتلاكها حقاً الي جانب ذلك، يمكن عكس هذه الحاججة الاخلاقية. إذا كان الإستشهاد الطوعي للإنتحاريين [الكاميكاز] لا يبرهن على شيء، فإن الإستشهاد غير الطوعي للانتحاريين وامدة ما هو على شيء، فإن الإستشهاد غير الطوعي للضحايا عاجز عن البرهنة على أي شيء أيضاً، وثمة ما هو إباحي في جعل الامر حجة أخلاقية (وهذا لا يغيّر في شيء مقدار معاناتهم وموقهم).

هنالك حجة اخرى تنطوي على سوء النية : الإنتخاريون يقايضون موتهم بمكان في الجنّة. فعلهم ليس مجانباً، ولهذا فهو ليس اصبلاً، ولسوف يكون مجانياً لو انهم لم يؤمنوا بالله، وكان موتهم بلا امل، كما هو موتنا نحن (رغم ان الشهداء المسيحين افترضوا هذا التبادل السامي بالذات). وهكذا، ومن جديد، فإنهم لا يحاربون باسلحة متساوية ما دام لهم الحق في خلاص لم نعد نحن نامل فيه. يتوجّب علينا أن نفقد كلّ شيء بموتنا، في حين انهم يرجون من موتهم اعلى الرهانات. وهكذا نقيم العزاء على امواتنا، في حين انهم يجملون موتهم مسالة تحدّ رفيع القيمة

وفي خاتمة المطاف ينتمي ذلك كله ..الاسباب، والبراهين، والحقيقة، والمثوبات، والوسائل والغايات _إلى الحساب الغربي النموذجي . بل إننا أيضاً نضع قيمة للموت بمصطلح معنل الغائدة، والنسبة بين النوعية والسعر . مثل هذه الحسابات الإقتصادية هي حساب البؤساء الذين فقدوا حتى شجاعة تحديد ثمن الموت .

ما الذي يمكن أن يحدث، بمعزل عن الحرب التي ليست أكثر من ستار واق تقليدي؟ نتحدث عن الإرهاب البيولوجي، والحرب الجرثومية، والإرهاب النووي، ولكن لا شيء من هذا ينتمي إلى ميدان التبادل الرمزي، لانه بالاحرى ينتمي إلى إيادة بلا كلام، بلا مجد، بلا مجازفة ـ اي، إلى ميدان الحلّ النهائي La solution finale.

ومن الهراء أن نرى في الفعل الإرهابي منطقاً تدميرياً خالصاً. ويبدو لي أن موت الإرهابين غير منفضل ابداً عن فعلهم و وهذا بالضبط ما يجعله فعلاً رمزياً) ، وهو ليس البتة تصفية غير مشخصنة لدوالآخر و . كلّ شيء كامن في التحدي والمنازلة ، أي في العلاقة التي ما تزال شخصية ومزدوجة مع الحسم . وإنها قوة الحصم هي التي تحطّ من قواك ، وهي هذه القوة التي ينبغي الحطّ منها . وليس إيادتها فحسب . . . ينبغي على المرء أن يجعل الحصم يفقد ماء وجهه ، ولا يمكن بلوغ هذا المطلب عن طريق القوة الخالصة وكبت الآخر. ينبغي استهدافه والنيل منه بوصفه الخصم الشخصي . وبمعزل عن الميثاق الذي يجمع الإرهابين، هنالك ما يشبه الميثاق المزدوج مع الخصم . إنه إذاً النقيض التام للجن الميثاق الذي يُتهمون به ، وهو النقيض التام للجن وما ينبوون به وهو النقيض التام لما يشبه الميثاق الذي يحمد غي مثال حرب الخليج (وما ينوون فعله اليوم في افغانستان): هدف غير مرغى، تصفية عملياتية .

ومن كلّ هذه التقلّبات نتذكّر رؤية الصُور خصوصاً. وينبغي ان نحتفظ بهذا التكاثر للصور، وبجاذبيتها، لانها تشكّل مشهدنا البدائي شئنا أم أبينا، وأحداث نيويورك جلّرت علاقة الصور بالواقع، تماماً مثلما جلّرت الموقف الكوني، وبينما كنّا في السابق نتعامل مع وفرة غير منقطعة لصور معمادة وتدفّق غير متقطّع لاحداث زائفة، ها إنّ الهجمة على نيويورك قد بعثت الصورة والحدث في آن معاً.

وبين الأسلحة الآخرى للنظام الذي شاؤوا الخزوج عليه، استخدم الإرهابيون الزمن الفعلي للصور، وبقها الغوري على نطاق العالم. لقد حاصصوا فيها تماماً كما حاصصوا في المضاربة المالية، والمعلومات الإلكترونية، وحركة الطيران. دور الصورة ملتبس بصفة عالية. إنها تأخذ الحدث رهينة، وتمجده في الوقت ذاته. إنها يمكن أن تتضاعف بصفة لانهائية، وتكون في الآن ذاته فعل صرف انتباه وحياد (كما وقع في أحداث أيار ١٩٦٨ [في فرنسا]). وهذا ما ينساه المرة دائماً حرن يتحدث عن وخطر، وسائل الإعلام، الصورة تستهلك الحدث، أي أنها تستوعبه وتعيده إلينا بضاعة قابلة للإستهلاك. ولا ريب في أن الصورة تعطى للحدث اثراً غير مسبوق، ولكن بصفته المحدة الصورة. الحدث، الحدث.

ما الذي يحدث، إذاً للحدث الحقيقي، إذا كانت الصورة، والتاليف، والإنتراضي، هي التي تنفث الواقع؟ وفي هذه الحال الحاضرة قد يلاحظ المره (بشيء من الإرتباح) عودة للواقعي، ولعنف الواقعي، في الكون الذي يُعدّ افتراضياً. وهذه نهاية جميع اقاصيعمكم الإفتراضية، فما يجري حقيقيًا . وعلى المنوال ذاته في وصع المرء ان يلحظ بعثاً للتاريخ بعد أن أعلن موته. ولكن هل يتغلّب الواقع على التاليف حقاً إذا لاح ان الامر كذلك فلات الواقع استوعب طاقة التاليف، واصبح تاليفاً بذاته، ويكاد في وسع المرء أن يقول إن الواقع يحسد التاليف، وإن الواقعي غيور من الصورة...

إِنَّ انهباربُرجَي همركز التجار الدولي ؛ غير قابل للتختِّل، ولكنَّ هذا لا يكفي لجمله حدثاً حقيقياً. إِنْ قيمة عنف زائدة لا تكفي لفتح صفحة الواقع. ذلك لانه الواقع ميداً، وهذا المبدآ ضاع. الواقعي والتأليف لا ينفصلان، وجاذبية الهاجمة هي جاذبية الصورة في المقام الآوّل (والعواقب، سواء آكانت واقعية ام درباً إلى الكارثة، هي في حدّ ذاتها متخيَّلة إلى حدّ كبير).

إنها إذاً حالة يُضاف فيها الواقعي إلى الصورة كعلاوة ترهيب، كرعشة إثارة اخرى. إنها ليست رهيبة فحسب، بل هي واقعية . وليس عنف الواقعي هو الذي ينجلي للوهلة الأولى، وإثارة الصورة مضافة إليه؛ إنها بالاحرى الصورة التي تنجلي آولاً، وإثارة الواقعي مضافة إليها . الأمر أشبه بالتأليف الإضافي، تأليف ما بعد التأليف . وبالارد (بعد بورخيس)⁽¹⁾ كان بذلك يتحدث عن إعادة ابتكار الواقعي بوصفه التأليف الاقصى والابعد أثراً.

هذا العنف الإرهابي ليس، بالتالي، الواقع وهو يرة البضاعة، كما أنه ليس التاريخ وهو يرةها أيضاً. هذا العنف الإرهابي ليس 3 واقعياً ء. إنه آسوا بمعنى ما: إنه رمزي. العنف في ذاته يمكن أن يكون عادياً تماماً وغير مؤذ. العنف الرمزي هو وحده الذي يستولد الفرادة، وفي هذا الحدث الفريد، في فيلم الكارثة الذي شهدته مانهاتن، يبدو العاملان اللذان فتنا القرن العشرين وكانهما يلتحمان: السحر الابيض في السينما، والسحر الاسود في الإرهاب؛ الضوء الابيض للصورة، والضوء الاسود للإرهاب.

والمره بعد الحدث يحاول إضفاء أي معنى عليه، كما يحاول العثور على أي تاويل ممكن. ولكن لا يوجد اي معنى ممكن، وما من شيء أصيل وغير قابل للاختزال سوى المشهد الإستعراضي، سوى وحشية الإستعراض. استعراض الإرهاب يفرض إرهاب الإستعراض. وضد هذا الإفتتان اللاأخلاقي (حتى إذا كان يستدعي رد فعل آخلاقياً كونياً) لا يستطيع النظام القيام باي حراك. هذا هو مسرح القسوة الحاص بنا، المسرح الوحيد الذي تبقى لنا، المسرح الإستثنائي لانه يوحد الاشد استعراضية مع الاشدة ستفازاً. إنه، على قدم المساواة، النموذج الادق الارقى لنووية العنف العادي، وترجيعه الاعظم؛ وهو بذلك الشكل الاصفى للإستعراض، ونموذج التضحية الذي يناهض النظام التاريخي والسياسي بشكل من التحاتي رمزي خالص.

يمكن بالتالي ان تُغفر لهم آية مذبحة إذا كان لها معنى، وإذا توقر تفسيرها كعنف تاريخي، وهذا هو المحور الاخلاقي للعنف المسموح به . يمكن أن يُغفر لهم أيّ عنف إذا لم تبتّه وسائل الإعلام («الإرهاب ليس شيئاً دون وسائل الإعلام ») . ولكنّ هذا كلّه وهم في وهم . ما من استخدام جيد لوسائل الإعلام، وهذا جزء من الحدث وجزء من الترهيب وجزء من اللعبة على هذا النحو أو ذاك .

والأفعال القمعية تسير علين نفس اللولب غير المتوقع الذي تسير عليه الأفعال الإرهابية - لا احد يمرف ابن تتوقف، وأي انقلابات يمكن أن تقتفي، وعلى مستوى الصورة والمعلومة لا توجد تمييزات ممكنة بين الإستعراضي والرمزي، بين والجريمة و والقمع. وهذا الإنحلال الطليق لانعكاس الآية هو النصر الحقيقي فلإرهاب. إنه نصر مرثي في المفاعيل التحتية والموسمة للحدث، ليس على صعيد الركود السياسي والإقتصادي والمالي الذي يعيب النظام باسره فقط، وليس على صعيد الإرتداد الاخلاقي والنفسي الذي ياي فحسب، بل على صعيد ارتداد نظام القيّم، ومجمل إيديولوجيا الحرّية والحركة الحرّة، الخ. . . هذه التي يتباهى بها العالم الغربي، والتي تُشرّعِن من منظوره - سيطرته على العالم.

والحال أنّ فكرة الحرية، الفكرة الجديدة والراهنة، يجري محوها من الحياة اليومية والوعي اليومي، وتتحقق العولمة الليبرالية على هيئة نقيضها التام: عولمة وقانون ونظام، سيطرة شاملة، وترهيب مني، وإعادة التنظيم تنتهي إلى محظورات وتقييدات قصوى، مشابهة لتلك السائدة في مجتمع

سولي.

يحل التباطؤ في الإنتاج، والإستهلاك، والمضاربة، والنموّ (ولكن ليس في الفسادا): كلّ شيء يشير إلى تراجع استراتيجي للنظام الكوني، ومراجعة فاجعة لقيّمه، وتنظيم قسري تفرضه الغوضي المطلقة، ولكن من نوع يفرضه النظام على نفسه، مستدخلاً بذلك هزيمته الذاتية. وقد يبدو ذلك بمثابة ردّ فعل دفاعي على الإرهاب، ولكنه في الواقع قد يكون استجابة لاشتراطات سرّية.

جانب اخر للنصر الإرهابي هو الله جميع أشكال العنف وزعزعة الإستقرار الاخري تفضّله: إرهاب الإنترنيت، الإرهاب البيولوجي، إرهاب الجمرة الخبيثة، وإرهاب الإشاعة... كلها تُعرى إلى بن لادن. وفي وسعه أيضاً أن يزعم المسؤولية عن الكوارث الطبيعية. كلّ شكل من أشكال سوء التنظيم والتنظيم والتنادل المستحيل. والتبادل الشادة يصبح نافعاً له. ذلك لانّ بنية التبادل الكوني المعتم ذاتها تفضّل التبادل المستحيل. إنها شكل من الكتابة الآلية الإرهابية، تتغذى دائماً على حساب الإرهاب اللاطوعي للأخبار. بكلّ العواقب المغزعة التاجمة: إذا كان التسمّم، في قصة الجمرة الخبيثة تلك، يقع من تلقاء ذاته، عن طريق النبّلُر الفوري، كما في تفاعل المحلول الكيميائي عند ملامسة الجُزيئة، فليس ذلك إلا لانّ النظام بلم الحجم الحرج الذي يجعله ضعيفاً أمام ائ اعتداء.

لا حلّ لهذا الموقف الاقصى، ولا حلّ خصوصاً عن طريق الحرب التي لا تقائم سوى تجربة معادة مكرورة، بالتدقق ذاته للقوات العسكرية، والانباء المجاثبية، والدعاوة العقيمة، والخطابات المضللة المثيرة للشفقة، والإنتشار التكنولوجي. في كلمات اخرى، كما في حرب الخليج، الحرب التي ليست بالحدث، الحدث الذي لم يقع...(٢)

غير أن هذا بالذات هو علة وجودها: أن تستبدل الحدث الحقيقي الباهر الفريد غير المنتظري بحدث زائف سبق تكراره . الهجمة الإرهابية استجابت إلى اولوية الحدث على كل تموذج تاويل. وإث هذه الحرب الغبية عسكرياً وتكنولوجياً تستجيب، بالمكس، إلى اولوية النموذج على الحدث، اي اولوية الرهان المتخيّل واللاوقوع . وبوسائل اخرى فإن الحرب توستم / تواصل حال الغياب الكامنة في قلب السياسة.

إشارات

(١) جان بودريار فيلسوف فرنسي ما بعد حداثي، تتناول أعماله مسائل العلامة والصورة والرمز والإيصال ووسائل الإعلام، الامر الذي يتجلى في أبرز أعماله: «مرآة الإنتاج»، ونحو نقد للإقتصاد السياسي للعلامة »، ونشوة الإتصال »، «أمريكا»، ووفي ظلّ الاغلبيات الصامتة». والمقالة أعلاه تُشرِت في صحيفة ولوموند » الفرنسية بتاريخ ٢ / ١ / ١ / ٢٠٠١، وهذه هي ترجمتها الكاملة.

(٢) جيمس غراهام بالارد (١٩٣٠ -) روائي إنكليزي تميّزت أعماله بالخيال العلمي وتناولت موضوعة الكوارث وانهيار المشهد العمراني . بورخيس (١٨٩٦ - ١٩٨٦) هو الشاعر وكاتب القصة الارجنتيني المروف، الذي اشتهر بالموضوعات العجائبية وبناء المفارقة .

(٣) من الماثور الأبودريار كان قد كتب مقالة شهيرة بعنوان وحرب الخليج لن تقع ٤، وذلك قبل اندلاع عمليات وعاصفة الصحراء ٤٠ ثم كتب مقالة ثانية، ليست اقلّ شهرة، بعنوان وحرب الخليج لم تقع٤، وذلك . . . بعد انتهاء العمليات العسكرية!

الهيمنة الأمريكية والرد علم الإرهاب

سمير أميت

هجمات ١١ أيلول تستدعي تعليقاً مختلفاً عن التعليق السائد في وسائل الإعلام؛ التي كان همتها الاساسي تبرير الفائدة التي تسعى مؤسسة الهيمنة الامريكية إلى الحصول عليها جزاء الاحداث. والرحب الغريزي الذي يشعر به كل ادمي لمراى مقتل أعداد كبيرة من الناس الابرياء، ينبغي ان لا يجملنا ننسى الدور الذي لعبته في الاحداث سياسة الولايات المتحدة وسياسات حليفاتها في مجموعة الدح. وقد تكون هذه أول مذبحة تضرب الولايات المتحدة في عقر دارها، ولكنها ليست البتة في يقد دارها، ولكنها ليست البتة في فيدة من نوعها. ومع ذلك فإن وسائل الإعلام لم تبذل الجهد ذاته، ولم تكن مواظبة هكذا، حين غطت الفضحايا العراقيين الابرياء؛ أو قصف حلف الناتو لليوغوسلاف؛ أو ذبح الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا بأوامر من شارون، وما يتعرضون لهم اليوم ايضاً من مذابح يومية بأوامر شارون ذاته؛ أو أسرى الحرب المصريين الذين أعدموا باللام البارد. وما يمكن تسميته إرهاب الدولة ليس أقلّ فظاعة من الإرهاب الذي انطوت عليه هجمات ١١ أيلول.

والراي العام الامريكي بحاجة لان يعرف ان ١٤٠ هو السبب في أن الهجمات على الولايات المتحدة لم قالرايات المتحدة لم تقابل باستنكار كوني تام، على عكس ما خُيّل للامريكيين. والإختيار الإستراتيجي للاهداف مركز نيويورك المالي والبنتاغون ـ أثار بعض التصفيق برس من جانب حفنة من المتصمين الإسلاميين وحدهم، بل من جانب الغالبية العظمى للراي العام في أفريقيا وآسيا، وفي قطاع لا يستهان به من الراي العام الاوروبي.

وحتى اليوم لم يسلط اي ضوء على حجم مسؤولية الفاعلين الحقيقيين، اي الإنتحاريين [الكاميكاز] الإسلاميين المدرين تدريباً عالياً، والذين قد يكونون أو لا يكونون جزءاً من شبكة واحدة أو اكثر. ولعلّ الحقيقة لن تنجلي ابداً.

وكاتب هذه السطور هو في صف العديد من المثقفين الذين يعتبرون الشعوب العربية والمسلمة بمثابة الضحايا الاولى للإسلام السياسي، وأن الإيديولوجيا الرجعية التي يقوم عليها لا تقائم اي جواب صادق على مشكلات الجماعات، وإنها طريقة عمل Modus Operandi هذا الإسلام السياسي غير مقبولة أو هي منقرة. ولكن لهذه الاسباب بالذات كان الإسلام السياسي وما يزال يحظى بـ «عناية خاصة» من استراتيجيى واشنطن الذي تحالفوا معه فالباً.

والطالبان (مثل اسامة بن لادن) وُصفوا بـ «المقاتلين من أجل الحرية» . و« غضبتهم ، على « الشهوعيين المكروهين »، والذين كانوا في الواقع شرائح شعبوية قومية تحديثية وكانت جريمتهم الكبري ـ في نظر خصومهم - هي فتح للدارس امام الفتيات، لم تحرّك ساكناً لدى الدوائر الدبلوماسية الغربية أو حركاتها النسوية. والذين يُشار إليهم باسم والأفقال » - أي الجزائريين والمصريين وسواهم، تن تدربوا على التعلق في ممسكرات مؤتها الولايات المتحدة، بإشراف خبراء من الخابرات المركزية الأمريكية والباكستان حم اليوم بمارسون المهارات والإرهابية » في الجزائر وسواها. واشنطن لم نبد أي اعتراض عليهم، بل هي سائدتهم وتواصل مسائدتهم حتى يومنا هذا، ولم تخالف سوى الذين يناضلون ضد الإحتلال الإسرائيلي، وهذا التمييز لا يمكن تأويله في سياق التماطف السائد في خطاب البشرين به الخصوصية » الإسرائيلي، وهذا التمييز لا يمكن تأويله في سياق التماطف السائد في خطاب البشرين به الخصوصية » الشقافية. ولا ربب أن سبيه يكمن في المتحليل الواضح الخبيث الذي تعتنقه المؤسسة الأمريكية الشمالية : أن الإسلام السياسي يلقي بالشعوب في مصيادة تجعلها عاجزة أمام تحديات العولمة الراسمائية المربولية، وأن هذا الوضم يناسب هدف الراسمال المهيمن.

وعند كتابة هذه السطور لا أعرف تماماً طبيعة رد الولايات المتحدة على هجمات ١١ أيلول. والارجع أنه سوف ياخذ شكل عمليات قصف واسعة تسفر عن مقتل آلاف المدنيين، اللذين هم في الاساس ضحايا الولايات المتحدة وحلفائها من أهل الإسلام السياسي. وحين تتوقف العمليات، سواء نجحت أم فشلت في تدمير بن لادن، فإلا الكراهية المضاعفة لواشنطن سوف تستولد آلاف المرشحين الجدد الجاهزيين للثار من الاهداف الامريكية. ولكن حين تسند إلى ما تملك من قوّة عسكرية إرهابية كل هذا الدور الحاسم والفاصل في تنفيذ أغراض هيمنتها، الا تبدو المؤسسة الحاكمة في الولايات المتحدة وكانها استقرّت على خيار؟ إنها، ويمعزل عن الرعب والقتل الذي ينطوي عليه هذا الخيار، محكومة بالفشل الختاء على امتداد العالم باسره.

مثل هذا الحيار لا يمكن إلا ان يقود إلى مكارثية جديدة داخل المجتمع الامريكي، الآن إذ يُرخى العنان أمام عمليات تأثيم كلّ معارضة لإملاءات الراسمال للهيمن ـباسم «الامن القومي» و«الحرب على الإرهاب».

لا ترجد إمكانية لتشكيل جبهة موحدة ضة الإرهاب. وتطوير جبهة موحدة ضة الظلم الإجتماعي العالمي هي وحدها التي يمكن أن تفيد في جعل أفعال الياس التي يلجأ إليها ضحايا النظام غير نافعة في نظرهم، وبالتالي غير ممكنة. (°)

^(*) تُشِرِت هذه المساهمة في المجلة الأمريكية Monthly Review، عدد شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠١.

الذاكرة الهستعادة

أميركا والكنعانيون الحمر (تننزيد أسطورة)

منير العكنت

السعوا أول من ترونه، واستمدوا حياتكم من موته __ أرسطوفان ، دالزنابير، ٢٧٤ ق.م

يجب أن تكون « زنبورا » لتفهم هذا الهلع المصابي الذي أصاب أميركا مع ظهور حالات الجمرة الحبيثة، فالزنبور الأميركي WASP يختلف عن كل زنابير البراري في الشكل واللسع والتاريخ الطبيعي والملاقة مع الجرائيم. إنه اصطلاح مؤلف من الحروف الأربعة الأولى لاربع خصال عرقية وأخلاقية استثنائية تميزت بها العترة الأرستقراطية والمختارة »، التي أطلقت « فكرة أميركا » وصنعت تاريخها . في كل الطبقات الجيولوجية لذاكرة هؤلاء الزنابير (البيض ، الانكلو- سكسون ، البروتستانت) مناجم يشتبة بمادن موت استثنائي، بدونه لم تكن فكرة اميركا ... فكرة استبدال شعب بشعب ، وثقافة ... بمكنة ... مكنة ... مكنة ... مكنة ... بشقب ، وثقافة ... مكنة ... مكنة ... و

هناك علاقة استثنائية بين هذا التاريخ الذي يرضع منذ أكثر من أربعة قرون من نسخ الموت وبين الهلم الهستيري الذي ملا ليل الزنابير بكوابيس «الخطيقة الاصلية » لفكرة أميركا، واكتشف في كل

منير العكش، كاتب صوري يقيم في واشنطن

ذرة من جيولوجيا الذاكرة جمرة خبيثة. ولربما كان هناك أيضا ما يشبه الاستنساخ للعقلية القيامية التي عاشها أرسطوفان في آيام سقراط، وفتّدها في مسرحية «الزنابير»، وفضح فيها على لسان بطله «كليون» جنون أثينا بالدينونة والخاكمة والقتل بالسموم.

فجأة رأت ذاكرة الزنابير صورتها في المرآة: الامبراطور عاريا تطارده أشباح ١١٢ مليون آدم وحواء ينتمون إلى أكثر من أربعمثة شعب، كانوا يملاون و مجاهل العالم الجديد بضحكة الحياة ١ (لم يبق منهم في إحصاء ١٩٠٠ سوى ربع مليون)، وتلوح لميني جلالته مشاهد ٩٣ حربا جرثومية شاملة ٢ أتت على حياة الملايين من هذه الشعوب. هذه الإبادة الجماعية الاعظم والاطول في تاريخ الإنسانية، والتي حاول التاريخ المنتصر محو د كراسا من وجه الارض، ايقظتها حالات الجمرة الخبيشة و بكل أهوالها في مخيلة الزنابير التي بدأت ترى مستقبلها في صورة ضحاياها الذين ابيدوا بجرائيم الجدري في خليج ماساشوستس، أو بمبيد الاعشاب البرتقالي وغاز الخردل واليورانيوم المستنفد في كوريا وفينام وما بين الرصافة والجسر.

لم تعترف الولايات المتحدة أبداً بعدد الهنود الذين أبيدوا منذ بداية الغزو الأبيض الذي دشنه خوان پونس دوليون باكتشاف فلوريدا في فصح ١٥١٣، فيما كان يبحث عن ٩ماء الشباب، الاسطورية . إن كتبّها المدرسية لا تعترف بتاريخ لهذه (المجاهل) قبل كولومبس، فقد كانت شبه خاوية من البشر تنتظر من الإله الذي خلع عليه أوليڤر كرومويل الجنسية الانكليزية God is an Englishman أن يُهبط فيها آدمَه ليؤنس وحشتها ويعمرها بالحياة. إنَّ الفيلم «الوثائقي» الذي يُعرض للسياح في مستعمرة بليموث (أول مستعمرة فيما صار يعرف بنيو إنكلاند) والدليل السياحي في تمثال الحرية بنيويورك كليهما يؤكد لك أن تاريخ الإنسان في مجاهل الشمال الأميركي، لم يبدأ إِلَّا في اواخر القرن السادس عشر. اما تلك القلة الضئيلة المشاغبة من الهنود الذين لم يتجاوز عددهم يومها المليون فقد حفروا قبورهم بايديهم في حروب متكافئة شريفة شفافة، كانوا هم مسؤولين عن إضرام نارها وحصد أضرارها، أو إنهم «ماتوا» قضاء وقدراً بالأمراض التي حملها الأوروبيون معهم دون قصد . وتمضى الكتب المدرسية فتصف هذا الموت القدري بانه «ماساة مشؤومة يؤسف لها»، وغير مقصودة، ولا متعمدة، ولم يكن تجنبها ممكنا، وواضرار هامشية تواكب انتشار الحضارة وطريقة حياتها ، وليس لك هنا بالتالي أن تلوم، إذا أردت أن تلوم إلا القضاء والقدر. وبانتفاء النية والقصد والمسؤولية عن فناء هؤلاء «الأشقياء» يصبح الحديث عن الهولوكست الأميركي ومتحاملاً ع، ومتهوراً ٤، وسلبياً ٤، وغير مسؤول ٤، ووينبع من روح الكراهية ٤ للحضارة ووطريقة حياتها ٤. ألا ترى كيف اكرموا الهنود فرفعوا تمثال امراة هندية فوق قبة الكايتول، وجعلوه رمزا للحرية؟

الارقام الرسمية التي لا تعترف بوجود اكثر من مليون أومليوني هندي عند وصول الإنسان الابيض إلى العالم الجديد لا تختلف عن القول، بأن عدد اليهود في أوروبا عند وصول النازيين إلى الحكم لم يكن يتجاوز مئة ألف أو مئتي الف يهودي، ولربما أنه سيشجع على القول مستقبلا إن فلسطين عند إعلان دولة إسرائيل لم يكن في مجاهلها أكثر من عشرة آلاف متوحش. إننا لا نقف هنا أمام جهل بالحساب، أو غش في صفقة تجارية، بل أمام عدم تتطاير أشلاء الذاكرة الإنسانية في هاويته، ومعها تتطاير فرص الحياة لكثير عمن تلدهم أمهاتهم في «المجاهل». ولانه ليس هناك من يعرف عمق هذه الهاوية، فإن «المُساة المشؤومة» التي واكبت انتشار الحضارة في العالم الجديد تبقى مفتوحة على كل أنواع الثقافات والأعراق الإنسانية. هذا قدر أميركا Manifest Destiny ورسالتها الخالدة التي كتبت لها السماء أن ترافق أشعة الشمس حيث دارت الشمس.

إن الارقام الحقيقية لم تتقلص بهذه الشراسة إلا لان حقيقتها تعري اسطورة الأرض العذراء التي التوابير العذراء التي الترجها الزنابير، أو الارض الفارغة التي تسجت من خيوطها كل اكاذيب التاريخ الاميركي ووضعت حياة إنسانيتنا باستمرار على الفارغة النقي الاسود black hole، هذا الإصرار على آن عدد الهنود لم يتجاوز المليون أو المليونين عند وصول الاوروبين، وأنه تقلص إلى ربع مليون في عام ١٩٠٠ يحيل كل قصة الإبادة إلى فيلم تسلية، ويقدم لبهلواني التاريخ المنتصر اللفة الاورولية المناسبة لنشاط وزارة الحب. إن بإمكانهم ابتلاع هذه الحسكة الطرية الصغيرة، ولكن كيف سيبتلمون عظام ١١٧ مليون إنسان؟

وليس و عامل الامراض ع باقل لؤما. هناك مئات الكتب التي وضعها التاريخ المنتصر لما أسماه بعامل الامراض disease factor، وهناك مئات الابحاث والدراسات التي تسخر من فكرة إيادة سكان أميركا بالاسلحة الجرثومية. فالجدري والتيفوئيد والختاق والحصبة وغيرها من أوبغة العالم القديم، هي التي قفزت خفية إلى سفن المستوطنين ووصلت سراً إلى شواطىء العالم الجديد، ثم تسللت إلى أرواح الهنود في قراهم ومدنهم قضاء وقدرا. أما الهنود فلم يموتوا بسبب واحتكاكهم ع بالاوروبيين أو لأن هذه الامراض كانت سلاحاً من أسلحة الإبادة بل بسبب فقرهم للمناعة الكافية، خاصة وأن الإنكليز الابرياء المسالمين في ذلك الزمان كانوا لا يعرفون شيئا عن خطر هذه الاويفة!

بهذا المنطق يؤكد التاريخ المنتصر أن حرب الإبادة الجماعية التي أفرغت العالم الجديد من سكانه،

وقضت على أكثر من أربعمائة شعب وأمة وقبيلة اكانت تنتشر في الشمال الأميركي فوق مساحة اكتبر من أوروبا بنصف مليون ميل مربع، وكل ما واكب هذه الإبادة من فظائع كان مجرد و ماساة غير مقصودة حدثت برغم الرغبة الجادة والأكيدة لدى الأوروبيين في الحفاظ على حياة الهنود. إن السبب الاول لموت الهنود هو الأوبقة التي لم يكن لديهم مناعة ضدها. فالطبيعة، وليس الاذى المتعمد، هي الأول لموت الهنود هو الأوبقة التي لم يكن لديهم مناعة ضدها. فالطبيعة، وليس الاذى المتعمدين حماسة السبب في هذا الدمار و ٤٤. وبالتأكيد فإن صاحب هذا التشويه التاريخي واكثر المتعمدين حماسة لما الأمراض اليوم، هم أولئك الحصريون الذين يحبون أن يحتكروا فكرة الضحية لانفسهم، ولا يربدون للذاكرة الإنسانية أن تسجل جرعة أكبر من الجرعة التي ارتكبها النازيون بحقهم وحدهم. ويهذه العنصرية التي تسللت بكل ساديتها إلى مملكة الموت أقيم متحف الهولوكست في واشنطن، على أنقاض مدينة نكونشتناكه الهندية وفوق رغم شعب الكونوي الذي أباده الغزاة في ١٩٢٣. هنا على ضغاف نهر البوتوماك تورط المستعمرون الإنكليز تلك السنة في إحدى حروبهم الشفافة عند مغاوضاتهم مع القبائل التي كان يعيش بعضها حيث يقام متحف الهولوكست اليوم. كان الزعيم مفاوضاتهم مع القبائل التي كان يعيش بعضها حيث يقام متحف الهولوكست اليوم. كان الزعيم الهندي تشيسكياك Chiskiack ين الأمين، وكانت أنخاب الصداقة _كالدة وين الأمتين، وكانت أنخاب الصداقة _كالمادة _كالمادة مرب الأمود لشرب الأنخاب الصداقة _كالمادة _كالمدة وحربه المسادة _كالمادة _كالمدة _

_ مسمومة طرحت الزعيم تشيسكياك صريعا تحت اقدام مفاوضيه وقتلت معه اسرته ومستشاريه ومقتين من حاشيتهه. الم يكن جورج واشنطن يعلم بما جرى لشعب الكونوي ومدينته التجارية نكونشتناكه عندما أعلن أن الأرض التي اختارها لبناء عاصمته هي مجرد مستنقعات خاوية marchy (wilderness) الم يلحظ تخمة الغربان وامتلاء التماسيح؟

عبارة والعامل الطبيعي التي يتكىء عليها محتكرو الهولوكست لتبرير انتصار الموت، ليست في الواقع إلا الترجمة الحديثة لعبارة والعناية الإلهية التي استخدمها قبلهم أنبياء المستعمرين الإنكليز في أوائل القرن السابع عشر عندما قالوا إن هذه الأوبية نعمة أرسلها الله لتطهير الأرض التي أعطاها لشعبه. ومنهم من اعتبرها، كما يروي تر دوروف، معجزة لا تقل عن معجزة الأوبئة العشرة التي يقال لشعبه. ومنهم من اعتبرها، كما يروي تر دوروف، معجزة لا تقل عن معجزة الأوبئة العشرة التي يقال Mayflower إنها ما ماتون هاميتون، لم ينس الملك جيمس أن يحمد الله على هذا والوباء البديع wonderful plague الذي أزاح المتوحشين من بين أقدامنا ١٦. وهذا ما أعاد صياغته بلغة مختلفة جون ونثروب wonderful إلى أن كل المستعمرة ماساشوستس في رسالة إلى ناتنبال ريش بتاريخ ٢٢ مايو ٢٢ مايو ٢٢ ا، يطمئنه فيها إلى أن كل المستوطنين الاربعة آلاف في صحة جيدة: و فبفضل بتاريخ ٢٢ مايو ٢٣ منهم في السنة الماضية سوى اثنين أو ثلاثة بالغين وبعض الاطفال، وكنا نادراً ما نسمع عن مرض الملاريا أو غيرها من الاوبئة. . . اما السكان الاصليون فإنهم ماثوا كلهم تقريبا بالجدري، وبذلك أعطانا الله صك ملكية هذه الاراضي ٧٤.

كانت أكوام الهياكل العظمية تنتشر على طول شواطىء ثرجينيا وكارولينا (الشمالية والجنوبية New Found Golgotha)، اليوم) في منظر آلهم المستعمرين أن يسموا البلاد بالجلجلة الجديدة New Found Golgotha كناما اجلجلة بهيجة أثلجت قلوب مكتشفيها لانها آية إلهية تدل على رضا السماء عن موت الهنود وعن مواكبة العناية الإلهية لامتعمار العالم الجديد ٨٤.

وكان وليم برادفورد حاكم مستعمرة بليموث يرى ان نشر هذه الأوبئة بين الهنود عمل يدخل السيور والبهجة على قلب الله، و قمما يرضي الله ويفرحه أن تزور هؤلاء الهنود وانت تحمل إليهم الامراض والموت. هكذا يموت ٥٠٠ من كل الف منهم، وينتن بعضهم فوق الأرض دون أن يجد من الأمراض ولموت. والمحتزات الإلهية يدفنه، إن على المؤمنين أن يشكروا الله على فضله هذا ونعمته ٩٤. كانت هذه والمعجزات الإلهية صورة عن رغبات المستوطنين وطموحاتهم، فلطللا توحدت القدرة الإلهية مع الشعب الختار كما يرى كوتون ماذر، احد أبرز أنبياء الإستعمار، وقبعد أن ظن هؤلاء الشياطين أن بعدهم عن المالم سينقذهم من الإنتقام استطاع الله أن يحدد مكانهم ويكتشفه، وأرسل قديسيه الإبطال من إنكلترا، وأرسل ممهم بعض الاوبئة السعاوية القاتلة التي طهرت الأرض منهم. إن الله يفسح مكانا لشعبه في الذه المجاهل إذ هو يقتل الهنود باوبئة من أنواع مدشرة لا يعرف لها البشر مثيلا إلا ما تحدثت عنه الذه إذ ه. ا.

وما تزال ارستقراطية الاجتياح إلى اليوم تقيم الصلوات والمهرجانات والتماثيل ابتهاجا بهذا المرت، الذي صنعته باعمال السخرة تارة وبالتجويم تارة وبتبادل الهدايا المسمومة تارات. إنك لو زرت سان فرانسيسكو وسقت على الطريق ١٠١ أو ٢٨٠ سترى فوق رأسك تمثالا عملاقا يرتفع أكثر من عشرة امتار في السماء وبحد سبابته المكتنزة نحو الأفق كفوهة المدفع القديم . تمثال له شكل الكابو تشيينو البارد شيّد تخليداً لجونيبرو سرّا Junipero Serra مدير أحد أكبر معسكرات الموت في شمال البارد شيّد تخليداً لجونيبرو سرّا Junipero Serra مدير أحد أكبر معسكرات الموت في شمال كاليفورنيا . كان سرا يتلذذ بتمذيب ضحاياه وشنقهم بالجملة ، وكان صاحب الدعوة الشهيرة إلى تفيل «العمال الطبيمي » بذبح كل العرق الهيدي: The entire race of Indians should be put فناء الكرليسيوم تفعيل «العمال الطبيمي » وبذبح كل العرق الهيدا إلى ألاب المنافق واسع يذكرك بضحايا فناء الكرليسيوم الروماني، وتتقدمه مقبرة كبيرة تجوس فيها أشباح الجلاد المقدس . حتى داروين نفسه في رحلته الاسطورية على من الخزاة ، لاحظ هذا التلازم بين ظهور «العامل الطبيعي » وبين الاجتياحات الاوروبية ، سبقته إليها سفن الغزاة ، لاحظ هذا التلازم بين ظهور «العامل الطبيعي » وبين الاجتياحات الاوروبية في وكتب في مذكرات رحلته الحقولة التلازم بين ظهور «العامل الطبيعي وبين الاجتياحات الاوروبية في الانتخاب الطبيعي فقال : «إنه حيثما خطا الأوروبيون مشى الموت في ركابهم إلى أهل البلاد » [التي يجتاحونها] . وكذلك لاحظ هوارد سيمبسون Invisible Armics في مقدمة كتابه الرائع عن دور الامراض في التاريخ الاميركي الامتفين الإنكليز لم يجتاحوا المراض في التاريخ الاميركية ، أو دوافعهم الدينية ، أو طموحاتهم ، أو وحشيتهم ، بل بسبب أميركا « بغضل عبقريتهم المسكوية ، أو دوافعهم الدينية ، أو طموحاتهم ، أو وحشيتهم ، بل بسبب الميرم الجراؤمية التي لم يعرف لها تاريخ الإنسانية مثيلا » .

حرب الجراثيم وأخواتها

قبل فحص وثائق هذه الحرب الجرثومية، لا بد من النظر في بعض المناصر المساعدة التي رافقتها، فهناك اليوم أكثر من دليل على أن هؤلاء الذين كانوا ينشرون الاوبقة حيثما تطا أقدامهم، كانوا يمرفون من تجاربهم السابقة أن سياسة العمل بالسخرة والتجويم الاجباري والترحيل الجماعي وتقويض معنويات الضحايا، تشحد أنياب الاوبئة وتزيدها فتكا. إن معظم هؤلاء القديسين تمرسوا في الإجتياحات الإنكليزية لإيرلندا، أو في الحروب مع الاتراك. ومعروف أن الكابئن جون سميت John مؤسس أول مستعمرة إنكليزية دائمة في العالم الجديد، بدأ نشاطه المسكري ضد الإسبان قبل أن يدرك العشرين، ونال رتبة كابتن حين تطوع في الجيش النمساوي وحارب المثمانيين الذين أسروه وباعوه عبدا لرجل تركي. وقد أمضى سنتين في العبودية قبل أن يقتل سيّده ويهرب عائدا إلى إنكليزا.

وفعلاً فقد كان نظام السخرة من أفتك أسلحة الأوبئة في فلوريدا وتكساس وكاليفورنيا وأريزونا ونيومكسيكو. كان الهدف المعلن هو تمدين هؤلاء المتوحشين جسديا وإنقاذ أرواحهم آخرويا. وبالطهم، كان لا بد من « أضرار هامشية » ترافق انتشار الحضارة وطريقة حياتها. فحملات التمدين والتطهير الروحي لم تكن إلا مصائد خرافية لتعليب هذا السردين الآدمي. كان هناك جنود مدربون على هذا الصيد يطاردون الهنود كما يطارد رعاة البقر جواميس البراري، عبر أسوار منصوبة على شكل زاوية حادة تظل تضيق عليها وتضيق إلى أن يصبح أمام هذه البهائم الغافلة «خيار وحيد » اسمه المسيدة. مصائد أشبه بحظائر الكلاب، لا يخرجون منها إلا للتغوط الجماعي المقدَّن في حفر مفتوحة، أو للعمل الإجباري في الحقول والطواحين والاعمال القدرة من الصباح إلى المساء. خلال أسابيع قليلة كان الهندي يموت من المرض والإجهاد وسوء التغذية، فقد كانت كمية الطعام التي تقدم للعبد الاسود تعادل ثمانية أضعاف الطعام الذي يُقدم للهندي. ولم يكن ذلك حباً بافريقيا أو غراماً بالسود أو تميزاً عنصرياً، بل كان سببه الاول والاخير أن الهنود أرخص من السمك، فهم في متناول الهد وكلفة استبدالهم أرخص من العمك، فهم في متناول الهد

في عام ١٨٤٦ احتلت جيوش الولايات المتحدة كاليفورنيا. وتقول الإحصائيات إن عدد هنود كاليفورنيا، ويتقول الإحصائيات إن عدد هنود كاليفورنيا، في تلك السنة كان أقل من ربع ما كانوا عليه في عام ١٧٦٩، ومع ذلك فخلال العشرين سنة الأولى من احتلال هذه الولاية أبيد ٨٠ بالمئة من هذا والربع وبسبب نظام السخرة. إن «ثروة الأم والأم والتي أعطت السلطة السياسية لأصحاب مناجم الذهب والمزارع الأسطورية سرعان ما شرعت استعباد الهنود كسلاح غير مباشر، لإبادتهم كما تم قبل ذلك في كولورادو وغيرها من ولايات المنهب، ولانه لا بد من يد عاملة رخيصة لاستثمار هذه الولاية الغنية، فقد نشطت تجارة خطف أطفال الهنود، ولطالما كتبت صحف تلك الفترة عن الشاحنات المحشوة باطفال الهنود، وهي تمهوي في الطرقات الريفية الخلفية إلى أسواق العبيد في سكرامنتو وسان فرانسيسكو. ومع نقص عدد ألطنساء في ستوات الاحتلال الأولى فقد زاد الإقبال على خطف الفتيات اللواتي يقدمن خدمة مضاعفة: المصل والمتمة، وهذا ما أحال آباء هؤلاء المحلوفين إلى وعناصر شغب و تستاهل المقاب، وادى كذلك ألم مل والمتمة، وهذا ما أحال آباء هؤلاء الخطوفون يقتلون الآباء ويشار كون الدولة في القضاء على عناصر الشغب؛ بينما يعتبرون خطف البتامي وبيعهم مهمة إنسانية نبيلة وعملاً أخلاقياً يتباهون عبه.

في اوائل • ١٨٥ ، وفي اول جلسة تشريعية لكاليفورنيا سنّت الولاية قانون و حماية الهنود الذي الشيف الشرعية على خطفهم واستعبادهم. واقتضت و حماية الهنود بموجب الملحقات التي أضيفت إلى القانون في عام ١٨٦٠ إجبار اكثر من عشرة آلاف هندي على اعمال السخرة. ولان معظم الذين الهيات القانون في عام ١٨٦٠ إجبار اكثر من عشرة آلاف هندي على اعمال السخرة. ولان معظم الذين مربورا بارواحهم وفراخهم إلى الغابات والجبال الوعرة صاروا يعيشون، في ما أصبح يسمى باملاك الولايات المتحدة، فقد تحولوا بموجب قوانين الذين سرقوا بلادهم إلى ولصوص معندين على املاك الغيرة ، ولم تمض سنة على صدور قانون و حماية الهنود و حتى ضاق حاكم الولاية بيتر بيرنت Peter الغيرة ورعب معنال المولاية بيتر بيرنت الغيل الخيل التهيم وعبر عن الحاجة إلى إيادة هذا والجنس اللمين»، ووجه رسالة إلى المجلس التشريمي قال فيها وإن الرجل الابيض الذي يعتبر الوقت ذهباء والذي يعمل طول نهاره ليبني حياة التشريمي قال فيها وإن الرجل الابيض الذي يعتبر الوقت ذهباء والذي يعمل طول نهاره ليبني حياة سعيدة لا يستطيع أن يسهر طول الليل لمراقبة املاكه . . . ولم يعد امامه من خيار سوى أن يعتمد على حرب إيادة . إن حرب الإبادة قد بدأت فعلاء ويجب الاستمرار فيها حتى ينقرض الجنس الهندي

ولم يكن الذين تم ترحيلهم جماعيا باحسن حالا من الذين خضعوا لاعمال السخرة والاستعباد.
فبعد أن من الكونغرس في عام ١٨٣٠ قانون ترحيل الهنود بالقوة من شرق المسيسبي إلى غربه، صار
من حق كل مستوطن أن يطرد الهندي من بيته وأرضه وأن يقتله إذا لم يستجب لصوت العقل.
وكانت و رحلة الدموع Trail of Tears وكلى ثمار هذا القانون. يومها حاصرت قوات من الجيش
المنظامي من لم يمت بعد من هنود خمسة شعوب هم الشيروكي Cherokee والشوكتوسكول Chickasow والشوكتوسكول والشوكتوسكول والشيكاسو Seminole والكريك Creek والسيمينول Seminole وحشرتهم في معسكرات مجهزت
سلفا لتجميعهم في انتظار يومهم الموعود مع والخضارة وطريقة حياتها و وما أن تأكد الجيش أنه لم
يبق بيت ولا كوخ ولا خيمة ولا كهف ولا غابة ولا مقبرة تؤوي شبحا احمر حتى سيقت بقايا هذه
الشعوب بنسائها واطفالها وشببها وعجزتها مئات الأميال عبر ولاية تنسي، فكنتكي، فإلتويز،
فميزوري ليقطفها الصقيع والجوع والمرض والإجهاد روحا فروحاً . وككل حفلات الموت التي ترعاها
الحكومة فإن منظمي رحلة الدموع ساقوا الهنود عن قصد عبر مناطق يعرف القاصي والداني انها
كانت موبوءة بالكوليرا وغيرها من الأمراض، وأطعموا ضحاياهم من طحين فاسد ولحم مدين.

كان والعامل الطبيعي و في أوج نشاطه، فقد مات ١٥ بالمغة من مهجّري شعب الشركتو الأربعين الفاء وكذلك كانت نسبة من تساقط من شعب الشيكاساو. أما شعبا الكريك والسيمينول فعات منهم أكثر من نصف مهجّريهم، سقط معظمهم في الأيام الأولى لرحلة الدموع، بينما حصدت الحتى الصفراء منهم ١٠٥٠ ضحية. ومات من مهجّري شعب الشيروكي ٥٥ بالمئة بالأمراض والجوع والإجهاد المضني الذي عانوه أثناء الترحيل القسري ١٢. ويقول جيمس موني James Mooney الذي الترحيل القسري ١٢. ويقول جيمس موني معظم مناطق اللهي استجوب عددا من الذين شاركوا في عملية الترحيل: ولقد تم نشر الجيش في معظم مناطق الشيروكي، وبدأ الجنود بتمشيط المدن والقرى والنابات والكهوف وضفاف الانهار لصيد الناس وجمعهم في حصون. كان هؤلاء يرون باعينهم كيف تأكل النيران بيوتهم وحقولهم وقراهم على يد مستوطنين يزحفون وراء الجنود للسرقة والنهب واغتصاب أملاكهم بما في ذلك نبش الفضة والذهب مستوطنين يزحفون وراء الجنود للسرقة والنهب واغتصاب أملاكهم بما في ذلك نبش الفضة والذهب

وكان ذلك القرن قرن الترحيل القسري المنظم لكل الشعوب الهندية التي كانت تميش شرق المبيسييي. فما جرى للشيروكي تكرر بصورة كلاسيكية مع كل الشعوب الهندية في الشمال الاميركي؛ من حدود المكسيك جنوباحتى القطب شمالا، ومن ماريلاند وقرجينيا شرقاحتى اورغون الاميركي؛ من حدود المكسيك جنوباحتى القطب شمالا، ومن ماريلاند وقرجينيا شرقاحتى اورغون الاميرية وشعوب اختفت تماما من الذاكرة البسرية وشعوب اختفت تماما من الذاكرة البسرية وشعوب تتراوح نسبة الناجين منها بين ٥ وهـ١ بالمقة ثما كانت عليه بعد موجات الإبادة الاولى التي اشترك فيها الإسبان بشكل أساسي ومعهم بعض الشعوب الاوروبية الاخرى مثل البرتغال التي اشترك فيها الإسبان بشكل أساسي ومعهم بعض الشعوب الاوروبية الاخرى مثل البرتغال والفرنسيين والألمان. فيعد أقل من ثلاثين سنة مضت على ٥ رحلة الدموع ٤ سيق من تبقى من شعب الناقاهو الاميرية الطويلة The Long Walk والمتوطنين لصيد وآخر الناقاهو ٥ وتجميع طرائدهم في معسكر في البداية، تكاتفت جهود الجيش والمستوطنين لصيد وآخر الناقاهو ٥ وتجميع طرائدهم في معسكر خاص باريزونا استعدادا لترحيلهم مشيا على الاقدام أو على ظهور الدواب التي نفق معظمها قبل

الإقلاع. ثم تولت قوى الحيش ترحيلهم من أريزونا إلى نيو مكسيكو؛ اكثر من أربعماقة كيلومتر في صفيع شناء تلك الطبيعة الوحشية حيث مات منهم نصف أحيائهم بحسب أكثر التقديرات تواضعاً ٤١. كذلك خسر شعب الشايين Cheyenno نصف بقاياه النادرة أثناء ترحيله بالقوة إلى مثواه الأخير في معسكر للموت البطيئ، في أوكلاهوما. وهناك تعرضوا لسياسة التجويع والحصار التي لم ترفع عنهم جزئيا إلا بعد التوقيع على اتفاقية تنازلوا فيها عن معظم أراضيهم.

-

سياسة التجويع والتدمير الشامل للبنى الاقتصادية اللازمة للحياة كانت من أهم أسلحة الإبادة سياسة التجويع والتدمير الشامل للبنى الاقتصادية اللازمة للحياة كانت من أهم أسلحة الإبادة لا تحكلت سياسة التجويع غالبا بصياغة بنود اتفاقيات الهدنة . ويروي كينيث كارلي Kennith Carley في التخاضة [شعب] سو كابل بصياغة بنود اتفاقيات الهدنة . ويروي كينيث كارلي والتي داكوتا المسلمون للتجويع القاتل ، وكيف أن أندرو ميريك مفوض الدولة الاتحادية للإعاشة أجاب على المسلمون للتجويع القاتل ، وكيف أن أندرو ميريك مفوض الدولة الاتحادية للإعاشة أجاب على احتجاجاتهم قائلا لزعيمهم تاويادوتا في الممالة المروف باسم الغراب الصفير: وإذهب أنت وشعبك فكلوا من حشيش الارض وإذا شفتم فكلوا خراءكم ع . عندها لم يتمالك تاويادوتا أعصابه فهجم على المفوض وقتله شم حشا فمه _ وكان مهذبا _ بالحشيش فقط . وهذا ما أدى إلى تعليق ممانات كل زعماء السانمي وإلى اتنفاضة شعب السو الشهيرة عام ١٨٦٢.

بدأت سياسة التدمير الشامل لكل أسباب الحياة الهندية في العالم الجديد منذ اللحظة الاولى لشروق الشمس الإنكليزية على جزيرة روانوك التي استقبلهم أهلها عام ١٥٨٠ بالترحاب فأقطعوهم ما شاءوا من الارض وآووهم وكسوهم واطعموهم الطعام على حبه وعلموهم اسباب البقاء في هذه الطبيعة الغريبة عنهم. ولكن ما أن اشتد ساعدهم قليلا حتى راحوا يخترعون الأعذار للقتل العشوائي ويتحينون الفرص لإتلاف المحاصيل وإحراق القرى والحقول وقطع أسباب الحياة عن الهنود عمدا. وكان الهنود قد لاحظوا منذ الأيام الأولى أن المستعمرين كانوا ينبشون القبور لسرقة ما فيها أو لاكل جثثها الطازجة أحياناه ١ . ثم تصاعدت خطة التجويع والتدمير الاقتصادي وازدادت تنظيما وتركيزا واستهدافا على مدى القرنين التاليين إلى أن أصبحت في القرن التاسع عشر سياسة رسمية معلنة للولايات المتحدة الأميركية، كما يروي إدموند مورغن٦ ا Edmund S. Morgan. وكانت مستعمرة جيمستاون، وهي أول مستعمرة إنكليزية دائمة في شمال أميركا، قد رسمت الملامح الاساسية لهذه السياسة في عام ١٦١٠، أي بعد أقل من ثلاث سنوات من تأسيسها عند مصب النهر الذي سمى باسم جلالة الملك جيمس، فتحت عنوان وحق الحرب و أعلنت هذه السياسة _ كما نشر بيانها بعد ذلك في لندن عام ١٩٢٢ _ عن حق الانكليزي باعتباره من (الشعب المختار) المتفوق بالوراثة في (أن يجتاح البلاد ويدمر أهلها) . . . وحيثما تحلو لنا مواطنهم الخصبة . . . وأراضيهم التي سنستوطئها بعد تطهيرها من سكانها ١٧٤ . إنها مجرد ٥ اضرار هامشية ٤ ترافق انتشار الحضارة وطريقة حياتها. فتحقيق هذه السياسة التوسعية يحتاج بالتاكيد إلى موجات متلاحقة من الترحيل القسري والمذابح الجماعية وما صار يعرف لاحقا بعقيدة والقدر المتجلى Manifest Destiny التي تقول بحتمية وقدرية التوسع الأميركي والزحف مع دوران الشمس حيثما تدور من الشرق إلى الغرب، وهي العقيدة التي استمارها هتلر بعد حوالي نصف قرن بكثير من التواضع والحذر وسماها «سياسة المال الحيوي Lebnsraumpolitik».

وكان مجلس فرجينيا قد أضاف إلى بيان وحق الحرب و بندا أساسيا لتزييت سياسة التوسع معاهدات سلام واتفاقيات تخدر الفرائس إلى أن يحين وقت صيدها، وتمنح شعب الله فرصة أفضل للمباغتة والتدمير، لم يكن لاتفاقيات السلام إلا هدف واحد هو خرق هذه الإتفاقيات، فحين يطمئن الهنود إلى أن الاتفاقية قد كفتهم شرالقتال وهم الحدر والحراسة، وعندها (كما يقول مجلس دولة فرجينيا) يتوجب علينا أن نفتنم الفرصة فنفاجئهم ونتلف محاصيلهم ونحرق حقولهم ١٨٠ ٥.

في غارة واحدة ، كما يروي جيمس أكستل في كتابه (ما بعد كولومبس)، أتلف المستوطنون كمية من الذرة كافية لإطعام أربعة آلاف إنسان لمدة سنة كاملة . 8 بينما يقدم فيليب بروس في كتابه عن و التاريخ الإقتصادي لشرجينيا « حسابا آخر لهذه الغارة فيقرل إن الإتلاف طال ثلاثة آلاف فدان من الحقول . وفي أواخر الشناء اعترف هنود إمبراطورية البوهاتن بأن عدد موتاهم تلك السنة أكبر من عدد كل الذين ماتوا خلال الخمس عشرة سنة الماضية التي واستطافوا » فيها الإفكليز بينهم ، وكانت عدد كل الذين ماتوا خلال الخمس عشرة سنة الماضية التي واستطافوا » فيها الإفكليز بينهم ، وكانت البريطانية وينضوي تحت لوائها خمسة شعوب هندية وعدد كبير من القبائل الصغيرة لا يقل عددهم عن عدد سكان إنكلترا في تلك الايام ، لكنها ، بعد اقل من عشرين سنة من الوجود الاستمماري عن عدد سكان إنكلترا في 7 كمنا أوضح المستوطن روبرت بينت Robert Bennet في رسالة شماتة شمات الا كليزي و لم تعد آمه » يونيو / حزيران ١٦٣٣ . عشرون سنة وتحولت هذه الإمبراطورية العظيمة إلى ما هو و اقل من امه » .

واستمرت إيادة الهوهاتن بانتظام وداب وتصميم، إذ كان يقتل منهم المثات في مناوشة بعد مناوشة، ويقتل المقات بالتسميم الجماعي أو في طراد كلاب الصيد الدموية وكلاب الحراسة التي كانت تتعقبهم. وكانت دعوات المستعمرين إلى السلام لا تتم إلا حين الحاجة إلى الاستجمام والراحة وتحضير السموم. وقبل أن ينتصف القرن أسر خليفة پوهاتن المعروف باسم اويشنكانو Opechacanough والقي به في زريبة صغيرة حيث عومل كما تعامل البهائم، ولحسن حظه فقد اطلق مستوطن عليه النار من خلفه فقت اطلق مستوطن عليه النار من خلفه فقتله وأنهى عذابه بعد أسبوع من أسره، وكان زعيم البوهاتن يومها عجوزا ضريرا عاجزا عن المشي. بعد حوالي قرن من «انتشار هذه الحضارة وطريقة حياتها» شاءت معجزات «العناية الإلهية» ان لا تبعد حوالي قرن من «انتشار هذه الحضارة وطريقة حياتها» شاءت معجزات «العناية الإلهية» ان لا تبعي من سكان إمبراطورية البوهاتن اكثر من ١٠٠٠ إنسان حي، وأن تجمل بلادهم «مغطاة بالهياكل

ولم تكن امبراطورية بوهاتن فريدة في مصيرها، فقد تبنّت يومها كل المستعمرات الانكليزية خطة مشتركة اطلقها وليم بيركلي Sir William Berkeley حاكم شرجينيا المتهم من قبل منافسه ناتنيال ببكونNathaniel Bacon بسياسته الممالئة للهنودا وتقتضي الحطة التي وضعت حدا للجدال حول أولوية الإبادة أم الاستعباد بتنظيم حملات إبادة لكل البالغين الذكور على أن يتم تمويل هذه الحملات من عائدات بيع الأطفال والنساء في أسواق العبيد ٠٢.

وأعيد سيناريو العمل بالسخرة والتجويع الاجباري والترحيل الجماعي وتحطيم المعنويات مع كل مرحلة من مراحل الترسع. ففي عام ١٨٧٠، كما يروي ريتشارد دريتونRichard Drinnon في Keeper of Concentration Carnps المياد التوسع. ففي عام ١٨٧٠، كما يروي ريتشارد دريتون التوسع. والاجتراح الجنرال جورج كلارك George R. Clark والبيات George R. Clark والمباهزية المواقع المياد إلى المواقع المياد والديانا والبنويز، وكتب في تقديره للأضرار والهامشية الأولية: وإن اكثر من خمسمئة هكتار من حقول الذرة تم إتلافها، إضافة إلى مزارع كل ما يمكن اكله من خضار ومزروعات حول مدينتي شيليكوت Chillicothe ويبيكا Piqua المهدديتين التابعتين لشعب الشاوني . وبعد خمسة عشر عاما كتب الجنرال أنتوني واين Anthony Wayne المعروف لدى أصدقائه وأعدائه باسم انتوني المسمور Mad Anthony ألمعله جد الممثل الكاوبوي جون واين) بعد حملة على شعب الشاوني وحلفائه: ١ أمضينا ثلاثة أيام بلياليها على ضفاف المومي . . ونحن ندمر البيوت والقرى ونتلف حمين ميلا (حوائي ٨٠٠ كلم) على ضفة النهرة .

وعلى خطى المستعمرين الأوائل الذين آبادوا شعب البيكو فشعب الناراغنست وغيرهما من شعب المنطقة التي اطلقوا عليها إمسم وإنكلترا الجديدة وقام مستعمرو كارولينا بإبادة شعب التوسكارورا أحد أكبر شعوب المنطقة وأكثرها قوة ورخاء . وقحت الاعذار الكثيرة التي يتقدمها علر الهود اعتداوا على المستعمرين المسالمي المن محاصيل التوسكارورا وحقولهم ومزارعهم وتعريضهم للجوع والإقتلاع والنهب السلمي أي إتلاف محاصيل التوسكارورا وحقولهم ومزارعهم وتعريضهم للجوع والإقتلاع عندما أقدع المستعمرون شعوب الموسكيجي Muskogees والمشتروكي Cherokee والكاتاوباس عندما أقدع المستعمرون شعوب الموسكيجي والدي يهدد الخضارة والحياة هو شعب التوسكارورا والمالي القوي، وأن من مصلحة الإنكليز وكل الشعوب الهندية و المتحضرة والحياة هو شعب التوسكارورا وعلى القوي، وأن من مصلحة الإنكليز وكل الشعوب الهندية و المتحضرة وأن يتحالفوا مع الإنكليز ويضعوا حدا لعدواته وخطره . هكذا بدا والتحالف و بسلسلة من الغارات على قرى ومدن التوسكارورا وعلى عاصمته نيهروروكا Neoheroka فاحرقها واباد اهلها وشرد الكثيرين منهم إلى الشمال حيث التحقوا عاصمته نيهرائه الم الخس عنوات أربع حتى دارت الدائرة على والحلفاء الذين جُرِّدوا سريعا من مصير إخوانهم والموحق» .

كان الغزاة الأوائل يسمون بالحجاج أو القديسين. وما يزال التاريخ الأميركي إلى الآن يضفي عليه مقال على المالين وأورثه عليهم قداسة طوباوية ويعتبرهم أول تمزخ للاستثناء الأميركي الذي فضله الله على العالمين وأورثه ما أورث بني إسرائيل من قبل، وجعل العهد الذي عقدوه مع الله على متن سفينتهم الأسطورية Mayflower من اللحظات النادرة الحائلة في التاريخ الإنساني كما يقول الرئيس الأميركي جون

آدامس، فعهدهم مع الله جب عهد الإسرائيليين القدامى، وتأسيس مستعمرتهم على صخرة پليموث ضاهى تأسيس الكنيسة على صخرة بطرس.

قصة هؤلاء (الحجاج) هي الاصل الاسطوري لكل التاريخ الاميركي ومركزيته الانكليزية العنصرية ethnocentrism. وما يزال كل بيت أميركي يحتفل سنويا في (عيد الشكر) بتلك النهاية السعيدة التي ختمت قصة نجاتهم من ظلم فرعون البيطاني وو خروجهم عن أرضه، وو تيههم و في البحر، التي ختمت قصة نجاتهم من ظلم فرعون البيطاني وو خروجهم عن أرضه، وو تيههم ع في البحر، ووعهدهم الذي أبرموه على ظهر سفينتهم مع الله، ووصولهم في النهاية إلى و أرض الميعادي. ويعتبر هذا العيد الطقسي الذي يبجله الاميركيون وطنيا ودينيا أكثر من أي عيد آخر، بما في ذلك عبد الاستقلال، من أكثر أعياد أميركا قدسية . . في هذا العشاء الطقسي الذي يذبحون فيه سنويا بين عشرين وثلاثين مليون و تركي عشكرا لله الذي وقف منذ اللحظات الأولى لاستممار أميركا إلى جنب شعبه يستميد الأميركيون أسطورة تاريخهم بكل ما يعنيه مرسيا إلياد بطقسية الإحتفال بالاسطورة ، فهو طقس يتضمن تقديس فعل الإستعمار الإستيطاني والتأكيد على التفوق الطبيعي والاخلاقي للمستعمرين، وهو تأكيد على صدق الاسطورة وحياتها المتجددة، وهواحتفال برعاية الله لك عناصر أسطورة الولادة للقدسة للتاريخ الأميركي، وهو _ من خلال هذا الطقس الاحتفالي _ لك كداعلى التسامي بالاسطورة ومعايشتها كدين.

وتقول الأسطورة إن الحجاج اختاروا بليموث لجمالها وجداول مياهها العذبة وخيرها الوفير وحقولها الحصبة، كما تمترف بان هدود الهيكو Pequots انقذوهم من الموت جوعا وانهم لهذا اولموا لهم ودعوهم للاحتفال معهم فيما صار يعرف بعد اكثر من قرنين (عام ١٨٩٠) بعيد الشكر. على الشفة الاخرى لهذه الاسطورة يعتقد الهنود الذين قدموا للحجاج ما لم يقدمه الانصار للمهاجرين أن المجود هو المعنى الحقيقي لعيد الشكر، لا لان العيد كان عيد حصادهم الذي كانت تحتفل به المحوب الهندية الشرقية سنويا، ولا لان طعام ذلك العيد كان من صنع أيديهم ومن حلال مالهم وحقولهم وديكة غاياتهم، وإنما لانهم عضوا اليد التي اطعمتهم وسقتهم وانتشلتهم من الموت الحقق. كانت سياسة الإذلال والترويم التي انتهجها الحجاج ومن قبلهم مستعمو قرجينيا انفسل تعبير عن شكرهم للضيافة الهندية. فكثيرا ما كانوا يقتلون الهنود الذين يحملون إليهم الطعام والهدايا، بل كان يكمنوا لهم ويقتلوهم، وكانت الوسيلة المبيد لاستدراجهم واستخراج ذهبهم خطف أولادهم لما لاحظوه من تراحم الاسرة الهندية في ما الهبية لاستدراجهم واستخراج ذهبهم خطف أولادهم لما لاحظوه من تراحم الاسرة الهندية في ما ببينها وتحايتها لاطفالها.

لقد أعطى هنود البيكو للحجاج ما أعطاه قبلهم هنود البوهاتن لمستعمري قرجينيا وعلموهم كيف يزرعون الأرض وكيف يعتمدون على خيراتها. فإذا كان للحجاج ان يشكروا أحدا فليشكروا هنود البيكو، أو ليشكروا أحدا فليشكروا هنود البيكو، أو ليشكروا سكوانتو Squanto على الاقل؛ هذاالطفل الهندي الذي خطفه نخاس إنكليزي صغيرا فاستعبده في بريطانيا ثم باعه في ملقا، ثم هرب من العبودية مرتين فعاش في بريطانيا وإبانا ست مرات لاقى فيها وإسبانيا قبل أن يبدأ رحلة العودة إلى وطنه ويقطع المخيط الاطلسي ذهابا وإيابا ست مرات لاقى فيها من الاهوال ما يجعل من أوديسة أوليس سباحة في بركة البيت. لقد عاد سكوانتو إلى بليموث في

عام ١٦١٩ الميجد أن والعامل الطبيعي قد آباد كل قبيلته. ثم إنه عمل مترجما متطوعا بين الحجاج وبين الهنود. وتكشف قصة سكوانتو مع الحجاج التفوق الاخلاقي والعقلي والحضاري للهنود. وتري عشرات الكتب التي ارخت لهذا الفتى الاسطورة وعشرات الافلام وقصص التبشير التي استلهمت سيرة حياته وجنت منها الملايين كيف انتشل سكوانتو اسطورة أميركا من الموت في شتائها الأول حين أحضر للحجاج الطعام، وعلمهم كيف يزرعون الذرة واليقطين وانواع الحبوب والقرعيات، وكيف يعتسلون أن والمي معتسل المتعلق والقرعيات، وكيف يعتسلون ويتخلصون من قذارتهم وروائحهم الكريهة عبثا. وتتحدث فيني زاينر Feenic Ziner في كتابها عن سكوانتو وروبرت لويب Robert Loeb في كتابه عن لاحقيقة الحجاج وفرانسيس جننغز في لااجتياح مكوانتو وروبرت لويب Robert Loeb في اسبانيا وإنكلترا أن الاوروبين يكرهون النظافة أميزكاء كيف إن سكوانتو لاحظ أثناء حياته في اسبانيا وإنكلترا أن الاوروبين يكرهون النظافة وقلما يغتسلون أو يبدلون ثيابهم وكيف إنه تقزز من روائح الحجاج الكريهة وحاول عبثا إقناعهم بالاغتسال وانظافة ٢٠.

لقد أتى « العامل الطبيعي » على حياة سكوانتو سريما فالحقه الجدري باهله الهنود وإن كان الحاكم وليم برادفورد _ وهو من أبرز من أبرموا العهد مع الله على متن سفينة الحجاج ماي فلور _ قد تمنى له مآلا أرفع من مآل أهله وثنيي كنمان الجديدة فرثاه ودعا له بان تصعد روحه إلى الرفيق الإنكليزي الأعلى في السماء « to the Englishman's God in Heaven » . وقد كانت تلك الصلاة عمليا آخر عيد للشكر شهدته أميركا .

بعد حوالي ٥ ١ سنة على مصرع سكوانتر آتم الحجاج المرحلة الأولى من إيادة هنود البيكو وحلفائهم بالقتل المباش و المنافق المنافق المنافق المنافق الله المنافق المنافقة المنافق

وهكذالم تمض ستون سنة على ولادة الاسطورة الاميركية حتى قضى الحجاج ونسلهم المقدس على الكنعانيين هنود البيكو والنيانتك عبر حرب تدمير منظمة شاملة للقرى والمدن والحقول وكل ما يعتبر ضروريا لاستمرار الحياة.

في عام ١٩٧٠ مالت وزارة التجارة في ولاية ماساشوستس بقايا هنود الوامبانوغ أن يختاروا منهم خطيبا للمضاركة في الإحتفال بالذكرى ٣٥٠ لعيد الشكر، ولكن بشرط أن تعرض الكلمة على وزنابير الوزارة عبل قراءتها. واختير فرانك جيمس لهذه المهمة، فكتب كلمته وأرسلها إليهم. وزنابير الوزارة عبل قبل قرارسلها إليهم. وبالطبع لم يسمحوا له بالمشاركة، وكان بما كتبه هذا الهندى: (هذا يوم عيد لكم وحدكم، إنه ليس عيدي، إنني أنظر إلى ما حدث لشعبي بقلب منقطر. فبعد يومين أو ثلاثة آيام من وصول الحجاج إلى الا يب كود ابدأوا بسرقة قبور أجدادي ونهب ما لديهم من ذرة وقمح وحبوب، لقد شاهد القائد الهندي العظيم ما ساسيوت Wampanoag زعيم شعب وامهانوغ Wampanoag ما فعله الحجاج، ومع

ذلك فإنه هو وشعبه جميعا رحبوا بالمستوطنين وابدوا لهم خالص الود... إنه لم يكن يعرف انهم بعد اقل من خمسين سنة سوف يبيدون شعب الوامبانوغ وغيره من الشعوب الهندية الجاورة وسوف يقتلونهم جميعا بالبنادق أو بالأمراض. نعم لقد أبادوا طريقتنا في الحياة وقضوا على لغتنا.. فلم يبق منا إلا القليل من الأحياء. وإنتي حزين. وهذاليس عيدي ٢٣٣.

أدى تطبيق تقنيات العمل بالسخرة والتجويع الاجباري والترحيل الجماعي وتحطيم المعنويات إلى شحذ انياب والعامل الطبيعي و وإلى ما يعرف بالشتات الكبير The Great Dispersal الذي اقتلع عددا كبيرا من الشعوب الهندية من أوطانها وساقها إلى الغرب أو إلى الشمال الكندي فرارا بحياتها وحياة أبنائها من الإبادة الشاملة. وقد كان هذه التدمير سياسة متعمدة سرعان ما اتضحت معالمها مع ما يسمى بحروب الإستقلال. ففي حملة ١٧٧٦ على هنود الشيروكي وحلفاء البريطانيين تم إحراق المدن الهندية بمن لم يستطع الفرار منها، وأتلفت محاصيل الذرة، وسيق من يقي من الشيروكي إلى الغابات ليفنوا. ولم تمض ثلاث سنوات حتى أصدر جورج واشنطن أوامره إلى الجنرال جون سوليقان بان يحيل مساكن هنود الاوروكوا إلى خراب، وان لا يصغى لنداء السلام حتى تمحي قراهم ومدنهم وآثارهم من وجه الأرض. وبعد أن نقذ الجنرال أوامر واشنطن كتب إليه يبشره بتحويل هذه والمنطقة الجميلة من حديقة بديعة إلى اطلال مهجورة تثير الرعب والمقت ٥. وفي رسالة إلى جيمس دواين السناتور والمفوض السابق للشؤون الهندية فسرجورج واشنطن المفهوم الأميركي للاضرار الهامشية التي ترافق انتشار الحضارة فقال: «إن طرد الهنود من أوطانهم بقوة السلاح لا يختلف عن طرد الوحوش المفترسة من غاباتها ٢٤٤ . هكذا أطلق هنود السينيكا على أبي الجمهورية الأميركية الأعظم جورج واشنطن اسم ٥ هذام المدن، فيموجب أوامره المباشرة تم تدمير ٢٨ مدينة من أصل ٣٠ من مدن هنود السينيكا Seneca وحدهم، من البحيرات الكبرى شمالا Erie حتى نهر الموهوك Mohawk، وفي فترة قياسية لا تزيد على خمس سنوات. وهذا ما فعله أيضا بمدن وقرى الموهوك والأونونداغا Onondaga والكايوغا Cayuga، حتى إن أحد زعماء الأروكوا قال لواشنطن ذات لقاء في عام ١٧٩٢: وعندما يذكر اسمك تلتفت نساؤنا وراءهن مذعورات، وتشحب وجوههن. أما أطفالنا فإنهم يتشبثون بأعناق أمهاتهم من الخوف ٢٥٥.

ومضى الآباء المؤسسون جميما على خطى واشنطن، كما بين ذلك ريشارد درينون في فصل كامل خصصه لذلك . حتى توماس جفرسون نفسه ورسول الحرية الأميركية و كاتب وثيقة الاستقلال امر وزير دفاعه بأن يواجه الهنود الذين يقاومون التوسع الأميركي بالبلطة، وأن لا يضع هذه البلطة حتى يفنيهم أو يسوقهم وراء المسيسيبي . نعم إنهم قد يقتلون افرادا منا، لكننا سنفنيهم ونمحو آثارهم من هذه الأرض . إننا مجبرون على قتل هؤلاء الوحوش أو طردهم مع وحوش الغابات إلى الجرود ٢٠ روري إرنا غنثر في كتابها المثير عن مشاهدات الرحالة والمكتشفين وتجار الفرو في أواخر القرن الثامن عشر كيف دمر المستعمرون صروحا فنية فريدة لا تعوض فتقول و إن إحدى قرى هنود النوتكا عشر كيف دمر المستعمرون صروحا فنية فريدة لا تعوض فتقول و إن إحدى قرى هنود النوتكا Nootka وتسمى Nootka وسمى المستعمرون صروحا فنية المودة على المياة المؤلدان الكامن

والسقوف ومزينة بتماثيل غريبة الأشكال. أما شبابيكها وأبوابها فلها شكل كاثنات حية، ولكي تدخلها فإن عليك أن تعبر بابا له شكل الإنه أن ورأس آحد الحيوانات. إنها ثمرة أجيال من العمل الفني ذَمّرت في لمح البصر وقتل جميع أهلها في مذبحة جماعية قال القائد الذي ارتكبها أنه فعل ما فعل مامورا وأنه نادم على ما اقترفت يداه٢٧.

هناك اليوم أكثر من دليل على أن حصاد ملايين الأرواح بهذا والعامل الطبيعي 4 لم يكن طبيعيا »
وأن الزنابير حاولوا متعمدين، عن سابق نية ومعرفة وإصرار ، أن يلووا ذراع و العناية الإلهية » بسياسة
العمل بالسخرة والتجويع الأجباري والترحيل الجماعي وتقويض معنويات الضحايا وشن الحرب
العمل بالسخرة والتجويع الأجباري والترحيل الجماعي الجرفومية التي استمرت في زمن والسلم ، وزمن الحرب، مع المترفين ومع الهواة، وبشكل جماعي
منظم بمارسها الجيش وو الحلفاء ، من الهنود، أو بشكل فردي تمارسها قطمان المستوطنين. أما الإدعاء
بأن إبادة ١١٦ مليون إنسان كان مجرد و مأساة مشؤومة غير متعمدة ، وو أضرار هامشية تواكب
انتشار الحضارة ، وأن هؤلاء الذين نسبوا هذه الإبادة الجماعية الأكبر والأطول في تاريخ الإنسانية إلى
المناية الإلهية أو العامل الطبيعي هم أتقياء أبرياء لم تكن لديهم المعرفة العلمية الكافية فهو إدعاء
يفتقر إلى البراءة ويتنكر أول ما يتنكر للمعرفة العلمية.

منذ أيام الطاعون الأسود كان الأوروبيون يعرفون هذا السلاح الجرثومي، وكانوا في حروبهم يستخدمون للجنجنيق في قذف جثث الموتى بالطاعون او جيف الحيوانات الموبوءة إلى داخل المدن التي يحاصرونها ٢٨. ومنذ السنوات الأولى للحج اعترف الحاكم وليم برادفورد في يومياته بأن الاغطية الملوثة بجراثيم الجدري هي السبب في انتشار هذا الوباء بين الهنود ؛ الذين نفقوا بسرعة كبيرة مثل أغنام موبوءة . . . فلم يعد هناك أحد يستطيع مساعدة المرضى أو يأتيهم بشربة ماء، أو يدفن موتاهم ٢٩٤ . وكتب باري هولستون لوبيز في كتابه عن «الذئاب والبشر» أن مستعمرة مساشوستس حظرت على المستوطنين استخدام المسدس في المناسبات غير الضرورية او في اي لعبة إلا لقتل الهندي أو الذئب. كانوا يصنعون لحما مسموما للذئب وغطاء ملوثا بجراثيم الجدري للهندي، وكانوا يغيرون على وكر الذُّئب ليقتلوا جراءه كما كانوا يخطفون أطفال الهنود. ولكي يبرروا لك كُيف يقتلون جراء الذئاب وأطفال الهنود بطريقة واحدة يحكون لك حكايا عن فظاظة الهنود وعن ذئاب تأكل الخشف حيّا ٣٠٥. وكان هنود الناراغنستس Narraganssetts قد شكّوا منذ عام ١٦٣٣ بأن تكون العناية الإلهية أو (العامل الطبيعي) وراء هذه الحرب الجرثومية التي حصدت أرواح ٧٠٠ إنسان منهم بعد أن تلقوا من الحجاج هدايا ارتابوا في أنها مسمومة بجراثيم الجدري. هكذا تم استحضار المتهم الأول الكابتن جون أولدام بالقوة إلى جزيرة بلوك لمحاكمته امام مجلس خاص من حكماء الهنود بتهمة القتل الجماعي المتعمد . وبعد أن ثبتت لديهم تهمته حكموا عليه بالإعدام . . وقتلوه ٣١. أما الحجاج فأنكروا التهمة وقالوا إنها بلا دليل، ثم إنهم انتقموا لمصرع جون اولدام بإبادة معظم الناراغنستس في عام ١٦٣٧، وحسموا بذلك الصراع على المعرفة العلمية بحرب الجراثيم لأكثر من ١٣٠ سنة تفرد فيها والعامل الطبيعي، وحده بتفريغ الأرض وإعدادها لانتشار الحضارة.

في أواخر ما يسمى بالحرب الهندية - الفرنسية ظهرت أول وثيقة دامغة تثبت استخدام الغزاة للسلاح الجرثومي كان سياسة رسمية. ففي سيناريو للسلاح الجرثومي كان سياسة رسمية. ففي سيناريو كلاسيكي منقح لقصة تسميم الزعيم تشيسكياك ومن معه بأنخاب «الصداقة الخالدة» على ضفاف نهر اليو ترماك، كتب القائد الإنكليزي العام اللورد جغري إمهرست Jeffrey Amherst في عام الهزارية وحلى المجازية المحالمة الخالدة» على ضفاف المعالم المرا إلى مرؤوسه الكولونيل هنري بوكيه Henry Bouquet يطلب منه أن يجري مفاوضات المعالم مع الهنود ويهديهم بطانيات مسمومة بجراثيم الجدري «لاستعصال هذا الجنس اللعني»، وقد الشركت وقوى الخضارة» في حرب ضارية لإخفاء هذه الوثيقة وغيرها من الوثائق المشابهة عند المشركت والمحل المتنافها واتهامها بانها من حبك «عقلية المؤامرة» وأنها ستشجح على الكراهية. وكان هوارد پيكهام رئيس الرابطة التاريخية الأميركية الذي اكتشف الوثيقة قد اخفاها وما معها من وكان هوارد پيكهام رئيس الرابطة التاريخية الأميركية الذي اكتشف الوثيقة قد اخفاها وما معها من المقات عليها وكان هوارد يكهام رئيس الرابطة التاريخية الأمير وضعه الن ستيرن بالمسادفة . حتى الكتاب الذي وضعه الن ستيرن (بالاشتراك مع شقيقه واغنر) بمغوان و تأثير الجدري على مصير هنود أميركا اختفى من الأسواق ومن معظم المكتبات الجامعية ولم تدخله مكتبة الكونغرس في فهارسها .

طلب اللورد إمهرست من الكابئ بوكيه، وبعبارات صريحة لا تحتمل التأويل أن ينشر مرض الجدري بين القبائل الهندية التي لم تصب به بعد. واجاب بوكيه لاحقا: سأحاول جنهدي أن أسممهم ببعض الأغطية الملوثة التي سأهديها إليهم، وسأتخذ الاحتياطات اللازمة حتى لا أصاب بالمرض. ولم يخف اللورد فرحه بالفكرة ، لكنه نصح له في رسالة جديدة بان يستخدم الأغطية المسممة وكل وسيلة ممكنة لاستفصال هذا الجنس اللعين. وببطانيتين ويضعة مناديل تم تلويثها في مستشفى الجدري انتشار الوباء بين اربعة شعوب هندية هي الاوتاو Otawa واللينهي Miamis والماية على اكثر من مئة الفي طفل وشيخ وامراة وشاب منهم ٣٢.

ولطالما وُصفت وثيقة إمهرست بانها وحجر رشيد ٤ الحرب الجرثومية التي كانت من افتك أسلحة الغزية التارة الأميركاء و الغزاة لتفريغ القارة الأميركية من أهلها وتحقيق فكرة أميركا: وفكرة استبدال شعب بشعب وثقافة على المنافقة على المنافقة على المنافقة المنا

هناك وثيقة آخرى تتحدث عن إهداء اغطية مسمومة بجراثيم الجدري لهنود المندان Mandan
في قورت كلارك. وقد نقلت هذه الأغطية إلى ضحاياها في ٢٠ يونيو ١٨٣٧ من محجر عسكري
لمرضى الجدري في سان لويس على متن قارب ببخاري اسمه دالقديس بطرس St. Peter ، فحصدت
كذلك في اقل من سنة واحدة اكثر من مقة الف٣٣ طفل وشيخ وامراة وشاب.

بعد حوالي ١٥ سنة كانت كل الولايات المتحدة تتساءل عن أفضل وسيلة للقضاء على هنود

كاليفورنيا. فبعدالاستيلاء على هذه الولاية الواسعة الغنية من للكسيك وجدت فكرة أميركا نفسها أمام مهمة جديدة وصفتها إحدى صحف سان فرانسيسكو كما يلي: «إن الهنود هنا جاهزون للذبح ، وللقتل بالبنادق، أو ... بالجدري. وهذا مايتم الآن فعلا ٣٤٤. في تلك الفترة كان تسميم الهنود بجرائيم الجدري خطة منظمة تمارسها الدولة وبعض الشركات التجارية المختصة، ويتسلى بها المستوطنون في حفلات تسلية وصفتها مقالة افتتاحية في San Francisco Bulletin بأنها و تستخدم الجراثيم من أجل الإبادة المطلقة لهذا الجنس ٣٤٥ الهندي اللعين.

مع استحالة استخدام هذه التقنيات «البدائية » المباشرة في العصر الحديث، ابتكرت الولايات المتحدة اسلوبا جديدا للتخلب على التكاثر الخطيرالذي رفع عدد الهنود من ربع مليون في إحصاء منة ٩٠٠ إلى ما يقارب المليون في أواخر الستينات. فما تزال ٣ بالمئة من مساحة الولايات المتحدة بين أيدي هؤلاء الهنود، وماتزال هناك ثروات باطنية هائلة لم تحسب الدولة الأميركية حسابها عندما ساقتهم كالقطمان إلى هذه الاراضي القاحلة ليموتوا جوعا، وماتزال « ثروة الأمم بحابها لهذه المنافقة المأتوة المتحاب هذه الشائة الماقية من أراضي المهنود.

في منتصف السبعينات اكتشفت الطبيبة الهندية كوني أوري Connie Uri في سجلات المستشفى الذي تعمل فيه في ولاية أوكلاهوما نسبة مرتفعة جدا من عدد النساء اللواتي أخضعن لعمليات التعقير، ولدهشتها فقد تبين لها أن الضحايا كلهن من نساء الهنود، وأنهن أخضعن لعمليات التعقير بعد يوم أو يومين من وضعهن. ولاحظت أوري أنه خلال شهر تموز /يوليو ١٩٧٤ بلغ عدد اللواتي تم تعقيرهن في هذا المستشفى وحده ٤٨ ضحية سبقته مئات العمليات التي لا تشم عادة إلا في حالات السرطان٣٦. ولتغطية الجريمة عمد المسؤولون إلى ابتزاز الضحايا وفقرهن وحاجتهن إلى العلاج لإجبارهن باساليب مختلفة على توقيع ٤ موافقة ٤ على أن يصبحن عاقرات. من ذلك مثلا رفض إجراء عمليات الإجهاض أو الولادة إلا بعد الموافقة على استئصال الرحم، أو تهديد الأم بأنها غير مؤهلة لتربية أولادها وأن عليها أن تتخلى عنهم للمؤسسات الرسمية المعنية أو أن توقع على والرافقة ، ومن ذلك اختراع أسباب طبية مختلفة لإخضاعهن لعمليات إضافية بعد الولادة مباشرة دون إعلامهن بأنها عمليات تعقير. وتقول هيلين غرينر في ١ المجلة الأميركية للصحة العامة، إن التحقيق الذي إجرته بين شعب نافاهو أكد أن ٣٠,٧ بالمئة من نساتهم (وكلهن دون الثلاثين) أخضعن لعمليات تعقير ٣٧. أما الدولة فقد أغمضت عينيها عن هذه التقارير إلى أن أثارها رسميا السناتور جيمس أبو رزق، ولم تلوح بعصاها إلا بعد أن تبين لها أن عددا من نساء البيض يجرين هذه العملية طوعا. وعندها اكتشفت أميركا الرسمية ٩ لا أخلاقية ٤ التعقير، وسنّ الكونغرس قانونا يعاقب من يمارسه. فجأة رأت ذاكرة الزنابير صورتها في المرآة كما رأتها بعد ظهور حالات الجمرة الخبيثة، وامتلا ليلها بكوابيس والخطيئة الأصلية الفكرة أميركا: فكرة استبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة. أكثر من أربعة قرون وا نرسيس، على ضفة هذا النهر يحدق في الماء.. كانه لا يعرف أنه أعمير.

من المتوحش؟

يعتقد كلاوس كنور أن الإنكليز أكثر القوى الإستعمارية الأوروبية نمارسة وتعمدا للإبادة، وأن هدفهم النهائي في العالم الجديد كما في أوستراليا ونيوزيلاندة وكثير من المناطق التي يجتاحونها هو إفراغ الأرض من أهلها وتملكها ووضع البدعلى ثرواتهائلا، خلال هذه المسيرة التي بدأت بايرلندا ولم تنته بعد، تحكمت عقدة الاختيار والتفوق يسلو كهم وبنادقهم، واستحوذت على أخلاقهم وعقولهم ثم استعمرتهم بنظام متكامل من الذهان الهذائي Paranoiac انتهى بهم إلى تأليه الذات وقولهم ثم استعمرتهم إينا ما أوهمهم بانهم يمكون حق تقرير الحياة والموت لكل من عداهم، وأنهم أيضا في حِل من أي النزام إنساني أو قانوني تجاه الشعوب التي يستعمرونها، لا باعتبار أنها أعراقه منحطة وحسب بل لانها في الغالب مخلوقات متوحشة لا تنتمى للنوع الإنساني أيضاً.

ولم ينج من هذا التصنيف البيولوجي أقرب الناس إليهم، وجيرانهم في الجزيرة، وشركاؤهم في البولوجي السيولوجي أقرب الناس إليهم، وجيرانهم في الجزيرة، وشركاؤهم في البياض والنصارة. فلطالما لازمت الإيرلنديين صفة التوحش wild Irish وقالوا عنهم إنهم ويعبدون الشيطان، وانهم وأجلاف، عراة، أحلاس الغابات والمستنقعات، يعيشون على نوع من الاعشاب، وياكلون في المناسبات الخاصة من لحم البشر أو من لحم أمهاتهم اللواتي كانت لهن أذناب طويلة وكن متوحشات ياكلن اطفالهن ٣٩٤.

والواقع أن التجربة الإنكليزية مع المتوحشين الإيرلنديين تكررت مع كل الشعوب التي اجتاحوها ،
بدءا من الهنود والعرب وانتهاء باليابانيين والفيتناميين. إن قراءة الإجتياح الإنكليزي لإيرلندا تساعد
على وضع معجم سيمفوني لطبقات والوحشية التي واجهها الإنكليز في حملاتهم المختلفة لنشر
الحضارة ، وتفسر الفروقات الإيقاعية المرهفة التي تفرضها طبيعة والمجاهل على استخدام هذا السلم
الموسيقي العرقي . صحيح أن الإنكليز قضوا على نسبة كبيرة من سكان أيرلندا ، ونهبوا كل ثروتها
الموسيقي العرقي . صحيح أن الإنكليز قضوا على نسبة كبيرة من سكان أيرلندا ، ونهبوا كل ثروتها
والنفطية و بتعرية غاباتها شجرة شجرة ، وتركوا فيها سجلا حافلا من المذابح والفظاعات ، لكن ذلك
لا يخفي براعة الإنكليز في دوزنة هذه الفظاعات وفقا لتصنيفاتهم العرقية . وبدون التقليل من هول
ما تعرض له الشعب الإيرلندي فإن وما ارتكبه الأوروبيون بحق الأوروبيين في حروبهم واجتياحاتهم
مقارنة بما ارتكبوه في المالم الجديد _ لم يكن أكثر من وشجار عائلي و كما يقول فرانز فانون .
مفتالفتين عرقيا: إحداهما متأصلة في الإيرنديين الفيلين اGael الأقحاح ، والثانية مكتسبة أصابت
مختلفتين عرقيا: إحداهما متأصلة في الإيرنديين الفيلين Gael والمؤلفة للإيرلندين المتوحشين . وقد
محكموا ارتكاب فظاعاتهم وفقا لهذا التصنيف ببراعة لايجاريهم فيها متحضر .
المحكموا ارتكاب فظاعاتهم وفقا لهذا التصنيف ببراعة لايجاريهم فيها متحضر .
المتحدوا ارتكاب فظاعاتهم وفقا لهذا التصنيف ببراعة لايجاريهم فيها متحضر .
المتحدوا ارتكاب فطاعاتهم وفقا لهذا التصنيف ببراعة لايجاريهم فيها متحضر .
المتحدول التكاب في المهام المتحدول التكاب في المولد الإنكاب المتحدول التحدول المتحدول المتحدود المتحدول المتحدول المتحدول المتحدول المتحدود المتحدول المتحدود ا

أما سكان العالم الجديد الذين لم يشاركوا الإنكليز في اللون واللسان والأرض والدين فقد كان من المستحيل على نظام الهذيان (بعد أن باركته السماء) أن يساوم على تفوقه العرقي أو يلتزم بحد ادنى من الاخلاق أو المشاعر الإنسانية تجاه ضحاياه. لقد كان من الشروط الأولية اللازمة للإبادة الجماعية التي ارتكبها الإسبان والانكلو-أميركان ضد الهنود هو التاكيد على لا إنسانيشهم وعلى أنهم بالوراثة كاثنات منحطة. وكان الإسبان اكثر تواضعا حين قالوا إن الهنود وعبيد طبيعيون ه، ذلك لأنهم لم يكونوا يطمحون إلى أكثر من استعباد الهنود وسرقتهم. أما البريطانيون فكانوا يتطلعون إلى ما هو أسمى من الاستعباد ويطمحون إلى الإستيلاء على الأرض واستبدال اهلها وثقافتها أو ما يسمونه بنشر الحضارة. لهذا ترجموا كتابات العنصريين الإسبان مثل ٩ غونزالو فرنانديس أوڤيدو يي فالديس، وافرانسيسكو لوپيز دوغامارا،، وعقوا أو تلكاوا في ترجمة المنصفين مثل بارتولومه دو لاسكازاس. وتقول عالمة الإنسانيات مرغريت هدجن إن اول كتاب إنكليزي عن الهنود نبشر في عام ١٥١١ وصفهم بالوحوش التي لا تعقل ولا تفكر وتأكل بعضها، بل إنهم كانوا يأكلون أبناءهم وزوجاتهم ٤٠٤. وكان عامة الإنكليزية منون بوجود كائنات نصفها بشر ونصفها وحش. وكالعادة فقد سكنت هذه الكائنات معظم الأعمال الفلسفية الانكليزية والاوروبية في تلك الفترة وشاعت في الاعمال الادبية. وكان اليسوعي جوزيف فرانسوا لافيتو Joseph François Lafitau في كتابه عن عادات الهنود الأميركيين قد تحدث عن وجود «كاثن هندي بدون راس، لكن له وجها في صدره». وقد أطلق عليه إسما أسطوريا Acephal. لهذا لم يكن مستغربا إيمان عامة الإنكليز في تلك الفترة بأن لكثير من هنود أميركا أظلافا وأشكالا شيطانية. وهي أشكال نعثر عليها في كتابات معظم أنبياء الإستعمار الاواثل الذين اختلط عليهم شكل الكنعاني التاريخي الملعون بشكل الوحش الهندي المنحط في صورة اوڤيدية ليس لها وجود إلا في مخيلاتهم . وكان أوليڤر هولمز وهو من اشهر اطباء عصره قد لاحظ في عام ٥ ١٨٥ أن إبادة الهنود هو الحل الضروري للحيلولة دون تلوث العرق الأبيض، وأن اصطيادهم اصطياد الوحوش في الغابات مهمة أخلاقية لازمة لكي يبقى الإنسان فعلا على صورة

هكذا بدأت دعوات الإبادة الشاملة تعلو عندما لم يكن في كل الشمال الأميركي سوى الغي إنكليزي.

ثم ازدادت هذه ألدعوة حدة وجنونا حين تأكد الإنكليزان الهنود قد يرحبون بهم ضيوفا ويكرمونهم بما يكفيهم من الأرض والرزق ويعيشون معهم بسلام لكنهم لن يتنازلوا طوعا عن أراضيهم، ولن يتقبلوا فكرة السخرة والاستمباد، وكانت كل بادرة لمقاومة هذا الجشع والتعصب المقدس برهانا إضافيا على صدق أسطورة أميركا وعلى صدق الدعوى بان الهنود متوحشون عدوانيون لا تنفع معهم إلا الإبادة، إن التسامح مع الشر ليس إلا تشجيعا للشرير، وليس هناك خطيئة أعظم من هذا. ومع تقدم الزمن صارت شيطانية الهندي الاحمر بديهية لا تحتاج إلى دليل مثلما أن إنكليزية الله وتفوق شعبه من البديهيات التي لا تحتاج إلى دليل. لقد سكنت شيطانية الهنود أحلام الملاكة حتى إن المرآة ميرسي شورت Mercy Short التي زعمت أن الشيطان تلبسها وصفته على شكل هندي له أظلاف شيطانية. إن هذا الشيطان الهبدي يقض مضجع الزنابير.

قبل مذبحة و ووندد ئي Wounded Knee ؛ الشهيرة بايام كتب فرانك باوم في صحيفته The مناسبة ورندد ئي Aberdeem Saturday Pioneer ، ولم تكن عبقريته القصصية قد تفتحت بعد، يدعو إلى الإبادة الشاملة لمن تبقى من الهنود: وإن أصحاب البشرة الحمراء قد أبيدوا، ولم يبق منهم إلا مجموعة صفيرة من الكلاب الهجينة التي تعض اليد التي تطعمها ولا تتوقف عن النباح. أما البيض فإنهم

بحكم الغلبة وبقضاء الحضارة أسياد القارة الأميركية، وإن أفضل أمن لمستوطنات الثغور بجب أن يتحقق بالإبادة الكاملة لهذه البقية الباقية من الهنود . . إن موت هؤلاء الأشقياء خير لهم من الحياة ٢٥ . . وكانت هذه البارانويا العنصرية هي التعبير الصادق عن مزاج الزنابير في نهاية القرن التاسع عشر . فبعد ايام قليلة ارتكبوا مذبحة و ووندد في ١ التي قتل فيها المثات من رجال لاكوتا ونسائهم وأطفالهم بالقصف المنيف . أما الناجون فقد تعقيوهم وقتلوهم واحداً فواحداً لا لشيء سوى أن بشرتهم حمراء ودمهم هندي وارضهم كنعانية طيبة . وكتب شاهد عيان، وهو طبيب أديب نصف هندي يدعى شارل ايستمن: وعلى بعد ثلاثة أميال من مكان المذبحة وجدنا جنة امرأة مدفونة تحت الثلج . وانطلاقا من تلك النقطة تناثرت الجئث على طول الطريق وكانها طوردت واصطيدت وذبحت بعزم وتصميم فيما كانت تحاول أن تنجو بارواحها . بعض من معنا اكتشف بعض أهله أو أصدقائه بين القتلىء وكان هناك ندب ونواح يملا الارض . وحين وصلنا إلى حيث كان الخيم الهندي وجدنا بين بقايا الخيام والامتمة المترقة جثنا متجمدة تتلاصق هنا في صفوف أو تتراكم هناك فوق بعضها في بقايا الخيام والامتمة المترقة جثنا متجمدة تتلاصة بسهولة أمام هذا المشهد الذي أتلف كل أعصابي وأمام ذلك الحزن العميق الذي طغى على كل من معي من الرفاق بين من يجهش في بكائه أو يتلو نشيد موته ٢٤ ؟ .

ويضيف جيمس موني: 8 تحت ركام الثلج، كان هناك نساء على قيد الحياة، لكنهم تركوهن للموت البطيىء، وكذلك حال الأطفال الرضع المقصطين والمرميين إلى جانب أمهاتهم... كانت جثث النساء متناثرة فوق محيط القرية. وتحت علم الهدنة كانت هناك امرأة صريعة ومعها طفلها. لم يكن الطفل يعرف أن أمه ميتة، ولهذا فقد كان يرضع من ثديها. وبعد أن قتل معظم من في القرية أعلن الجنود أنهم يضمنون سلامة الجرحى أو كل من بقي على قيد الحياة إذا ظهروا. وخرج بعض الأطفال من مخابثهم، لكن الجنود أتمهم يكن الجنود أكل الإطفال من مخابثهم، لكن الجنود أحاطوا بهم وفبحوهم. لقد كان واضحا أن تعمد قتل الاطفال والنساء هو لجعل مستقبل الهنود مستحيلا 8.2.8.

في اليوم الرابع للمذبحة كتب باوم مزهوا بنشوة الانتصار: والقد فعلنا حسنا. ويجب علينا أن نتابع المسيرة لحماية حضارتنا . . . إن علينا أن نقطع دابر هذه المخلوقات الوحشية وتُمحو ذكرها من على وجه الارض 204.

إن مقتل معة هندي أو حرق قرية هندية كاملة بمن فيها قد تحيله هوليوود إلى مناسبة للضحك والتسلية فيما هي تنسج من تلويح الهندي بيده في وجه الرجل الابيض دراما مخيفة تجملها عنوانا للعنف والوحشية التي تؤهله للموت. (وصورة الضحية على الغالب فتاة جميلة شفراء مذعورة لا للعنف والوحشية التي يخطفها كنغ كونغ، وإن كانت هوليوود تضفي على كنغ كونغ بعض المشاعر الإنسانية التي تضن بها على الهندي). إنهم قبل أن يسلبوا الهنود جهودهم في الحضارة الإنسانية ويتروهم من إنسانيتهم أسقطوا عليهم اشنع فظاعاتهم كالعنف وسلخ فروة الراس والتمثيل بالجثث وغير ذلك نما يعتبر لازما لاعتبار إبادة ١٢ مليون إنسان من الاضرار الهامشية التي تواكب انتشار

الحضارة.

كل شهادات المستعمرين الأوائل كانت تسخر من مفهوم الحرب عند الهنود لافتقارها إلى عنصرين أساسيين في الثقافة الحربية الكلاسيكية: القتل، والتوسع في الأرض، ولأنها أشبه بمهرجانات لاستعراض الشجاعة والبطولة والمهارات وليس لاستعراض الجثث. أول ما لاحظه المستعمرون أن حروب الهنود 8 كانت للتسلية والرياضة البدئية وليست لإخضاع الخصم. فقد يتحاربون سبع سنين دون أن يسقط بينهم سبعة قتلي. إنهم يقاتلون في السهول بالقفز والرقص، وعندما يجرح واحد منهم يتوقف الطرفان عن القتال وينكب المقاتلون جميعا على إسعاف الجريح. ٤٦٤. ولا شك في أن هذه الثقافة الحربية المختلفة التي لا تؤمن بالعنف المنظم كانت مقتلا من مقاتل الطالبيين الهنود وحجر زاوية في حرب الإبادة التي تنتمي إلى ثقافة وأخلاق مختلفتين تماما. عندما أعلن كورتيس للهنود أنه جاء إليهم في مهمة سلمية صدقوه ورحبوا بهذا لغازي الدموي وفتحوا له دورهم وقصورهم ومناجم ذهبهم. فمن قواعد الحرب بين الهنود أن إعلان السلام لا يعني شيئا غير السلام. ومن هذا المنطق اطمأن الهنود إلى أن كورتيس جاء فعلا في مهمة سلام. إنهم لم يستطيعوا أن يفهموا لماذا يعلن الأوروبي شيئا ولايتقيد به، ولماذا يقول قولا ولا يفعله، ولماذا يوقع اتفاقية ثم يخرقها في أقرب فرصة بمكنة. ولعل هذا ما تعبر عنه هذه الكلمة البريئة التي القاها أحد هنود لونابه Lenape أمام أحد المستعمرين الإنكليز: وإننا نريد أن نعيش معكم بسلام كما عشنا مع غيركم من الشعوب, لو أننا فكرنا في أن تحاربكم يوما فإننا سنعلمكم بذلك سلفاء وسنبين لكم الأسباب التي نريد أن نحاربكم من أجلها. فإذا أبديتم ما يقنعنا أو يعوضنا عن الأضرار التي سنحاربكم من أجلها فإننا لن نحاربكم. وإذا اردتم أن تحاربونا يوما فنرجو أن تعلمونا بذلك وتبينوا لنا الأسباب، فإذا لم نقنعكم أو نعوضكم عن الأضرار التي ستحاربون من اجلها فلكم الحق في محاربتنا. . وإلا فليس لكم أن تحاربونا ٢٧٥.

لم يستطيع المهندي أن يفهم دوافع الحرب التي يشنها الأوروبي والعنف المسيت الذي يمارسه والفظاعات التي تواكب حروبه. لم يستطيع أن يفك الغاز تقديسه للملكية وهوسه باغتصابها من الآخرين. إن نظام قيمه لا يُمنى بالتراكم المادي ولا تستهويه و قروة الأم 8 التي الهبت خيال الإنكليزي وبن الإنسان والحيوان! هلا رأى نبي وبندقيته، وجعلت الملكية في عيني مارتن لوثر معيارا للتفريق بين الإنسان والحيوان! هلا رأى نبي وول ستريت باي ماء تسيج الضباع أطيانها؟ الحرب الهندية على ندرتها لا تعلن إلا بسبب إهانة شخصية أو حوادث فردية. ولطالما أمكن تفاديها بالتمويض أو الاعتذار أو الدية. أبدا لم يزعم الهنود احتكار الحقيقة المطلقة؛ هذا الوباء المقدس الذي الهب طقس المنف في أتباع كل الديانات التوحيدية. أبدا لم يكن الغزو أو الاحتيام أو الاحتلال من أخلاقهم. وكل هذا غريب عن ثقافتهم 8.4 .

في دراسة ميدانية لهنود السهول الذين صورتهم هوليوود مثلا أعلى للعنف والعدوان يقرل الانثروبولوجي جورج غرينل: 1 بين هنود السهول الذين أعرفهم جيدا يعتبر لمس العدو من أشنع أنواع التعبير عن العدوانية. أن تقوم بضرب العدو دون أن تؤذيه عمل من أعمال الغروسية. إن من مظاهر الشجاعة وتقاليدها أن يمضي الرجل إلى الحرب وليس في يده سلاح يؤذي عدوه من بعيد، فحمل الرمح أكثر شجاعة وفروسية من حمل السهام، وحمل البلطة القصيرة أولى من حمل الرمح. أما أعظم مظاهر الشجاعة فأن تسعى إلى الهيجا بدون سلاح 98 ٤ . ويروي ستانلي دايموند في دراسته المقارنة عن «البدائية والحضارة» أن قتل الإنسان عند الهنود كان حدثا تاريخيا، وأن حروبهم كانت تشبه الاعمال المسرحية. ومهما كانت طبيعة هذا الحدث التاريخي الذي يستوجب قتل الإنسان فإنه كان يخضع لطقس مشخصن شديد التعقيد، لقد كانوا يقدسون حياة النساء والاطفال ويعتبرون الإعداء عليها وصمة عار في جبين المحارب، وهذا ما جعل حرب الإبادة الإنكليزية نزهة في رياض الطبيعة الهندية للمسالمة، ٥ .

خلال عودة القديسين من حملة إيادة هنود الناراغنستس في عام ١٦٣٧ بقيادة الكابتن جون انديكوت كانوا في أوج النشوة قارادوا التحرش بهنود البيكو والتسلي بقتلهم، ويروي شاهد عيان أن البيكو وعندما رأونا على شواطئهم، أسرعوا للترحيب بنا، وهم يهتفون: أهلا بالإنكليز، أهلا بالإنكليز، أهلا بالإنكليز، ولم يكن يخطر ببالهم ما نعنه لهم، وعمّ الترحيب والتهليل ومظاهر الفرح بوجودنا في بالإنكليز، ولم يكن يخطر ببالهم ما نعنه لهم، وعمّ الترحيب والتهليل ومظاهر الفرح بوجودنا في Pequeat كل مكان حتى وصلنا إلى نهر يكويت Pequeat. وهناك، مع سقوط أول قتلاهم، أدرك الهنود باستغراب شديد سبب وجودنا فهجروا قراهم وفروا إلى الغابات القريبة، ونزل الإحباط بالجنود فراحوا يحرقون القرى واختول ويتلفون الخاصيل ١٩٥٥ وما أن عاد الجنود إلى مستعمرتهم حتى ظهر الهنود يحرقون القرى ونظموا أنفسهم وهاجموا حصن سايبروك Saybrook فاقتحموه، ولكن دون أن يقتلوا أو يجرحوا أحدا. وظنوا أن هذه والبطولة الاستعراضية »كافية لاسترداد كرامتهم، ولإقناع المستعمرين بالتعايش السلمي، وبكل ما أعطاهم الله من براءة سال هنود البيكو قائد الحصن ليون غاردينر عن إمكانية هذا التمايش السلمي، فأجابهم: لا قد دمرتم بعدوانكم هذا كل إمكانية للسلام بيننا ٤. ومئانه الهنود ايضا ما إذا كان الإنكليز سيقتلون الاطفال والنساء، فأجابهم وستعرفون ذلك في وسله ع.

بعد أيام قليلة قاد الكابئن جون مليسون قبيل الفجر جيشا من المبليشيا قسمه إلى فرقتين تولى قيادة إحداها بينما تولى جون اندرهيل الفرقة الثانية. وتحت جنح الظلام هاجموا الهنود الناثمين من جبهتين. وكان ذلك بتعبير جون مايسون و آخر نوم لهم ع. ويصف مايسون تلك الليلة بقوله: « لقد انزل الرب في قلوب الهنود رعبا شديدا، فحاولوا أن يطيروا بين أسلحتنا ويقفزوا في اللهب الذي التهم كثيرا منهم. كان الرب يضحك من أعداثه وإعداء شعبه المختار.. يضحك حتى الاستهزاء والاحتقار، ويجعل منهم وقودا لهذا الفرن الذي تحولت إليه قريتهم. هكذا ينتقم الله منهم ويملا الارض بجثثهم.. ليعطينا أرضهم ٢٠٤٥. كان الجنود يقتلون الجرحى من الرجال والنساء والأطفال ويشعلون النار في البيوت ويحرقون الهنود في أكواخهم أحياء أو موتى، وكانهم في حفلة شواء هوباريكيو عن بتعبير كوتون ماذر ٣٥ أحد أقدس أنبياء الاستعمار الإنكليزي للعالم الجديد.

استمرت حفلات الباربكيو طويلا قبل أن يتعلم الهنود أن البراءة مع شعب الله الإنكليزي انتحار، وأن الدفاع عن أنفسهم يحتاج إلى معرفة طبيعة الحرب لدى أعدائهم وإلى عدم قياس نظام قيم وأخلاق الإنكليز إلى نظام قيمهم وأخلاقهم. فالانكيزي لا يحب التمثيل للسرحي في ساحة القتال، وإذا اراد أن يرقص فإنه ينتظر حتى ينقشع غبار المعركة ليرقص على أشلاء خصمه. لقد مضى وقت طويل قبل أن يتملم الهنود كما يقول جننفز في واجتياح أميركا و وان وعد الإنكليزي مهما كان صادقاً مضمونا سوف يخلفه بمجرد أن يتمارض مع مصلحته التي لا تعرف حدودا، وأن أسلوب الحرب الإنكليزية لا تعرف معنى للرحمة أو للشرف أو للمواثيق أو للتردد... ولقد حفظ الهنود ذلك الدرس غيبا، ولكن حين لا تنفم الدروس والعبره؟ ٥.

تعرضت الثقافة الهندية المسالمة لمملة تشويه لاز مت حرب الإبادة وكانت سلاحا من أسلحتها . لم يكتف التاريخ المنتصر بان أطلق على غزواته واجتياحاته وحملاته العسكرية اسم 3 حروب الهنود ٤ بل إنه اسقط كل عنفه وفظاعاته الدموية على الهنود بدءا من سلخ فروة الرأس وانتهاء بالتمثيل بالجنث .

وارتكب الإنكليز جريمة سلخ فروة الرأس في معظم حروبهم ٥٥٤، وعلى نقيض ما تروج له هوليوود والرسميون والإعلاميون واتحاديم الترايخ المنتصر و فإن الرجل الابيض هو الذي خلق عادة السلخ [والرسميون والإعلاميون واتحاديم الترايخ المنتصر و فإن الرجل الابيض هو الذي خلق عادة السلخ [العالم الجديد] وإن أكثر جرائمها من صنع يديه ٥٦٤ . وكانت عادة سلخ فروة الرأس متبعة أيام المروب الإنكليزية الإيرلندية ، ففي أواخر القرن السادس عشر الجا القائد الإنكليزي همفري جلبرت في فظاعات أقلها ورحلخ فروتها لإثارة اللدع في نفوس الإيرلنديين وقسع انتفاضتهم (٥٦٧ - ١٥٧) في فظاعات أقلها ورع جانبي الطريق إلى مقر زعيم الإنتفاضة بالرؤوس المقطوعة ٥٥ . وقبل أن يترجه إلى العالم الجديد ، يحاول ملكا، خلع عليه البلاط لقب و فارس ٤ عاترافا ببلائه في نشر الحضارة . ومح يومنا هذا، حتى إن الجنرال الفرد سولي أعاد هذا المشهد بكل تفاصيله بعد حوالي ثلاثة قرون عندما المرئيس الرؤوس المقطوعة لهنود اللاكوة على عصيّة كل راس على عصا، وزرعها على جانبي الطريق المؤدية إلى مقره العام ٥ للاستغناس وفرض الهيبة .

ولقطف الرؤوس وظائف أخرى غير الزينة أو فرض الهيبة كما كان الحال في ايرلندا والمستعمرات الاميركية الاولى. لقد استخدمت في البداية _ بدلا عن آلات الحساب الخرزية _ للتاكد من عدد الاميركية الاولى. لقد استخدمت في البداية _ بدلا عن آلات الحساب الخرزية _ للتاكد من عدد صناعة مستقلة . ويقول جننغز في اجتياح أميركاه إن السلطات الاستعمارية رصدت مكافأة لمن يقتل هنديا وياتي براسه، ثم اكتفت بسلخ فروة الرأس إلا في بعض المناسبات التي تريد فيها التاكد من هرية الضحية ٥ . ولعل أقدم مكافأة إنكليزية على «فروة الرأس ٤ بدلا من كامل الجمجمة تعود إلى عام ١٩٤٤ . في ١٢ آيلول / سبتمبر من ذلك العام رصدت الهكمة العامة في مستعمرة إلى ماساشوستس مكافآت مختلفة لكل من يأتي بفروة رأس هندي مهما كان عمره أو جنسه . وتختلف هذه للكافآت بحسب مقام المياد: خمسون جنيها للمستوطن العادي ، وعشرون جنيها لرجل الميليشيا، وعشرة جنيهات للجندي . ولم تحض عشرون سنة حتى رصدت كل المستعمرات الإنكليزية

جوائز ثماثلة. ثم تغيرت (التعرفة) في عام ١٧٠٤ فأصبحت مئة جنيه لكل فروة رأس. ومن المفارقات أن المكافأة المتواضعة التي رصدت لفروة رأس الفرنسي في عام ١٦٩٦، وهي ستة جنيهات فقط، لم تتغير في التعرفة الجديدة، بل ظلت في أسفل القائمة، وظل الفرنسي الأبيض ــ برغم عداوته الدموية للاتكليزي ــ آخر المطلوبين.

كانت مكافأة المئة جنيه تعادل أربعة أضعاف متوسط الدخل السنوي للمزارع في مستعمرات نيو إنكلند. وكان بإمكان أي مستوطن عجوز أن يصطاد طفلين وثلاث نساء هنديات سنويا ويتنعم بما لم يتنعم به جلالة الملك جيمس. هذا ما جعل صيد الرؤوس الهندية وسلخها أسرع طريقة لبناء الغروة، وسرعان ما وجدت و ثروة الأم المعادلة الإقتصادية المناسبة لاستثمار بونائزا الأرواح تجاريا. لقد اكتشف شعب الله نفطه في عروق الهنود.

في فالموث، أو ما يعرف اليوم ببورتلاند أسس توماس سميث إحدى هذه الشركات التي تستأجر فرقة من المفامرين لقتل الهنود والعودة برؤوسهم أو فرواتها. كان سميث يزود الفرقة بالمعدات والذخائر ويتقاضى ثلث المكافاة. وتقول صفحة من يومياته إن حصته من مكافآت ذلك اليوم الكاسد (١٨) حزيران / يونيو١٧٥٧) بلغت ١٦٥ جنيها ٠٦. كان الصيادون يتعهدون قرى معينة، يمشطونها قرية قرية ولا يبقون فيها فروة واحدة. حتى إن القرى المكسيكية وراء الحدود صارت هدفا للصيادين. ولان فروة رأس الهندي والحليف؛ لا تختلف عن فروة الهندي العدو، ولأن صيدها أسهل، ولأن إخلاق السوق لا تعنيها هذه التفاصيل التافهة فقد ركزت هذه التجارة جهودها على صيد رؤوس الحلفاء، ولا سيما منهم أولئك الذين تطهرت أرواحهم واستعاروا لانفسهم أسماء القديسين. ويروي أكستل في بحثه عن والسلخ ٤ أن فرقة من أربعة رجال من مستوطني نيوجرسي زعموا أنهم يصطادون هنود فيلادلفيا، لكنه في ليلة ١٢ نيسان / ابريل ١٧٥٦ تبين أن كل ضحاياهم كانوا من هنود المنطقة الذين أنقذ المستعمرون أرواحهم واستخدموهم في أعمال السخرة. في منتصف تلك الليلة اقتحم المستوطنون بيت عائلة هندية آمنت فأمنت ونامت قريرة العين. أما الرجل اجورج؛ فتمكن من الهرب، لكن الزوجة «كاثرين» تلقت بضع طلقات في صدرها ثم قطعت راسها بالفاس. الطفلة ذات الاحد عشر ربيعا تهشم رأسها بالبلطة وتلقت عدة طعنات في كتفها. وأما رأس الطفل الذي لم يبلغ السنة فما كان على الله الإنكليزي بعسير ٦١. ويروي بيتر شمالز في كتابه عن هنود أوجيبوا كيف ان الإخوة في الإيمان لم تكن أفضل من التحالف، وكيف إن الذين طلبوا خلاص أرواحهم في الآخرة وطمعوا في خلاص أجسادهم في الدنيا صاروا فريسة سهلة. ففي إحدى قرى دولاوير حاصرت كتيبة مسلحة بقيادة داڤيد وليامس أفرادا من الهنود الموراڤيين . وتمضى الشهادة فتقول إن الجنود طمأنوهم إلى أنهم جاءوا لمرافقتهم إلى حيث يصلُون ويجدون طعامهم بامان. وقالوا لهم إن هذه المهمة النبيلة لا تحتاج إلى حمل السلاح. ووافق الهنود مطمئنين إلى أخوة الإيمان. ثم إنهم أسرعوا إلى إحضار من تبقى من أهلهم وذويهم في البيوت حتى لا تفوتهم بركات الصلاة. ولم يكن لدى الهنود وقت ليكتشفوا الخدعة فقد عاجلهم الجنود بالقتل وحصدوا في تلك المذبحة رؤوس ٢٩ رجلا و٢٧ امرأة و ٣٤ طفلا٢٢.

ثم ازدهرت هذه التجارة مع الحرب الإنكليزية الفرنسية في العالم الجديد، ومع تهافت الطرفين على شراء (الحلفاء) وتنافسهما على دفع مكافات مرتفعة لقاء فروات رؤوس أعدائهم. وفيما كانت الشركات التجارية الإنكليزية والفرنسية توجه نشاطها الاكبر لصيد رؤوس الهنود والحلفاء، قبل الاعداء كانت الوعود السياسية والإقتصادية التي أمطرها البيض على الهنود قد أوقعت بعضهم في الأعداء كانت الوعود الذين أغرتهم الاطماع والوعود وقصر النظر أنهم سيموتون بنفس الطريقة عندما يدرك البيض غايتهم منهم. لقد أغرهم بارتكاب هذه الفظاعات التي كانوا فيها أكبر الخاسرين. فخلال حرب السنوات الست (١٧٥٤ ـ ١٧٦) كان الإنكليز والفرنسيون هم الذين يديرون هذا المسلخ الذي لم يذبع فيه إلا الحراف.

واضطر الانكليز إلى رفع مكافاة السلخ في السنة الثالثة للحرب بعد ان الحق الفرنسيون هزيمة ساحقة بالجنرال الإنكليزي إدوارد برادوك وبحلفائه من الهنود. هكذا استغنى كثير من المستوطنين عن البحث عن الذهب ليلتحقوا بركب «العامل الطبيعي »، وصاروا يتنافسون فيما بينهم ويتباهون بسرعة الصيد وكثرة الغنائم. ويروي المغامر لويس وتزل Lewis Wetzel أن غنيمته من فروات رؤوس الهنود كانت لا تقل عن أربعين فروة في الطلعة الواحدة. ويعتبر (وتزل ٥) وهو ابن مستوطنين مغامرين، من ابطال التاريخ الاميركي وما يعرف بعمالقة الثغور. جُرح صغيرا عندما كان أبواه يحاولان الاستيلاء على أراض هندية بالقوة . في الرابعة عشرة دشّن أول ضحاياه ونذر نفسه لقتل الهنود . لهذا لم يتزوج ولم يضع لحظة من حياته في عمل آخر. من بطولاته قتلُ زعيمين هنديين فيما كانا يجريان مفاوضات السلام مع المستعمرين، الأول زعيم الدولاوير عام ١٨٧١، والثاني زعيم السينيكا عام ١٨٧٩ ٢٣، ١٣٨ وبدءا من و و تزل ، صار قطع رأس الهندي وسلخ فروة رأسه من الرياضات الإنكليزية المحببة، بل كان الكثير منهم يتباهى بأن ملابس صيده وأحذيته مصنوعة من جلود الهنود. ثم تغير الحال بعد عقد م. الزمان عندما بدأ الإنكليز الملكيون والإنكليز الثوار يسلخون رؤوس بعضهم فيما يدعى كل منهم وصلا بالعناية الإنهية وينسب إليها جرائمه وفظائعه. وبالطبع فقد تنازع الطرفان على صفة الإختيار والتفضيل وتمثيل ٩ شعبُ الله ٥، لكنهم جميعا ظلوا مخلصين لتقليد السلخ والتمثيل بالجثث طوال فترة ما يسمى بحرب الاستقلال. كانوا ينظمون لذلك حفلات خاصة ويدعون إليها عليّة القوم للتفرج والاستمتاع الشهواني بهذه المشاهد المثيرة حتى إن الكولونيل جورج روجرز كلارك في حفلة اقامها لسلخ ١٦ من الأسرى الأحياء اثناء حصاره الاحتفالي لفانسين Vincennes طلب من الجزارين أن يتمهلوا في الاداء، وأن يعطوا كل تفصيل حقه لتستمتع الحامية كلها بالمشاهد. وقد وصف الكولونيل هنري هاملتون في يومياته بهجة الحضور بأنهم خرجوا يختالون بنشوة انتصارهم وراثحة دم الضحايا تعبق منهم ٦٤. ومايزال كلارك إلى الآن رمزا وطنيا أميركيا وبطلا تاريخيا، وهما يزال من ملهمي القوات الخاصة في الجيش الأميركي٢٥١.

وفي كولورادو ثولت الشركات الخاصة، بتعاقد ضمني مع الدولة، مهمة الذبح والسلخ والقضاء على الوجود الهندي. أما في كاليفورنيا فقد تأخرت حفلات السلخ قليلا لكنها سرعان ما اتبعت خطوات الولايات الاخرى، ففي حادثة واحدة (آيار /مايو ١٨٥٢) اشترك فيها 9 شريف 9 ويفرقيل هوجم ١٤٨ هنديا من الرعاة فأصبحوا أثرا بعد عين. والغريب أن قطع الرؤوس صار خبرا عاديا في الصحافة البيضاء التي لم تعد تجد حرجا في الحديث عن ان هدف هذه المجازر هو ٩ الإبادة) وان القتلة الذين ارتكبوا هذه البطولات تلقوا مكافآت من الحكومة بعد أن ابرزوا فروات رؤوس ضحاياهم٦٦. مع تأسيس الحيش الأميركي أصبح السلخ والتمثيل بالجثث تقليدا مؤسساتيا رسميا. فعند استعراض الجنود أمام وليم هاريسون (الرئيس الأميركي لاحقا) بعد انتصار ١٨١١ على الهدود تم التمثيل ببعض الضحايا، ثم جاء دور الزعيم تيكومسه Tecumseh . وهنا تهافت صيادو التاكارات على انتهاب ما يستطيعون من جلد الزعيم التاريخي أو فروة راسه. ويروي جون سعدن Hohn Sugden في كتابه عن تيكومسه كيف شرط الجنود المنتشون جلد الزعيم من ظهره إلى فخذه، وكيف إن احدهم قصّ قطعة من الجلد شرائط رفيعة لربط موسى الحلاقة، وكيف اقتتل الآخرون على اقتسام فروة راسه حتى إن بعضهم لم يحصل على قطعة اكبر من السنت (قطعة نقد معدنية لا يتجاوز قطرها السنتمتر) مزينة بخصلة من شعر تيكومسه. وعندما أجريت مقابلة مع أحد هؤلاء المحظوظين في عام ١٨٨٦ (أي بعد ٧٥ سنة) تحدث عن تلك المناسبة التاريخية بافتخار وهو يحمل بين أصبعيه تذكاره البطولي٦٧. وكان الرئيس أندرو جاكسون الذي تزين صورته ورقة العشرين دولارا من عشاق التمثيل بالجثث، وكان يامر بحساب عدد قتلاه بإحصاء انوفهم المجدوعة او آذانهم المقطوعة، وقد رعى بنفسه حفلة تمثيل بجثث ٨٠٠ هندي يتقدمهم زعيمهم مسكوجي (ردستيكس). ففي ٢٧ آذار /مارس ١٨١٤، كما يروي داڤيد ستانارد، احتفل الرئيس جاكسون بانتصاره على هنود الكريك وتولى جنوده التمثيل بجثث الضحايا من الأطفال والنساء والرجال، فقطعوا أنوفهم لإحصاء عددهم وسلخوا جلودهم لدِبغها واستخدامها في صناعة اعنّة مجدولة للخيول٦٨.

بعد مذبحة ساند كريك التي ذهب ضحيتها أكثر من ٨٠٠ هندي أعزل اضطر الكونغرس إلى John Chivington. ويمتبر إخراء تحقيق في الفظاعات التي ارتكبها الجنود وقائدهم جون شقنغتون John Chivington. ويمتبر شفنغتون اليوم من أعظم أبطال التاريخ الأميركي، وهناك الآن أكثر من مدينة وموقع تاريخي تخليدا شفنغتون اليوم من أعظم أبطال التاريخ الأميركي، وهناك الآن أكثر من مدينة وموقع تاريخي تخليدا للأكره ولشعهرا والشهير: «اقتلوا [الهنود] واسلخوا جلودهم. لا تتركوا صغيرا ولا كبيرا، فالقمل لا يفقس إلا من بيوض القمل ٩. ولعل هذه هي العبارة التي الهمت همار تشبيه ما جرى في معسكرات الإبادة النازية بأنه و تنظيف قمل ٩. وكانت الحكومة قد أعلمت الكولونيل شفنغتون بأن القرية مسللة، وأن معظم رجالها خرجوا لعبيد الجواميس، لكن الكولونيل قال: «حسنا، إنني متشوق وكان فيها رجلان من البيض حاولا إعلام الجنود بان القرية مسللة، لكنهما جوبها بإطلاق النار. ثم إن الزعيم بلاك كتل رفع العلم الأبيض فوق سارية آحد البيوت كما وفع علما أميركيا كان قد تلقاه من مفوض الشؤون الهندية. وراح يطمئن أهل القرية ويهدىء ووعهم قائلا: لا تخافوا، لا تخافوا، نحن في سلام مع البيض! وسرعان ما بدأ الجنود بإطلاق النار على أهل القرية المرابين، ويقول روبرت بنت نحن في سلام عع البيض! وسرعان ما بدأ الجنود بإطلاق النار على أهل القرية الماريين، ويقول روبرت بنت الحرف بينما أعطى شفنغتون أوامره بالقصف المدفعي، ومطاردة الهاربين، ويقول روبرت بنت Robert Bent القصف، حاول رجال رحالة المارية بعد القصف، حاول رجال رحالة المارية القصف، حاول رجال رحالة المورة المحاردة المارية القصف، حاول رجال

القرية أن يجمعوا الأطفال والنساء ويحيطوا بهم لحمايتهم. ولقد شاهدت خمس نساء مختبئات تحت مقعد طويل. وعندما وصل الجنود إليهن بدان يتوسلن ويطلبن الرحمة لكن الجنود قتلوهن جميعا. وكان هناك أيضا ثلاثون أو اربعون امرأة متكومات فوق بعضُهن في حفرة، وقد ارسلن الينا طفلة في السادسة تحمل راية بيضاء مربوطة على عصاء لكنها لم تتقدم بضع خطوات حتى أطلقنا عليها النار وقتلناها، ثم قتلنا النساء اللواتي لم يبدين أية مقاومة. ثم إنني رأيتهن بعد ذلك مسلوخات الراس، بينما كانت إحداهن مبقورة البطن وجنينها في بطنها واضح للعين. واخبرني الكابئن شاول أنه رأى ما رأيت، ورأى مثلى عددا كبيرا من الأطفال بين أيدي أمهاتهم المذبوحات ، ويقول شاهد آخر هو الجندي آشبري بيرد Ashbury Bird أن «عدد الضحايا يتراوح بين ٤٠٠ و٠٠٠، وأنهم جميعا تعرضوا لسلخ فروات رؤوسهم. لقد رأيت امرأة تَعْرُض فرجُها للتمثيل به، كما شاهدت جثثا مقطعة تقطيعا فظيعا وعددا من الجماجم المحطمة. وإنني لعلى ثقة بانها تحطمت بعد موت أصحابها بإطلاق النار عليهم كما هو واضح، [وهذا ما يشهد عليه أيضا السيرجنت لوسيان بالمر Lucien Palmer]. إنني لم أرقتيلا واحدالم يسلخ رأسه أو رأسها. لقد رأيت كذلك أصابع مقطوعة للسطو على الخواتم . كما رأيت عددا من الجثث وقد قطعت اعضاؤها التناسلية ٤٠٧. وتقول شهادة عاموس ميلكش Amos C. Milksch : 3 رأيت طفلا ما يزال حيا بين الجثث المرمية في الخندق. ورأيت جنديا من الفرقة الثالثة يستل مسدسه ويطلق النار على رأس الطفل. رأيت ضحاياً مقطّعة الأصابع للسطو على خواتمها، ومقطعة الآذان للسطو على زينتها، ورأيت عددا من الجنود يُنبشون جثنًا ثم دفنها ليلا، وذلك ليسلخوها ولياخذوا زينتها. ورأيت امراة هندية مهشمة الراس. وفي الصباح التالي، بعد أن تبست الجثث، بدأ الجنود بسحب جثث النساء وو فتحهن وبطريقة مشينة ٧١٤. وشهد داڤيد لودرباك David Laouderback أحد الفرسان أن وجثث النساء والأطفال تم التمثيل بها بطريقة مخيفة. لقد رايت ثمانية منها فقط، ولم اجد في نفسي الشجاعة لرؤية المزيد فقد كانت شديد التقطيع، وكانت مسلوخة الرؤوس. أما الزعيم وايت أنتولوب (الظبي الأبيض) فإنه كان مقطوع الأنف والأذنين والأعضاء التناسلية ٧٢٤. ويقول المترجم جون سميث John Smith: ولقد مارسوا كل أنواع السلب والنهب. لقد سلخوهم ، واقتلعوا أدمغتهم. واستخدم الجنود سكاكينهم لتمزيق أجساد النساء وشقهن، ولتعذيب الاطفال ودق رؤوسهم بأعقاب البنادق واقتلاع أدمغتهم والتمثيل باجسادهم . وأسوا تمثيل رايته في حياتي هو تقطيع النساء إلى قطع صغيرة وتمزيق جثث الاطفال ذوي الشهرين أو ثلاثة اشهر. وعندما ذهبت إلى مكان المذبحة في اليوم التالي لم أر حسدا واحدا إلا وقد سلخ وقطعت أعضاؤه التناسلية ٧٣. ويقول الليوتننت جيمس كانون James D. Cannon: وسمعت جنديا يقول إنه اقتطع فرج امرأة وعلقه على عود لعرضه. وسمعت آخر يقول إنه قطع أصابع هندية ليأخذ خواتمها . كما سمعت جنودا قالوا إنهم اقتطعوا فروج الهنديات وشدوها على مقدمات سروج خيولهم أوعرضوها على قبعاتهم أثناء الاستعراض العسكري. وسمعت جنديا يقول إنه شقي قلب أمرأة هندية ورفعه على عود ٧٤٠.

بعد انتهاء والمهمة ، عقد الكولونيل شڤنغتون مؤتمرا صحافيا أعلن فيه أنه خاض مع رجاله اإحدى

آكثر المعارك دموية مع الهنود، حيث تم تدمير أعتى قرى هنود الشايين! و فيما عمّت النشوة بين الزنابير في طول البلاد وعرضها حتى إن أونتاحية إحدى الصحف شبهت فروات الرؤوس المقطوعة بالضفادع التي اجتاحت مصر قبل خروج بني إسرائيل منها، وأضافت وليس هناك أحد لم يتمتع بقطعة من فراء رؤوس الشايين، وهناك من بلغت به النشوة أن أرسلها [إلى أصدقائه] في الشرق ٢٠٥٠. أما الرئيس تيودور روز فلت فإنه تسامى بهذه البطولات فوصفها بقوله وإن مذبحة ساند كريك كانت عملا أخلاقيا ومفهدا (ذل مغر منها ٧٠٥٠.

وفي عام المديحة اكتشف أحد الصيادين إمكانية استخدام الأعضاء الذكرية أكياسا للتبغ، ثم
تطورت الفكرة المثيرة من هواية فردية للصيادين إلى صناعة رائجة بعد أن صار و كيس التبغ و هذا،
مثل الشارئين، من أبرز علامات الرجولة والفروسية والارستقراطية الاستعمارية، وصار الناس يتهادونه
في أعيادهم و أفراحهم ٧٧. لكن هذه الصناعة لم تعمر طويلا في داخل أميركا بعد أن انخفض عدد
المهنود في عام ١٠، ١ إلى ربع مليون، وضاق وجه الارض الاميركية بالسلخ وقطع الرؤوس ولم يعد
أمام المضارة إلا أن تبحث وراء المحيط عن مجاهل جديدة ووحوش طازجة في باناما والفيليين
واليابان وهايتى وكوريا وقييتنام وما بين الحجون إلى الصفا،

في أربعينات القرن العشرين دخلت اليابان اطلس المجاهل وانضم اليابانيون إلى قائمة الشعوب المتوحشة. وسرعان ما صنفت دائرة الانثروبولوجيا في مؤسسة سميثسونيان الثقافية اليابانيين مع الأعراق المنحطة. ففي رسالة وزعتها على المسؤوليين الاميركيين أكدت فيها وأن جمجمة الساباني متخلفة عن جمجمتنا (الانكلوسكسونية) أكثر من الفي سنة 8، بينما قال العسكريون (إن اليابانيين ليس فيهم طيارون مؤهلون قادرون على التصويب في اتجاه الهدف لان عيونهم مشوهة منحرفة ١٠. وكانت حملة «التوحيش»، كالعادة، رخصة للتحلل من أي التزام أخلاقي أو إنساني أو قانوني تجاه الضحايا. ويروي مراسل حربي أميركي في مقالة له في Atlantic Monthly : « لقد قتلنا الأسرى بدم بارد، ومحونا المستشفيات من الوجود، وأغرقنا مراكب الإنقاذ، وقتلنا المدنيين وعذبناهم، واجهزنا على الجرحي، وجرفناهم إلى حفر جماعية. وهناك في المحيط الهادي سلقنا لحم جماجم أعدائنا لنصنع منها عاديات تذكارية توضع على الطاولات وتهدى إلى الأحباب، أو صنعنا من عظامهم سكاكين لفتح الرسائل ٧٨٤. وكانت أعظم غنائم الحاربين هي هذه التذكارات التي يجمعها الجنود من جثث الضحايا أو المحتضرين كما يروي جون دوور في كتابه عن ظاهرة العنصرية في حروب المحيط الهادي وحرب بلا رحمة». من ذلك الاسنان الذهبية، الآذان، العظام، فروات الرؤوس، والجماجم وغير ذلك من تذكارات فيتيشية ٩ ٧ طالما اعتبرها علماء الاجتماع العرقيون دليلا على العقلية البدائية التي تعبد الجماد وتتعلق به مرضيا وجنسيا. وقد لاقت هذه «التذكارات» ترحيبا كبيرا لدي الشعب الأميركي حتى إن مجلة لايف نشرت في عام ١٩٤٤ موضوعًا عن الحرب مزينا بصفحة كاملة لصورة صبية شقراء يفتر ثغرها عن بسمة السعادة والفخار وهي تقف إلى جانب جمجمة يابانية أرسلها إليها خطيبها من الجبهة. ويبدو أن عبادة التذكارات طقس قديم يعود على الأقل إلى عام ۱۸۱۶ عندما أشرف الرئيس جاكسون بنفسه على سلخ ۸۰۰ من هنود الكريك، واقترح أن ترسل قطع من تلك الجثث هدايا إلى السيدات الارستقراطيات في تنسى ۸۰.

بعد أقل من عقدين مضيا على نشر صورة والحسناء والجمجمة ، في مجلة لايف وصف الجنرال وستمورلند William Westmorland الشعب القييتنامي بالنمل الأبيض termite A 1 . والنملة البيضاء أخطر حشرة يخشى الاميركي أذاها على بيته، ولذا فهي مرتبطة في ذهنه بحتمية وشرعية وأخلاقية مكافحتها بمبيدات الحشرات. في هذا السياق التاريخي الطويل من إيادة الحشرات على مدى أكثر من أربعة قرون، يستخدم الجنرال هنا سلاح الإبادة دون أي رغبة في أن يعرف شكل ضحاياه أو عددهم. ولقد سهل القصف الجوي وإطلاق الصواريخ عن بعد والقتل الالكتروني هذه المهمة حتى جعلها أشبه بلعب التسلية. إن الفلاح الفيتنامي تحول إلى تعلة بيضاء، مثلما تحول الهندي إلى دودة، والفيليبيني إلى حشرة، والعربي العراقي إلى صرصار. هكذا لم يجد الجنود حرجا في الاحتفاظ ببعض اعضاء هذه الحشرات الفيتنامية تذكارا كما فعل آباؤهم في الحرب العالمية الثانية. وليس غريبا إذن أن لايجدوا فرقابين مجاهل العالم الجديد ومجاهل ڤييننام وأن يطلقوا على هذه الجبهة الجديدة اسم « البلاد الهندية». وكان Hugh Manke رئيس قسم المتطوعين الدوليين، في شهادة له أمام الكونغرس، عام ١٩٧١، قد أكد على عزم القوات الأميركية على إبادة ثييتنامي الجبال واحدا بعد الآخر، وقال «إننا سنحل مشكلتهم كما فعلنا مع الهنود». بل إن الجنرال مكسويل تايلورMaxwell Taylor وصف الثييتكونغ في شهادته أمام الكونغرس بانهم ٥ هنود ، وانهم لذلك ليسوا بأفضل من قمل يغزو جلد الكلاب. أما السفارة الأميركية في سايغون فوصفتهم على لسان ضابط علاقاتها العامة جون مكلين John Mecklin بان عقولهم تعمل كما تعمل السيقان الرخوة للطفل المشلول، وان محاكماتهم العقلية لا تضاهي طفلا أميركيا في السادسة من عمره ٨٢. وكانت قناة History التلفزيونية قد عرضت (١٣٦ تموز ١٩٩٦) شكلا حديثا متطورا من مشاهد السلخ في فيلم وثائقي بعنوان قيام العنقاء Phoenix Rising نرى فيه الجنود الأميركيين في قيننام وهم « يقطفون » رؤوس مايُشتبَه بأنهم من كوارد الڤييتكونغ، ويعرضونها في مهمة أشرفت عليها وكالة الاستخبارات المركزية في أواخر ١٩٦٧ وأطلقت عليها عملية العنقاء ١٩٦٧ وأطلقت

وتتضارب الأرقام النهائية لعدد ضحايا العنقاء بين شهادة واخرى. فبينما يعترف وليم كولبي، العمال يوتنظارب الأرقام النهائية لعدد ضحايا العنقاء بين شهادة واخرى. فبينما يعترف وليم كولبي، العمال يوتنظام المنتين في نهاية ١٩٧١ بلند ٢٠٥٧ و ٢٠٥٧ و ٢٠٩٧٨ معتقلا (تبين لاحقا أنهم أبيلوا)، و٢٠١٧ ولوت أمرهم حكومة سايغون، يقول تقرير لجنة تشيرش Church (لعام ١٩٧٦) أن عدد الفتلى من المدنيين بين ١٩٦٨ و ١٩٧٠ و ١٩٧٠ زاد على العشرين ألفا. أما وزارة الدفاع فتعترف بأن عدد الفتلى المدنيين في فيبتنام الجنوبية وحدها كان ٢٣٣٩ بينما بلغ عدد المعتقلين ٣٣٣٥ . ويتحدث روي پروسترمن Roy Prosterman أستاذ القانون في جامعة واشتطن عن نشاطات جانبية لعملية العنقاء خاصة بإصلاح الأراضي في فيبتنام والفيليين والسلقادور فيقول إن عدد ضحايا فيبتنام وحدها من هذه العملية مابين ٣٦٨ و منتصف

يشتبه بانه من القبيتكونغ أو يتعاطف معهم بمعدل ١٨٠٠ ثبيتنامي شهريا على أقل تقدير ٨٠٠ ركب المنتبه بتعاطفهم مع القبيتكونغ أكبر الضحايا فقد كانوا يعتقلون بالآلاف ويقتلون تحت التعذيب. ويروي بارتون أوسبورن أحد ضباط العملية في شهادة له أمام لجنة الكونغرس للشؤون العسكرية لعام ١٩٧٣ صورة نما كان يجري أثناء التحقيق فيقول: وكنت أنظر في قضية مشتبه يقول أحد عملائي إنه متعاطف مع القبيتكونغ. وكان التحقيق يجري في مجمع التجسس المضاد لفرق للارينز. وحين دخلت لمتابعة ما يجري كان الرجل قد فارق الحياة بعد أن دكّوا في فتحة أذنه سيخًا حديديا طوله ست بوصات اخترق دماغه وقتله . لقد كانت حرب إيادة منظمة ٤٠ وقصف مجلة حديديا طوله ست بوصات اخترق دماغه وقتله . لقد كانت حرب إيادة منظمة ٤٠ وقصف مجلة شهده العالم منذ معسكرات الموت المتازق 190 عملية العنقاء بأنها: و أكبر برنامج للقتل الجماعي المنظم شهده العالم منذ معسكرات الموت المتازق 19 عملية العنقاء بأنها: و أكبر برنامج للقتل الجماعي المنظم

في الساعات الاخيرة من وجودهم في قييتنام، وبعد أن القوا عليها ١٤ مليون طن من القنابل، انصب كل جهد الدولة الأميركية على إنقاذ « البيض » . لم يتخلوا عن حلفائهم الثبيتناميين وحسب بل تخلوا حتى عن جنودهم الملونين وعن كل ما ليس بأبيض من المنات من موظفيهم المتجمعين في Hotel Duc والآلاف من عملائهم المحتشدين أمام السفارة . وكان الأمر الصادر من الدولة الأميركية حاسما وواضحا: « انقلوا السادة أصحاب البشرة البيضاء Henry Boudrea اطل من علاه وتفحص skin . وقبل أن تقلع الهيلوكيتر بالقنصل هنري بودرو Henry Boudrea اطل من علاه وتفحص المشودة في مبرك السيارات وقال بكثير من الارتياح: « لم أم أي وجه أبيض هناك ٨٤٤ .

إن أميركا الحديثة منذ ترومن حتى بوش حاولت التوسع في غرب والغرب الأميركي ، وحيثما شاء والقدر المتجلي ، لقد حاولوا التصدي للشيوعية والعوسم الصيني وبسط سيطرتهم على منابع النفط العهبية ، وهم في كل خطوة من هذا التوسع الم يتخلوا قيد أنملة عن السياق التاريخي العنصري والدموي ، كما يوضح دانيال إلسيرغ ٨٥ .

قبل أن يصدر رمزي كلارك Ramsey Clark وزير العدل السابق كتابه عن جرائم أميركا في حربها على العراق ٨٦ كانت الفرقة الجوية القتالية السابعة والسبعين قد أنتجت ووزعت كتاب أناشيد تصف فيه ما ستفعله الفرقة في والخليج ٩ وتنذر هذا والمتوحش القميء ٩ . وخدن الأفاعي ٩ بأن يستعد للإبادة فيما ينتهي أحد هذه الاناشيد بخاتمة تقول: والله يخلق أما نحن فنحرق الجشت يستعد للإبادة فيما ينتهي أحد هذه الاناشيد بخاتمة تقول: والله يخلق أما نحن فنحرق الجشت خليط من السادية والفحش. ومعظمه تشنيع وتشهير وشتائم بذيئة للعرب والمسلمين باعتبار أنهم أعراق منحطة و٩ حشرات ٩ و٩ جرفان ٩ و١ أفاع ٨٧٠ . وقد اعترف نورمن شوارز كوف في عدة مقابلات تلفزيونية بأنه كان يردها معركة نعاء، وأشار إلى أنه كان يخطط لان تكون على شكل معركة كاناي Cannae القرطاجية ٨٨ التي يطلق الطلمان على موقعها اليوم اسم وحقل الدم ٩ . ومن يدري ما ستكشف عنه وثائق هذه الحرب وما تلاها من حصار حين ترفع السرية الكاملة عنهما يومًا يتطاير فيه ستكشف عده وثائق هذه الحرب وما تلاها من حصار حين ترفع السرية الكاملة عنهما يومًا يتطاير فيه الريش مع رؤوس من تبقى من هذا الجنس اللعين ا

كمائن الاتفاقيات

قبل أن يبني جورج واشنطن عاصمته فوق ما أسماه بالسباخ أو المستنقعات الخاوية marshy والتي تبين لاحقا أنها كانت جزءا من مدينة هندية عامرة على ضفاف نهر البوتوماك المضى حياته في الاستيلاء على أراضي الهنود والمضاربة بها وبناء ثروة هائلة وضمته على قمة هرم أغنياءالعالم الجديد. ومن خلال هذه القرصنة العقارية بني واشنطن معظم ملامح سياسته الهندية أغنياءالعالم الجديد. ومن خلال هذه القرصنة العقارية بني واشنطن معظم ملامح سياسته الهندية التي هيأت بعد ذلك لقانون الترحيل القسري. لقد طور أعظم آباء أميركا هذه التجربة الشخصية الناجحة في مشروع قرار يسمح للدولة الفيدوالية الفتية بأن تستولي على أراضي الهنود بسهولة أكبر وكفة أقل. وفي عام ١٩٧٢ وافق الكونغرس على مشروع واشنطن الذي يتلخص بخردقة الأراضي للهندية بالمستوطنين واستدراجهم باستمرار إلى كمين الموت. فالمعروف أن المستوطن في مستعمرات نيو إنكلند كان بحاجة إلى خمسين هكتارا من الأرض لنفسه وخمسين هكتارا آخر كمجال حيوي. وكما أن هذا المجال الحيوي يتحول يسرعة إلى مُلك فإن هناك حاجة لا تنتهي إلى مجال حيوي جديد للمجال الحيوي العراض عشره وكان كل مجال حيوي جديد يحديا عشر إلى شواطىء الإطلسي في القرن السابح عشر إلى شواطىء الإطلسي في القرن السابح عشر إلى شواطىء الإطلسي في القرن التاسع عشره وكان كل مجال حيوي جديد يحتاج إلى نشاط «العامل الطبيم» و معجزات العناية الإلهية وأضرارها الهامضية.

في خطاب معبر يصف الزعيم (الحية الرقطاء Speckled Snake ولشعبه هنود الكريك هذا الزحف اللانهائي للمستوطنات والمستوطنين فيقول: «أيها الاخوة، لقد سمعنا حديث أبينا الكبير. إنه حديث مفعم باللطف. إنه يقول إنه يحب أبناءه الحمر. عندما وصل الإنسان الأبيض من أعالى البحار كان إنسانا ضئيلا جدا. كانت ساقاه متشنجتين لطول مكثهما في جزمته الكبيرة. وكان يستعطفنا ان نعطيه قطعة أرض صغيرة. وما أن وصل حتى أعطاه الهنود الأرض التي يحتاجها وأشعلوا له النار ليدفئوه ويريحوه. ولكن ما أن أحس الإنسان الأبيض بالدفء وانتعش جسده بنار الهنود، وما أن ملا بطنه من طعام الهنود حتى صار كبيرا جدا يناطح قمم الجبال وتملا قدماه يطون الوديان . أما يداه فاستحوذتا على بحار الشرق والغرب. ثم إنه أصبح أبانا الأعظم وأحب أبناءه الحمر، لكنه قال: ٥ يجب أن تنزحوا قليلا حتى لا أسحقكم سهوا». بقدم واحدة لبُطَّ الرجالُ الحمر عبر الاوكوني (مقاطعة في كارولينا الجنوبيةاليوم)، وبالقدم الثانية مسحَ مدننا وقبورَ آبائنا. وفي مناسبة ثانية قال: 8 أزيحوا أكثر، وانزحوا إلى ما بعد الأوكوني فهناك مكان بهيج لكم، ولسوف يكون لكم هذا المكان البهيج إلى الابد ، وهاهو يقول لنا الآن: وإن الارض التي تعيشون فوقها ليست لكم. إنزحوا وراء الميسيسييي فهناك متسع. وهناك تستطيعون البقاء ما نبت العشب وجرت الأنهار ٥. الن يجيىء أبونا الأعظم إلى هناك أيضا؟ [الحطبة ألقيت في ١٨٢٩ قبل اجتياز الميسيسيبي]. إنه يحب أبناءه الحمر ولسانه ليس مشطورا. يا أخوتي، لقد سمعت من الاب الاعظم أحاديث بديعة، لكنها كلها كانت تبدأ وتنتهى : ١ انزح قليلا فأنت قريب مني ٥.

كانت حرب ما يسمى بالاستقلال قد وضعت أوزارها وصار متقاعدوها عبثا اقتصاديا واجتماعيا. وكانت خطة واشنطن ترمي إلى اقطاع أواضي الثغور لهؤلاء الحاربين المتقاعدين، واستثمار طاقتهم القتالية اقتصاديا وسياسيا بحيث يستمر التوسع داخل أراضي الهنود دون الحاجة إلى الجيوش والحرب الشاملة. ومضى الرئيس الذي يشع وجهه من الايقونة المقدسة لورقة الدولار يذكر أعضاء الكونغرس بان هؤلاء المستوطنين ليسوا رجالا عادين بل إنهم أبناء الحروب والمعارك واصحاب تجربة عسكرية وحنكة قتالية تمكنهم من ترويع الهنود وإنزال الرعب في قلوبهم ودفعهم إلى الفرار. إنهم يستطيعون إخماد مقاومة الهنود إذا اختار الهنود طريق المقاومة، ويشكلون ميليشيا عمتازة للدفاع عن «استحقاقات» الولايات المتحدة في بلاد أوهايو ٩٨.

في هذا النقليد الانكليزي العربق الذي يقول ما لايفعل ويعد بما لا يفي اقترح واشنطن عقد سلسلة من الاتفاقيات مع الهنود بهدف الاستيلاء على الأراضي الغنية والمناطق الاستراتيجية اللازمة لامن المسنوطنين في مقابل. . . وعوده . . . بعدم المساس بما تبقى لهم من الأرض. ومن هذه الوعود التي يقدمها المتفاوضون للهنود أن الولايات المتحدة ستفعل ما في وسعها للحيلولة دون قيام مواطنيها بالصيد أو الاستيطان في أراضيهم. هذا يعني أن الأب الأعظم للولايات المتحدة في خطته الرامية إلى تعزيز الاستيطان يقر رسميا بأنه يربد أن يكذب على الهنود قبل أن يفاوضهم، ويؤكد أن الهدف الأول هو خداع الهنود وكسب ما يمكن كسبه على طاولة المفاوضات في مقابل و وعود، يقرر سلفا وعلنا عدم الوفاء بها. ولضمان ذلك يوصى واشتطن بأن تكون وعود المفاوضين شخصية وغير ملزمة للحكومة الاميركية. لقد احلته عقدة الاختيار والتفوق من أي التزام إنساني أو قانوني وأوهمته بأنه يملك حق تقرير الحياة والموت لهذه الكائنات التي لم يستطع أن يراها إلا كما يرى الذئاب. إنه في رسالته إلى جيمس دواين يؤكِد على أن (التوسع التدريجي للمستوطنات ، يقتضي (أن يفر الهدود المتوحشون على اعقابهم كما يفعل الذئاب، فالذئاب والهنود كلهم وحوش مفترسة وإن اختلفوا في المنظر، ٩٠ أوقد تم إقرار خطة واشنطن باجماع اعضاء الكونغرس الذين قال بعضهم إن هذا الاسلوب من الاتفاقيات لن يبقى للهنود في النهاية سوى منعزلاتهم. اما الذين سيحاولون الوقوف في وجهها فإن مصيرهم التهجير القسري أو الإبادة ٩١ . إن الهندي، كما يقول إدموند مورغن في كتابه المذكور عن ٩ العبودية والحرية في أميركا ٩ لايستطيع أن يدافع عن نفسه ، لانه لا يملك حقا يدافع عنه . يكفي ان يفكر في أن يكون له حق حتى يصبح معتديا وحتى تنطلق عفاريت التدمير والقتل من قمقمها. وكانت هذه الخطة التي تم تنفيذها قبل إقرارها رسميا أول تشريع لنظام الترحيل القسري الذي توَّجه الرئيس جاكسون بعد ذلك برحلة الدموع. فبمجرد دخول أندرو جاكسون إلى البيت الأبيض ضمت ولاية جورجيا أجزاء كبيرة من بلاد الشيروكي، وذلك في حيل قانونية طالما استخدمها جاكسون لتبرير اغتصاب أراضي الهنود. وظن الشيروكي أن نزاهة القضاء كافية لإنصافهم فلجأوا إلى المحكمة العليا. وبينما كانت القضية تواجه جدلا بيزنطيا في المحكمة العليا كان اكتشاف الذهب قد جذب أكثر من أربعين ألف مستوطن إلى أراضي الشيروكي بتشجيع من الحكومة . كان العدل يأخذ مجراه فيما كان المستوطنون يصادرون المزارع، ويتملكون الأراضي، ويطردون ويطاردون الشيروكي إلى الغابات، ويتملكون بونانزا أقفرت من أهلها. وأصر الشيروكي على المقاومة السلمية فربحوا قضيتهم في المحكمة العليا بعد أن حكم القاضي جون مارشال لهم باستعادة أملاكهم. أما جاكسون فاعتبر القرار انتصارا للديمقراطية وفصل السلطات ودولة القانون، وقال وهو يحيل قرار المحكمة للتمسيح: ولقد أصدر القاضي مارشال حكمه. وعليه الآن أن يجد من ينفذه 12 هكذا نال الشيروكي بالمقاومة السلمية قرارا تاريخيا من المحكمة العليا انتهى تنفيذه بطرهم من معظم أراضيهم إلى غرب المسيسيبي حيث لم تكن ايدي القدر المتجلي قد طالته أو أعلنت عن اطماعها فيه.

اما الهنود الذين عاكسواانتشار الحضارة ورفضواالاحتكام إلى القانون فسرعان ما تولاهم «العامل الطبيعي، بالطرد والقتل، أو كما يعبر عن ذلك توماس جفرسون بدون مواربة: ولقد أبيدوا. وكان شعب الهودينوسوني Haudenosaunee أول من اكتوى بنار الاتفاقيات، فبرغم حقهم في أكثر من نصف ما صار يعرف اليوم بولاية نيويورك بموجب معاهدة فورت ستانويكس Fort Stanwix لعام ١٧٨٤ فإن حاكم الولاية جيمس كلينتون سرعان ما استلبهم بالشمال ما أعطتهم الاتفاقية باليمين، واضطرهم هم وما تبقى من ١ الأمم الست ع إلى الإنكفاء بالقوة داخل منعزل بور صغير. أما شعب الأونيدا Oneida الذي اطمان إلى الاتفاقيات والوعود وأبلي إلى جانب جورج واشنطن في حرب الاستقلال بلاء والحلفاء ، الخلصين منتظرا عيد الشكر فإن كلينتون تنكر لكل اتفاقياته ووعوده فطرد المسالمين منهم إلى وسكنسون وأما الشاغبون فإنهم انتهوا في معصرة غضب الرب. إن كل ما تبقى من هذا الشعب اليوم اسماء رمزية لمدن لا يسكنونها ومقاطعات وانهار استعصت على أشباحهم٩٦. هكذا أدركت الإتفاقيات من الهنود ما أدركته الأوبعة والحروب المتواصلة، فلم تحض فترة طويلة على خطة واشنطن حتى كان الشمال الشرقي للولايات المتحدة قد تطهر من الشعوب الهندية، وبدأت عيون والقدر المتجلى، تتطلع بعيدا، إلى الغرب من نهر الميسيسيبي حيث انهارت فكرة تخصيص هذا الغرب وطنا للهنود. في أقل من ٧٥ سنة ابتلعت هاوية الاتفاقيات ما يعرف اليوم بولاية ميزوري، وأركنسو، وإيوا، وأتت الإجتياحات على الباقي، فمن لم يمت بالسيف مات بالاتفاقيات. وكان الغزاة في اثناء ذلك قد اجتاحوا تكساس، وضموا أورغون، وأيداهو، وواشنطن التي تخلي عنها البريطانيون بعد حرب الاستقلال لاعدائهم الثوار ورفضوا أن يعطوها لحلفائهم الهنود الذين حاربوا إلى جانبهم وبذلوا دمهم في سبيل تاجهم. وفي عام ١٨٤٨ عندما اجتاحت الولايات المتحدة المكسيك واستولت على كاليفورنيا وأريزونا ونيفادا وأوتاوا ونيومكسيكو وجنوب كولورادو صار غرب الميسيسيين أقتل من شرقه وأطبق الحصار على هؤلاء الأشقياء من كل جانب. في البداية، ظن المستعمرون أن 9 غرب الميسيسيين ٩ هو المزبلة المناسبة للهنود، وأن هذه الصحراء الأميركية التي تتضمن ما يعرف بالسهول الكبري هي المنفى المثالي لتهجير من لم يقطفه سيف المنون. وقد اعترفت الولايات المتحدة في كل الإتفاقيات التي عقدتها مع الهنود في فورت لارامي Fort Laramie عام ١٥٥١ بأن كل ما يعرف بالسهول الكبري هو منطقة هندية ذات سيادة تخص هذا الشعب الهندي أو ذاك، وتعهدت بأن لا تنشىء فيها مستوطنة أو تجمعا سكنيا دائما. لكن اكتشاف الذهب بعد سنوات قليلة في التخوم القريبة من هنود الشايين وتدفق المغامرين بأعداد كبيرة اضطر الحكومة الفيدرالية في ١٨٦١ إلى ٥ فبركة ٤ وثيقة مزورة يتخلى فيها الهنود دفعة واحدة عن ٩٠ بالمئة من أراضي السهول الوسطى. وعندما رفض زعماء الشايين الإعتراف بهذه الوثيقة المزوة وآبرزوا المعاهدة الأصلية التي ما يزال كل الذين فاوضوا عليها ووقعوها على قيد الحياة اتهمتهم الحكومة الفيدرالية بخرق المعاهدة واعتبرت تصرفهم إعلانا للحرب. وسرعان ما تعالت نداءات الإبادة، لكن القائد العسكري سكوت أنتوني Scott J. Antony فضّل سياسة الإبادة بالحصار والتجويع والتدمير الشامل للبنى الإقتصادية الخلازمة للحياة لأنها أسهل من الحرب المسلحة وأجدى وأقل كلفة، ولانها لن تترك أمام الشايين من خيار سوى الهجرة أو الموت جوعا.

ومع اكتشاف الذهب والفضة والثروات الخام هنا وهناك تحت اقدام الهنود تكرر خرق الإتفاقيات في معظم مناطق السهول الكبرى وتعرضت الشعوب الهندية لحرب تجويع شرسة ابيد فيها بين ما أبيد كل احتياطي الجواميس في هذه المناطق المعتدة طبيعيا من حدود المكسيك جنوبا حتى القطب شمالا. أما الذين قاوموا، كشعب السانتي، فاصبحوا هدفا مشروعا لحرب الإبادة، وفعلا فقد وجه شمالا. أما الذين قاوموا، كشعب السانتي، فاصبحوا هدفا مشروعا لحرب الإبادة، وفعلا فقد وجه سيبلي Henry H. Sibley على راس بضعة آلاف من الميليشيا فاعملوا فيهم تقتيلا وتهجيرا، وصادروا كل املاكهم لتغطية نفقات الحملة العسكرية، وساقوا الذين استسلموا منهم، وكانوا في حدود كل املاكهم لتغطية نفقات الحملة العسكرية، وساقوا الذين استسلموا منهم، وكانوا في حدود الألهن، إلى زرائب مهجورة حيث أقيمت اكبر حفلة إعدام جماعية في تاريخ أميركا. ثم أعلنت الولاية عن مكافاة لكل من يأتي بفروة راس لاحده الفارين، و ناستعر صيد الرؤوس لاكثر من سنة إلى انتوج بنصب كمين للزعيم لتل كراو Little Crow المائد من كندا حيث قتل، وتلقى قاتلوه خمسمائة دولار إضافة إلى مكافاتهم، ثم نصبت فروة راسه وجمجمته في مكان عام من سانت بول للذكرى والاعتبار؟ و.

اقتل الهندي واستثن الجسد

لم يدر بخلد الغزاة ان هذه الشظايا التي بقبت من أوطان الهنود تكتنز ثروات باطنية هائلة. لم يحشروهم في هذه المفازات القاحلة من الأراضي ولم يتخلوا لهم عنها (مؤقتا) إلا لانهم ظنوا أنها مجرد ثقرب سوداء يمتص فيها الموت من تبقى من أم الهنود حيث لا يراهم احد ولا يبكيهم احد. كان الحوف من استحالة الإبادة الجسدية الكاملة من أقسى الكوابيس. إن القاتل لا يطبق أن يرى أحدا يشهد. وكان لابد لهذه الإبادة من سلاح آخر يبيد «هندية» الهنود.

منذ ، ١٨٧ و هندية و الهنود تشرب الانتخاب المسمومة . كانت صيحات التذويب الثقافي تواكب حفلات السلخ و تدعو إلى تدمير هذه الهندية وإعادة بنائها بحجارة التاريخ الابيض والدين الابيض والدين الابيض والدين الابيض والدين الابيض المنه البيضاء إن نهب ما تبقى من أرض الهنود لا يتم إلا بتدمير هندية الهنود : ثقافتهم وبنتيهم الإجتماعية التي لا تؤمن بالملكية الفردية . لقد صارت « ثقافة الهنو مضرة بالمصلحة الوطنية ٥٥ وليس هناك عدوان على أميركا أخطر من الإضرار بمصلحتها الوطنية التي قد تشمل كل ما ينظر على باللك بدءا من السطو على حسابك المصرفي (وحياتك عند المزوم) وانتهاء باستشمار آبار نفطك و ثروات بلادك . والتزاما بهذه المصلحة كان لا بد من خلق جديد لهندئ ليس له من هنديته إلا البيولوجيا . لا بد من صياغة جديدة لوعيه وذاكرته وأخلاقه ومسلمات عقله . فإذا تعذر قتل الجسد

لاياس من استبطان الموت، ولا باس به كائنا ممتلقا بالخو ومزينا بالريش، أو تمثالا حجريا منصوبا فوق قبة الكابيتول؛ ورمزا [سادياً] للحرية a. وليعرف هذا الهندي كل شيىء إلا ذاته. وفي هذا الإطار اعتبرت الشعائر الروحية للهنود خطرا وتم تحريم ممارستها. هكذا يمارس الهندي اليوم شعائر روحية . منتقاة باسلوب يتناغم مع المصلحة الوطنية a ومع البرامج السياحية التي ينظمها البيض.

ولكي تؤتى حملة التذويب ثمارها فتقتلع جذور الكراهية غير المبررة من نفوس الهنود وتشرح صدورهم للتحلي عن اراضيهم فقد رفعت شعار مفوض الشؤؤن الهندية فرانسيس لوبFrancis Leupp : إقتل الهندي واستثن السد (حرفيا: استثن الرجل). وكان أنبياء الوول ستريت قد وضعوا مئات الدراسات عن تلازم الصارة والملكية الفردية وعن وحشية وشيطانية هؤلاء الذين لا يؤمنون بها. بل إن مارتن لوثر الذي يعتبر الملكية معيارا للتفريق بين الإنسان والحيوان اتهم القديس فرانسيس الاستيزى بأنه ومختل العقل، طائش، أحمق، شرير ٩٦٥ المجرد أنه كان يطلب من أتباعه أن يتخلوا عما لديهم للفقراء! ومنذ نزولهم في جيمستاون عام ١٦٠٧ لم يستطع القديسون أن يميزوا بين السماء وعجل الذهب: ولقد وجدنا أرضا وأعدة أكثر من أرض الميعاد، فبدلا من اللبن وجدنا 'اللؤلؤ، وبدلا من العسل وجدنا الذهب٩٧٤ . وكان الكونغرس قد أقر في ١٨٨٧ قانونا لتقسيم الاراضي يهدف في النهاية إلى نسف تقليد اللكية الجماعية عند الهنود، واستبداله بتقليد وحضاري متنور 8 يعتمد الملكية الفردية. ويقضى القانون بأن يمنح الهندي قطعة مناسبة من أرض بلاده. أما ما تبقى فيعتبر 3 فائضا ؟ تتصرف فيه الحكومة الأميركية وفقا لمصلحتها، كان تستثمره بواسطة الشركات «البيضاء» ، أو تعلنه محميات طبيعية ومناطق عسكرية . بهذا التزوير المناسب لثقافة الهنود تسيطر المصلحة الوطنية على مئة مليون فدان جديد من أصل ١٥٠ مليون فدان ما تزال ملكا للهنود. كذلك اقتضت المصلحة الوطنية ترحيل أطفال الهنود عن أهلهم وإخضاعهم في أبكر سن ممكنة لغسيل دماغ منظم داخل معسكرات مدرسية اعدات خصيصا لنحت أرواحهم. وتتولى «الهيئات الفنية ، إعادة صياغة ذاكرتهم الجماعية ووعيهم النفسهم وللعالم: هيئات فنية ذات طبيعة بوليسية تمنع على الأطفال أن يتحدثوا بلغتهم، أو أن يمارسوا شعائرهم الدينية، أو أن يرتدوا ملابسهم التقليدية، أو أن يزينوا شعورهم على ما تعود عليه آباؤهم وأجدادهم. بل إنها تقتلعهم نهائيا من عالمهم فتضرب حصارا على كل اتصال ممكن بينهم وبين اهلهم أو أحبائهم (المتوحشين). هكذا تحشى أدمغة هؤلاء الاطفال بكراهية أنفسهم ومجتمعاتهم والشغف بمتابعة غراميات الأميرة ديانا وأخبار اصطبلات جلالة الملكة إليزابيت والاستمتاع بقتل الهنود في افلام الكاوبوي. أما على الصعيد العملي فإنهم يتخرجون عمالا يدويين لا أمل لهم إلا بخدمة «الصلحة الوطنية» فيما قد يعين المتفوقون منهم سدنة لمعابدهم الشريفة أو خبراء في مؤسسات إعلامية . وقد تم تتويج هذا التذويب الثقافي في عام ١٩٢٤ عندما اجبر كل الهنود على حمل الجنسية الأميركية.

وعلى الرغم من نجاح خطّة التذويب في زرع بعض الالغام الثقافية داخل المجتمعات الهندية إلا أنها لم تكسر بنيتها و الاستيزية 9. وظلت هذه الاراضي الفنية بالذهب والنفط والفحم والبورانيوم ملكا مشاعا عصيا على الإختراق. لهذا عززت الولايات المتحدة خطة التذويب الثقافي الكلاسيكية بسلطة إستعمارية داخلية يشبهها الهنود بالتفاحة؛ حمراء الظاهر، بيضاء الباطن. وكان قانون وإعادة تنظيم الهنو Indian ReOrganization ؛ الذي اقره الكونغرس في ١٨ حزيران / يونيو ١٩٣٤ قد أطلق على هذه السلطة اسم دمكتب الشؤون الهندية ؛ والحقها بوزارة الداخلية التي تعنى عادة بشروة الولايات المتحدة من الحيوانات البرية والغابات والانهار والمحميات الطبيعية.

وبالطبع فإن مواد القانون أعطت للهنود شكلا ظاهريا من أشكال الحكم بينما ساعدت خطة التدويب الثقافي على خلق الأمثل للقضاء على التدويب الثقافي على خلق الأمثل للقضاء على هندية الهنود ولسيطرة الولايات المتحدة على ثرواتهم واستغلالها لقاء عائدات رمزية يُستثمر معظمها فر. و اعد التفاح.

ومنذ البداية آراد عضوا الكونغرس اللذان اقترحا قانون وإعادة تنظيم الهنود ووسعي باسمهما ومنذ البداية آراد عضوا الكونغرس اللذان اقترحا قانون وإعادة تنظيم الهنود ووسعي باسمهما Wheeler-Howard Act أن تجترح هذه السياسة الإستممارية الداخلية أكبر معجزات العناية الإلهية وأن تضم اللمسات الاخيرة على خطة الإيادة الشاملة وتتولى تنفيذ سياستها. وفي إطار هذه السياسة تنشط خطة التذويب الثقافي والنجاح في شطب ١٠٨ شعوب من قائمة الشعوب الهندية المعترف الماساعدة على تمقير ٤٢ بالمئة من النساء الهنديات القادرات على الحمل قبل أن تفتضح هذه الجريمة في منتصف السبعينات ويتوقف العمل بها ظاهريا دون معاقبة أحد ومن دون أن يخسر وظيفته أحد. ومن ذلك تحويل الهنود إلى حقول تجارب في الختيرات الطبية والبيولوجية ، بدلا من الفقران كما ومن ذلك تحويل الهنود إلى حقول تجارب في الختيرات الطبية والبيولوجية ، بدلا من الفقران كما المالية استحدامه التسببه في مرض Tinuit تجارب طعم التهاب الكبد الذي منعت منظمة الصحة العالمية استخدامه لتسببه في مرض الجهاز بالى الغلين من هنود الجنوب .

ت. لقد جرب الجلاد المقدس اسلحة صيد كثيرة، لكنه ابدا لم يتخل عن هاجس الإبادة الكاملة. إن إبادة ١٢ مليون إنسان ينتمون إلى اكثر من أربعمائة أمة وشعب جريمة لم يعرف التاريخ الإنساني مثيلا لها في حجمها وعنفها وفظاعتها لكنها جريمة لم تكتمل فصولا ولم تصل إلى غايتها المرسومة.

المعنى الإسرائيلي لأميركا

إننا نقرأ التاريخ لنتعلم من خيرات الذين سبقونا إلى المجاهل، ولنعتبر بتجاريهم وأخطائهم إذا كنا فعلا نحب الحياة ونعتقد باننا نستحق هذه الحياة . إن أميركا ليست إلا الفهم الإنكليزي التطبيقي لفكرة إسرائيل التاريخية، وإن كل تفصيل من تفاصيل تاريخ الاستعمار الانكليزي لشمال أميركا حاول أن يجد جذوره في أدبيات تلك الإسرائيل، ويتقمص وقائعها وأبطالها وبعدها الديني والإجتماعي والسياسي، ويتبنى عقائدها في «الاختيار الإلهي» وعبادة الذات وحق تملك أرض وحياة الغير لقد ظنوا أنفسهم، بل سموا أنفسهم «إسرائيلين» و«عبرانيين» و«يهود» وأطلقوا على العالم الخيد اسم «أرض كنعان» و«إسرائيل الجديد اسم «أرض كنعان» و«إسرائيل الجديدة»، واستماروا كل المبررات الاخلاقية لإبادة الهنود

(الكنعانيين) واجتياح بلادهم من لاهوت إسرائيل.

ولا أنكر أن هناك شيئا من التضليل في الأنسياق وراء قياس التمثيل في دراسة الخوادث التاريخية. لكن السؤال عن وجوه الشبه ووجوه الاختلاف بين حادثتين تاريخيتن يجباب عنه داثما بلاء وبنعم. لكن السؤال عن وجوه الشبه ووجوه الاختلاف، فعلى مستوى معقول من التدقيق والتمحيص في التفاصيل لابد من اكتشاف بعض وجوه الاختلاف، وعلى مستوى معقول من التجريد لابد من اكتشاف بعض وجوه الشبه . و برغم اقتناعي بان وجوه الشبه عديدة على المستويين التجريدي والتفصيلي، يبقى علينا أن نجيب: هل إن السؤال عن المعنى الإسرائيلي لاميركا عمكن، ويستحق العناء؟ وهل إن المستوى التجريدي الذي يكشف عن إسرائيلية اميركا هو فعلا مستوى معقول ويمكن البناء عليه ٩٨٩

إن فكرة أميركا، فكرة و استبدال شعب بشعب وثفافة بثقافة ¢ عبر الاجتياح المسلح وبميروات \$ غير طبيعية ٤ هي محور فكرة إسرائيل التاريخية . وإن عملية الإبادة التي تقتضيها مثل هذه الفكرة مقتبسة بالضرورة _ بشخصيات أبطالها (الاسرائيلين، الشعب الختار، العرق المتفوق) وضحاياها (الكنعانيين . الملعونين، المتوحشين البرابرة) ومسرحها (أرض كنعان ، وإسرائيل) ومبرراتها (الحق السماوي أو الحضاري) وأهدافها (الاستيلاء على أرض الغير واقتلاعه جسديا وثقافيا) _ من فكرة إسرائيل التاريخية .

هذا الاعتقاد بأن هناك قدرا خاصا بأميركا وأن الأميركيين هم الإسرائيليون الجدد ووالشعب المختار الجديد نفي اللغة العلمائية المتارع الجديد يضرب جذورا عميقة في الذاكرة الأميركية، وما يزال صداه يتردد في اللغة العلمائية الحديثة أو ما صار يعرف بالدين المدني Civil Religion. إنه اعتقاد يتجلى لعينيك في معظم المناسبات الوطنية والدينية وفي كل خطابات الندشين التي يلقيها الرؤساء الأميركيون مفاده أن والله، القدار، حتمية التاريخ...الخ ا اختار الامة الأميركية (الأنكلوسكسونية المتفوقة) وأعطاها دور الخياة والمرت والسعادة والشقاء لسكان المجاهل).

ولطالما كانت فكرة الإختيار الإلهي محركا لولبيا في التاريخ الاميركي، ولشد ما أشعلت النيران في الخماسات والمشاعر والبواريد وفي القرى والمدن والجثث في اكثر من أربعين دولة، وعززت القناعة بان لاميركا قدرا أعلى من كل أم الارض، وأنه مهما حل بإسرائيل فوق ارض فلسطين فإن إسرائيل الاميركة تبقى القلمة المحصنة لاعادة بنائها ولقيمها ومبادئها واخلاقها. إن يهرد الروح الذين يمشلهم الاميركية تبقى القلمة المحصدون هم الذين يحملون رسالة وإسرائيل التي تخلى عنها اليوم يهود اللحم والدم، وهم الذين اعطاهم الله العهد والوعد، وهم الذين ورثوا كل ما أعطاه الله تاريخيا ليهود اللحم والدم، لقد اختار الله يهود اللحم والدم موقتا، وبشروط أخلفوها، ولكنه اختار الأمة الاميركية (الانفلوسكسون) مؤيدا، لانها تستاهل الاختيار، ولانه وهبها كل ما يلزمها من قوة وثروة لان تكون و شعب الله عودة وق كل الشعوب» إلى الابد.

منذ الفترة الاستعمارية الأولى كان أطفال القديسين يتعلمون أن مسيرة التاريخ التي ترعاها يد الله الإنكليزي ونعمته أعطتهم دورا خلاصيًا. وكانت هذه الافتراضات تقترن بإيمان قيامي مزدوج الهدف: تجميع يهود العالم في فلسطين للتعجيل بمجيى، للسيح، وتدمير قوى الشيطان التي كانت تتمثل يومقذ بالعثمانيين والكاثوليك والهدود الكنمانيين. وبالطبع فقد وجد بعض السياسيين الانكليز في استعمار العالم الجديد فرصة لتحقيق ما عجزوا عن تحقيقه في وطنهم. وبذلك تأكد لهم أن خروجهم من جزيرتهم يضاهي الخروج الاسطوري للعبرانيين من أرض مصر، ولم يساورهم الشك في اخلاقية استعمارهم وحقهم في إيادة الهنود ومقارنة ذلك كله باجتياح العبرانيين لارض كنعان وتاييد السماء الإبادة أهلها.

كل أدب المستعمرين الأوائل يؤكد على هذه القدرية التاريخية التي نالت ذروة إبداعها في موعظة جون ونثروب الذي أصبح أول حاكم لمستعمرة ماساشوستس والذي سماه كاتب سيرته الذاتية بنحميا الأميركي وكتب عنه كتيِّبا بهذا العنوان تأسيا بنحميا الذي خرج بالعبرايين من سبيهم في أرض بابل وعاد بهم إلى أورشليم فبني معبدها من جديد. وكان ونثروب قد القي هذه الموعظة في الحجاج على متن السفينة الاسطورية أربيلا وأكد فيها على العهد الجديد بين الإسرائيليين الجدد وبين يهوه، وعلى الرسالة التي يحملونها إلى مجاهل أرض كنعان الجديدة: ٥ إننا سنجد رب إسرائيل بيننا عندما سيتمكن العشرة منا من منازلة ألف من أعدائنا، وعندما سيعطينا مجده وأبهته، وعندما يتوجب علينا أن نجعل من [نيو إنكلند] مدينة على جبل city upon a hill [رمز أورشليم الذي يستخدم إلى الآن للدلالة على المعنى الإسرائيلي لاميركا. وقد سمعت بأذني آحر أربعة رؤساء أميركيين يستخدمون هذا الرمز في مناسبات مختلفة: ريغان ، بوش الأب، كلينتون، بوش الإبن]٥٠ في منتصف القرن السابع عشر، ساد الاعتقاد بأن الله عاتب على شعبه الجديد وأن هناك بوادر خصومة عبر عنها ميخائيل ويغل وورث Michael Wiggle Worth أحد أكبر شعراء عصره في قصيدة ملحمية بعنوان «خصومة الله مع نيو إنكلند God's Controversy with New England ندب فيها فشل المستعمرين في اداء واجبهم الرسالي. وتبدأ الملحمة بمقدمة طويلة تصف شيطانية الهنود وظلاميتهم ووحشيتهم وكيف أن هؤلاء العماليق والكنعانيين الملعونين تنطحوا لمحاربة رب إسرائيل ثم انهزموا مذعورين أمام جنوده. وهناك عشرات المحاولات لتقليد هذه القصيدة الملحمية من قبل شعراء ثانويين، كلهم ردوا غضب الله إلى خيانة العهد معه ودعوا إلى تجديده كما فعل العبرانيون

ومع انطلاقة ما يسمى بالصحوة الكبرى The Great Awakening في منتصف القرن النامن عشر تجدد الأمل في أن الله لن يتخلى عن شعبه ولن يهجره، وأن الشمس ستطلع من أميركا لتضييء العالم. وكان جوناثان إدواردس أعظم فلاسفة الاستعمار الانكلوسكسوني في القرن الثامن عشر قد وضع الاسس الفكرية لهذه اليقظة التي ستكون بداية «التجديد الإلهي» لكل الإنسانية. وأكد إدواردس على المعنى الإسرائيلي لاميركا وضرورة أن تصبح أورشليم الأرض (مدينة على جبل city يفسر فيه لماذا ستقوم «مملكة الله» في أميركا ولماذا سينتشر نورها قريبا في أنحاء العالم.

وعلى الرغم من أن (الصحوة الكبرى) جددت فكرة المعنى الإسرائيلي لأميركا، وأكدت على أن

أميركا هي ارض الميعاد فإن ولادة الجمهورية _ على غير المتوقع _ اعطت تصديقا جديدا لهذا الاعتقاد. وإن آلام ولادة الثورة التي ادت إلى الاستقلال ايقظت أبناء المستعمرات على رسالة جديدة في المجاها . كان انتصار الثورة آية على مباركة الله للطموحات الأنكلوسكسونية . لقد تحولت إسرائيل الله إلى جمهورية ، وصار القدر الاستعماري قدرا وطنيا (وكلمة «وطني» او «قومي» في الولايات المتحدة تعني إجماع الجماعات المعرقية والطبقات الاجتماعية المختلفة على ما يريده الزنابيرة البيض، الانكلوسكسون، البروتسانت»، وما تقتضيه مصلحة «ثروة الام». ليس هناك إجماع وطنى أو قومي على قضية لا تخدم الزنابيرة وتفيد ديناصورات وول ستريت).

في كتابه: الولايات الأميركية التي تضطلع بدور بني إسرائيل في المجاهل The American States Acting Over the Part of the Children of Israel in the Wilderness ، بقدم نيكولاس ستريت Nicholas Street صورة عن لهفة انكلوسكسون العصر إلى التوسع الاستعماري بعد النكسات التي أعاقتهم عن نشاطهم الأول . إنه يعيد إلى الاذهان ما كتبه ميخاثيل ويغل وورث في معلقته «خصومة الله مع نيو إنكلند ، حيث أكد بلهجة الوعاظ على أن ما لحق بالنشاط الإستعماري من فتور هو نتيجة حتمية للخطايا والآثام ولإخلاف الوعد مع يهوه. ونبه ستريت إلى أن ظلم فرعون لندن يجب أن لا يحجب العيون عن شرور إسرائيل الله الأميركية، فما لم يتواضع شعب الله لربه، ويتب إليه، ويحافظ على عهده فإنه لن يتحرر من القيد البريطاني ويعبر البحر الأحمر إلى الأرض الموعودة ويحقق استقلالها. وكان وضع الدستور قد شجّع على تاصيل المعنى الإسرائيلي لاميركا كما كتب رئيس جامعة هارڤرد صموئيل لانغدونSamuel Langdon في رائعته اجمهورية الاسرائيليين: نبراس للولايات الأميركية The Repulic of the Israelites, An Example to the American States ، وهي في الأصل خطبة ألقاها في المحكمة العليا. إن قارئها لن يتردد لحظة في الشك في أنه يقرأ مقاطع من سفر الخروج أو التثنية، بل إنه فعلا يفتتح كلامه عن ولادة الدستور بهذا المقطع من سفر التثنية : ولقد علمتكم فرائض وأحكاما كما أمرني الرب إلهي لكي تعملوا بها في الأرض التي أنتم داخلون إليها لتتملكوها. فاحفظوا واعملوا، فتلك هي حكمتكم وفطنتكم في عيون الشعوب الذين سيسمعون عن هذه الفرائض ويقولون: ما اعظم هذا الشعب وما احكمه وافطنه! ... ، والواقع أن كل الرائعة هي شرح واستطراد وتعليق وقياسات تمثيلية بين شريعة موسى والدستور الأميركي وبين الإسرائيليين والامة الاميركية. فالدستور مناسبة للتأكيد على وجه الشبه بين ما نزل على موسى من ٥ الواح ٥ وبين ما نزل على قلب واضعى الدستور. وهي مناسبة للتذكير بان إسرائيل القديمة والجديدة أمة مختارة، باركها الله قديما بشريعة ليس لها مثيل وجعلها ٥ فوق كل الشعوب ٥ نبراسا للعالم عبر كل العصور ٥ ثم أكرمها حديثا بدستور ليس له مثيل وجعلها « فوق كل الشعوب » مثالا يحتذى عبر كل العصور. فإذا تعلم الناس منهم (طريقتهم في الحضارة) رفعوا من شانهم، وإذا استكبروا وأبوا جرّوا على أنفسهم الدمار والخراب (والأضرار الهامشية). هذا نرسيس الاعمى مرة ثانية يحدق في مياه النهر فتلتبس عليه إسرائيل التاريخية بإسرائيل الأميركية، وما جرى في كنعان الفلسطينية بما يجرى في كنعان الأميركية. وهاهو يدير أسطوانه الخروج والعبودية لفرعون مصر وفرعون لندن، ويتذكر بأن الامتين الختارتين لم يكن لديهما جيش لحظة الخروج لكنهما بعد اجتياز البحر الاحمر والخيط الاطلسي أعانهما رب الجنود على دخول كنعان وتملكها وقدمير أهلها. (هذا شعب ... لا ينام حتى ياكل فريسة ، ويشرب دم قتلى (سفرالعدد ٢٤:٢٣) . إن تاسيس مجلس الشيوخ أيضا لبس إلا استمرارا لم المعلم موسى عندما اشتكى إلى يهوه أنه لا يطيق الحكم فامره باختيار سبعين رجلا من الحكماء والرتباء . ولم يجد لانغدون حرجا من القول بان حكومة موسى كانت الاجمهورية وان قبائل إسرائيل كانت تحكمها حكومات محلية لا تختلف عن الولايات الاميركية .

ولم يكن الآباء المؤسسون للدولة الأميركية مثل جفرسون، وآدامس، وفرانكلين، وپاين _ اصحاب الإنجاء المقلاني والمذهب الطبيعي _ باقل حماسة للمعنى الإسرائيلي للأمة الأميركية من الحجاج والقديسين وصاموئيل لانفدون. ومعروف أن فرنكلين وجفرسون كليهما أصر على صورة و الخروج الإسرائيلي و من مصر إلى كنعان كمثل أعلى للنضال الأميركي من أجل الحرية. وفي الرابع من تموز / يوليو ١٧٧٦ (عيد الاستقلال) عهد الكونغرس لفرانكلين وجفرسون أن يضما تصميما لخاتم الولايات المتحدة. أما فرانكلين فاختار رسما لموسى رافعا يده، والبحر الاحمر منفلق، وفرعون في عربته تبتلعه المناه مع شعار رائح في تلك الفترة: و التمرد على الطفاة طاعة لله ٤. وأما جفرسون فاقترح رسما لبني إسرائيل في التيه يرشدهم السحاب في النهار وعمود النار في الليل. وكان الرئيس جفرسون من أبلغ من عدت عن المعنى الإسرائيلي لاميركا. . بل إنه ختم خطابه التدشيني لفترة الرئاسة الثانية بتمبير يشبه الصورة التي القني الميال وأخذ بيدهم من أرضهم الأم ليزرعهم في بلد يفيض بكل لوازم الحياة ورفاه ولميش ٥.

في القرن التاسع عشر صار المعنى الإسرائيلي للأمة الأميركية يتمحور حول التوسع باتجاه الغرب وبسط السيطرة على جيران كنعان و وراء النهر المسيسيبي: المؤابيين والخثيين والاموريين والفرزيين والخويين والمدويين والفرزيين والجويين والمديانيين وبني إسماعيل الذين أسرعت اليهم العناية الإلهية فانبتت في رؤوسهم الريش وسمتهم جميعا بالهنود وأعطت أرضهم وارواحهم لشعب الله. كل هذه الشعوب الهددة، وراء النهر كانت تضم بين جنباتها مهاجرين أو لاجئين من هنود كنعان الجددة، وكان معظمها متحالف مل يكن يدور بخلد فرد منظمها متحالفا مع البريطانيين ومطمئنا إلى وعودهم وصداقتهم، ولم يكن يدور بخلد فرد منهم أن سيوف شعب الله قاب قوسين أو ادنى من رقابهم .

لم يبدأ التوسع باتجاه الغرب إلا بعد أن اشترى الرئيس جفرسون أراضي لويزيانا من ناپليون عام ١٨٠٣ . فهذا التملك ضاعف مساحة الأراضي التي يستعمرها الإنكليز، ووقر الشروط الآمنة للملاحة في الميسيسيين. وفتح الشهية لاجتياح الغرب الاقصى . وكانت سعة والمجاهل الجديدة وغناها بالثروات قد عززت القناعة بمواكبة العمنية الإلهية لتوسع شعب الله، وأن هذه البلاد ما خلقت إلا لكي يتملكها بنو إسرائيل الجدد. ومع تقدم المستوطنين بالبندقية والبلطة والمذابح، واقتضامهم الغرب ميلا بعد ميل ، مضاعف الاعتقاد بالمعنى الإسرائيلي لأميركا وبالإختيار الإلهي للزنابير. وقد عبر ريتشارد نيبر

Helmut Richard Niebuhr عن ذلك في كتابه (مملكة الله في أمير كاThe Kingdom of God inl عن ذلك في America ، بقوله: إن الفكرة القديمة عن شعب الله الأميركي قد أعطت دورها لفكرة الأمة الأميركية المختارة والمفضلة عند الله. ولطالما تناول أدب القرن التاسع عشر توسع أرض كنعان إلى ما وراء الميسيسييي باعتباره خطوة لابد منها لتصحيح مسار رحلة كولوميس إلى الهند الحقيقية المنتظرة منا زمن طويل، وباعتباره أول قطف ثمار لبستان العالم Garden of the World . لقد صار على غرب الميسيسيين أن يستعد لاستقبال والاضرار الهامشية وللحضارة وعاداتها، عادات الانكلوسكسون وثقافتهم أو ما صار يصطلح عليه بعد ذلك باسم «طريقة الحياة الأميركية».

وكانت عقيدة القدر المتجلى Manifest Destiny التي سادت منذ أربعينات القرن التاسع عشر قد أدت إلى بعض الجراحة التجميلية للمعنى الإسرائيلي لأميركا. فالاصطلاح كما يعرفه ألبرت وينبرغ Albert Weinberg في كتاب بعنوان والقدر المتجلى، يعبر عن الثقة الطلقة بالنفس وبالطموحات التي أقرها القدر نفسه بآيات واضحة جلية، بدءًا بآية السفينة التي حملت الحجاج إلى بلبموث وانتهاء بالتوسع غرب الميسيسييي الذي رعته العناية الإلهية. ومن ابرز مبررات هذه العقيدة ما يسمى بنظرية ٥ القضاء والقدر الجغرافي ٤، أو الزعم بأن يد القضاء هي الذي ترسم الحدود الجغرافية للام (لا تعترف الولايات المتحدة، كإسرائيل، إلى الآن بحدود جغرافية لها، وليس في دستورها إشارة إلى ذلك). ومنذ أن أطلق جون أوسوليڤان هذا الاصطلاح في مقالة له بعنوان «التملك الحق» تحول والقدر المتجلى، إلى عقيدة سياسية مفادها أن هذا العالم كله ومجاهل، وأن قدر أميركا (الانكلوسكسونية) الذي لا ينازعها فيه أحد أن تتملك منه ما تشاء من أرض لان ذلك حقها الطبيعي، ولأن إله الطبيعة والأمم هو الذي أورثها هذه الأرض.

وفي هذه العيادة القدرية اجريت الجراحة التجميلية للمعنى الإسرائيلي لأميركا وفكرة الإختبار والتفضيل الإلهي التي بدأت تزايد على عقدة الإختيار الإسرائيلي. فالسبب الأسمى لاختيار الله لإسرائيل هو سر غامض من أسرار يهوه (النص المقدس يقول إن الإختيار تم وفقا لمكيدة اسرائيل بأبيه الاعمى وليس سرا من الأسرار كما يعتقد سوليڤن)، أما الآن مع عقيدة القدر المتجلى فإن الله اختار شعبه الجديد لأمباب جلية واضحة، بسبب تفوقه العرقي وغناه وموقعه الجغرافي ومؤسساته الدستورية والخيرية . . الخ. « لقد تم فك سر الإرادة الإلهية ؛ كما لاحظ ألبرت وينبرغ، وشهدت العلوم الإنسانية ولادة ٥ انثروبولوجيا قدرية ٥ تولي الله فيها توظيف قضائه وقدره في شركة جورج واشنطن للقرصنة العقارية وسلخ الرؤوس.

اجتياح غرب المسيسيبي وتصحيح مسار رحلة كولومبس إلى الهند الحقيقية هو محور قصيدة والت ويتمان «القومية»: معبر إلى الهند Passage to India التي أعطت عقيدة «القدر المتجلي» اعذب معانيها الشعرية. ومن المفارقات أن ويتمان لم 3 يعبر 4 المسيسيبي في حياته ولم يشهد هذا الغرب الذي غناه في قصائد كثيرة من أبرزها وأيها الرواد Pioneer, O Pioneer ، التي تغزل فيها بأبطال اجتياح الغرب الذين خلقوا مصيرا جديدا للعالم. في قصيدة دمعبر إلى الهند ٥ التي نشرها عام ١٨٧١ ومجّد فيها ثلاثة انجازات إنسانية ربطت وأوصال العالم، هي شق قناة السويس، وإنشاء «سكة حديد الهادي»، ومد وخط الإتصال الأطلسي» تحت الماء باح ويتمان بإيمانه بقدر أميركا المتجلي وراء البحار، وقال إن التاريخ البشري كشف عن هدفه الغامض بعد أن وصلت رحلة كولومبس إلى نهاية مطافها. ويرى الأميركيون أن هذه القصيدة تعبر عن ذروة الطموح إلى من جسر إلى الشرق الساحر، وتفسر الإيمان الشائع بان أميركا بدأت تمسك بخيوط التاريخ الإنساني.

بعد وضع اليد على الفيليين وسعار التوسع وراء البحار كتب جوسيا سترونغ Josiah Strong وبين المدر كتبه الرائجه وبلادنا Our Country و إشار فيه إلى الإرتباط العضوي بين القدر المتجلي وبين القدر المتجلي وبين الانكلوسكسون. وبين سترونغ أن تصميم الله لمستقبل الإنسانية يعتمد كليا على الانكلوسكسون باعتبار أنهم هم الذين قدموا الفكرتين الملازمتين: الحرية المدنية والمسيحية الروحية الصافية. ولأن الفرع الأميركي للعرق الانكلوسكسوني هو الذي أعطى هاتين الفكرتين صورتهما الكاملة فقد صارت أميركا هي المؤهلة لان تمسك بمصير الإنسانية. ولكي يحقق الله لاميركا هذه السيطرة على مصير الإنسانية فقد أوكل إليه سترونغ مهمة العمل على جبهتين: في الجبهة الأولى يفدق الله على شعبه الجديد، العرق الانكلوسكسوني، كل مايحتاجه للإمساك بهذا المصير، ويهيىء الميسم الذي سيدمغ المجديد، العرق الارض، وفي الجبهة الثانية يسحّر الله من يعد [ظهور] شعوب الأرض، وفي الجبهة الثانية يسحّر الله من يعد [ظهور] شعوب الأرض لتُدمغ بهذا الميسم ١٠٠٠. (طبعا إن فكرة العرق الانكلوسكسوني كذبة لا يعترف بها علم الأعراق. وكل الخريرة الذين أسسوا لها عرقيا كانوا يشيرون إلى ذلك الخليط المهجن للجماعات البشرية التي تسكن الجزيرة الريطانية من الجرمان والسلت والقايكنغز.. ثم عمموه _ زنبوريا _ على تلك الإخوة الضبابية للناطقين بالإنكليزية من البيض . . . فقط) .

وكان دخول أميركا الحرين العالميتين هو أوسع معبر إلى قدر أميركا المتجلي وراء البحار لدمغ ظهور البرهية بدمغة الانكلوسكسون الحضارية، أو ما صار يسمى في الاصطلاح الاميركي بنظام العالم العالم المديد. وكالعادة في كل حرب فإن الرئيس الاميركي (وكان يومها وودرو ولسون) خرج على مواطنيه ليملن عن ظهور مجاهل جديدة ووحوش جدد هم «الهون الذين خلقوا الشيطان» وليقول إنه لم يورط أبناء الولايات المتحدة في الحرب إلا للدفاع عن الحضارة ضد الهمجية وللدفاع عن ه طريقة الحياة الاميركية » وفي الحرب العالمية الثانية ايضا أعلن الرئيس روزفلت لمواطنيه أن أميركا تدخل الحرب من أجل إنقاذ العالم، ودفاعا عن الحضارة وعن طريقة حياتها.

خلال الحربين كان السياسيون ونجوم السينما والإذاعات والصحف و3 عروض الفرجة > كلهم يمجدون الدرجة و كلهم يمجدون الدور الأميركي 3 الحلاصي» ويركزون على الإختيار الإلهي ووحدة المصير الانكلوسكسوني وارتهان مصير الإنسانية كلها لمصير العرق الانكلو سكسوني المختار ، كما عبّر عن ذلك رينهولد نيبور Reinhold مصير الإمساق في Niebur في مقالته و المصير والمسؤولية الانكلوسكسونية ١٠١ قبل قصف هيروشيما وناغازاكي بالقنابل النووية وتدشين عصر الإبادة من السماء.

بعد أربعة قرون من مواكبة «العناية الإلهية» لحركة التوسع الاستيطاني نحو الغرب أعلن فردريك تيرنر Frederick Jackson Turner أحد أبرز فلاسفة «الثغور» أن «الجبهة القارية» الداخلية انتهت ووضعت أوزارها، وبانتهائها ختمت أميركا حقبتها التأسيسية اللازمة للتوسع وراء المحيط ولبناء إمبراطوريتها الكونية. وعندما نشر كتابه ومشكلة الغرب The Problem of the West اكد على أن المرب كانا أساس النماء الاقتصادي الأميركي، ولابد لاستمرار هذا النماء من استمرار التوسع والحرب كانا أساس النماء الاقتصادي الأميركي، ولابد لاستمرار هذا النماء من استمرار التوسع وعدم إطفاء نار الحرب. ودعا تيرتر إلى شق قناة لهذا التوسع عبر المحيط والاستفتاح بضم الجزر والبلدان القريبة. إنها حتمية الولادة الابدية للمحياة العرب عبد المسلم المناس ال

لقد نجا شعب الله الجديد من ظلم فرعود وخرج إلى كنعان الجديدة فقهر قديسوه مجاهلها. وظل الغرب يفر أمام زحوفهم ويتراجع حتى لم يبتى أمامهم من غرب، وإلى أن صار عليهم أن يخترعوا الغرب على أمام زحوفهم غربا ولو في أول الشرق. تلك هي وجبهة القتال ٤٠ ابرز ثوابت التاريخ والنماء الأميركي كما لزحفهم غربا ولو في أول الشرق. تلك هي وجبهة القتال ٤٠ ابرز ثوابت التاريخ والنماء الأميركي كما كناه أحد أبرز مؤرخي الولايات المتحدة في القرن العشرين. إنها الآية التي ورث بها شعب الله أرض كنان ، وإنها التجربة الحية والمستمرة لفكرة أميركا؛ وفكرة استبدال شعب بشعب وثقافة بنقافة ٤. منها بنى المستعمرون لحم أكنافهم واقتصادهم القائم على ٤ حتى النهب ٤ والفردية المتوحشة، وبها رفعوا صبح مدنهم على أنقاض المدن الهندية وسوروا حداثقهم بعظام الهنود. لقد كانت هذه والجبهة ٤ المتقدمة دائما الوجه السحري لاسطورة أميركا حيث كتب القضاء والقدر للحضارة أن تنتصر على الشيطان، وللخير على الشرء ولله على الشيطان، وللنسامح على التصب، وللحب على الكواهية، ولإسرائيل على كنعان.

صحيح ان كل الشعوب تُفرغ اعداءَها من إنسانيتهم لأصباب مختلفة وباشكال مختلفة. لكن قديسي شعب الله الإنكليزي جرّدوا ضحاياهم من إنسانيتهم قبل ان يروهم، وكرهوهم وحكموا عليهم بالموت قبل أن يشرعوا سفنهم إليهم. إنهم لم يستطيعوا ان يروهم في مكانهم او في زمانهم أوعلى حقيقتهم. لقد اخترعوهم من أساطيرهم وشحم غرائزهم ونحتوهم من مركب زواحفهم ٢٠١ وتعصيهم المقدس، وراحوا يعيدون الله ويقتلون ضجرهم يتكسير هذه الدمى.

وكان المكان (كتمان) في ذلك الغرب لا يختلف عن هذه الصورة، إنه اختراع، وهو مثال في المدهن مستمد من شبكة معقدة من الجنون الديني ووظائف الاعضاء، فارة تلتقمها الافعى بلقمة واحدة. هنا في هذا الفضاء السحري لكل مكان جديد وثفر جديد خضعت أخلاق كراهية الكنعائيين لجالة استبلاد جديدة من الذاكرة ومن نظام الهذاء البارانويي ومن وحشية و ثروة الام ٤، ومن الغرور المدون عميقا في طبيعة المقدس نفسه . المقدس الذي لا يتعمد إلا بالدم: وهوذا شعب . . لا ينام حتى ياكل فريسة ويشرب دم قتلى ٤ . ولقد صارت هذه والاخلاق الإبادية ٤ بتفاقها وبسماتها الانكليزية المسمومة وعقيدة وأبديولوجياء بل صارت النواة الصلبة للقومية الاميركية التي ما تزال تخصب الادب والشن والسينما وصناعة الجريحة والموت وتعطي أوضح صورة لمفهوم الاميركي عن نفسه وعن العالم.

هذه الاخلاق الإبادية التي ضربت جذورها في عقدة الاختيار وكراهية الكنعانيين، ورافقت بناء

أميركا لحِظة لحظة وجبهة بعد جبهة، هي التي جعلت و الأميركيين يعتقدون اليوم كما كان أجدادهم المستعمرون الأواثل يعتقدون قلبهم بان لهم الحق المطلق في أن يقتحموا أي غرب ١٠٤٥ في أي مكان من الأرض. إن ميتافيزيقا و اقتحام الغرب التي نسفت نظام البوصلة وأعدت العصر الذهبي لنظرية الإنكليزي مالثوس جعلت الغرب الأميركي في كل الجهات وفي كل الأرحام. إنه و الغرب الالانهائي، اللامكان، وإنه كل مكان، إنه فضاء الزنابير، الفقب الاسود الذي يمتص كل شيء، الأرض التالية، وراء الجابهة التالية، وراء الجابة التالية، وراء الجابة التالية، وراء الجابة عنا، نحن الكنمائيين على الحقيقة ٢٠٥ ما يزالون يعيش وإن

الحواشى

١- ظلت مؤسسة سميشونيان Smithsonian التقافية الرسمية لفترة طويلة تصر على الزعم بان عدد سكان اميركا الشمالية عند وصول كولوميس ثم يتجاوز المليون. ومع تزايد الاحتجاجات تبرعت المؤسسة بمليون إضافي وقفزت بالرحة الأول ولا الغاني يستند إلى دراسة علمية ، بل كانا أشبه يضربه الشرد. ويعتقد لمراسيس جننغر Francis Jennings الرئيس السابق للجمعية الأميركية للدراسات العرقية والمدير السابق لمركز تاريخ الهنود الأميركية للدراسات العرقية والمدير السابق لمركز تاريخ الهنود الأميركية للدراسات العرقية والمدير السابق لمركز تاريخ ومعظم ما يمالله منين وموانف كتاب واجتباح أميركا Brancis Agricultural Archaenkogy ومعظم ما يمالله المشرين بدات جامعة كاليفورنيا في بركلي بإجراء أبحاث تعتمد على ما يمكن تسميته بعلم الآثار الزراعي Agricultural Archaenkogy خلصت منها إلى ان عدد سكان أميركا في زمن كولوميس كان يزيد على مئة ملبون. ويتطبيق هذه التقنية على الشمال الأميركي توصل هنري دوبينز Henry F. Dobyns في كتابه وارقامهم التي هزلت .. Became Thinned: Native American Population Dynamics in Eastern North America العدد كان في حدود ۱۲ مليونا، بينهم و ۱۸ مليون في اراضي ما يسمى اليوم بالولايات المتحدة الأميركي.

 إصمنف دوبينز في المصدر السابق انواع الحروب الجرثومية الشاملة التي تصرص لها الهينود خلال القرون الاربعة
 الماضية والتي صرنا تملك معلومات عن ٩٣ وياء شاملا منها كالتالي: ١٦ جدري، ٤ طاعون، ١٧ حصية، ١٠ انفلونواء
 و٥ ٢ سل ودفتريا وليفوس وكوليرا. وقد كان لكل من هذه الحروب الجرثومية آثار وبالية شاملة تجتاح مساحات شاسعة من الاراضي من فلوريدا في الجنوب الشرقي إلى اورغون في الشمال الغربي.

٣- تعترف مصادر التاريخ المنتصر بهذا العدد من الام والشعوب الهندية وإن كانت نقلل من عدد افرادها، غير ان الابحاث التاريخية تقول إن هذا الرقم شديد التواضع وان انما هندية كثيرة غير هذه الاربعمائة المعترف بها قد محيت من فاكرة البشر. فغي عام ١٨٢٨ مثلا سافر عالم الاحياء الفرنسي جان لوي برلانديه Jean Louis Berlandier عبر تكساس ولاحظ ان الـ ٥٦ امة هندية التي تم العمرف عليها من قبل بعثة لاسال E Salle قبل حوالي ، ١٥ منة ابيدت تكساس ولاحظ ان الـ ٥٦ امة مندية التي تم العمرف عليها من قبل بعثة لاسال نحين كان لاسال في نها أن لامرال في لويزيانا عام ١٩٨٢ مثلا وضع أكثر من علامة استفهام حول الخرائط والحوايات التي تركتها بعثة دوسوتو De Solo).

- طويل. إنظر Jean Louis Berlandier في كتابه المعربيل. إنظر ١٨٣٠ The Indians of Texas in من ٧٤،
- . ۲. ص . The Holocaust and Mass Death Before the Modern Ages في كتابه Steven T. Kat Z $\,$
 - ه_ راجع Leitch Wright . J في كتابه The Only Land They Knew ، ص ٧٨.
 - Feenie Ziner _- ني سيرة حياة Squanto ص١٤٧.
 - ٧- الرسالة منشورة في Letters from New England بتحرير Everett Emerson ، ص ١١٥-١١٦ .
- ٨ ــ راجع Thomas Morton في New English Canaan ، ص ١٣٣ . والجلجلة أو والجلجئة و كلمة آرامية تعني
 الجمجمة ، أو تل له شكل الجمجمة ، وهو المكان الذي صلب فيه السيد المسيح.
 - 4- William Bradford في Of Plymouth Plantation ، ص ۲۷۰-۲۷۰ .
- ۱ Cotton Mather)، في مجموعته الكبيرة Magnalia Christie Americana ، ص ۸۹ . وهي من مصادر هذا المحث الأساسية .
- ١١- راجع عن خطف الاطفال James J. Rawls في James J. Rawls من ٢٩-٩٦، وعن تصريحات الحاكم دورنت والسياسة الرسمية تجاه الهنود Albert L. Hurtado في Arloria في Frontier Frontier. ص ١٣٤٤.
- ١٢ النسب منشورة في دراسة عن ضحايا الشيروكي أثناء رحلة اللموع كتبها Russel Thornton في مجلة به The في مجلة التسب منشورة كي فغي كتاب للمؤلف نفسه بعنوان The . 1945 أما النسبة الخاصة بالشيروكي فغي كتاب للمؤلف نفسه بعنوان Cherokees: A Population History من ٧٥.
 - ، ۱۲ نص The Historical Sketch of the Cherokee نص James Mooney -۱۳
- £ ١- يحصب نقديرات Preston . H . S و Pyan Johanson في مجلة Social Science History، العدد ٣٠، سنة ١٩٧٨ .
 - ه ۱ ـ راجع Karen Ordahi Kupperman في كتابها
- ص 3 Settling With the Indians: The Meeting of English and Indian Cultures in America. ۱۷۹ وبؤكد ذلك أيضا The March of Democracy المجلد الأول، ص ١٦٢، وكذلك James Loewen في كتابه James Loewen في كتابه Lies my Teacher Told me
- American Slavery-American Freedom: The Ordeal of Colonial في تحليه Edmund Morgan ١٦ ٤٢-١- المشخصات ٢-١٤.
- 14 البيان منشور في لندن باسم Bdward Waterhouse تحت عنوان A Bdward Waterhouse Colony and Affairs in Virginia
 - ۱۸- انظر کتاب مورغن American Slavery-American Freedom، ص ۹۹،
- ۱۹ انظر Robert Beverley می The History and Present State of Virginia روقد (Robert Beverley می ۲۳۲ ، وقد نشر هادا الکتاب لاول مرة في عام ۱۹۶۱ ، وأعادت طبعه جامعة کاروليتا الشمالية، شايل هيل، عام ۱۹۶۷ ، وانظر في قصة را کتاب James Axtel بعنوان After Columbus ففيه فصل کامل عن إمبراطورية يوهانن.
 - . ٢- Edmund Morgan في كتابه American Slavery-American Freedom . راجع الصفحة ٢٣٣.

The Lord was as if were pleased to say unto us, The Land of Canaan will I give unto thee ۲۲ وهما ينطلقان and strangers in it is sthough but few . وكان يردد نبوءة توماس هو كر Thomas Hooker وهما ينطلقان طرب البيكر : يجب ان يكونوا خبزنا فناكل حتى التخمة in راجع Richrd Drinon في Facing West س ۲۲ به ۱۹۷۹.

. Richard Drinon - y 8 م ۳۳۱، وفي ص ۲۵، ونص تشبيه الهنود بالذثاب من رسالة كتبها واشتطن إلى جيمس دواين في 1/ ايلول /سيتمبر ۱۷۸۳،

ه ٧- للصدر السابق ٣٣١. ولايد هنا من ملاحظة أن التاريخ للنتصر يتفادى استخدام كلمة مدينة أو شعب أو أمة تماشيا مع سياسة والارض الخاوية ع، ويغضل عند الاضطرار إلى استخدام كلمة قرية أو قبيلة.

ـ ۲۲ - الصدر السابق، راجع الفصل الخاص عن جفرسون بعنوان وطرد الهنود إلى جرود جفرسون ، من ص ٩٩-١١٦. Frna Gunther - ۲۷ فر كتابها

Indian Life on the North-West Coast of North America as Seen by the Early Explorers and Fur Traders During the Last Decade of the Eighteen Century, $\forall\, \xi$, ρ

. OFArms and Men: A History of War, Weapons and Aggression في Robert O'Connell بصراحه والمجتاب والمحتاب دراسة لملاقة نظام القيم الاخلاقية والإقتصادية بنوع الاسلحة التي تستخدمها المجتمعات في حروبها، ويعتبر مدخلا مهما لتفسير الاستخدام الانفلو سكسوني المفرط للاسلحة الجرثومية بشكل خاص ولاسلحة الدمار الشامل بشكل عام.

. ۱۷۰ مر Of Wolves and Men في Barry H. LopeZ - ۲

Francis Jennings_۳۱ في Tracis Jennings ، ص ۲۰۸–۲۰، وقصة أولدام يمكن متابعتها بتفصيل اكبر في كتاب ريتشارد درينون Facing West .

۲۲ راجع الاخوين The Effect of Smallpox on the Destiny of the Amerindian ، ص 24 -۶ و للمزيد من المعلومات حول سلاح الجدري راجع Ola Blizabeth Winslow غي

A Destroying Angel: The Conquest of Smallpox in Colonial Boston,

٣٣- هذه أكثر التقديرات تواضعا لمدد الضحايا . راجع Evan Connell في Son of The Morning Star ، ص ١٦ .

The Destruction بتاريخ ٦ مارس /آذار ١٨٥٣، كما في كتاب Robert Heizer بعنوان ٢١٥٥ مارس /آذار ٢٠٥٠

. You ... the Californian Indians of

٣٥ المقالة منشورة بتاريح ١٠ تموز /يوليو ١٨٦٠، وهي كذلك مذكورة في للصدر السابق عن تدمير هنود كاليفورنيا ص ٢٥٣-٢٠٥

. The Theft of Life بمنوان Gayle Jarvis ، مقالة Akwesasne Notes بمنوان Akwesasne Notes

۷۷- انظر مقالة Helen Timkin Greene ني Helen Timkin Greene عدد نيسان/ أبريل ۱۹۸۱.

، ۱۸۰-۱۸ می ۱۸۰-۱۸۰ British Colonial Theories ني Claus Knorr ۳۸

۳۹ – راجع Howard Mumford Jones في كتابه

O Strange New World: American Culture—the Formative Years. ۱۹۹ ص محالة مستادة الإيداد عن اتهام الإنكليز للإيدائدايين وغيرهم بالوحشية راجم مقالة Nicholas P. Canny بالوحشية راجم مقالة William and Mary المسلسلة المسلسلة الانالية العدد ٧٠٠ ، ١٩٧٣ .

د Early Anthropology in the Sixteenth and the Seventeenth Centuries في Margaret T. Hodgen - ٤٠. من ق ١٤٠.

Thomas F. Gossett - ٤١ . في ذروة الحماسة Race: The History of an Idea in America ، في ذروة الحماسة لعقيدة القدر المتجلى عارض كثير من الزنابير سياسة التوسع إلى الفيلييين. وعلى الرغم من عميق إيمانهم بحق أميركا في أن تحكم العالم فإنهم رفضوا ضم ٤ أمة منحطة ذات بشرة داكنة ٤ مثل الفيلييين خوفا من التلوث العنصري. وكان الجنرال جاكوب سميث في عام ١٩٠٢ قد قدم مثالاً على هذا التطهر العرقي حين اجتاح جزيرة سمار Samar الفيليبينية واباد كل ذكر فيها فوق العاشرة. ويومها، عبر تشارلز فرانسيس آدامس عن ذلك والتطهر العرقي وبكل صراحة عندما أشار إلى 8 الإبادة الأميركية للهنود الحمر كدرس يجب الاعتباريه وتذكره في مثل هذه المناسبات، لأن هذه الإبادة برغم قسوتها انقذت العرق الانكلوسكسوني من التهجين؛. راجع Christopher Lasch في The World of Nations: Reflection on American History, Politics and Culture ، ص ۸۸ . في هذه الكلمات القليلة التي قالها الديبلوماسي الأميركي (ابن الرئيس جون كوينسي آدامس) نرى شبحا مخيفا للمبررات العرقية للإبادات المقبلة، فبالنسبة لهولاء الذين أعمتهم عقدة الاختيار الإلهي والتفوق العرقي وظنوا أن وطريقتهم في الحياة، التي امتزج فيها بارود التفوق بوحشية النظام الراسمالي يجب أن تكون بديلة عن الحياة نفسها فإن الإبادات المقبلة لعناصر أو أعراق كاملة من والمنحطين، يعتبر حلا ناجعا للخلاص من التلوث العرقي والتهجين، وويل لمن تلده أمه في المجاهل. ولأن المتوحشين هم المسؤولون عن إبادة المتحضرين لهم فقد كتب فرانسيس باركمن Francis Parkman أشهر مؤرخ أميركي في عصره أن الهنود الذين وصفهم بأنهم وبشر وذئاب وشياطين في آن ٥ قُنتر عليهم أن يتلاشوا قبل أن تتقدم موجات الحضارة الأنكلوسكسونية . . . إن الهندي في الواقع هو المسؤول عن الدمار الذي لحق به لأنه لم يتعلم فن الحضارة، ولا بد له هو وغابته من الزوال. والأمر يستأهل، راجع كتاب باركمن The Conspiracy of Pontiac and the Indian War After the Conquest of Canada ، مجلد ١، ص ix و ٤٨ . ﴿ وَالْأُمْرُ يَسْتَأَهُمُ It's worth it) هي العبارة التي استخدمتها مادلين أولبوايت حين سئلت عن رايها في مقتل مئات آلاف الأطفال جراء الحصار الهولوكستي الذي تفرضه الولايات المتحدة على أهلنا في العراق.

- The Aberdeen Saturday Pioneer ٤٢ ، ١٨٩١ ديسمبر ١٨٩١
 - در کتابه Charles A. Eastman Ohiyesa ٤٣

From the Deep Woods to Civilization, 117-111 . . .

- Fourteenth Annual Report of the U. S. Bureau of Ethnology إ الجزء الثاني، ص ٥٨٥
 - ه ۲- The Aberdeen Saturday Pioneer ، ه م كانون الأول / ديسمبر ۱۸۹۱ .
- John Underhill ــ بع Arber and Bradley ، ص ۶۰ ، و Arber and Bradley نسي Travels and نسي Arber and Bradley فسي المنافقة . « كانام المنافقة المنافقة
- ٤٧ راجع هذه الشهادة عند Thomas Budd ني كتابه Thomas Budd في كتابه Thomas Budd مناه الشهادة عند Thomas Budd في ٢٢٠.
 - Ruth Benedict ٤٨ في كتابها Patterns of Cultures ، ص ٣٦ .
 - George B. Grinnell ٤٩ في American Anthropologist ، المدد ١٢ (١٩١٠) .
 - ، هـ ٦ م الم In Search of the Primitive: A Critique of Civilization م ٦ م ١٥٥ م ١٥٠ م
 - ، ص ۷ ،News From America في John Underhill من ۷
 - ۲ هـ John Mason نی

م A Brief History of the Pequot War. ٩

- So Dreadful a Judgment: Puritan Responses to نهي Richard Slotkin and James K. Folsom منهي Richard Slotkin and James K. Folsom منه المالة الما
 - . YYY .- The Invasion of America 0 1
 - ه ٥- راجم درينون ني Facing West, ص ١ ه ١ .
 - . ۱۷۲ في Cour Brother's Keeper: The Indian in White America من ۱۷۲،
- Lawrence Stone و ۱۹۸۰، من ۱۹۸۰، The Family, Sex and Marriage in England, في Lawrence Stone ما كلي المديد Black Hills, White Justice the Sioux Nation Versus the United States,
 - . 17. The Invasion of America -09
 - ۱۰- راجع Clifford Shipton في Sibley's Harvard Graduates، مجلدة ص ۲۰۶ و ۱۷۷:۷.
- The European and the Indian: Essays in the تنهم عن السلخ في Zames Axtel في مقالته عن السلخ في ٢١٨ . Ethnohistory of Colonial North America ، ح. ٢٢٨ .
 - Peter S. ScmaltZ = ٦٢ في The Ojibwa of Southern Ontario ، راجع ص ٩٩ ١٠١
- ٦٣- هناك كثير من اللوحات التاريخية التي تخلد صورة و وزل ه في مشاهد بطولية مختلفة. وهناك مقاطعة County في 8 وست فرجينيا باسمه، وكذلك هناك طريق عايرة للولايات باسمه. وماتزال كهوفه وموقع بطولاته محجنا للأميركيين. لوزل الآن اكثر من عشرة مواقع احتفائية على الإنترنت وهناك، لمن ازاد الاستفاضة في سيرته، عجدا للأميركيين. لوزل الآن اكثر من عشرة مواقع احتفائية على الإنترنت وهناك، لمن ازاد الاستفاضة في سيرته، عضها: كتاب Clarence Brent Alman بمنوان: The Life and Times of Frontier Hero. و كتاب Cicil B. Hartley بمنوان: The Life and Times of Frontier Hero

. 49,00

. Ranger

-75

"still reeking with the blood of those unhappy victims [as being] in rapture of . . . ".

راجع اليوميات في

العدد ٩, ١٨٨٦ ع ص ١ ٠ ٥ - ٢ - ١ Michigan Pioneer and Historical Collection.

٥١- راجع هذه المآثر الإلهامية عند Ian Paden في The Fighting Elite: U.S. Rangers) ص ٢٥-١٦ ص

٦٦- لمزيد من هذه المذابع التي كانت ملطات كاليفورنيا تشرف عليها رسميا او تتعاقد مع شركات خاصة بخصوصها راجع Lynwood Carranco and Eastle Beard في Lynwood Carranco and Eastle Beard من of Northern California.

المراجع John Sugden في John Sugden، من ١٨٠، ص

. The Conquest of the New World, American Holocaust في David E. Stannard -- A. Sand Creek and the Rhetoric of Extermination: A Case Study in Indian- في - David Svalsi- 19 في - Valid المستحدة من هذا الكتاب ومن White Relations عنها الكتاب ومن White Relations بعنوان 19. ومعظم الشهادات والمعلومات عن مذبحة سائد كريك مستحدة من هذا الكتاب ومن كتاب عنوان Stan Hoig بعنوان The Sand Creek Massacre ومن المنافن والقلالين، الدورة الفائية لما Stan Hoig بعنوان Hoigt، المنافزة المنافزة لما 19. ومنافزة المنافزة المنافز

، ٧-< المابق

٧١ - المبدر السابق

٧٢– الصدر السابق

٧٢ - المصدر السابق

٧٤ - الصدر السابق

ه ۷-Svaldi ، ص ۲۹۸ .

Thomas G. Dyer -- yn في كتابه عن روز قلت Theodore Roosevelt and the Idea of Race ، وعن رأيه في الاعراق للنحطة وضرورة الكامل لإشادة الرئيس روز قلت بمذبحة ساند كريك في ص ٢٩٨-٣٩٩ . وعن رأيه في الاعراق للنحطة وضرورة تصفيتها. انظر ص ٨٨-٩٨ و ٥٩-١٦٤٩ .

۷۷ ـ انظر Stan Hoig في ملحق كتابه Stan Hoig

John W. Dewer _ بانظر الصفحات John W. Dewer _ ۷۸ نظر الصفحات ، War Without Mercy, Race and Power in the Pacific War

٧٩ - الصدر السابق ، ص ٢٤ -- ٢٥ .

. ١٩٦ من . Iron Cages: Race and Culture in 19th-Century America في Ronald T. Takaki هر. ١٩٦

Drinnon _ ٨١ من ٤٤٨ .

٨٢ - المصدر السابق ٢٦٩و ٤٤٩ .

٨٣- انظر H. Frazier في Uncloaking the CIA ، ص ٩٧ . وللإطلاع على تفاصيل هذه العملية وعدد ضحاياها من مصادر مستقلة انصح بقراءة الكتب الخصمة التالية التي اعتمدتها هنا : .

Seal!: From Vietnam's Phoenix Program eiMichael J. Walsh, Eric Tobias and Greg Walker - 1 to Central America's Drug Wars: Twenty-six Years with a Special Operations Warrior

The Phoenix Program i Douglas Valentine _Y

The Advisor: The Phoenix Program in Vietnam في John L. Cook- ٣

Ashes to Ashes: The Phoenix Program and the Vietnam War في Dale Andrade _ 1

ه - Stalking the Vietcong: Inside Operation Phoenix, a Personal Account في Stuart A. Herrington و المخلفاء و و الخلفاء و و الحلفاء و و الخلفاء و و الحلفاء و و الحلفاء و و الحلفاء و و الخلفاء و و الحلفاء و و الحلفاء و و الحلفاء و و المخلفاء و

. 110 - Facing West -Ao

The Fire This Time: U.S. War Crimes in the Gulf - A1 وفيه تفصيل واف لهذه الجرائم التي توجتها الولايات المتحدة وشركاؤها الاياشي بقتل حوالي مليوني عواقي جوعا وموضا بعد التدمير المتعمد لكل أسباب الحياة ومقومات البقاء.

۸۷- راجع زاویة Christopher Hitchens في ۱۳، The Nation شباط فبراير ۱۹۸۹.

٨٨- راجع النيويورك تايمز (٢٨ تافار / مارس ١٩٩١). وتعتبر حرب كاناي (٢٠ تاق. م) التي شنها هانيبال وحلفاؤه الافراقة والفال وغيرهم على الرومان في جنوب إيطالها من ابرز الرموز المسكرية لحروب الإفناء. إن مكان المعركة التي يسميه الطلبان Campo di sangue رحقل الدم) هو التمبير الحقيقي عن طبيعة هذه الحرب الأميركية على العراق مباشرة، وعلى الأمة العربية وقضية فلسطين بشكل غير مباشر.

Allan W. Eckert - ۸۹ في The Dark and Bloody River ، ص

. Richard Drinon_9 ،

Eckert -- ۹۱) ص ٤٤١ .

٩٢ ـ لمزيد من المعلومات حول كمائن الإتفاقيات، ١٠ حع Georgiana C. Nammack في

Fraud, politics, and the Dispossession of the Indians; the Iroquois Land Frontier in the Colonial Period

Dee Alexander Brown _97 في الم الم Bury My Heart at Wounded Knee ص، ١٠.

٤ إح هناك مشكلة اصطلاحية مع تسعية كل الام والشعوب الاميركية بالهنود. فالاصطلاح منذ يومه الاول كان تتيجة الظن الكاذب بان كولوميس وصل إلى الهند، ثم إن جزافية هذا الاصطلاح صهرت الاختلافات الثقافية لاكثر من أربعمائة امة وشعب بدائي ومتطور في مصهر هذا الإسم الظني. إن هذا لا يختلف من تسعية كل الشعوب الاوروبية باسم والصنيين و مثلا، أو تسمية كل الام التي تعيش في آسيا باسم والمقايكنة ود. لقد وضعت عقلية الإبادة أول معجم أورولي دارج في التاريخ البشري حين سلبت هذه الام المتلفة اللفات والعادات والثقافات والديانات

خصائصها، ودمفتها حدمة المواشي - بخاتم الهند، إن عقلنا البشري البوم يقف عاجزا أمام آكبر كذبة اصطلاحية عنصرية في تاريخ الإنسان. لقد فرضها التاريخ المنتصر مسلمة لايمكن للمقل تخطيها أو تجاوزها دون أن يجد صعوبة في الفهم والتواصل. اليس هذا ما كان يمنيه متلر بقوله وإن حظ الكذبة في التصديق يزداد طردا مع ازدياد حجم هذه الكذبة وي إن ميثاق الإيادة لعام ١٩٤٨، يقول فيما يقول: والتسبب في إزالة ثقافة من الرجود هو عمل من اعمال الإبادة The causing of any culture to cease to exist is an act of genocide . يكن يهادة لثقافة واحدة بل لاكثر من اربعمالة ثقافة مختلفة المستوى. إن خطر سابقة هذا الإبادة الثقافية انها اصبحت مثالا يمكن احتذاؤه في كل المناطق الحاضمة أو المرضحة للغزو والإجتياح الحضاري.

9- من رسالة كتيها مفوض الشؤون الهندية شارلز بيرك Charls Burk إلى السناتور الجمهوري وليم وليمسون William Williamson في ١٢ آيلول/سيتمبر ١٩٢١ .

٩٦ – الشاهد من Richard Schaltter في Richard Schaltter من ٨٨٨ ص

A lande that promises more than the Land of promises: In steed of mylke we fynde pearl. - ٩٧ گل و golde Inn steede of honye گه / . من رسالة كتبها سير وولتر كوپ إلى لورد ساليزبوري بيشره فيها بسمادة الدين والدنيا. راجع Philip L. Barbour نهي Philip L. Barbour نوبيدا . ١٦٠٩-١٦٠ وميلد ١٦٠٥ من ١٨٠٨ . وفي الرسالة إشارات عديدة إلى الاوبئة لشي نشرها الإنكليز في هذه المنطقة .

- Thomas Morton في New English Canaan ، وهي من للصادر الأساسية لهذا البحث.
 - Magnalia Christi Americana Cotton Mather -
- Jonathan Edwards في Jonathan Edwards و Jonathan Edwards و المعتبر : ولفقرة القروة واللدستور :
- The American States Acting Over the Part of the Children of Israel in the introduction Street Wilderness and Thereby Impeding Their Entrance into Canaan's Rest
 - ۔ Samuel Langdon في Samuel Langdon في Samuel Langdon اللہ Republic of the Israelites, An Example to the American States في Samuel Langdon ولفترة التوسم نحو الغرب
 - The Star of Empire Albert Beveridge -
 - A plea for the West ... Lyman Beecher ...
 - Anglo-Saxon Destiny and Responsibility is Reinhold Niebuhr -
 - وقصيدة والت ويتمان Passage to India
 - ولقترة ما بعد الحرب العالمية الثانية
 - Richard Drinon في Facing West الذكور أعلاه. والكتاب من المصادر الاساسية لهذا البحث

. The Arrogance of Power . William Fulbright, J =

99- راجع مقالة Robert N. Bellah عن الدين المدني في اميركا Civil Religion in America في Daedolus . ثمام 1979.

، ١٠ الشاهد من Richard Harries في Richard Harries في Richard Harries . ومقالته نشرت اصلا في Christianity and Crisis ، تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٤٣ .

. ۱ ، ۱ الشاهد من كتاب Ernest Lee Tuveson بعنوان Ernest Lee Tuveson بعنوان Nillennial Role التقاهد من كتاب (Millennial Role

Facing West _1 ، ۳ ، انظر ص ۲۹ ـ ۲۹ ، ۲

£ ١٠ مايزال الزنابير يسمون هنو د أميركا بالعرب للمبالغة في التحقير . ويروي وولتر كاوامو تو Walter Kawamoto من جامعة ولاية اوريغن Oregon State University والمسؤول عن الاقلية العرقية في المجلس الوطني للعلاقات العائلية National Council on Family Relations ان اسم «عرب أمبركا» يطلق على الهنود الأميركيين في دروس العلاقات العرقية وفي ادبيات عدد من المنظمات الوطنية الأميركية. كذلك يعلل عليهم إسم المسلمين الأمير كبين ، كما في حالة الدراسة العرقية لأسرة Harried McAdoo , راجع: /http://bioco2.uthsesa.edu/.aises gst/mhx/chot/msg01235.html). وتسمية الهنود الحمر بالعرب في النهاية ليست جديدة، ففي دراسة عما يسمى بالهنود الخفاء أو اللامرئييين Invisible Indians تتحدث العالمة الانثروبولوجية Louise Heite وزوجها إدوارد عن الهنود الذين كان المستعمرون الأوروبيون يسمونهم باسم ١ المور ٥، لا سيما أولئك الذين أجوا من الإبادة وتم استيعابهم في المجتمع الأوروبي الاستعماري، أو الذين لجوا من المذابح على طول الشاطيء الشرقي وعاشوا خارج ه المنعزلات الهندية Reservations ، أو خارج التجمعات التي تعترف وزارة الداخلية الأميركية بهنديتها. فكل هندي نجا من الإبادة ولم يعش في 8 المنعزلات 8 أنكرت الولايات المتحدة عليه هنديته وصارت تطلق عليه اسم 8 مور= عربي ، أو مبعّل Mulato (كلمة مستمدة من تهجين البغال mules) أو زنجي. وقوانين ولاية ڤرجينيا ماتزال إلى الآن تصف طفل الهندي الذي لا يعيش في المنمولات بأنه مبقل. والغريب أن بعض عملاء البيض عمن أثروا على حساب إيادة شعوبهم الهندية تمتعوا بصفة البيض فيما ظل أباؤهم أو أخوتهم أو ابناء عمومتهم لحت صنف الزنوج أو المبغلين ار الجع Africans and Native Americans: The Language of Race and the Evolution of المالي الما فسوريسس , Jack D. Forbes ، ص ٦٧ و ١٣١، University of Illinois Press وكسذلسك راجسم // home.dmv.com/~eheite/indians/invisible.html). كان تعبير المورى /المسلم) لدى بعض مثقفي وكتاب أواخر القرون الوسطى يعني كل من ليس أبيض. فالإنسانية التي رسمها عصر البرت دورر Albrecht Dürer هي إما أبيض أوروبي مسيحي أو زنجي عبد عربي / مسلم moore=mohr . ويقول فوريس: إن كلمة more الفرنسية وmaurusالإسبانية و moru القالنسية اشتقت جميعا من الكلمة اللاتينية morus وتعنى الزنجي.

١٠٥ - ليس هناك تضليل أخطر من وصف ٩ مايجري ٩ بأنه صواع مع الغرب ، أو صواع حضارات. أو حرب على

الإسلام. إن هذه الإصطلاحات الفضفاضة لاتبدد جهودنا وطاقاتنا وحسب بل إنها تصرف انظارما عن مصدر الخطر المختفظ المقتبي الذي يدوجون لهذه المقاع وعناصرد. اليس غريبا ان الذين يروجون لهذه المقاع وعناصرد. اليس غريبا ان الذين يروجون لهذه المقاع وعناصرد. اليس غريبا ان الذين يروجون لهذه المارعات الوهمية هم مؤسسات والاستعمار الفاخلي و؛ انظمة المستعمرات الاميركية المشغولة الآن بتحسين صوروننا المستعمرات الاميركية المشغولة الآن بتحسين صوروننا على فلوريدا نقتل فيه خسمة آلاف طفل من أطفالها شهريا . . التي كل هذه الجهود الحميدة التحسين صورة الشحية في عين جلادها تتم خمسة آلاف طفل من أطفالها شهريا . . التي كل هذه الجهود الحميدة لتحسين صورة الشحية في عين جلادها تتم ضمن حملة على مستوى الارش لترويش وتتعج هذاه الوحش الذي يوفش الاحتلال والهيمنة . فكما أن هناك بقرا وغنما وخلال المربي الالبف ؛ الذي يعطمي ضباع المنافق وحليته وسخاله . . . وحياته إدا لومت طقوم التصحية . إنه لمن الغريب حقا الإعتفاد بأن هناك صراعا جغرافيا مم الغرب وعلاقاتنا مع كل الشموب والدول الغربية باستثناء الولايات المتحدة والموانية بدول المتوسط كإسبانيا والمطاليا والموانات كالداتمارك والسويد والنروج وانتهاء بدول المتوسط كإسبانيا والمحاليا والوريسة والورنات لا تختلف كثيرا عن علاقاتنا من دول آسيا واقريقيا . اي صراع تواجهنا به دليانا والمانيا ولوكسمهورغ والوريات لا تختلف كثيرا عن علاقاتنا من دول آسيا واقريقيا . . اي صراع تواجهنا به دليانيا والوكسمهورغ

كذلك فإن القول بان هناك صراعا مع الخضارة الغربية ه هو اكثر تضليلا ولؤما، فليس للبيت الأبيض ولا للبتناغون خلاف مع ابن رشد ولا مع الفارابي ولا مع إخوان الصفا ولا مع المعتزلة ولا مع الأشعرية ولا مع المتنبي ولا مع جابر بن حيان ولا مع الخوارزمي ولا مع أي منظومة اخلاقية قيمية، او مدرسة فكرية أو إيداعية او لاهرتية فقهية او علم من الأعلام الذين صنعوا حضارتنا. كما إنه ليس لاحد في العالم العربي خلاف مع كوبرنيكوس أو نيوتن أو كانظ أو ديكارت أو هيدغر أو هولدرلن أو غوته أو بهتهوفن أو باخ أو دافنشي أو مايكل ألجلو أو حتى مع القديس توما الاكويني أو غيرهم ممن رسموا الملامع الاساسية لما يسمى اليوم بالحضارة الغربية. إن جورج بوش لايمثل هذه الحضارة الغربية.

على مستوى ما يسمى ماخرب على الإسلام فإن رجل الدولة في واشتطن لا يميز لاهونها بين الإسلام وبين أي دين آخر، ولا يبيز سياسيا بين الإسلام وبين أي دين آخر، ول رجل الدولة على المستوى اللاهوني لا يماني المسلم أن بوفع معتفد لأن يصوم ويصلي ويطلق لميته معتفدته فوق قبة الكابتول (إلى جانب تمثال المرأة الهندية الحمراء)، وهو مستمد لأن يصوم ويصلي ويطلق لميته ويهنيء المسلمين بالأعياد، ويصدر لهم طوابع تذكارية، ويسمعهم أعذب الكلام عن الإسلام وعظمته وإنسانيته، ويدافع عن حقهم في حرية بماره الشمائر (غير الفسارة) وتعمير المساجد بالرخام والذهب والدفاع عن قضايا الإسلام في بورما والبوسنة والماؤ ما وحيثما تقضي مصلحة المافيا، وعلى المستوى السياسي فإن رجل الدولة هو الذي يممل على طويقة واصلات ذات صفة إسلامية تصل لعمالح سياسته، وهذا هو ما تقوم به مؤسسات الانظمة العربية التي تعمل على طريقة ٤ مكتب الشؤون الهندية ٤٠ أما الحركات الإسلامية المقاومة فإن أميركا لا تتصدى لها لانها إسلامية بل تتصدى لها كما تتصدى لاي نيار يقاوم أطماعها مهما كان دينه أو عقيدته أو مذهبه السياسي.

دراسات ا

التلفيق، الذاكرة والمكان

ادوارد سعيد

شهد المقد المنصرم اهتماماً متزايداً بمجالين متداخلين من مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية ؛ هما الذاكرة والجغرافيا، أو، بصورة أدق، دراسة الفضاء الإنساني. وقد وقد كل من هذين الجالين قدراً بالغاً من الاعمال اللافقة التي خلقت حقولاً جديدة من البحث والاستقصاء. فعلى سبيل المثال، اتسمع الاهتمام بالذاكرة ليشمل أشكالاً من الكتابة يتزايد انتشارها كالمذكرات الشخصية والسيرة اللاعتمام بالذاكرة ليشمل أشكالاً من الكتابة يتزايد انتشارها كالمذكرات الشخصية والسيرة والليون أن المن عتما فاض به الاكاديمون والباحثون والشخصيات العامة، وغيرهم، ولم يبق الولم القومي بالذكريات والاعترافات والشهادات عند مستوى الاعترافات العامة والمعلنية . كما هو الحال في فضيحة كليتتون ولوينسكي -بل تعمق في دراسات عديدة تناولت معنى الذاكرة الجمعية، واسهب في دراسة أمثلة عليها وتحليلها، فضلاً عن دراسات عديدة تناولت معنى الذاكرة الجمعية، واسهب في دراسة آمثلة عليها وتحليلها، فضلاً عن تنال عدد هائل من الاحداث التاريخية التي تجستدها. ويبقى طيف هذه الدراسات قد اشتمل، في المقابل على تقمل جداي ومرير لصدق مذكرات بعينها ومدى موثوقيتها، كما اشتمل، في المقابل، والخبرة ومن الطرف الآخر الاكثر رصائة، على تحليل على عليالمات كالتراث والخبرة التاريخية الجيمعية، ومسائل كالتراث والخبرة الخيوية الجمعية، الحمعية، الجمعية، الحمعية التاريخية الجمعية، التاريخية الجمعية المحمدة التاريخية الجمعية المحمدة التاريخية المحمدة المحمدة المحمدة التاريخية المحمدة التاريخية المحمدة التاريخية المحمدة التاريخية المحمدة المحم

وسنعرض هنا بعض الامثلة التي أثارت جدلاً حاداً، لا بل موجعاً؛ من نوع:

هل كانت يوميات آنا فرانك ، يومياتها حقاً ، أم أن الناشرين وأفراد اسرتها وغيرهم قد تلاعبوا بها ، كما نُشرت، لإخفاء الاضطرابات في حياتها المنزلية ؟ وقد دار في أوروبا جدلٌ عنيفٌ حول معنى الهولوكوست غالباً ما كان لاذعاً ، إذ ترافق مع سلسلة كاملة من الآراء عمّا حدث، وسببه، وما

ادوارد سعيد، أستاذ الأدب المقارن في جامعة كولومبيا

يكشفه الهولوكوست عن طبيعة المانيا، وفرنسا، والعديد من الدول الأخرى التي تورطت فيها. فقد كتب باحث الكلاسيكيات الفرنسي المشهور بيير فيديل ناكيه منذ عدة سنوات خَلَتْ كتاباً مهماً عنوانه «سافحو الذاكرة»، يتناول فيه الفرنسيين الذين أنكروا الهولوكوست، كما طرحت محاكمة موريس بابون في مدينة بوردو منذ عهد قريب اسئلة محرجة لا تتعلق بذكريات الاحتلال فحسب، بل بمركزية الدور الذي لعبه الفرنسيون المتعاونون مع النازية، وبما قيل عن المذكرات الفرنسية الانتقائية المتعلقة بحكومة فيشي. ومن الطبيعي أن تشهد ألمانيا جدلاً واسعاً حول الشهادات المتعلقة بمعسكرات الموت ومعناها الفلسفي والسياسي، حيث كان يُنْفَخ فيه دورياً ليغذّيه مؤخراً نشرُ الترجمة الألمانية لكتاب دانييل غولدهاغن وجلادو هتلر الصاغرين. أما في الولايات المتحدة فثمة الغضب الذي أثاره ممثلو الثقافة الرسمية واعضاء الحكومة بسبب مؤسسة سميتسونيان، التي تعدّ وبحق واحداً من عناوين الذاكرة الرسمية للدولة، التي مُنعَتْ من إقامة معرض لـ ﴿ إِنُّولًا غِي ، وآخر للتجربة الأفريقية ـ الأمريكية . وسبق ذلك لغط شديد حول المعرض المؤثّر الذي أقيم في الصالة الوطنية للفن الأمريكي تحت عنوان أمريكا بوصفها الغرب، بغية المقارنة بين ممثلي البلد؛ الهنود، سكان البلد الأصليين، و شروط الحياة في أمريكا الغربية إبَّان ستينات القرن الثامن عشر، حيث عرضت الطريقة التي تم بها الاستيطان القسري وتدمير الهنود وتغيير البيئة التي كانت ذات يوم بيئة ريفية مسالمة إلى بيئة مدنية ضارية. فقد شجب السيناتور تيد ستيفنس، من آلاسكا، الامر برمته بوصفه هجوماً على أمريكا، على الرغم من اعترافه بأنه لم يرَ المعرض شخصياً. والحال، أن الاسئلة التي تطرحها هذه الجدالات لا تقتصر على ما يتم استذكاره فحسب، بل تطال الكيفية والشكل اللذين يتم بهما هذا الاستذكار. فالقضية تتعلق بطبيعة التمثيل المشحونة، وليس بمحتواه وحده.

تطال الذاكرة، وما يمثلها باهمية بالغة، مسالة الهوية، القومية، القوة والسلطة، فدراسة التاريخ، سواء أكان في المدرصة أم في الجامعة -إذ تشكل أساس الذاكرة -هي ابعد ما تكون عن الدراسة الحادية في الرقائع والحقائق الاساسية؛ بل إنها، وإلى حلا كبير، مسمى قومي يقوم على التسليم بضرورة أن تبني فهم المطلع وولاء المروف، الجدال العنيف بضرورة أن تبني فهم المطلع وولاء المروف، الجدال العنيف الذي دار في الولايات المتحدة عن المعايير القومية في التاريخ، حيث كان من شأن إثارة قضايا من نوع: هل ينبغي منع مزيد من الوقت لدراسة جورج واشنطن وأبراهام لتكول في المنافح الدراسية، أن يسبب نزاعات محتدمة. ويموازة هذه النزاعات، كما أشار هوارد زن في كتابه، كان ثمة تشكيك في سبب تحجيد دراسة التاريخ الأمريكي مآثر الشخصيات البارزة وتجاهلها ذكر ما حدث لمآثر الشخصيات البارزة وتجاهلها ذكر ما حدث لمآثر الشخصيات المارزة وتجاهلها ذكر ما حدث لمآثر عرفاً بوصفهم أجرًاء في الشركات الصناعية الشخمة مصدر قوة هذه الدولة وضخامة ثرائها. (ويتناول المضاحون أنوضيا مقالة حديثة إلى حدة أبعد، فبناء على طلب للمشاركة في ندوة عن مذبحة بوسطن، وعضي في مقالة حديثة إلى حدة أبعد، فبناء على طلب للمشاركة في ندوة عن مذبحة بوسطن، اظهر زن أنه اراد:

ان يتناول بالبحث مذابح اخرى إذ يبدو لي ان تركيز الاهتمام على مذبحة بوسطن لن يكون له وقع موجع في النخوة الوطنية. وليس ثمّة طريقة ناجعة في حجب الانقسامات الطبقية والعرقية في التاريخ الامريكي اكثر من توحيدنا انتصاراً للثورة الامريكية ورموزها جميعاً (مثل كليشيهات بول ريقير التي تمثل الجنود وهم يصوبون بنادقهم نحو حضود الناس).

فقد ذكرت للناس المجتمعين في قاعة فانيول (ذات الجدران المرصوصة، من حولنا، بصور الاجداد المؤسسين وأبطال الجيش القوميين) أنه ثمة مذابح اخرى، مذابح منسية وإنْ ذكرت فبشكل واو، مذابح خليقة بالذكر. وقائع مهملة بوسعها أن تخبرنا الكثير عن الهستيريا العرقية وعن صراع الطبقات؛ بوسمها أن تخبرنا الكثير عن البحار، وبذا نستطيع أن نرى أنفسنا بوضوح وصدق كبيرين. (1)

تنقلنا هذه التعليقات على الفور إلى قضية نوقشت مطولاً؛ القومية والهوية القومية، وكذلك تنقلنا إلى الكيفية التي تتشكل بها ذكريات الماضي وفقاً لفكرة محددة عمّا ٥ نحن ٥، وبالتالي، عمّا هم، عليه فعلياً. فالهوية القومية متورطة باستمرار في السرد؛ سرد ماضي الأمة، وسرداجدادها المؤسسين، وسرد الوثائق، والوقائع الأصلية، وغيرها. ولكن لم يُسلُّم أبداً بهذا السرد على أنه مجرد مسالة قص محايد للوقائع. ففي الولايات المتحدة الأمريكية، على سبيل المثال، تم إحياء ذكري ١٤٩٢ باشكال متباينة تماماً، فالناس الذين اعتبروا انفسهم ضحايا قدوم كولومبس؛ وهم الملونون، والاقليات، والمنتمون إلى الطبقة العاملة، أناس ادعوا، باختصار، أنَّ ذاكرتهم الجمعية متباينة عما أختفي به في معظم المدارس بوصفه نصراً للتقدم وتعزيزاً لمسيرة جمعية للإنسانية إلى الأمام. وبما أن العالم قد تقلُّص، لنتامل السرعة الخيالية لثورة الاتصالات، حيث وجدت الشعوب نفسها تخضع لأكثر التحولات الاجتماعية سرعة في التاريخ، أصبح عصرنا عصر بحث عن جذور؛ عصراً تحاول فيه الشعوب أن تكشف في الذاكرة الجمعية لعرقها وديانتها وطائفتها وأسرها عن ماض هو ماضيهم بقضه وقضيضه؛ ماض في مأمن عن نهب التاريخ وفي مامن عن حقبة عاصفة. غير أن هذا قد أثار أيضاً نزاعاً عنيفاً، بل تسبب في إراقة الدماء. ففي العالم الإسلامي، ثمة جدل حول كيفية قراءة المرء للميراث الأرثوذكسي (سُنه)، كالخلاف في كيفية تاويل المرء لقصص النبي، وأيَّ منها، بشكل اساسي، هي الذكريات التي أعاد بناءها المريدون والصحابة من جديد، وكيف يمكن للمرء أن يستمد صورة معاصرة للشرائع الإسلامية في المعاملة والفقه تكون مخلصة ومتوافقة مع تلك الذكريات الثمينة، الممعنة في القدم، الاصلية في الواقع. وتظهر مثل هذه الخلافات في تاويل الأتاجيل المسيحية، وكذلك الأمر مع أسفار الأنبياء اليهودية . ولها تأثيراتها المباشرة على قضايا الطائفة والسياسة في هذه الآونة. ويكمن بعضها وراء النزعات المبرّزة إعلامياً حول القيم الأسرية التي يتبجح بها المرشحون السياسيون، والفلاسفة الأخلاقيون، ووراء التوبيخ العلني.

وقد اضفي على كامل موضوع الذاكرة هذا، بوصفه مشروعاً اجتماعياً وسياسياً وتاريخياً، تعقيد آخر أشرت إليه سابقاً، اعني، دور التلفيق. ففي عام ١٩٨٣ حرّر مؤرخان بريطانيان بارزان، اريك

هوبسباوم وتيرينس رينغر، كتاباً يضم مقالات مؤرخين مشهورين تحت عنوان « تلفيق الميراث » (٦). ولا أحاول تلخيص الأفكار المتقنة والغنية في هذه المختارات سوى القول إن ما تناوله الكتاب هو الطريقة التي شرع فيها الحكام؛ السلطات السياسية والاجتماعية منذ ١٨٥٠ ، في خلق شعائر وأشياء زعمت بقدمها قدم الدهر؛ مثل الكلِّتية (التنورة) الاسكتلندية أو اللُّرْبار، كمَّا في الهند، مهيئين بذلك ذاكرة مزيفة، أي، ملفقة عن الماضي بوصفها وسيلة لابتداع معنى جديد لهوية المهيمنين والمهيمن عليهم. فقد قيل عن التُّربار. والنظر إليه بوصفه ١ إرثاً ، هو تخييل محض ـ انه مهرجان رسمي ضخم تم إعداده ليُّعْرَس في ذاكرة الهنود، ولو أنه قنتم للسلطات الاستعمارية البريطانية خدماته في حمل الهنود بالقوة على الاعتقاد بأن الحكم الإمبراطوري البريطاني قديم قدم الدهر. ويقول رينغر: واعتمد أفراد العرق الأبيض في أفريقيا أيضاً على الإرث الملفق كي يستمدوا السلطة والثقة اللتين أقرَّتا لهم دورهم أيضاً بوصفهم أدوات للتغيير. وعلاوة على ذلك، وبقدر ما تم تطبيقه عن عمد على الأفريقيين، أُعتبر إرث أوروبا القرن التاسع عشر الملفق [كإجبار الافريقيين على العمل على انهم أجراء في مزارع الأسياد الأوروبيين] بوصفه أداة «للتحديث». ^(؛) ففي فرنسا الحديثة، وفقاً لهوبسباوم، ومع زوال إمبراطورية نابليون الثالث ونشوء طبقة عاملة مسيَّسة كما برهنت كومونة باريس، اقتنعت ٥ البرجوازية الجمهورية المعتدلة » أنه يمكنها أن تحول دون مخاطر الثورة بإنتاج صنف جديد من المواطنين ليس إلاً؟ وبتحويل الفلاحين إلى مواطنين فرنسيين... (و) بتحويل المواطنين الفرنسيين جميعاً إلى جمهوريين صالحين، ومن هنا تحولت الثورة الفرنسية إلى ثورة مؤسسية في التربية وذلك بتطوير ٥ معادل دنيوي للكنيسة . . مشرَّب بالمبادئ الجمهورية ومضامينها ٥ . وهناك « اختلاق المراسم الجماهيرية . ويمكن تحديد تاريخ أهم هذه المراسم؛ يوم الهجوم على سجن الباستيل، على وجه الدقة في عام ١٨٨٠ ٥. وإضافة إلى ذلك هناك 3 إنتاج بالجملة للنصب التذكارية الشعبية ٥٠ وهي على نوعين أساسيين؛ أولهما صور الجمهورية نفسها مثل صورة ماريان، وثانيهما صور ٤ شخصيات مدنية ملتحية لأيّ امرئ تتخيّره الوطنية المحلية بوصفه شخصية بارزة. ٤ (°)

وبعبارة اخرى، إن اختلاق الإرث هو ممارسة كثيراً ما استغلتها السلطات بوصفها أداة حكم في المجتمعات ذات التجمعات البشرية، ومع تفكك أواصر الوحدات الاجتماعية الصغيرة؛ مثل القرية والاسرة، وجدت السلطات نفسها بحاجة لأن تبتدع طرقاً أخرى تربط بها بين اعداد ضخمة من الناس. فاختلاق التراث هو منهج لاستخدام الذاكرة الجمعية بشكل انتقائي من خلال التلاعب بقطع معينة من الماضي القومي، وذلك بطمس بعضها وإيراز بعضها الآخر باسلوب توظيفي بكل ما في الكلمة من معنى. ومن هنا، ليسمت الذاكرة بالفسرورة ذاكرة أصيلة، بل هي على الأصح، ذاكرة نفعية، ويبرهن الفسحفي الإسرائيلي توم سفيف في كتابه المليون السابع ان الحكومة الإسرائيلية استخدمت الهولوكوست عن عمد بوصفها طريقة لتعزيز الهوية القومية الإسرائيلية بعد سنوات من عام الاكتراث بها(١٠). كما أثبت المؤرخ بيتر نوفيك، في دراسة نشرت حديثاً عن صورة الهولوكوست بين اليهود الامريكيين، أن اليهود الامريكيين قبل حرب ١٩٦٧ ؛ لحظة الانتصار الإسرائيلي على الدول العربية، لم يكترثوا كثيراً بتلك الحادة المخيفة إلى حد الرعب (وفي الواقع، حاولوا عدم تأكيدها الدول العربية، لم يكترثوا كثيراً بتلك الحادة المخيفة إلى حد الرعب (وفي الواقع، حاولوا عدم تأكيدها الدول العربية، لم يكترثوا كثيراً بتلك الحادثة المخيفة إلى حد الرعب (وفي الواقع، حاولوا عدم تأكيدها الدول العربية، لم يكترثوا كثيراً بتلك الحادثة المخيفة إلى حد الرعب (وفي الواقع، حاولوا عدم تأكيدها

على سبيل تفادي اللاسامية >. (٧) وقد تم قطع مسافة طريق طويلة ما بين تلك المواقف السابقة إلى تشييد متحف الهولو كوست في واشنطن. وبشكل مشابه، غذّى إنكار الحكومة التركية الضلوع في مذبحة الارمن النزاع الحيط بها .

وما أرمى إليه بالتنويه إلى كل هذه الحالات هو التأكيد أن المدى الذي يشغله فن الذاكرة في العالم الحديث، هو بالنسبة إلى المؤرخين والمواطنين العاديين، هذا فضلاً عن المؤسسات، أمر يُستفاد منه، ويُساء استعماله واستغلاله إلى حد كبير، وليس شيئاً يقبع هناك دون حراك ليمتلكه أي امرئ أو يحتويه. ومن هنا، فإن الاهتمام بالذاكرة ودراستها أو على وجه التحديد بماض مرغوب فيه ويمكن استعادته هي ظاهرة مُحَمَّلَة مشحونة، برزت خصوصاً مع نهاية القرن العشرين حيث التغيرات المربكة في مجتمعات كبيرة تفوق التصور، ذات تجمعات بشرية منتشرة وقوميات متنافسة، ولعل الأكثر . أهمية هو تناقص فعالية الأواصر الدينية والعائلية والروابط السلالية. ويتطلع الناس الآن إلى هذه الذاكرة المجادَّدة، ولا سيّما في شكلها الجمعي، ليمنحوا انفسهم هوية متماسكة ورواية قومية ومكاناً في العالم، مع أنّه، كما أشرت سابقاً، كثيراً، إن لم يكن دائماً، ما يتم التلاعب والتدخل في سيرورة الذاكرة لمآرب ملحة أحياناً في الوقت الحاضر. ومن الملفت للانتباه المقارنة بين شكل الذاكرة الحديث الطيّم غير الثابث بطريقة ما وبين فن الذاكرة المنسق الصارم في المصر القديم الكلاسيكي كما وصفه فرانسيس ييتس. (^) فالذاكرة بالنسبة لشيشرون كانت شيئاً بنائياً منظماً. فإن اردت ان تتذكر شيئاً ما لأجل كلمة كنت ستلقيها، لتخيلت بناءً مزوداً بجميع انواع الغرف والأركان وقسمت ببصيرتك أجزاء اللاكرة التي رغبت باسترجاعها، ومن ثم صنفتها في اقسام البناء المتنوعة؛ وبينما كنت تتكلم، مررت عبر دهاليز البناء في ذهنك، إذا جاز التعبير، منتبهاً إلى الأماكن والأشياء والعبارات وانت تسير قُدُّماً. بهذه الطريقة كان يتم الحفاظ على الترتيب في الذاكرة. أما فن الذاكرة الحديث فيخضع بشكل اكبر عمّا كان عليه الأمر سابقاً لإعادة التنظيم الملفق وانتشاره من منطقة إلى أخرى.

وفي ما يتعلق بالجغرافيا، كما استخدم الكلمة بوصفها معنى للمكان المبنى والمسان اجتماعياً، فقد كانت محط اهتمام الباحثين والنقاد المعاصرين نظراً لدور المكان التكويني البارز في الشؤون الإنسانية. لنتامل، كمثال سهل، في كلمة العولمة، فهي مفهوم لا غنى عنه في علم الاقتصاد الحديث. وهي دلالة مكانية وجغرافية تدل على وصول العالم إلى نظام اقتصادي قوى. ولنتامل في الدلالات الجغرافية مثل اوشفيتس، لنتامل قوتها ورنينها أيضاً في لحظة معينة من التاريخ او موقع جغرافي مثل بولندا وفرنسا. ويسري الامر نفسه على القدس، مدينة وفكرة، وتاريخاً كاملاً، ويطبيعة الحال كمكان جغرافي بعينه، كثيراً ما رُمز إليه بصورة فوتوغرافية لقبة الصخرة وجدران المدينة والمنازل المحيطة بها المرئية من قمة جبل الزيتون؛ وهي أيضاً مصوفة بمحددات نفسية عنة عندما ترد إلى الذاكرة، وعلاوة على جميع ضروب التواريخ والإرث الملفق، تتولد جميع هذه المحددات منها، غير أن جُلها في صراع مع بعضها. ويزداد هذا الصراع حدة من خلال للوقع الميثولوجي؛ الذي يقف قبالة الموقع صراع مع بعضها. ويزداد هذا الصراع حدة من خلال للوقع الميثولوجي؛ الذي يقف قبالة الموقع المجرافي، لمدينة القدس، حيث مشهدية المكان والأبنية والشوارع التي تعلوها، لا بل، الموشاة تماماً بتداعيات رمزية تحجم تماماً الواقع الوجودي لم هي عليه القدس بوصفها مدينة ومكاناً. ويكنناقول

الشيء نفسه عن فلسطين، فمشهدية المكان يؤدي وظيفة ما في ذاكرة اليهود بشكل متباين كلياً عتا هو عليه الأمر مع ذاكرة المسبحين، التي بدورها تتباين عن ذاكرة المسلمين، ومن أغرب الأشياء التي صَمِّب عليّ إدراك كنهها الاستحواذ الذي استبت به المكان على المسلمين وميلاده، مثلاً، تظهر في لوحات المسافة الشاسمة التي فصلتهم عن البلد، فمشاهد صلب للسبح وميلاده، مثلاً، تظهر في لوحات وناني النهضة الاوروبية وكانها تجري في فلسطين ممسوحة نظراً لان أياً منهم لم يشاهد المكان في حياته، فقد أتخذ هذاالمكان تدريجياً شكل مشهدية مثالية غلت الخيلة الاوروبية لعدة مئات من السنين، ولن يخفق برنا دو كليرفو في أن يدهشني إن وقف في كنيسة في فيزلي في أحضان بورغنديا السنين، ولن يدفق برنا أدهش أيضاً عساساة عن معلناً عن حملة صليبية، تطالب باسترداد فلسطين وأماكنها المقدسة من المسلمين، ولن أدهش أيضاً إن حملة صليبية لم يزل بمقدورهم أن يشعروا، بعد مئات السنين، أن فلسطين تقف هناك ساكنة وأنها لا زالت لهم، على الرغم من الالفيات التاريخية وعلى الرغم من وجود قاطنيها المعلمين. وهذه أيضاً تُظهر كيف يمكن التلاعب بالجغرافيا واختلافها ونعتها تماماً بمعزل عن حقيقة الموقعة المجمعة، الطبيعية.

ويؤرخ سيمون شاما في كتابه مشهدية المكان والذاكرة لعلاقة التنقل ذهاباً وإياباً بين مواقع جغزافية معينة والخيلة الإنسانية. وبما لا يرقى إليه الشلك أن أحد أهم مظاهر كتاب شاما قوة: هو أنه بيرهن وبشتى الطرق المتباينة أن الغابات والقرى والجبال والأنهار ليست ذات حدود مشتركة مع واقع راسخ يقبع هناك، يمين هويتها ويمنحها الثبات والدوام. بل على المكس، ففي المثال الذي يضربه عن القرية الاصلية لاسرته في ليتوانيا، التي اختفت معظم آثارها، يجد بدلاً عنها من خلال أشعار آدم ميكفيتش كيف و تشابك اليهود والبولنديون. . في مصير مشترك ع، على الرغم من قناعاته المعاصرة باتهم كانوا 8-تما دخلاء على بعضهم ع، فالجغرافيا لا تحفز الذاكرة فحسب، بل تحفز الاحلام والاخيلة، تحفز الشعر والرسم والفلسفة (كما في كتاب هايدغر Holzwege) والقصة (انظر إلى روايات وولتر سكوت التي تجري احداثها في الاراضي الجبلية) والموسيقى (كما في فينلائديا لسيبيليوس وربيع آبلاشيا لـ كوبالإندار. (٤٠)

غير أن ما يهمني أمره بصفة خاصة هو استحواذ الذاكرة والجغرافيا على الرغبة في الغزو والهيمنة. ولا يرتكز كتابي، والاستشراق و والثقافة والإمبريالية 9، على فكرة ما أدعوه بالجغرافيا المتخيلة فحسب؛ اعتى اختلاق نضاء جغرافي وبناءه، يُدعى الشرق، مثلاً، وعدم الاهتمام بالوجود الفعلي للجغرافيا وقاطنيها، بل يرتكزان أيضاً إلى ترسيم حدود المناطق وغزوها وضمةها في كل ما سمّاه كونراد بأماكن الارض المظلمة، وفي أكثر الأماكن المأهولة مثل الهند وفلسطين. ولم يكن الحافز وراء رحلات الاكتشافات الجغرافية العظيمة، من فاسكو دا غاما إلى الكابئن كوك، الفضول والحماس العلمي فحسب، بل أيضاً روح الهيمنة التي تصبح جليّة بمجرد أن يحط الرجل الابيض رحاله في أماكن قصيّة مجهولة، ويثور السكان الأصليون عليهم. وتعد حكاية روبنسون كروزو في العصر الحديث إحدى المكابيات الرمزية الجوهرية عن الكيفية التي تمضي فيها الجغرافيا والغزو معاً، مهيأة بذلك تصوراً مسبقاً ومخيفاً، بعد مرور عدة عقود، على شخصيات تاريخية مثل كلايف وهاستينغز في تصوراً مسبقاً ومخيفاً، بعد مرور عدة عقود، على شخصيات تاريخية مثل كلايف وهاستينغز في

الهند، أو المغامرين والمستكشفين مثل مارشيسن في أفريقيا. وتُحْلِي هذه الخبرات الطريق لذكريات معقدة سواء تعلق الامر بالسكان الاصلين أو (في حالة الهند) البريطانيين؛ وهناك جدل ذاكرة مشابه حول المناطق يشجع روايات عن العلاقات الفرنسية . الجزائرية فيما يتعلق بـ ١٣٠ سنة من الحكم حول المناطق يشجع روايات عن العلاقات الفرنسية . الجزائرية فيما يتعلق بـ ١٣٠ سنة من الحكم الفرنسي في شمال أفريقيا، إذ يقول بعضهم إنه ما كان ينبغي علينا ترك الهند والجزائر أو التخلي عنهما ويستخدمون في موقفهم هذا آراء رجمة غريبة مثل إحياء الحكم البريطاني؛ وكطريقة لإثارة المخنين دورياً إلى الايام الحوالي للسيادة البريطانية في آسيا وأفريقيا، حيث نجد هذا المقدار الوافر من المسلسلات والافلام مثل دالجومة في الناج وطريق إلى الهند وغاندي، وموضة لبس برّات الرحلات الرحلات الحلومة في الناج وطريق إلى الهند وغاندي، وموضة لبس برّات الرحلات أخذهم، بعد سنوات طويلة من الكفاح القومي، زمام شؤونهم، وإعادة تأسيس هويتهم ولقافتهم ولفقهم، والاهم من هذا كله، إعادة استملاك أراضيهم من الاسياد المستعمرين، ومن هنا، وإلى حدث ما ما شد كولونيائية، وبذا يشيئة وبقام ما بعد كولونيائية، وبذا يشيئة وفاماء ما بعد كولونيائية، وبذا يشيدون فضاءً ما بعد كولونيائية، وبذا به

ومن السهولة بمكان أن نفهم واقعة الإزاحة في التجربة الاستعمارية، فهي في الصميم تبديل سيادة جغرافية، (هي سيادة إمبريالية)، بأخرى، (هي قوة محلية). أما الصراع الثقافي اللانهائي حول المناطق فهو صراع أكثر إتقاناً وتعقيداً وهو متورط لا محالة في ذاكرة ورواية وبنيٌّ مادية متعالقةٌ. ولم يبحث احد في هذا الأمر بقوة بحث الراحل رايموند ويليامز في كتابه الكلاسيكي الريف والمدينة ، فما عرضه ويليامز هو أن الأشكال الأدبية والثقافية؛ مثل القصائد الغناثية والنشرات السياسية وانواع الروايات المتباينة تستمد بعض اسسها الجمالية من التغيرات التي تحدث في الجغرافيا، او في مشهدية المكان نتيجة تنازع اجتماعي. سأوضح الامر بطريقة ملموسة؛ إن قصائد البيت الريفي في منتصف القرن السابع عشر حتى منتصف القرن الثامن عشر، بإبرازها سكون البيت المهيب والانسجام الكلاسيكي ـ 3 مركز الجنة، وحِجْر الطبيعة ، مي ليست نفسها في قصائد مارفل وبن/ جونسون، وفيما بعد الكسندر بوب. فجونسون يسترعي الانتباه إلى الطريقة التي كُسب بها البيت من الفلاحين المزعجين المتجاوزين حدودهم؛ في حين أن مارفل يفهم بطريقة أكثر تعقيداً أن البيت الريفي هو حاصل اتحاد المال بالملكية والسياسة، أما في قصائد بوب فقد أضحى المنزل ضرباً من مركز أخلاقي؛ وفيما بعد ومع جين أوستن في «متنزه مانسفيلد» أصبح البيت الريفي عنواناً لكل ما هو صالح وحميد في إنكلترا. وفي اعمال هؤلاء الادباء الأربعة يتم تعزيز الملكية؛ فما نشاهده هو الغلبة التدريجية لجدل اجتماعي يحتفي بفضائل وموجبات طبقة مالكة يبدو انها في افضل حالاتها تمثل الأمة. وفي كل حالة يتذكر المؤلف الماضي بطريقته الخاصة؛ ومن خلال النظر إلى الصور التي تجسد ذلك الماضي، يحتفظ بماض ما، ويطمس الآخر. أما الكتّاب الذين جاءوا بعدهم، لنقل، روائيي المدينة كديكنز وثاكاري، فقد كانوا يتطلعون إلى هذه الفترة بوصفها ضرباً من فردوس ريفي تردُّت عنه إنكلترا؛ فبهاء الحقول قد حل محله مدينة صناعية معتمة حالكة مكدرة. وكلا الصورتين؟ المستعادة والمعاصرة، يقول ويليامز، هي بنى تاريخية، واساطير الجغرافيا تشكلها ـ في الفترات المختلفة - طبقات ومصالح وافكار متباينة حول الهوية القومية والحكومة والدولة برمتها، وليس بينها من هو بمناى عن الصراع الفعلى والنزاع البلاغي.

إن ما تناولته اعلاه؛ أي، التفاعل بين الجغرافيا والذاكرة والتلفيق، من حيث أنه كلما كان ثمة استحادة ذكريات يجب أن يكون هناك تلفيق، هو تناول وثيق الصلة بصفة خاصة مع مسالة في القرن المشرين؛ وهي قضية فلسطين التي تُضرّيب مثلاً على صراع غني وشديد الخصوبة اقله بين ذاكرتين وبين نوعين من التوليف الناريخي، وضربين من الخيلة التاريخية. وما أحاول أن أبرهن عليه أنه يمكننا ان نتخطى إلى ما وراء عناوين وسائل الإعلام وتكرار تفسيراتها الخيزلة للصراع في الشرق الأوسط، وان نتبين فيها صراعاً أكثر اثقاناً مما يتم تناوله عادة. وبفهم التمازج المكاني بهن الجغرافيا عموماً وأن نتبين فيها صراعاً أكثر اثقاناً مما يتم تناوله عادة. وبفهم التمازج المكاني بهن الجغرافيا عموماً ومشهدية المكان بصفة خاصة، وبين ذاكرة تاريخية وشكل تلفيق لأفت، كما ذكرت آنفاً، يمكننا ان المسارع وصعوبة حله، صعوبة آكثر تعقيداً وضخامة عنا قد تتصوره عملية السلام الجارية، هذا إذا تجاوزنا عن ذكر الحل.

لنضع بعض التواريخ والاحداث ذات الصلة بجانب بعضها الآخر. فالفلسطينيون يتذكرون سنة النضع بعض التواريخ والاحداث ذات الصلة بجانب بعضها الآخر. فالفلسطينيون يتذكرون سنة ١٩٤٨ بوصفها سنة النكبة، إذ رُحَّل ٢٠٠١ / ٢٠٥ شخص منّا كانوا يميشون هناك و يثلون ثلثي السنة ١٩٩٨ الصكان، ووضعت الهد على الملاكنا، ودُمّرت آلاف البيوت، وأزيل مجتمع كامل، أما سنة ١٩٩٨ وفقد كانت بالنسبة للإسرائيليين والكثيرين من اليهود في ارجاء العالم هي الذكرى الخمسين لاستقلال إسرائيل وتأسيسها، القصة المصجراء إسرائيل وتأسيسها، القصة المصجراء عمراه، وغيرها. إذن، ثمّة بناء خصائص متباية تمامًا عن حادثة مستعادة. وما يتبادر إلى ذهني منذ أمد طويل حول هذا التناقض الجذري في اصل الصراع الفلسطيني .الإسرائيلي يتمثل في عملية استعاد روتينية في مسائل متعلة به تتملق بالذاكرة العرقية أو الجمعية، والتحليلات الجغرافية، استبعاد روتينية في مسائل متعلة به تتملق بالذاكرة العرقية أو الجمعية، والتحليلات المجفرافية عي المانيا، والفكر السياسي، وهذا الاستبعاد على أوضع صورة له في الدراسات التي تتناول النكبة في المانياء وطيها، الصراعات العرقية في يوغسلافها السابقة وفي روائدا وايرلندا وسيريلانكا وجنوب أفريقها وغيرها.

لنتناول المانياً اولاً. فمما لا شك فيه انه من الاهمية بمكان الحياولة دون أن ينكر سفاحو الذاكرة الهنتاول المنافرة المسخة المساحة المسا

لا تبرز هذه القضية مطلقاً في الجدل في المانيا أو حولها ، برغم أن حقائق مثل الأموال الضخمة التي تقدمها المانيا إلى إسرائيل كتعويض عن الهولو كوست تنطوي مباشرة على أنها أوروبية ، قد اتضحت هذه الواقعة أيضاً في الدعاوى ضد البنوك السويسرية . ولا أتردد في القرل، أجل، ينبغي على المانيا وسويسرا ان تدفعا الاموال، ولكن هذا يعني أيضاً ان الفلسطينيين الذين تكبدوا خسائر فادحة طيلة خمسين سنة مضت، جديرون بآذان صاغية، لا سيّما ان دفعات الأموال هذه تنفق لتعزيز الهيمنة الإسرائيلية على الاراضي التي خسرناها في ١٩٤٨، وتعزيز هيمنتها أيضاً على المناطق المحتلة في ١٩٦٧. ولم يتلق الفلسطينيون ولوحتى اعترافاً رسمياً طفيفاً بالظلم الشامل الذي تعرضوا له، ناهيك عن ركام الدعاوى المادية ضد إسرائيل لقاء المتلكات التي أُخذت، والناس الذين قُتلوا، والبيوت التي مُدمت، ووضع اليد على مصادر المياه، وانشاء المعتقلات وغيرها. وثمة قضية مسؤولية بريطانيا المعقدة التي هي في حكم سابقتها كثافةً وبُعْد أثر. وما يذهلني هو رفض الرواية الإسرائيلية الرسمية أن تدخل في حسابها اشتراك الدولة ومسؤوليتها عن تجريد الفلسطينيين من ملكيتهم. فطوال سنوات كانت هناك حملة دؤوية دفاعاً عن نسخة مستنفدة من كلام إسرائيلي طنان عن عودة اللاجئين، وإقامة العدل، الغت أي احتمال لرواية فلسطينية، ويعود هذا بجزئه الأكبر إلى أن ثمة أجزاء أساسية معينة في الرواية الإسرائيلية أبرزت خصائص جغرافية محددة لفلسطين نفسها. لناخذ الفكرة الأساسية للتحرير؛ إن قصة استقلال اليهود وانبعاثهم ثانية بعد الهولوكوست كانت قوية تماماً لدرجة إنه أصبح عملياً من المتعذر طرح سؤال، ستستقل وتتحرر ممن؟ وإذا كان السؤال قد طُرح، فإنّ الجواب كان دائماً التحرر من الإمبريالية البريطانية، أو، مع الإطناب في القصة، حماية من الجيوش العربية الغازية في طلب تحطيم دولة فتية. وهكذا، تلاشي الفلسطينيون في الغموض المهدد والمطوق الذي يلف والعرب، وغُيِّبت حقيقة كونهم السكان الفعليين والكرت في آن معاً.

ولعل اعظم حرب شنها الفلسطينيون بوصفهم شعباً هي حرب بعضوص حقهم الشرعي في استحضار ذاكرة تخصهم، ومع ذلك الخضور، حقهم في الامتلاك وحقهم في استرداد واقع تاريخي جمعي، أقله مُذَّ أنْ يدأت الحركة الصهيونية في انتهاك الأرض. وعلى غرار هذه الحرب، خاضت سائر الشعوب المستقدّمَرة معركة من أجل ماضر وحاضر هيمنت عليه قوى خارجية سيطرت بداية على الارض، ومن ثمَّ أعادت كتابة التاريخ كيما تظهر في ذلك التاريخ بوصفها المالكين الحقيقيين لتلك الارض، وضعرت جميع الدول المستقلة التي ظهرت إثر ذلك ارتباطها عن الإمبراطوريات الكلاسيكية في السنوات التي تلت حيل المنافية بالشواع من السنطاع من المسالة والتحريف اللذين أضفتهما عليه بريطانيا وفرنسا والبرتغال وهولندا.

ولكن قدر التاريخ الفلسطيني هو أن يكون تاريخاً محزناً، ليس لانه لم يُظفّر بالاستقلال فقط، بل لانه لم يكن ثمة إدراك جمعي لأهمية بناء التاريخ الجمعي بوصفه جزءاً من محاولة نيل الاستقلال. فلكي يصبح أمة بالمعنى الرسمي للكلمة، ينبغي على الشعب أن يجمل من نفسه أكثر من مجرد مجموعة من الفصائل أو المنظمات السياسية من الصنف الذي ابتدعه وعززه الفلسطينيون منذ حرب 19٦٧، ومع وجود منافس قوي كالحركة الصهيونية، فقد كان للسعي وراء إعادة كتابة تاريخ فلسطين، من أجل اقتلاع أهل الارض، أثر ماساوي على المطلب الفلسطيني في حرية تقرير المصيد. وما لم ندركه المبتة هو قوة الرواية التاريخية في حشد الناس حول هدف مشترك. ففي حالة إسرائيل، كانت الفكرة الأساسية للرواية أن ضالة الصهيونية المنشودة هي استرجاع شعب وإعادة تاسيسه وعودثه وإعادة صلاته مع وطن أصلي. وكان من سجايا هرتزل ووايزمان تمكنهما من جر مفكرين مثل آينشتاين وبربر ورأسماليين مثل اللورد روتشيلد وموسى مونتفيورى، إلى بذل أوقاتهم وجهودهم في تاييد مخطط له أهميته البالغة وله تبريره التاريخي. ولم تحقق رواية إعادة التأسيس والعودة هدفها بين اليهود وحدهم، بل أيضاً في أرجاء العالم الغربي (لا بل حتى العالم الشرقي في بعض أجزاته). وبفعل قوة وجاذبية الرواية والفكرة الصهيونيين (اللذين اعتمدا على قراءات خصوصية للتوراة) وبفعل عدم مقدرة الفلسطينيين الجمعية في إنتاج رواية مقتمة لها بداية ووسط ونهاية (وكنا على الدوام مشوشين، وامتنع معظم مفكرينا عن إناطة انفسهم كمجموعة بهدف مشترك، والحال أنه كثيراً ما غيّرنا أهدافنا) ظل الفلسطينيون مشتتين وضحايا عاجزين سياسياً أمام صهيونية لم تزل تستولي على الارض والتاريخ.

أما كيف كان الاعتداء على التاريخ متقناً ومصادق عليه، وبالتالي، الاعتداء على الذاكرة الشعبية السائدة لفلسطين، وكيف لفت بناء تاريخ البهود من جديد الانظار طوال سنوات ليتلاء مع غايات الصعيونية بوصفها حركة سياسية، فيتناوله بالتوضيح وعلى نحو مدهش المؤرخ الاسكتلندي الصعيف في تاريخ الشرق الاوسط كيت وايتلام في كتابه واختلاق إسرائيل القديمة: إسكات التاريخ الفلسطيني ». ولكوني غير متخصص لا في تاريخ المالم القديم عصوماً ولا في تاريخ فلسطين القديم خصوصاً ليس بمقدوري أن أحكم على كل مسالة من المسائل التي يطرحها وايتلام عبر اني على مقدرة أن أحكم على كل مسالة من المسائل التي يطرحها وايتلام هو باغصلة على مقدرة أن أحكم على كل مسائة من المسائل التي يطرحها وايتلام هو باغصلة النقطة أعجبت بمناقشته المئائية، ولكن برغم ذلك، الجريئة جداً. وما يدرسه وايتلام هو باغصلة أمرين؟ ولهما يتعلق باستاسات الذاكرة الجمعية، وثانيهما يتعلق بابتداع المؤرخين والباحثين الصهاينة صورة جغرافية عن إسرائيل القديمة، مصاغة تحت وطاة الحركة الصهيونية الحديشة وحاجاتها الايديولوجية (۱۰).

وكما أقترحت سابقاً، ليست الذاكرة الجمعية شيشاً خامداً سلبياً، بل مجال فعالبة يتم في إلجاره انتقاء احداث الماضي وإعادة بنائها وصونها وتجويرها ومهرها بالدلالات السياسية. ففي كتابها الصادر في ١٩٩٥ وجذور مستعادة، الذاكرة الجمعية وصناعة الإرث القومي الإسرائيلي، تبين المؤرخة الإسرائيلية الامريكية ياعيل زيربافل كيف أن قصة المستادة (١١٠) لم تكن ممروفة بين معظم اليهود قبل اواخر القرن التاسع عشر. وفيما بعد في عام ١٨٦٢، ومع صدور الترجمة العبرية عن مصادر رومانية لقصة المستادة في كتاب يوسيفوس فلافيوس و حرب اليهود، وفي زمن قصير تحولت القصة من خلال إعادة بنائها إلى أربعة أمور ذات شان؛ هي ونقطة تحول كبيرة في التاريخ اليهودي، ومكان للحجاج اليهود المعاصرين، وموقع أثري مشهور، ومجاز سياسي معاصره (١٠٠٠). وعندما قام الجدرال يبغال يادين باعمال التنقيب في المستادا بعد ٤١٩، كانت لهذه البعثة الاثرية سمتان متمتان؛ أولاهما، تنقيب باعمال العملي، وإحياء لذكرى بطولة اليهود، إضافة إلى أنه التزام بالمهارة الممكرية وتعهد حاضر ومستقبلي بها. وهكذا، اعيد عن عمد صياغة حادثة مبهمة مجهولة نسبياً في الماضي بوصفها واقعة ومستقبلي بها. وهكذا، اعيد عن عمد صياغة حادثة مبهمة مجهولة نسبياً في الماضي بوصفها واقعة بارزة في برنامج قومي لدولة حديثة؛ وأضحت المستادا رمزاً فعالاً لرواية إسرائيلية قومية عن الكفاح والبقاء.

ويقدم وايتلام وصفاً مشابهاً على نحو لافت عن الكيفية التي أستبدل بها تاريخ فلسطين القديمة بشكل تدريجي بصورة إسرائيل القديمة الملققة في غالب الاحيان، كيان سياسي لعب في الواقع دوراً صغيراً ليس إلا في منطقة فلسطين الجغرافية. ووفقاً لوايتلام كانت فلسطين القديمة وطناً لشعوب وتواريخ متنوعة فهي المكان الذي عاش واز دهر فيه اليبوسيون والإسرائيليون والكنمانيون والمؤابيون والمؤابيون والمؤابيون والمؤابيون وغيرهم. ولكن بداية وفي أواخر القرن الناسع عشر أشكت هذا التاريخ الاكثر غنى وتعقيداً، وأبعد جانباً، كي يصبح تاريخ القبائل الإسرائيلية الغازية، التي قمعت السكان الاصليين وجردتهم من الملكية حيناً من الزمن، الرواية الوحيدة الجدير بالا غذ بعين الاعتبار. واضحى انقراض سكان فلسطين الاصليين في أواخر العصر البرونزي سمة مقبولة، ومن ثم دائمة شيئاً فشيئاً؛ سمة على طريقة أن تاريخ اليهود هو التاريخ الختار بالنسبة لباحثين مثل و. ف. أولبرايت؛ المؤرخ لتاريخ فلسطين القديمة مع بدايات القرن العشرين، بما يُسترأسكات تاريخ فلسطين الأصلي حيث حل محله تدمير سكان فلسطين القديمة الأصر باولبرايت نولعه باستمادة الاحداث الماضية أن يتغاضى عن تاريخ متجود، غالباً ما يبدو من الضروري أن يتلاشي شعب واضح أنه من صنف أدنى منزلة [إشارة الإسرائيليين المكتمانيين إلما مسهب يتمتع بإمكانيات ارفع منزلة [الإسرائيلين] حيث هناك مرحلة لا يستطيع المزيج المرقي أن يتخطاها دون نكبة هذاك.

إن تصريحاً كهذا بتعبيره اللافت الذي لا لبس فيه عن توجهاته العنصرية من قبل باحث يلاعي حلا التجرد، والذي حدث أنه أكثر الشخصيات نفوذاً في علم آثار التوراة الحديث، هو أمر مرعب إلى حلا غرب، غير أنه يدل من جهة آخرى كيف أن الصهيونية الماصرة، في تعطشها للتغلب على العوائق غرب، غير أنه يدل من جهة آخرى كيف أن الصهيونية الماصرة، في تعطشها للتغلب على العوائق في طريقها، لدرجة أنها في استعادتها الاحداث الماضية تتغاضى عن تجريد الملكية لا بل الإبادة في طريقها، لدرجة أنها في استعاد الله الإعادة الإحداث الماضية، وبقضي وايتلام ليبين كيف أن الخيامية، فرضت ضرياً من غائبة مولعة باستعادة الاحداث الماضية. ويقضي وايتلام ليبين كيف أن مده الدولة هي بالمصلة تلغيق صُتم ليترافق مع محاولة الصهيونية في القرن العشرين للسيطرة على أرض فلسطين؛ ومن هنا، وفإن الدراسة التوراتية، في بنائها دولة إسرائيلية قديمة، متورطة في النزاع المعاصر على الارض ه. (١٠٠ ويحاول وايتلام أن يهرفن أن دولة من هذا القبيل كانت أقل أهمية بكثير بما يقوله المدافعون عنها في الوقت الحاضر في سرائيل القديمة المتنافزة على المنافزي وحجبت المطالب البديلة بالماضيه و (١٠٠ ويحاول الباحثون في مناكة إسرائيلية قديمة حلت محل التاريخ الفلسطيني الكتعاني، حال الباحثون المعاصرون تقريباً دون زعم الفلسطينين الحالين أن مطالبهم بغلسطين لها آيما شرعية تاريخية لها المعاصرون تقريباً دون إلى المنافعة نوعياً عن باقي المكومات في فلسطين على اختلاف أنواصائه، وشأنهم شأن ما الاعام كانت مختلفة نوعياً عن باقي المكومات في فلسطين على اختلاف أنواعها، وشأنهم شأن ما الاعام

الصهاينة الحاليون بأن قدومهم إلى فلسطين حول أرض صحراء وخالية » إلى حديقة ، والفكرة في كلتا الحالتين القديمة والمعاصرة هي نفسها ، وبطبيعة الحال تنكر بعنف هوية المكان المتعددة الثقافات الاكثر تعقداً.

ووايتلام على حق تماماً في أن ينقد كتابي عن الصراع المعاصر على فلسطين إذ لم يول الكتاب المتماماً بخطاب الدراسات التوراتية. ويقول وايتلام إن هذا الخطاب كان في الواقع جزءاً من الاستشراق الذي صور به الأوروبيون وجسندوا الشرق الخالد حسبما يحلو لهم، وليس كما هو عليه، أو كما الذي صور به الوريدون وجسندوا الشرق الخالص بها، أن تعزّر الدراسات التوراتية التي خلقت شعباً إسرائيلياً تم عزله عن محيطه، ويُقترض فيه أنه حمل الحضارة والتقدم إلى المنطقة . فير أن ما يصل إليه وايتلام هو أن و هذا الخطاب أقصى السواد الأعظم من سكان المنطقة ، إنه خطاب قوة وجزد الفلسطينيين من الأرض والماضى (١٨٠٠) أن الموضوع الذي يتناوله وايتلام هوائي المنطقة ، إنه خطاب قوة وجزد الفلسطينيين من الأرض والماضى (١٨٠٠) أن تختلق ماضياً تُمسخراً أصبح مظهراً حاسماً للذاكرة الإسرائيلية الجمعية المعاصرة . وحينما صرح رئيس بلدية القدس منذ عدة سنوات خلت أن المدينة تمثل من عبر انقطاع ، فقد كان يعبئ قصة مختلقة بدافع من أغراض سياسية لدولة حديثة، لم تولى موال أن تجرد الفلسطينيين السكان الأصلين الذين ينظر إليهم في الوقت الحاضر كاجانب منتمامان.

وبمحاذاة فكرة إسرائيل، كما تم صياعتها في التحرير والاستقلال، من حيث إعادة بسط السيادة اليهودية سرى على قدم المساواة باعث اساسي، بجمل الصحراء تزهر، حيث يكون الاستنتاج إما أن فلسطين كانت خالية (مثل الشعار اليهودي ٥ أرض بلا شعب لشعب بلا أرض ٥) أو أنها أهملت من قبل بدو أو فلاحين عاشوا فيها من دون سمة تميزهم. وكانت الفكرة الرئيسية لا أن تنكر على الفلسطينيين حضوراً تاريخياً بوصفهم شعباً ككل فحسب، بل أن تدل ضمناً أنه ليست لديهم مقومات شعب له استمراريته. ومع نهاية عام ١٩٨٤ صدر كتاب لكاتبة مجهولة نسبياً تُدعى جال بيترز عن دار نشر تجارية بارزة (هاربر أندرو) تزعم أن الفلسطينيين كشعب ما هو إلا تخييل أيديولوجي دعائي؛ وحاز كتابها ٥ منذ اقدم العصور ٥ جميع ضروب الجوائز والأوسمة من شخصيات بارزة مثل صول بيلو وبربارة تاتشمان اللذين أبديا إعجابهما بـ ﴿ تِجاحِ ، بيترز في اثبات أن الفلسطينيين كانوا ٥ حكاية من حكايات الجن، . إلا أن الكتاب فقد ببطء مصداقيته برغم طبعاته الثماني أو التسع، حيث قام نقاد على تنوعهم، وبشكل أساسي نورمان فنكلنشتاين، بالكشف منهجياً أن الكتاب خليط من الاكاذيب والتحريفات والتلفيق، يعادل دجلاً مهولاً. ويدل الرواج القصير الأمد للكتاب (اختفى عملياً منذ ذلك الوقت ولم بعد يرد ذكره) كيف أن الذاكرة الصهيونية نجحت بشكل ساحق في تجريد فلسطين من سكانها وتاريخها، محوّلة مشهديتها بدلاً من ذلك إلى فضاء خال طاف في منتصف الاربعينات، كما تزعم بيترز، باللاجئين العرب من الدول المجاورة حيث جذبهم المكان أملاً في الرخاء في ظل المستوطنين اليهود. وأتذكر الغيظ الذي استبد بي وأنا أقرأ كتاباً يملك من

الوقاحة أن يخبرني أن بيتي ومولدي في القدس سنة ١٩٣٥ (قبل ما افترضته بيترز هذه بطوفان المرب اللاجئين)، وإن الوجود الواقعي لوالدي والاعمام والعمات والاجداد وعائلتي الممتدة بكاملها المرب اللاجئين)، وإن الوجود في الواقع، ولم يعيشوا هناك أباً عن جنه وبالتالي ليس لهم حق شرعي في المشهدية الواضحة لبساتين البرتقال والزيتون التي آتذكرها من ومضات الوعي الباكرة. وأتذكر أيضاً أنني في ١٩٨٦ نشرت عن قصد كتاب صور فوتوغرافية لجين مور «ما بعد السماء الاخيرة، تعيش فلسطين» وكتبت له نصاً مسهباً وأتمنى أن تاثيره مع ترابطه بالصور سيبدد أسطورة مشهدية خالية وشعب مجهول غير ذي وجود.

منذ ذلك الوقت والرواية الإسرائيلية ، مدعومة من دون وعي ويوضوح بين أحضان ذكريات أهوال لا سامية ، في مشهدية متباينة برمتها ، تحول دون نمو التابيخ الفلسطيني سواء في فلسطين أم خارجها ، بفعل التهجير الإسرائيلي الخفرافي والطبيعي المادي لشعب . وكان من شأن الإحساس المبرّر به الن يتكرر آبداً » التي اضحت كلمة سرّ في الوعي اليهودي كما كشفت ، مثلاً ، محاكمة أيخمان المروّج لها بشكل شامل ، عن مدى الرعب من الهولو كوست ، أن تتجاهل الإحساس الذي تعمق بين جمهور الفلسطينيين بضرورة إصرارهم على حقهم . وثمة أمر بسبب من ماساويته يدعو للتهكم يتعلق بالطريقة التي شاذت فيها حرب ١٩٦٧ التأكيد على هوية إسرائيلية لها الغلبة من جانب ، ومن جانب ، ومن جانب ، ومن بالطريقة التي شادون فيها حرب ١٩٦٧ التأكيد على هوية إسرائيلية لها الغلبة من جانب ، ومن المن الفلسطينيين إلى مقاومة منظمة وإلى تأكيد مضاد . وعندلذ لم يكن ولا أن احتلت إسرائيل سائر اراضي فلسطين وحصلت على سكان يقدرون بمليوني فرد من الشعب الذي حكمته بوصفها قوة عسكرية (، ٢ ٪ من المواطنين الإسرائيليين هم فلسطينيون) . وانبقت ذكريات جرى التنقيب عنها حديثاً في الماضي اليهودي الهود بوصفهم جنوداً ومحاربين ومنقائل وحكيماً ومنعزلاً بمض الشيء . ويؤرخ ومقاتلين اشتاء ، وحلّت محل صور اليهودي بوصفه مقفاً وحكيماً ومنعزلاً بمض الشيء . ويؤرخ بتائل التغير في الأيثنة في كتابه واليهود القساة » . (١٠٠

ومع قيام منظمة التحرير الفلسطينية، بداية في الأردن، ومن ثم بعد ايلول في بيروت، ظهر اهتمام فلسطيني جديد بالماضي، كما تجسد في نشاطات متفاوتة كالأبحاث التاريخية المنظمة والآثار الادبية كالشعر والقصة، ارتكزت على إحساس بماضر مستعاد، طُسِس سابقاً ولكن يُطالب باسترداده الآن في قصائد توفيق زياد ومحمود درويش ووراشد حسين وسميح القاسم، وفي قصص غسان كنفاني وجبرا ابراهيم جبرا، هذا فضلاً عن الرسم والتحت والكتابات التاريخية ككتاب ابراهيم ابو لغد وجويل في فلسطين، وقوي قصص غسان كنفاني وتحريل فلسطين، وأعمال حديثة كمؤلفات وليد الخالدي وقبل الشتات، وو كل ما تبقى ، ودراسة رشيد الخالدي والهوية الفلسطينية ودراسة إبيان الحوت عن النخبة الفلسطينية ودراسة إبيان الموت عن النخبة الفلسطينية ودراسة إبيان الموت عن النخبة الفلسطينية ودراسة إبيان الموت عن النخبة الفلسطينيين ترسخ تدريجياً خط من التحدير السلالي بين أحداث ١٩٤٨ وما قبلها، وظهرت بعد النكبة مادة لذاكرة قومية، استمرت برغم النهب والتخريب والتجريد المادي والاحتلال المسكري وإنكار إسرائيل الرسمي (١٠٠٠. ومع منتصف الثمانينات بدا يظهر أنجاه جديد في دراسات التاريخ النقدي الإسرائيل الرسمي (١٠٠٠. ومع منتصف الثمانينات بدا يظهر أنجاه جديد في دراسات التاريخ النقدي الإسرائيل الرسمي (على وايورة على واليي، وإلى

حد كبير إلى الصدام المتفاقم ولكن الشديد بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي في المناطق المحتلة. لتنذكر أنه مع وصول الليكود ذي الاتجاه السميني إلى السلطة في ١٩٧٧ ، اعيدت تسمية هذه المناطق بيهودا والسامرة؛ فقد تم تحويلها اسمياً من مناطق و فلسطينية » إلى مناطق ومستوطنات و يهودية »، ولم يكن غرضها منذ البنداية أقل من تحويل مشهدية المكان بإدخال قسري لمساكن شعبية ذات النمط الا وروبي من دون سابقة ولا جذور في الجغرافيا المحلية، وانتشرت تدريجياً في جميع ارجاء المناطق الفلسطينية متحدية بضراوة البيئة الطبيعية والإنسانية مع تمييز عنصري جلف تحت شعار اليهود فقط. وفي رايي أن هذه المستوطنات التي اندرجت في دائرة ضخمة من المشاريع السكنية شبيهة القلاع حول مدينة القدس، كانت. تهدف أن تضرب مثلاً عن القوة الإسرائيلية إنها إضافات إلى مشهدية المكان الوديعة تدل على الاعتداء وليس توفير اسباب الراحة والتثاقف بين الشعوب.

وقد دشن الراحل سمحا فلابان الاتجاه الجديد في التاريخ النقدي الإسرائيلي، ولكن استمر هذا الاتجاه في دراسات علمية مثيرة للجدل في اعمال بيني موريس وآفي شلايم وتوم سيغف وإيلان بابي وبنيامين بيت هالحمى. واعتقد أن معظم هذه الأعمال غذّتها الانتفاضة التي وضعت نهاية للسكوت الفلسطيني. ولا ول مرة كشف نقد منظم للرواية الرسمية وبشكل ميرمج عن الدور الحاسم الذي لعبه الاختلاق في ذاكرة جمعية، تحجّرت في تمثيل متعنّت ومقدس ومجرّد من صفاته الإنسانية، إذا نظرنا إلى الويلات التي جرتها على الفلسطينيين. وبدلاً من إن الفلسطينيين قد غادروا أو هربوا لأن قادتهم أخبروهم بذلك (وهذه هي الحجة الشائعة عن سبب المشهدية الخالية من السكان بين عشية وضحاها في ١٩٤٨)، بيّن هؤلاء المؤرخون أنه طبقاً للسجلات العسكرية الصهيونية كانت ثمة خطة وحشية لتشتيت وإبعاد السكان الأصليين، وخطفهم بطرق خفية كيلا يحدثوا جلبة بحضورهم غير اليهودي. وبدلاً من اذ القوات الصهيونية قوات صغيرة وأن السكان يفوقونهم عدداً ويشكلون تهديداً فعلياً، تبيّن أن هذه القوات كانت أكبر عدداً من جميع الجيوش العربية مجتمعة، وأفضل تسليحاً، ولديها مجموعة مشتركة من الأهداف المفقودة تماماً بين خصومهم. أما من جهة الفلسطينيين، فقد كانوا من دون زعماء بشكل مؤثِّر، وعُزِّل، وفي أمكنة كالقدس؛ التي اتذكرها بحيوية، إذْ كنت في الثانية عشرة آنذاك، فقد كانت تحت رحمة الهاغاناة والأرغون اللذين كان هدفهما المطرد أن تُحْليا المكان من الفلسطينيين بشكل واضح لا لبس فيه، وهذا ما حدث لنا حقاً . وبعيداً عن أن تكون هناك سياسة «حرب نظيفة»، أَرْتُكبَت سلسلة من المذابح والأعمال الوحشية لإكراه الفلسطينيين، المحرومين تماماً بالإرهاب، على الهروب و/ أو عدم القاومة.

ومنذ عهد قريب زار ثانية المؤرخ الاجتماعي الإسرائيلي زئيف سترنهل سجلات الدولة الرسمية ليبرهن بقوة لافتة للنظر إن ما تم تقديمه للعالم بوصفه ديمقراطية اشتراكية، لم تكن في الواقع كذلك، بل كانت ما يسميه هو نفسه باشتراكية قومية خُصِّصت بادئ ذي بدء لتخلق جماعة تربط بينها روابط دم، ولتسترد الارض عن طريق الاحتلال، ولكي تقود الشخصية اليهودية إلى حماسة صليبية مثالية (٢١٠). فقد كانت إسرائيل في الواقع معادية للاشتراكية بشكل عميق، مفضلة ذلك على حقوق الافراد ومساواتية المواطنة، وخلقت ثيوقراطية ذات حدود صارمة عمًا يمكن إن يتوقعه الفرد من اللدولة. فالمزارع الجماعية اليهودية مبشرة ردحاً من الزمن بتجربة اشتراكية فريدة في المساواتية، والمشاركة المبتكرة لم تكن، يقول سترنهل، سوى حقائق محرّفة، فقد كانت محدودة إلى حد كبير ولها حدودها الناصلة في شروط الانتساب إليها (إذ لم تكن مفتوحة للعرب). وإسرائيل البرم هي الدولة الوحيدة في العالم التي لا ثفتة دولة موافقيها، بل هي دولة جميع اليهود حيثما كانوا. وليس أقله أنها لا تملك حتى الوقت الحاضر حدوداً دولية، ولا تملك ايضاً دستوراً، بل مجموعة من القوانين الاساسية، ومنها تعزي الوقت الحاضر حدوداً دولية، ولا تملك ايضاً دستوراً، بل مجموعة من القوانين الاساسية، ومنها الفلسطينيون الذين أقتلعت اسرهم في ١٩٤٨ من هذا الحق. و ٩٣٪ من الارض محجوزة تحت رعاية وكالة للشعب اليهودي؛ هذا يعني أن الافراد من غير اليهود، وبخاصة مواطنو إسرائيل الفلسطينيون الذين يشكلون زهاء ٢٠٪ من مجموع سكان الدولة، لا يملكون حق شراء الاراضي وإيجارها أو بيمها. ويستطيع المرء أن يتصور الاحتجاجات العنيفة في الولايات المتحدة لو أن الارض كانت مرحمة فقط للمسيحيين من العرق الابيض، مثلاً، وممنوعة على اليهود أو السكان من غير العرق. الابيض.

إذن، فقد كان النمط السائد في الفكر عن جغرافية فلسطين؛ التي أقامت فيها أغلبية .كاسحة من غير النمط المنبية المسطين؛ التي أقامت فيها أغلبية .كاسحة من غير اليهود مدة الذن وخمسمائة سنة، هي فكرة المودة و والعودة إلى إسرائيل بالنسبة لليهود الذين لم يروا المكان في حياتهم كانت عودة إلى صهيون ودولة سابقة تُغي عنها اليهود . وتلاحظ كارول باردنستاين في دراسة دقيقة كيف شقت صور التين الشوكي والبرتفال والاشجار والعودة طريقها إلى خطاب ذاكرة اليهود والفلسطينيين على حد سواء . غير أن الخطاب اليهودي يُتقصي من مشهدية المكان حضور الفلسطينيين السابق:

سنحت لي الفرصة أن أزور مواقع عدة قرى فلسطينية سابقاً التي شُكلت بأشكال متنوعة مجدداً من خلال زراعة الاشجار، ومشاريع الصندوق القومي اليهودي بأساليب تعزّز النسيان و الجمعي ه، إن لم يكن الانتقاشي. فإذا زار المرء موقع قرية الغابسية المدمرة في الجليل، على سبيل المثال، ولدى التممن الدقيق في الاشجار ومشهدية المكان نفسها، سيجد أنها تقدم روايتين متباينتين حول الموقع نفسه. فعلى المرء أن يعتمد قراءات مشهدية المكان، إذ لم يبن إلا القليل من الشواهد الاخرى. وما يتبيَّنه مباشرة الزائر لاول مرّة الاشجار التي زرعتها المؤسسة القومية اليهودية في الموقع، والتوافقية الميزة بين أشجار الصنوبر والاشجار الاخرى التي نمت طوال أربعة عقود باسلوب يجعلها تبدو

سادون في خاتمة موجزة ما الذي يمكن أن يفعله التفاعل بين الذاكرة والمكان والاختلاق فيما لو لم يستخدم للإقصاء، أعني، فيما لو استخدم للتحرير والتواجد بين الجتمعات التي يتطلب محاذاتها لبعضها شكلاً محتملاً من التصالح الثابت. وثانية ساستخدم قضية فلسطين بوصفها مثلاً ملموساً. فقد القمّد الآن الإسرائيليون والفلمطينيون من خلال التاريخ والجغرافيا والواقع السياسي، الامر الذي يبدو لي أنه من الحماقة النامة أن يحاول تخطيط مستقبل أحدهما دون الآخر. وتكمن المشكلة في أن عملية أوسلو، التي ترعاها أمريكا، افترضت فكرة التقسيم والفصل، في حين أن المرء حيثما نظر في مناطق فلسطين التاريخية، سيجد أن اليهود والفلسطينيين يعيشون سويا. وجعلت فكرة الفصل في مناطق فلسطين التاريخية، سيجد أن اليهود والفلسطينيين يعيشون سويا. وجعلت فكرة الفصل بين هاتين الجماعتين غير مبالين بقصص لمناناة اليهودية، وكثيراً ما يصيبهم الغضب بسببها إلا يبدو لهم أن اللاسامية بعيدة وغير ذات صلة بالموضوع، في حين أخذت أرضهم وتزيل الجرافات بيوتهم. وعلى المحكم، يرفض معظم الإسرائيليين أن يقرّوا بأن إسرائيل قد شيِّلات على أنقاض المجتمع الفلسطيني، وأن نكبة ١٩٤٨ لم تزل مستمرة لغاية الآن بالنسبة لهم. غير أنه ليس ثمة تصالح محتمل، وليس شمة حل وارد إلا إذا واجهت كل اعماعة تجريثها في ضوع تجرية الآخر. ويبدو لي أنه من الجوهري أن ليس ثمة أمل في السلام، إلا إذا اعتيء اعترفت الجماعة الاقوى؛ اليهود الإسرائيليون، بالذاكرة الاكثر قوة بالنسبة للفلسطينين، أعني، أعيد شعب كامل من الملكية. كما أنه على الطرف الأضعف؛ الفلسطينيين، أن يواجهوا بجرأة أيضاً أن يير تتلك الماساة أن تبرر تجريد الفلسطينيين من المولو كوست، على الرغم من أنه لا يمكن أن غير لتلك الماساة أن تبرر تجريد الفلسطينيين من الملكية. ولعله من الصعوبة بمكان توقع حدوث هذه الإقرارات والاعترافات في جو متاجج هذه الايام بالاحتلال العسكري والظلم، ولكن، كما حاولت أن ابرهن في مكان آخر، عند نقطة ما يجب عليهم فعل ذلك.

شتاء ۲۰۰۱ Critical inquiry

ترجمة : رشاد عبد القادر

المراجع

- (1) See Howard Zinn, A People's History of the United States (New York, 1980).
- (2) Zinn, "The Massacres of History", The Progressive 62 (Aug. 1998): 17.
- (3) See The Invention of Tradition, ed. Eric Hobsbawm and Terence Ranger (Cambridge, 1983).
 - (4) Ranger, "The Invention of Tradition in Colonial Africa", in ibid., p. 220.
 - (5) Hobsbawm, "Mass Producing Traditions: Europe, 1870 1914", pp. 271, 272.
- (6) See Tom Segev, The Seventh Million: The Israelis and the Holocaust, trans. Haim Watzman (New York, 1993).
 - (7) See Peter Novick, The Holocaust in American Life (New York, 1999), pp. 146 203.
 - (8) See Frances A. Yates, The Art of Memory (Chicago, 1966).
 - (9) Simon Schama, Landscape and Memory (New York, 1995), p. 30.
- (10) See Keith W. Whitelam, The Invention of Ancient Israel: The Silencing of Palestinian History (New York, 1996), p. 63.
 - (11) Yael Zerubavel, Recovered Roots: Collective Memory and the Making of Israeli

National Tradition (Chicago, 1995), p. 63.

- (12) Ibid.
- (13) Quoted in, p. 83.
- (14) I, p. 124.
- (15) I, p. 124.
- (16) I, p. 124.
- (17) I, p. 235.
- (18) See Edward W. Said, "Conspiracy of Paris" and Norman G. Finkelstein, "Disinformation and the Palestine Question: The Not So Strange Case of Jean Peters's From Time Immemorial, "in Blaming the Victims: Spurious Scholarship and the Palestinian Question, ed. Said and Christopher Hitchens (New York, 1988), pp. 23 31, 33 69.
- (19) See Paul Breines, Tough Jews: Political Fantasies and Moral Dilemma of American Jewry (New York, 1990).
- (20) See The transformation of Palestine: Essays on the Origin and Development of the Arab Israeli Conflict, ed. Abu Lughod (Evantson, III., 1971); Walid Khalidi, Before Their Diaspora: A Photographic History of the Palestinians (Washington, D. C., 1984); All That Remains: The Palestinian Villages Occupied and Depopulated by Israel in 1984, ed. Walid Khalidi (Washington, D. C., 1992); Rashid Khalidi, Palestinian Identity: The Construction of Modern National Consiousness (New York, 1997); Sabri Jiryis, the Arbas in Israel, trans. Inca Bushnaug (New York, 1976); Bayan al Hout, Political and Institutions in Palestine, 1917 48 (Arabic) (Beirut, 1984); and Elia Zureik, The Palestinians in Israel: A Study in Internal Colonialism (London, 1979).
- (21) See Zeev Sternhell, The Founding Myths of Israeli: Nationalism, Socialism, and the Making of Jewish State, trans. David Maisel (Princeton, N. I., 1998).
- (22) Carol Bardenstein, "Threads of Memory and Discourse of Rootedness: Of Tress, Oranges, and the Prickly Pear Cactus in Israel / Palestine," Edebiyat 8, no. 1 (1998): 9.

دراسا دراسا ۱۲۱۱

الثقافة فب طبعاتها المختلفة

تيرب إيغلتون

يُقال إِنَّ كلمة Culture والثقافة ؛ هي واحدة من بين الكلمتين أو الكلمات الثلاث التي يكتنفها أشد التعقيد في اللغة الإنجليزيّة، فلا يفوقها في ذلك سوى الكلمة التي تُؤخِّذ في بعض الأحيان على الُّها الضدُّ، أو المقابل لها - أي كلمة nature والطبيعة ٥ - التي غالباً ما تحظى بوسام أنَّها الأعقد بين الجميع. وعلى الرغم من شيوع النظر إلى الطبيعة في هذه الآيام على أنَّها مشتقة من الثقافة، إلا أنَّ الثقافة، في أصلها اللَّغوي، مفهوم مشتقٌّ من الطبيعة، ذلك أنَّ واحداً من معانيها الأصلية هو husbandry، أو تولِّي النمو الطبيعي بالعناية والرعاية. وهذا ما يصحّ في اللغة الإنجليزية على كلمات إخرى، كالتي تشير إلى القانون law والعدالة justice، وكذلك على مصطلحات مثل capital ورأس المال ، و stock و البيضاعية ، و pecuniary و مالي أو نيقيدي ، و sterling \$ الإسترليني ، بل إنَّ كلمة coulter ، التي تتحدّر من أصل واحد مع كلمة culture ، تعني حديدة المراث القاطعة. الأمر الذي يعني أثنا نستمد من العمل والزراعة، ومن المحاصيل والفلاحة، تلك الكلمة التي نشير بها إلى أرهف النشاطات البشرية وأرقها. ولقد كتب فرانسيس بيكون عن The culture and manurance of minds وتثقيف العقول وتسميدها ،، في تردد مُوح بين الرّوث والسمو العقلي. فكلمة culture هنا تشير إلى ضَرْب من النشاط، ولقد مرَّ زمن طويل قبل أن تُقيُّض لها الإشارة إلى ضرب من الكيان المستقل. وحتى بعد ذلك، وربما إلى أن جاء ماتيو أرنولد، فإنَّ هذه الكلمة لم تُنْسُ عنها ما كان قد علق بها من نعوت وصفات، مثل moral واخلاقي، و intellectual و فكرى ، لتصبح culture وحسب، تجريداً قائماً بذاته.

وعلى هذا، وبقدر ما يتعلَّق الأمر بأصل الكلمة، فإنَّ عبارةً مثل ﴿ المادية الثقافية ﴾ الشائعة الآن هي

تيري ايغلثون، كاتب وناقَد بريطاني

ضرب من فراغ القول او تحصيل الحاصل. فكلمة culture كانت تشير في البداية إلى عملية مادية مثارب من فراغ القول او تحصيل الحاصل. فكلمة culture كانت تشير في البداية إلى عملية مادية مما الكلمة على ما تكشف من انزياح البشرية وتحوتها من الوجود الريفي إلى المديني، ومن تربية الخنازير إلى المديني، ومن تربية الخنازير إلى إنشطار الذرة. وهي تجمع، بحسب اللغة الماركسية، كلاً من الإساس والبنية الفوقية في تصرير واحد أو فكرة واحدة. ولرتما كانت تتوارى ذكريات القحط والجاعة، التي عانت البشرية منها خلف الملاقة التي يُفترض النا نستمنها من البشر الد Cultivated والجاعة، التي عانت البشر الد تعملة تهم يد الحراثة والصقل والتهاذيب ». بيد الله هذا الإنزياح الدلالي هو انزياح منطو ايمنا على نوع من المفارقة أو التناقض، الذي مفاده الاسكان المدن هم والمثقفون، الذين يعيشون من حراثة الأرض فلا. فالذين يحيشون من حراثة الأرض فلا. فالذين يحيشون من حراثة النسهم وتهذيبها. ذلك أن الزراعة لا تترك وقتا شاغراً للثقافة.

والمنكنى إلى العبادة والحماية . ولقد تطور colore ، الذي يمكن أن يعني أشياء كثيرة ، تترجّع من الحرائة والمنكنى إلى العبادة والحماية . ولقد تطور المعنى الذي يفيد والمسكنى و من الكلمة اللاتبنية colonus والمستعمرة أو الجالمة و إلى الـ colonialism الماصر و «المستعمرة أو الجالمة» إلى الـ colonialism المعاصرة و الكولونيالية أستعمرة أو الجوست أو أقول أو تحصيل المعاصر و المعادة أو الطورة و العجادة أو الطريقة الدينية » فقد تطور من coler تماثة الغالم المعاصر المعاصرة أما المعنى الذي يفيد الـ cult و العبادة أو الطريقة الدينية » فقد تطور من العمان تماثة الذكر عن طريق الكلمة اللاتبنية وعليه العبالي المعنى الله من العبادة أو الطريقة الدينية » فقد تطور من العمان تماثة الذكر عن أحمل المعاملة المعنى المعاملة المعاملة المعنى المعاملة المعنى المعاملة المعنى المعاملة الدينية المهببة ، وذلك إلى جانب ما تنطوي عليه من ضروب الصلة المتقلقة بالغزو والإحتلال ؛ لياتي من ذلك كله ما نراة اليوم من ترجّع المفهوم بين القطين، الإيجابي والسلبي . ففكرة الشقافة هي واحدة من تلك الافكار التي تُسكّل أمراً أصابياً بالنسبة لليسار، كما تشكّل أمراً حيويًا بالنسبة لليمين، ثما يجمل تاريخها الإجتماعي تاريخاً المنشاب الدينية المهبدة و التجاذب.

وإذا ما كانت كلمة culture تستشف إنتقالاً تاريخياً بالغ الاهمية والخطر، فإنها تستبطن ايضاً عدداً من القضايا الفلسفية الاساسية، فضمن هذا المصطلح الواحد، تتركز، على نحو مُنهَم بعض الشيء، استلة الحرية والحتمية، والتوسّط والثبات، والتغيّر والهوية، والنعيّن والحلق. فإذا ما كانت الشيء، تسعن العبي تعيد النبو الطبيعي بالعناية والرعاية تمهداً فاعلاً ونشطاً، فإنها تشير إذا إلى جنتال بين المصنعي والطبيعي، بين ما نفعله بالعالم وما يفعله بنا العالم. فهي فكرة و واقعيّة ، من التأحية الإستمولوجية، إذ إنها تنطوي على أنَّ هنالك طبيعة أو مادة خاماً مستقلة عنا ؛ غير انها تنطوي أيضاً، وفي الوقت ذاته، على بُعد وبنائي أو إنشائي ، إذ ينبغي لهذه المادة الحام أن تكون قد يُنبِّت في صورة دالة بالنسبة لبنى البشر. والمسالة، إذاً، ليست مسالة تفكيك للنضاد أو الشقابل بين النُقافة

والطّبيعة، وإنّما مسألة إدراك أنَّ مصطلح (الثقافة) هو أصلاًّ مثل هذا الضّرب من التفكيك.

ومن الصفات الجدليّة أو الديالكتيكية الآخرى؛ أنَّ الوسائل الثقافيّة التي نستخدمها لتغيير الطبيعة هي ذاتها مستمدّة من الطبيعة. وكان شكسبير قد وضع مثل هذا الأمر بصورة شعريّة على لسان بوليكسين في مسرحيّته حكاية الشتاء :

غير أنّه ما من وسيلة صَيَّرت الطبيعة أفضل إلا وكانت الطبيعة قد وقُرَت تلك الوسيلة ؛ وكذا ذلك الفنّ، الذي تقول إنّه يضيف إلى الطبيعة، فهو فنَّ تصنعه الطبيعة . . . إنّ هذا لفنَّ يرتم الطبيعة ، بل يغيّرها، غَيْرًا أنَّ الفنَّ ذاته طبيعة ، لل يغيّرها، غَيْرًا أنَّ الفنِّ ذاته طبيعة . (الفصل الرابع)

فالطبيمة إذاً ، تنتج الثقافة التي تغيّر الطبيعة . وهذه فكرة مالوفة ومتكرّرة فيما يُدعَى الكوميديات الاخيرة لدى شكسيره حيث يرى إلى الثقافة بوصفها الواسطة التي تعيد بها الطبيعة صياغة ذاتها على نحو متواصل دون انقطاع . فإذا ما كان آرييل في مسرحيّة العاصفة روحاً هوائيّة خالصة ، وكاليبان على عطالة أرضية خالصة ، فإنُّ بمقادورنا أن نجد مزيداً من التفاعل الجدلي بين الثقافة والطبيعة في وصف غو نزالو لسباحة فرديناند من السفيتة الخطمة :

ريما كان حيّاً، يا مولاي ؟ رايته يضرب الامواج تحته، ويمتطبي صهواتها ؛ وقد وطبىء الماء، شطوٌ حاً بعداوته جانباً، وتلقى بصدره عالي العوارم ؛ وابقى راسه الجريء فوق الامواج المشاكسة، وبذراعيه السليمين

قوق الا مواج المساحسة وبدراطية الد راح يضرب بقوّة، مجلَّقاً نفسه إلى الشاطئ.

(الفصل الثاني، المشهد الأول)

تُصَوِّرُ السباحةُ تصويراً ملائماً ما نحن بصدده من تفاعل بين الطبيعة والثقافة، حيث يخلق الستابح على نحو نشطر وفاعل ذلك التيّار الذي يدعمه ويؤزّره، متلاعباً بالأمواج كيما تبقيه طافياً على سطح الماء، فه رديناند لا ويضرب الأمواج، إلا لكي و يمتطي صهواتها»، وو يطاها»، ويطوح جانباً بعداوتها، وويتلقى بصدره عالي العوارم ويجانف نفسه في المحيط، الذي لا يقتصر بائ حال من الأحوال على كونه مادة للمنافذة المبديكة، وإنما هو مادة ومشاكسة، ومعادية، تقاوم الصياغة البشرية، إلا ان هذه المقاومة ذاتها هي ما يتح له أن يُعْمِل فيها عمله، ومعادية، تقاوم الصياغة البشرية، إلا ان هذه المقاومة ذاتها تنتج وصائل تعاليها، شافها شان

والزيادة و الإضافة و عند ديريدا، التي تكون محتواة اصلاً فيما تزيده أو تنضاف إليه (١٠). ولسوف نرى لاحقاً أنْ ثبتة ما هو ضروري على نحو غريب بشان ذلك الفاقض الجاني للذي تدعوه بالنفافة. وإذا ما كانت الطبيعة ثقافية على الدوام بمعنى ما، فإنَّ الثقافات مبنيّة من ذلك التبادل الدائم مع الطبيعة، الذي ندعوه بالعمل. فللدن ثبّتي بالزمل، والخشب، والحديد، والحجر، والماء وما إلى ذلك، وبذا فإنها تنتمي إلى الطبيعة بذات القدر الذي تنتمي فيه الأغاني الريفية إلى الثقافة. بل إنَّ الجغرافي ديفي الهي مدينة تيويورك على اتها وطبيعية و بكلّ ما فيها، ويشك بإمكانية أن يُقال عن الشعوب القبلية إنها و اقرب إلى الطبيعة » من الغرب ". أمّا كلمة manufacture وصناعة » فنمني في الاصل الحرفة اليدوية، وهي بذا كلمة ذات دلالة وعضوية »، لكنّها بمرور الزمن صارت تشير إلى الإنتاج الميكانيكي الضخم، وهذا ما حمتلها بنبرة إذروائيّة تحطّ من قدر البراعة والحرفنة، كان يُقال عن الخرب الدوقة باليكانيكي الضخم، وهذا ما حمتلها بنبرة إذروائيّة تحطّ من قدر البراعة والحرفنة، كان يُقال عن الخرب الدوقة بالها الخال الذي ولا وجود فيه لاقسام التصنيع ».

وإذا ما كانت الثقافة في الأصل تعني رعاية النّم الطبيعي، فإنها تشير إذاً إلى كلِّ من التنظيم والنمو المعفوي في آن معاً. فالثقافي هو ما يمكن لنا أن نفيّره، إلا ألل للمادة التي تغيّر وجودها المستقل، الامرالذي يسبخ عليها شيئاً من مقاومة الطبيعة وعنادها. وها يشتمل إيضاً على ضرّب من المستقل، الامرالذي يسبخ عليها شيئاً من مقاومة الطبيعة وعنادها. وها يشتمل إيضاً على ضرّب من التفاعل بين ما هو مُنظِّم وما هو غير ذلك، ألا الثقافة مسالة البّراع للقواعد. ذلك ألا أثباع عاعدة أمر يختلف عن إطاعة قانون فيزيائي والحضوع له، حيث ينطوي إنّباع قاعدة ما على فكرة التطبيق الخلاق لهنده القاعدة. ومثالًا على ذلك، ألا الاعداد ٢ - ٤ - ٢ - ٨ - ١ - ١ - ٣ يمكن أن تمثّل متواليةً مرتبطة بقاعدة، غير ألا هذه الاخيرة ليست بالقاعدة التي يتوقعها للرء أكثر ما يتوقع. ومن ثمّ، فإله لا بجود لقواعد تطبيق القواعد، اللّهم إلا تحت طائلة عملية من النكوص لا نهاية لها. ومن غير هذه النبايات المعتوحة، فإنَّ القواعد أن تكون قواعد، شأنها شأن الكلمات التي لا تعود كلمات ؟ دون أن ليمني ذلك أنَّ من الممكن أن نعتبر آية نقلة أو حركة كائنة ما كانت اثباعاً لقاعدة. فأثباع القواعد ليس بلامر الفوضوي ولا الاوتوقراطي، والقواعد، مثل الثقافات، ليست عشوائية بصورة مطلقة ولا حتية على فكرة الحرية، ومن يكون متحلمًا خلى التحلل من الاعراف الثقافية لن يكون اكثر حرية ثن هو عبد لها.

تشير فكرة الثقافة، إذاً، إلى نوع من الرّفض المزوج؛ للحتمية العضوية من جهة أولى، ولإستقلال الرّح من جهة أولى، ولإستقلال الرّح من جهة ثانية. فهي ترفض كلاً من الطبيعة ما يتخطأها وينقضها، وإزاء الثانية على أنَّ للقوة البشريّة وما تتّسم به من عقل وفيح جذوراً وضيعة تمته يتخطأها وينقضها، وإزاء الثانية على أنَّ للقوة البشريّة وما تتّسم به من عقل وفيح جذوراً وضيعة تمته في ببولوجيتنا وبيئتنا الطبيعة والمثالثة، واقعة انَّ الثقافة (شانها شان الطبيعة بهذا الصدوء مشيرةً الثقافة (شانها شان الطبيعة بهذا الصدد) يمكن أن تكون حداً وصفيًا على السواء، مشيرةً إلى ما كان قد تطور أو حدث ايضاً. وإذا ما كان هذا المحمد بوجهه عن المحتمية، فلن يحترس بالمثل من الإرادية، فإنّ لم تكن الكائنات البشريّة المفرم يشيح بوجهه عن المحتمية، فلن يحترس بالمثل من الإرادية، فإنّ لم تكن الكائنات البشريّة مجرّد نتاج غيطها، فإنَّ هذا المحيط بدوره ليس مجرّد صلصال يصوغونه إعتباطاً بحسب اهرائهم.

^{*} David Harvey, Justice, Nature and Geography of Difference (Oxford, 1966), pp. 186 - 8.

وإذا ما كانت الثقافة تغيّر هيئة الطبيعة، إلا النها أيضاً ذلك للشروع الذي تضع له الطبيعة حدوداً مساره، و تنظوي كلمة والثقافة اذاتها على توثر بين الصانع والمصنوع، بين العقلاتية والعفوية، تا يمثل توبيخاً لفكر التنوير غير المشخص بقدر ما يمثل تحتياً للإخترالية الثقافية لدى أقسام واسعة من الفكر المعاصر، بل إن كلمة والثقافة و تُلمح إلى ذلك التعارض أو التقابل السياسي بين التطور والثورة، حيث التطور وعضويه ووعفويه، والثورة مستمية وإرادية ؛ كما تُلمح إيضاً إلى الكيفية التي يمكن بها الحورج من هذا التناقض المبتلل، فكلمة والثقافة » تمزج مزجاً غريباً بين النمو والحساب، والحرية والشمرورة، وفكرة المشروع الواعي وفكرة الفائض الذي لم يتخط له. وإذا ما كان هذا يصمح على الكلمة، فإنه يصمح أيضاً على الشاطات التي تشير إليها، وحين فتش فريدريك نيتشه عن نمارسة يمكن لها أن تفكل التقابل والتضاد بين الحرية والحتمية، كان أن النفت إلى تجربة العمل الفتي، تلك يمكن مها أن تفكل التقابل والتضاد بين الحرية والحتمية، كان أن النفت إلى تجربة العمل الفتي، تلك بكلًّ من هذه الاشباء في علاقته بالآخر، وبذا تبده هذه التجربة كما لو أنها تدفع هذه الاضداد المتقابلة القديمة الرئة إلى الحداد الذي لا يمكن فيه الفصل أو الحسم بينها.

وثة معنى احر تجد فيه كلمة والتقافة عنسها امام إثنين من السبل، ذلك آن بمقدورها آن تشير السبل إنها إنها المنظرة عند ألى المنظل المناقة المناقة المناقة والمناقة على المناقة والتية، حتى تفترض وجود نوع من المناقة المناقة بين الملكات الرفيعة والملكات الوضيعة، بين الإرادة والرغبة، بين العقل والهوى، بما تتفتم الثنائية بين الملكات الرفيعة والملكات الوضيعة، بين الإرادة والرغبة، بين العقل والهوى، بما تتفتم الثنافة مباشرة كيما تتفلك عليه وتتجاوزه والطبيعة هنا لا تقتصر على مادة العالم الخام، وإنسا هي الثقافة بين ما الشهيئة على نحو محفوف بالخاطر. فكلمة والطبيعة عن مادة العالم الخام، وإنسا هي ايضاً مادة اللدات الخام الشهيئة على السواء على المنواء ، حيث يمكن بسهولة إقامة نوع من التكافق أو التعادل بين الدوافع المهاتمة الموجودة في الخارج. وبذا تكون الثقافة بين مسالة تغلب على الذات بقدر ما هي مسالة تحقيق للذات. فإذا ما كانت تحتفي بالذات، فإنها تعمد إلى ضبطها إيضاً، فهي الجمالي، والتقشفي في آن معاً. وإذا ما كانت تحتفي بالذات، فإنها تعمد تتلف تعلق على الموجودة في الخارج، وبذا تكون الثقافة المعالي، والتقشفي في آن معاً. وإذا ما كانت تعتفي بالذات، فإنها تعمد تتلف عن المعالية بقلل حقل لان تُحرّث وثهذات بقال الطبيعة البشرية لا والثقافة من الطبيعي إلى الروحي، فإنها تلمح إيضاً إلى صلة والفة بين الإثنين. وإذا ما كنا كائت منافيات الضوء على تنقافية، فإننا كذلك جزء من الطبيعة التي تُعمل فيها عملنا. والمؤت آن من مزايا كلمة والطبيعة ان الشادء على الذارق والإختلاف.

وفي سيرورة صياغة الذات هذه، يتحدُ مرَّة أخرى، لدى الأفراد انفسهم هذه المَّرَة، كلِّ من الفعل والإنفعال، ما هر مُرَّاد تما يتطلب الجهد والمشقة وما هو مُعْطَى ومُتَعَيِّن أصلاً. فنحن نشبه الطبيعة في النَّا يتغلى المنافقة عني هيئة أو شكل، غير اثنا نختلف عنها في النَّ بمقدورنا أن نفعل ذلك لانفسنا، وبذا تُدخلُ إلى العالم قنراً من المرونة لا يمكن لبقيّة الطبيعة أن تطمح إليه. فنحن من نهذّب أنفسنا، وبذا نكوذ مثل صلصال بين ايدينا، حيث يجتمع في الجسد الواحد ذاته كلَّ من الشالَّ

وللهتدي، والخاطئ والقديس. أمّا لو تُركَت طبيعتنا الفاسدة وشائها فما كانت لتستطيع أن تنهض من تلقاء نفسها إلى نعمة الثقافة، مع العلم أنّ هذه الأخيرة لا يمكن أن تُمْرُض عليها عنوةً ؟ ولا بئ بالاحرى من أن تقيم نوعاً من التعاون مع الميول الفطريّة في الطبيعة ذاتها، كيما تحتُ هذه الطبيعة وتدفعها إلى التعالي على ذاتها، فالثقافة، مثل النعمة، لا بد أولاً من أن تمثل إمكانية ضمن الطبيعة المستربّة، كيما يكون لها تالياً أن تنغرز وتقتحم .غير أنَّ الحاجة إلى الثقافة تشير إلى وجود صرّب من الشعمة من الطبيعة على الإرتقاء إلى ذرى لا تطولها بقيّة نظرائنا النقرة تالياً على الإرتقاء إلى ذرى لا تطولها بقيّة نظرائنا من مخلوقات الطبيعة هي امرٌ ضروري بغرضه شرطنا الطبيعي، الذي هو أيضاً شرط وغير طبيعي المن حدة بياساً بشرط أولئا النظراء . فإذا ما كان ثمّة تاريخ وسياسة محتجبين في كلمة والثقافة ٤٥.

"بل إن التهذيب قد لا يقتصر على كونه شيئاً نفعله لانفسنا. فقد يكون ابضاً شيئاً يُمْمَل لنا، من طرف الدولة على الاقل. فلكي تزدهر الدولة، لا بنا لها من ان تغرس في اذهان مواطنيها تلك طرف الدولة على الاقل. فلكي تزدهر الدولة، ؟ وهذا ما تشير إليه فكرة الثقافة أو الد Bildung الضروب الملائمة من الطباع الروحية أو المعنوية ؛ وهذا ما تشير إليه فكرة الثقافة أو الد Bildung ألم الدى واحد من التقاليد المهيبة متدامن شيئلر إلى ماتيو ارنولد". ففي المجتمع المدني، يعيش الافراد في الدى واحد من التقاليد المهيبة متدام من شيئلر إلى ماتيو ارنولد". ففي المجتمع المدني، يعيش الافراد في المتالي المتالي المتالي المتوافقة من التقافة في المجتمع المدني ومؤثرة فيه أصلاً، مُحقَّفة من احقاده ومُهاناً بقطساسيّاته ؛ وهذه العملية هي ما يُعرّفُ بإسم الثقافة. فهذه الاخيرة هي نوع من البيداغوجيا و التربية والتعليم ؛ وهذه اللمعلية هي ما يُعرّفُ بإسم الثقافة، فهذه الاخيرة هي نوع من البيداغوجيا و التربية والتعليم ، الاخلاقية يهيّمنا لمواطنية السياسيّة عن طربي إطلاقه الذات المثالية أو الجمعيّة المدفونة في داخل كلَّ المنافقة من مذا عن الحاجة إلى إقامة الحضارة على أساس من التهذيب أو التثقيف، وفي تطوير متسى لتلك الصفات والملكات التي تميّز بشريّتنا المشركة، من أن نكون بشراً كيما نكون مواطنين ه". متسق لتلك الصفات والملكات التي تميّز بشريّتنا المشركة.

وأن ثُمُلي الثقافة على السياسة - أن نكون بشراً أولاً ومواطنين ثانياً - يعني ان على السياسة ان تتحرّك ضمن بعد إخلاقي عميق، معتمدةً على ما توقره اله Bildung من موارد في جعلها الافراد مواطنين صالحين يشعرون بالمساؤوليّة ويتسمون بالإعتدال والطباع الحسنة. وهذه هي بلاغة الطبقة المتضلّمة من التربية المدنية (٢)، إذا ما ارتفعت نبرتها قليلاً. ولانَّ «البشرية» هنا تعني مجتمعاً خالياً من الصرّاع، فإنَّ ما هو موضع رهان ليس أولويّة الثقافة على السياسة وحسب، وإنّما أولويتها على نوع

David Lloyd and Paul Thomas, Culture and State (New York and London, 1998). وكذلك في الفصل الثالث خاصةً من :

Ian Hunter, Culture and Goverment (London, 1988).

يمكن للقارئ أن يجد عرضاً متميزاً لهذا الخط أو التقليد الفكري في :

^{**} S. T. Coleridge, On the Constitution of Church and State (1830, reprinted Princeton, 1976), p. 42 - 3.

محدد من السياسة. فالشقافة، أو الدولة، هما ضرب من اليوطوبيا المبتسرة أو الخديج التي تلغي المسراع على مستوى السياسة. والحق آلاً ما من شيء أبعد عن البراءة السياسية، والحق آلاً ما من شيء أبعد عن البراءة السياسية من تسويد صفحة السياسة بإسم الإنسان والإنسانية. أولئك الذين يلتعون المحاجة إلى فترة من الحضانة الاخلاقية لتهيئة البشر للمواطنية السياسية، يغسمون في صفوفهم من ينكرون على الشعوب المستعمرة حقها في أن تحكم نفستها، بحجة أن عليها أن وتتحضر، بما يكفي لان تمارس ذلك بصورة مسؤولة. ويغفل هؤلاء حقيقة أن أفضل تهيئة للإستقلال السياسي هي الإستقلال السياسي ذاته. والمفارقة الستاخرة أن هذه المرافعة التي تتخذ مساراً لها من الإنسانية إلى النقافة إلى السياسة تفضي بإنحيازها السياسي حقيقة أن المسار الفعلي هو المسار المماكس ؟ أي أن المالح السياسية هي التي تمكم المصالح الثقافية في العادة، وأنها إذ تفعل ذلك إثما تنم على رؤية المالحة الإنسانية لهي غير.

وما تفعله الثقافة، إذاً، هو اتها تُقطِّرُ إنسانيتنا المشتركة من ذواتنا السياسية المنصوبة في نِحَل وضيّح، حيث تسترد الروح من الحواس، وتعتزع الثابت من الزائل، وتقطف الرحدة من التعادد. فهي تشير إلى ضرّب من الإنقسام على الذات، كما تشير إلى صَرّب من شفاء الذات الذي لا يلغي ذوائنا الدنيوية التكدة، وإنما يصقالها من الداخل بنوع من الإنسانية المثالية. وبذا يُصالُ ويُقرَضُ في آن مما ذلك الشق بين الدولة والمجتمع المدني، بين الكيفية التي ينبغي أن يبدو عليها المواطن البرجوازي كيما كيمل نفسه والكيفية التي هو عليها بالفعل، فالشقافة هي شكلٌ من الذاتية الشاملة الشغالة في داخل كل نفسه والكيفية التي هو عدور العام والشامل داخل العالم الحصوصي للمجتمع المدني، وكما يقول فريدريك شيلر في كتابه وفي النربية الجمالية للإنسان الدولة التي هي حضور العام والشامل داخل العالم الحصوصي للمجتمع المدني.

يمكن القول إنَّ كلَّ كائن بشريَّ فرد يحمل في داخله، كإمكانيَّة أو منظور، إنساناً منالياً، هو النمط الأصلي أنه على النمط الأصلي للكائن البشريَّ الذي تتمثّل مهمة حياته، بكلَّ عَليَّاته المتبتلة، في أن يكون على إنسجام مع ما يتَّسم به هذا المثال من وحدة ثابتة غير متبتلة. وما يمثّل هذا التّمط الاصلي، الذي ينبغي أن نتيبّنة لدى كلَّ فرد بهذا القائر أو ذاك من الوضوح، هو الدولة، ذلك الشّكل الموضوعي والقانوني الذي يَجْهَهُ تعاد الدُّوات الفرديّة بأجمعه لأن يتّحد فيه *

وهكذا، فإنَّ الثقافة في هذا التقليد الفكري لا تكون منفصلة عن المجتمع ولا متطابقة معه تماماً. وإذا ما مثلت نقداً للحياة الإجتماعية على مستوى وإذا ما مثلت نقداً للحياة الإجتماعية على مستوى وإذا ما مثلت نقداً للحياة الإجتماعية على مستوى آخر. فهي لم تشح بعد بوجهها إشاحة كاملة عمةا هو قائم، الأمر الذي ستفعله بالتدريج لدى ذلك الخط الفكري الإنجليزي الذي يُعرف بإسم والثقافة والمجتمع ٥. والحق أنَّ الثقافة عند شبللر هي الآلية المركة فيما سيُطلِق عليه لاحقاً إسم والهيمنة ٥، حيث تُقولبُ الذوات البشرية تبعاً لحاجات نوع جديد من النظام السياسي، فتعيد صياغتهم وتحواهم إلى أدوات لذلك النظام، طيّعة ومعتدلة، ونبيلة ألشاعر، ومحتبة للسلام، غير مشاكسة، ولا مبالية. ولكي تفعل الثقافة ذلك، فإنَّ عليها أيضاً أن تعمل كنوع من النقد الخايث أو التفكيك (١٠)، فتغزو من الداخل مجتمعاً ضالاً كيما تشلُ ما يمكن

^{*} Friedrich Schiller, On the Aesthetic Education of Man, In a Scries of Letters (Oxford, 1967), P. 17.

أن يبديه من مقاومة حيال ما تومئ به الروح . ولسوف يكون على الثقافة لاحقاً، في العصر الحديث، ان تغدو إِمَّا حكمةً اولمبيّة، وإِمَّا سلاحاً ايديولوجيًا، إِمَّا شكلاً منعزلاً من النّقد الإجتماعي، وإِمَّا عمليّة حبيسة الوضع القائم وواقعةً في شراكه بأشت ما يكون الوقوع . أمّا قبل ذلك، أي في تلك اللحظة الباكرة البهيجة من ذلك التاريخ؛ فكان لا يزال من الممكن النّظر إلى الثقافة على أنّها نقدًّ مثاليًّ وقرّة إجتماعيّة واقعيّة في الوقت ذاته .

ولقد تعقب ريموند وليامز بعضاً من تاريخ كلمة والثقافة ؛ العقد، وميّز ثلاثة من معانيها الحديثة الكبرى". فقد خرجت هذه الكلمة من جدورها الاصليّة الممتدة في تربة العمل الريفي لتعني في البداية شيئاً قريباً ؟! تعنيه كلمة « civility و الكياسة »، ولتغدو في القرن الثامن عشر مرادفاً، إلى هذا الحدة أو ذاك، لكلمة وcivilization والحضارة ، بالمعنى الذي يشير إلى سيرورة عامة من التقديم الفكرى والروحي والمادي. فالحضارة كفكرة تساوي بين آداب السلوك والأخلاق على نحو له دلالته ؛ فإن تكون متحضّراً يعني الا تبصق على السّجادة كما يعني الا تدق اعناق مَن أسَرّتُهُم في الحرب. فكلمة والحضارة ، ذاتها تشتمل على ضرَّب من التعالق الذي تكاد أن تضيع فيه الحدود بين التصرّف المؤدّب والسلوك الأخلاقي، الأمر الذي يمكن أيضاً أن نجده في إنجلترا في كلمة وجنتلمان .. والحال، أنَّ (الثقافة) كمرادف لـ (الحضارة) تنتمي إلى الرّوحية العامّة أو الجرّ العام الذي أشاعه التنوير، بعبادته النطور الذاتي التقديمي، والعلماني. فالحضارة فكرة فرنسية إلى حداً بعيد - إذ كان يُعْتَقُد آنذاك كما يُعْتَقُد الآنَّ، أنَّ التحضّر حكّرٌ على الفرنسيّين -حيث كانت تشير في آن معاً إلى كلُّ من التَّهذيب الإجتماعي في سيروته التدريجيَّة والغايةالطوباوية التي تمته نحوها هذه السَّيرورة. وفي حين كانت والحضارة والفرنسيّة تشتمل بصورة نمطيّة على الحياة السياسيّة، والإقتصادية، والتقنية، فإنَّ «الثقافة » الألمانيَّة كانت ذات مرجعيَّة دينيَّة، وفكريَّة، وفنيَّة أضيق، كما كانت تشير إلى التهذيب الفكري لجماعة من الجماعات او فرد من الافراد، وليس للمجتمع ككلّ. وفي حين كانت الخضارة، تقلل من أهميّة الفوارق القوميّة، فإنّ والثقافة) كانت تسلّط عليها الضوء. والحال، أنّ التوتربين والثقافة ، ووالحضارة ، قد كان أمراً وثيق الصلة بالتنافس بين المانيا وفرنسا **.

ومن شم، فقد اعترت فكرة الثقافة اشياء ثلاثة حوالي منقلب القرن الناسع عشر. فقد بدات، أولاً، تميل عن كونها مرادفاً لـ والخضارة ، لتتحوّل إلى ضداً لها. وهذا ضرّب من الإنحراف الدلالي نادر بما فيه الكفاية ، وهو إنحراف يلفت الإنتباه إلى إنحراف تاريخي بالغ الاهمية والخطر. فـ والحضارة » مثل «الثقافة» ، كلمة واصفة جزئياً ومعيارية جزئياً ؛ حيث يمكن لها أن تصف على نحو حيادي أشكلاً من اشكال الحياة (وحضارة الانكاء على سبيل المثال)، أو ان تطري بصورة ضمنية شكلاً حياتياً ما بسبب من إنسانيّته، وإستنارته، وتهذيبه . والحق أن هذا ما تفعله اليوم الصفة و متحضر ، باشد ما يمكن الوضوح. فحين تعني الحضارة الفنون، والعيش المديني، وسياسة المواطنة، والتكنولوجيات المعقدة وما شابه، مع اعتبار ذلك تقدماً بالقياس إلى ما كان قبله، فإن كلمة والحضارة » تكون وصفية

^{*} Raymond Williams, Keywords (London, 1976), pp. 76 - 82.

^{**} Norbert Elias, The Civilising Process (1939, reprinted Oxford, 1994), ch. 1.

ومعيارية على نحو مترابط لا سبيل إلى الفصل فيه. فهي تعني الحياة كما نعرفها، لكتها تشير أيضاً إلى تفوقها على البربريّة. وحين لا تكون الحضارة مجرّد مرحلة بذاتها من مراحل التطوّر، بل مرحلة والمه التطوّر داخل ذاتها، فإنّ الكلمة توحّد مرّة أخرى بين الواقعة والقيمة. وهذا ما يجعل من كلَّ وضع قائم منطوياً على حكم قيمة، فهو مضطر من النّاحية المنطقيّة لان يمثل تحسّناً بالقياس إلى ما كان قبله ؛ بمنى الله هذا الوضع، كائناً ما يكون، لا يقتصر على كونه قائماً وحسب، بل يتعدى ذلك إلى كونه أفضل منا كان بكثير.

وتبدا المشكلة حين ياخذ الرجه الوصفي والوجه المعياري لكلمة والخضارة وبالإنفصال كلِّ على حدة. فهذا المصطلح ينتمي في واقع الاسرالي معجم الطبقة الوسطى الاوروبية ما قبل الصناعية ، حيث يعبق بآداب السلوك، والدامائة، والكياسة، والتهذيب، واناقة التعامل. وهذا يعني أنه شخصي وإجتماعي على حدًّ سواء ؛ فالتهذيب مسالة تطور متناغم وشامل في الشخصية، لكنَّ أحداً لا يمكنه بن يطور مثل هذا التطور في عزلة عن الآخرين. ومعرفة البشر أنهم عاجزون عن التطور معزل عن بعضهم بعضاً هي ما يساعد على إنزياح الثقافة من معناها الفردي إلى معناها الإجتماعي. فالثقافة يكون للثقافة بمدها السياسي إيضاً. وإلى هذا، فإنَّ التهذيب يسير مع التجارة جنباً إلى جنب، ذلك يكون للثقافة بمدها السياسي ايضاً. وإلى هذا، فإنَّ التهذيب يسير مع التجارة جنباً إلى جنب، ذلك نتوعات حادة وحواف قاطعة. غير أن ورثة هذا العصر الوردي من الراسماليين الصناعين سيجدون معرفة غي إقناع انفسهم بان الخضارة كواقعة لا تختلف عن الحضارة كهيمة. فعن وفائح المضارة الراسمالية الصناعية الباكرة أن منظفي المداخن من الشباب كانوا مهيون للإصابة بسرطان الصفن، وهو أمر يصعب النظر إليه على أنه إنجازً ثقافي يرقى إلى مصاف روايات والتر سكوت أو كاتدرائية رئم.

وفي أواخر القرن التاسع عشر، كان لا بدّ لـ « الحضارة » من أن تكتسب صدئ إمبريالياً ايضاً ، وهو ما كان كافياً لتسويد صفحتها في أعين بعض الليبراليين. ولذا فقد كان ثمّة حاجة إلى كلمة أخرى للإشارة إلى وجوب أن تكون الحياة الإجتماعيّة على غير ما كانت عليه . ولقد استعار الألمان لهذا اللإضارة إلى وجوب أن تكون الحياة الإجتماعيّة على غير ما كانت عليه . ولقد استعار الألمان لهذا الغرض الكلمة الفرنسيّة Culture . وبذا غدت كلمة Kulture أو ما للتقد الرومانتيكي ، ما قبل الماركسي ، للراسمالية الصناعية الباكرة . ففي حين أن الخضارة مصطلع ذو طابع إجتماعيّ أنيس، ومسالة لطافة وظرف وسلوكات مقبولة، فإنّ الثقافة أمرٌ مثقل بالإحتمالات أكثر من ذلك بكير، كما أنها المرّ روحيّ ، ونقدي، وسام إلى الحدّ الذي لا ينيح لها أن تطمئن للعالم أو تبتهج به . وفي حين أن الحضارة فرنسيّة من حيث الصيفة ، فإن الثقافة المانيّة من حيث القالب .

وكلّما كان يتزايد ظهور الحضارة القائمة على أنها حضارة نهابة ومغشوشة، كان يتزايد اضطرار فكرة الثقافة لان تكون موقفاً نقدياً. ولقد كان الان culturkritik الثقافي، في حالة حرب مع الحضارة لا في حالة تطابق معها أو انسجام. وإذا ما كان قد تُظرِّمرَةً إلى الثقافة على آنها وثيقة الصلة بالتّجارة وحليفتها، فقد أصبحنا الآن في حالة من التنافر والتضارب المتزايدين. وكما يقول ريموند وليامرًا فإلاً و كلمةً كانت قد أشارت إلى سياق من الإعداد والتهيئة في مجتمع واثق ومطمئن، غدت في القرن التاسع عشر بؤرة ردَّ عميق ودالَّ على مجتمع في مخاص تغيّر جداري ومؤلم ع°. وهكذا، فقد كان أحد أسباب ظهور و الثقافة ع حقيقة أنَّ والحضارة ع بدأت تبدو بعيدة عن المنطق بوصفها حت قيمة أو مصطلحاً معيارياً، ولقد شهد منقلب القرن التاسع عشر حالة من الد Culturpessimismus القرن التاسع عشر حالة من الد المتوافقة والمتشاؤم الثقافي ع المتزايد، و بما كان كتاب أوز والد شبنغلر قدهور الغرب أهم وثيقة عنها، إلا أن لها أيضاً ترجيعها الإنجليزي الخافت في كتاب ف. ر. ليفيز الموسوم على نحو له دلالته بحضارة الجمهور وثقافة الاقلية. و لا حاجة للقول إنَّ صلة الوصل بين طرفي هذا العنوان تشير إلى حالة من التعارض الساطع.

غير أنَّ الثقافة كيما يكون لها أن تمثَّل نقداً فاعلاً ومؤثِّراً، كان لا بدُّ أن تحتفظ ببُعْدها الإجتماعي. فهي لا تستطيع أن تقفز عائدة إلى معناها الباكر الخاص بالتهذيب الفردي. ولقد كان التناقض الشُّهير الذي قدَّمه كولردج في كتابه عن تكوين الكنيسة والدولة - حيث ٤ التباين الدائم والتعارض الحيني بين التهذيب والحضارة ، إيذاناً بكثير مما قُدّر للكلمة أن تخضع له في العقود التالية ؛ حيث راح مفهوم الثقافة المولود في قلب التنوير يخوض معركةً أوديبيّة عنيفة ضد أسلافه. فالحضارة مجرّدة، ومغتربة، ومتشظية، وميكانيكية، ونفعيّة، ومستعبدة لإيمان شديد بالتقدم الماكي ؟ أمّا الثقافة فكليّة، وعضوية، ومحسوسة، لا غاية لها سوى ذاتها، فضلاً عن قدرتها على التذكّر والإستعادة. ولذا فقد توافق النَّزاع بين الثقافة والحضارة مع النّزاع المتأجّج بين التراث والحداثة. إلاَّ أنَّ هذه الحرب كانت أيضاً حرباً زائفةً إلى هذا الحدّ أو ذاك. فنقيض الثقافة، عند ماتيو أرنولد ومريديه، هُو فوضويّة كانت الحضارة ذاتها قد تمحّضت عنها. ذلك أنَّ مجتمعاً مفرطاً في ماديّته لا بدُّ أنْ يولد هادميه الساخطين والافظاظ، عمن تجد الثقافة نفسها، إذْ تُهذَّبهم، أنَّها تخرج لإنقاذ الحضارة التي شعرت إزاءها بكلِّ ذلك الإحتقار. ومع ذلك، وعلى الرغم تتا عناه هذا من عبور شائك للحواجز السياسيّة بين المفهومين، فإنَّ الحضارة كانت برجوازية بوجه عام، في حين كانت الثقافة ارستقراطيَّة وشعبيَّة في آن معاً. فهي مثل اللورد بايرون، تمثّل في جوهرها ضرباً راديكالياً من النزعة الارستقراطيّة، إلى جانب نوعٍ من التعاطف النابع من القلب مع الـ Volk و الشعب ، والكراهيّة المتكبّرة تجاه الـ Burgher و البرجوازية ». والحال، أنَّ هذه الإلتفاتة الـ Volkisch والشعبية ، التي أبداها مفهوم الثقافة، هي خطَّ التطوّر الثاني ١٣ يتعقبه وليامز. فمنذ المثاليين الألمان وصاعداً، تبدأ الثقافة بالخاذ شيء من معناها الحديث الذي يدلُّ على طريقة حياة مُيّزة. وهو ما مثّل، بالنسبة لهيردر، نوعاً من الهجّوم المتعمّد على كونيّة التنوير. فالثقافة، برأي هيردر، ليست سردية كبرى أحاديّة الخطّ من سرديات الإنسانيّة الكونيّة، وإنّما هي تعدّد في الأشكال الحياتيّة الخصوصيّة، التي يتمتّع كلٌّ منها بقوانين تطوّره الخاصّة. والحقّ أنَّ التنوير، كما يقول رؤبرت يونغ، لم يكن موَّحداً ومتَّسقاً على الدوام في مناقضته مثل هذه النظرة. فلقد أبدى انفتاحاً على الثقافة غير الأوروبيّة بطرائق اضْفَتْ طابعاً نسبيّاً خطراً على قيّمه الخاصة،

^{*} Raymond Williams, "The Idea of Culture", in John McIlroy and Sallie Westwood (eds), Border Country: Raymond Williams in Adult Education (Leicester, 1993), p. 60.

كما استبق بعض مفكّريه ما جرى لاحقاً من إضفاء طابع مثالي على «الشعوب البدائية» تما انطوى على نقد للغرب ". ومع ذلك، فإنّ هيردر يربط صراحة ذلك الصراع بين معنتي كلمة و الثقافة » بصراع بين أوروباً وآخريها من المستعمرين. وهو يمضي إلى معارضة المركزية الأوروبيّة، التي ترى إلى الثقافة ، بوصفها حضارة كونيّة، بدعاوى أولئك الموجودين «في جميع أنحاء الأوض» ثمن لم يعيشوا ويقضوا من أجل ذلك الشرف المشكوك فيه، والمتمثّل في دفع ذريّتهم إلى أن تستما السعادة من ثقافة أوروبية تبدو متفودة في الظاهر"".

يقول هيردر إنَّ اما يَشكَل جزءاً لا يتجزّا من عالم الأفكار لدى أمّة من الام لا يمكن إبداً أن يدخل عقل أمّة ثانية، في حين تحكم عليه أمّة ثالثة بأنّه مؤذ وضار " ومن الواضع، إذاً، ان أصل فكرة الثقافة بوصفها طريقة حياتية بميزة مرتبط أوثق الإرتباط بولع رومانتيكي مناهض للكولونياليّة تجاه المجتمعات الفريبة والمظلومة. ولسوف تعاود نزعة التعلّق بما هو غريب ظهورها في القرن المشرين على هيئة ما السمت به الحداثة من سمات بدائية، تلك البدائية التي ترافقت مع صعودالانثروبولوجيا الثقافيّة الحديثة. بل إنها ستبرز لاحقاً مزيداً من البروز، بإهاب ما بعد حداثي هذه المرّة، في إضفاء الطابع الرومانتيكي على الثقافة الشعبية، هذه الثقافة التي تلعب اليوم ما لعبنه الثقافات البدائيّة المناسبة من دور مؤثّر، وعقوي، وشبه طوباوي " " "

وفي إيماءة تتنبّأ بما بعد الحداثة - التي هي، من بين أشياء اخرى، ضرب من الفكر الرومانتيكي المتخر - يقترح هيردر وضع مصطلع والثقافة ، بصيغة الجمع، والكلام، كما يفعل هو، على ثقافات الام والمراحق المختلفة، وكذلك على ثقافات إجتماعية وإقتصادية مميزة ضمن الامة الواحدة، وبشيء من التردد، فإنَّ معنى الثقافة هذا سيمة بجذوره منذ حوالي منتصف القرن الناسع عشر، إلا آئه لن يترمنخ تماماً إلا مع مطلع القرن العشرين. فعلى الرخم من مواصلة استخدام والحضارة ، وو الثقافة ، على نحو متبادل، وإحلال إحداهما محل الاخرى، بين الانثروبولوجيين خاصة، إلا أنَّ الثقافة غدت على نحو متبادل، وإحلال إحداهما محل الأخرى، بين الانثروبولوجيين خاصة، إلا أنَّ الثقافة غدت عالمية وليست عالمية وكرسموبوليتانية »، وهي واقع يُعاش بالنبض على مستوى أعمق من العقل بكثير، تما يجعلها في ورصف إشكال

^{*} Robert J.C. Young, Colonial Desire (London and New York, 1995), ch 2.

وهذا الكتاب هو واحد من افضل المداخل إلى التصور الحديث للثقافة وما فيه من مسحات عنصرية ملتبسة . آما بخصوص ما اتسم به التنوير من نزعة نسبية ثقافية، فيمكن الرجوع إلى رحلات جاليفر لجوناتان سويفت .

^{**} See ibid. p.79

^{***} Johann Gottfried von Herder, Reflections on the Philosophy of the History of Mankind (1784 - 91, reprinted Chicago, 1968), p. 49.

^{***} John Fiske, Understanding Popular Culture (London, 1989) and Reading the Popular (London, 1989). ومن أجل قراعة نقدية لهذا للوضوع، أنظر:

Jim McGuigan, Cultural Populism (London, 1992).

حياة والهمج ع لا مصطلحاً يُطلَق على المتحضّرين ". فمن خلال عملية قلب لافتة ومثيرة، صار الهمج هم المثقفون في حين غذا المتحضّرون عكس ذلك. بيد ان التقافة » التي تستطيع أن تصف نظاماً إجتماعياً وبدائياً »، تستطيع أن تصف نظاماً إجتماعياً وبدائياً »، تستطيع أيضاً ان تجد طريقة لإضفاء طابع مثاليًّ على نظامها الإجتماعي الخاص. وإذا ما كانت الثقافة والعضوية» قد وقرت للرومانتيكيين الراديكاليين نقداً للمجتمع القائم على نحو يقي هذا المجتمع من الثقاد، كما المكن لبريطانيا الإمبريالية أن تدعي تلك الوحدة التي لم يستطع البعض أن يجدها إلا لدى الجماعات ما قبل الحديثة. وبذا فقد أمكن للتول الحديثة ان تنهب يستطع البعض أن يجدها إلا لدى الجماعات ما قبل الحديثة. وبذا فقد أمكن للتول الحديثة ان تنهب اللول ما قبل الحديثة. وبذا فقد أمكن للتول الحديثة أن تنهب إلى المدقة ولا تفي بالغرض، فهي منقسمة على ذاتها... تترادف مع الحضارة الغربية في اتجاهها السائد وتتناقض معها في الوقت ذاته إقم. "وهي بوصفها ذلك اللعب الحرّالذي يلعبه الفكر الحيادي الملتورة على أن تقرّض المسائح الإجتماعية الانانية ؛ غير أنها إذ تقوّض هذه المساح بإسم الكل الإجتماعي، إنما تعرّز النظام الإجتماعي الذي تريد أن توبخه.

والثقافة برصفها كلاً عضوياً، مثل الثقافة بوصفها كياسة، تترجّح بين الواقعة والقيمة على نحو غير محسوم. فهي، بمعنى ما، ليست أكثر من إشارة إلى شكل تقليديُّ من أشكال الحباة، سواء كانت حياة المبرر أو حياة الحلاقين "، غير أنَّ الجماعة، والتراث، والجذور، والتضامن هي افكار كانت حياة المبرر أو حياة الحلاقين "، غير أنَّ الجماعة، والتراث، والجذور، والتضامن هي افكار يُشتَرَضُ بنا أن نحبذها، إلى أن جاءت ما بعد الحداثة على الأقل، ولذا فقد يُظنَّ أنَّ ثمة ما هو إيجابي في مجرّد وجود هذا الشكل أو ذلك من أسكال الحياة ؛ أو بكلام أدقّ، في مجرّد واقعة تمند هذه الأشكال. والحق أنَّ هذا الإلتحام بين الوضعي والمعياري، المتبقي عن كلَّ من والحضارة و والمعنى الكوني لد الثقافة»، هو الذي سيشمخ برأسه في أيامنا هذه متخذاً هيئة النسبية الثقافية. والمفارقة الساخرة، أن مذه المنات التي عرفتها حقبة الحداثة. الساخرة، أن مذه هذه والكيات» أو والإكتمال هي ماكنت الحضارة منكبة على تخريبها. ولا شك، بالطبع، أنَّ مثل هذه والكيات» أو والإكتمال هي ما كانت الحضارة منكبة على تخريبها. ولا شك، بالطبع، أنَّ مثل هذه والكيات أبياياً يمكن أن تقع إلى أسب بعضها بعضاً وسماء إلى المقول المفرطة في الحماس وافقهم أن يديروا أثناً صماء إلى مثل هذا التحذير. جانب بعضها بعضاً بعضاً المقول المفرطة في الحماس وافقهم أن يديروا أثناً صماء إلى مثل هذا التحذير. وفي حين رأوا أنَّ الثقافة بوصفها حضارة تقوم على التمايز والتفاضل الصارمين، فقد رأوا أنَّ الثقافة حياء ليست كذلك. فكلُّ ما ينبع من الشعب على نحو صادق هو أمرَّ حَمَّن وخير، وصوصادق هو أمرَّ حَمَّن وخير،

^{*} John Beattie, Other Cultures (London, 1964).

وهو كتاب يشتمل على معالجة أنثروبولوجية ثقافية نيّرة لهذه الموضوعات.

^{**} Young, Colonial Desire, p. 53.

^{***} Franz Boas, Race, Language and Culture (1940, reprinted Chicago and London, 1982), p. 30.

كائناً ما كان هذا الشعب. بل إن ذلك ليصح عندهم مزيداً من الصحة إذا ما كانت الإشارة إلى شعب بدائي. غير الله ذا التمييز بين الثقافة بوصفها حضارة، والثقافة بوصفها طريقة حياة، سرعان ما فقنة وضاع. فالثقافة بوصفها حضارة كانت قد استعارت ضروب تمييزها بين الرفيع والوضيع من الانتروبولوجيا في مراحلها الباكرة، حيث كانت ترى أن بعض الثقافات تتفوق تقوقاً واضحاً على بعضها الآخر ؛ لكن تزايد النقاش وتقليب الامر على وجوهه، جعل المعنى الانتروبولوجي للكلمة أقرب إلى الوصفي منه إلى التقويمي . وصار مجرّد وجود ثقافة من نوع ما قيمةً بحد ذاته، كما لم يعد ثمة معنى لرفع لثقافة فوق أخرى، إلا كالمعنى الذي في القول إن قواعد اللغة الكاتالانية تتفرق على قواعد اللغة العربية.

وبالمقابل، فإنَّ ما بعد الحداثي يرى أنَّ من الواجب الإحتفاء بالطرائق الحياتيَّة الكليَّة، إذا ما كانت طرائق تلك الجماعات الإنشقاقيّة والاقلويّة، في حين يرى أنّ من الواجب إنتقادها بقسوة إذا ما كانت طرائق الأكثريات. وعلى هذا الأساس فإنّ صدر وسياسات الهويّة ، ما بعد الحديثة يتسع للسحاقية لكنّه لا يقسع للقوميّة، وهو ما كان سيبدو للراديكاليين من الرومانتيكيين الاواثل، بخلاف الراديكاليين ما بعد الحداثيين، أمراً أبعد ما يكون عن المنطق. فتلك الزمرة الأولى، التي عاشت في حقبة من الثورات السياسية، كانت محصّنة ضدّ سخف الإعتقاد بأنّ حركات الاكثرية أو ضروب الإجماع لا بنُّ أن تكون قائمة على الجهل. أمَّا الزمرة الثانية، التي ازدهرت في طور أقلَّ حماساً وغبطة من اطوار هذا التاريخ ذاته، فقد أقلعت عن الإيمان بالحركات الجماهيرية الراديكالية، ذلك أنَّها لا تتذكر من هذه الحركات سوى أقلّ القليل. فما بعد الحداثة، بوصفها نظريّة، اتت بعد حركات التحرّر الوطني العظيمة في أواسط القرن العشرين، وهي أصغر بالمعنى الحرفيّ أو المجازيّ من أن تتذكّر مثل هذا الإندفاع التُّوري الْزَلْزل. بل إنَّ مصطلح ٤ ما بعد الكولونيالية ٤ ذاته يشير إلى إهتمام بمجتمعات «العالم الثالث» التي سبق لها أن خاضت نضالها المناهض للكولونيالية، تلك المجتمعات التي ما عاد من المحتمل أن تشكّل إرباكاً لاولئك المنظرين الغربيّين المغرمين بالضحايا وبالخاسرين، في الوقت الذي يبدون فيه الكثير من الشك والرببة حيال مفاهيم كمفهوم الثورة السياسية. ولربما كأن من السهل على المرء أيضاً أن يشعر بالتضامن مع أم والعالم الثالث ، ما دامت هذه الام قد كمَّت الآن عن قتل ابناء بلده.

ومن ثمّ، فإنَّ الكلام على مفهوم الثقافة بصيغة الجمع أو إضفاء طابع التعددية عليه لا يضمن الإيقاء على ما فيه من ضحنة إيجابية. ومن السهل بمكان أن نشعر بالحماس حيال الثقافة بوصفها تطوّراً ذاتياً إنسانرياً، أو حتى حيال الثقافة البوليفيّة، على سبيل المثال، إذْ إنَّ تشكيلة معقدة على هذا النحو لا بنه أن تشتمل على كثيرٍ من السمات الحميدة. وبالمقابل، فإننا ما إلا نبدا، بروح من التعددية السمحاء، بفكفكة فكرة الثقافة، بحيث تغطّي « ثقافة ملاهي الشرطة » مثلاً، أوو ثقافة المصابين بامراض نفسية جنسية »، أو «ثقافة المافيا »، حتى يكون ثمة مجال للشك في وجوب إستحسان

مثل هذه الاشكال الثقافية لجرّد كونها اشكالاً ثقافيّة، أو لجرّد كونها جزءاً من تعدّد واسع وغنيّ من هذه الاشكال. فلقد عرف التاريخ تمنداً واسماً وغنيّاً في ثقافات التعذيب، ولا بدُّ أن نفوس اعتى التعدديّين ستعاف القول إلْ هذا مثالٌ آخر على ما في التجربة الإنسانيّة من غنى وتعدّد في الالوان. وأولئك الذين يعتبرون التعدّدية قيمة بحدُّ ذاتها لبسوا سوى شكلانيّين خالصين، ومن المواضح آلهم لم يلحظوا ذلك التنوع البارع والمدهش في الاشكال التي يمكن للعنصريّة أن تتخذها. وعلى اليه حلل، فإنّ التعددية هنا، شان قدر كبير من الفكر ما بعد الحديث، مُطلَّعة بالتماثل والهويّة. وبدلاً من أن تحلّ الهويّة مسبقاً، شأنها شأنها الله عند المنافقة مسبقاً، شأنها شأنها الهجنة التي تفترض الثقافة مسبقاً، شأنها شأن الهجنة التي تفترض الثقافة، مبيناً، وبكلام أدفّ، فإنّا لا نستطيع أن نهجن إلا ثقافة نقيّة، في حين أنُّ وجميع الثقافات منشبكة إحداها مع الأخريات ؛ وما من واحدة بينها منفرة ونقيّة، وإنّما كلها وعلى المرة، ومتخالطة، ومتمايزة الخواص إلى أبعد حدًّ، وغير واحدية ، كما يقول (دوارد سعيد مهجنة مولّدة، ويتذكر ايضاً، أنَّ ما من ثقافة بشريّة أشد تخالطاً وتبايناً في الحواص من الراسمالية.

وإذا ما كانت أوّل تهجئة مختلفة مهمة تعتري كلمة والثقافة على تهجئتها على أنّها نفت مناهض للراسمالية، وكانت ثاني تهجئة مختلفة هي تضييق الفكرة، بحيث تشير إلى طريقة حياة كليّة مع وضعها بهميغة الجمع وإضفاء طابع التعددية عليها، فإنّ ثالث تهجئة هي تخصيصها التدريجي بالفنون . حيث يمكن هنا أيضاً تقليص الكلمة أو توسيعها، ذلك أنَّ الثقافة بمنى الفنون يمكن أن تتخقف بالفنون . حيث يمكن هنا أيضاً تقليص الكلمة أو توسيعها، ذلك أنَّ الثقافة بمنى الفنون يمكن أن تتخقف مزيداً من التخقف، بحيث لا تطول سوى تلك المشاغل التي يُزْعم آنها و تخييلية » أكثر من غيرها ؛ مثل الموسيقا، والرسم، والأدب. تَيْقالُ من ثمّ إنَّ البشر والمثقفن عمم من يمتلكون ثقافة بهذا المعنى . مثل الموسيقا، والرسم، والأدب. تَيْقالُ من ثمّ إنَّ البشر والمثقفن عمم من يمتلكون ثقافة بهذا المعنى . والحال، أنَّ هذا المعنى ينمَّ أيضاً على ضَرِّب من التطوّر التاريخي الدراماتيكي . فهو يشير، أولاً إلى أنَّ القبم والمتحضرة » لم تعد توجد الآن إلا في الإستيهام أو الفائتازيا. ومن الواضح، بالطبع، أنَّ هذه الإشارة الأخيرة تنظوي على نقد لاذع للواتع الإجتماعي . فحين يكون الفنّ هو المكان الذي نستطيع أن نجد الإبداع فيه، رعا يكون ذلك ناجماً عن خلوً أيًا مكان آخر من طبكان الذي المشاطات المقصورة على نسبة مؤيلة من الإستماء والمي عني تقد الإنقار في الله النشاطات المقصورة على نسبة ضيئة من الإستماء منا على ما أنها المنسرة عيفي نسبة ضيئة من البشر، حتى يعتري الفكرة نوع من التكثف والإنقار في آن معاً.

إِنَّ قصة ما يفعله ذلك بالفنون ذاتها - إِذْ تَهد نفسها وقد إكتست بدُّلالة إجتماعيَّة خطيرة هي في حقيقتها ارقُّ واكثر هشاشة من أن تتحتلها، وإذْ تَجد نفسها وهي تنفقت من الداخل، إِذْ تُجيَّر على ان تقوم مقام الله أو السعادة أو العدالة السياسيّة - هي قصة تنتمي إلي سرد الحداثة. وذلك بخلاف ما بعد الحداثة التي تحاول أن تزيح عن كاهل الفنون أعباء هذا القلق الثقيل، فتلحَّ عليها لان ترمي إلى النسيان بجميع أحلام العمق المتفخة هذه، وبذا تحرّرها وتحوّلها إلى ضرّب عابث من ضروب الحريّة. أمّا قبل هذا بكثير، فكانت الرومانتيكيّة قد حاولت أن تربّع الدائرة بحيثٌ تجد في الثقافة الجماليّة

^{*} Edward Said, Culture and Imperialism (London, 1993), P.xxix.

بديلاً للسياسة، وتجد فيها في الوقت ذاته تموذجاً لنظام جديد. ولم يكن ذلك بالصتعوبة التي يبدو عليها. فحون يكون الغرض الاساسي للفنّ متمثّلاً في نايه عن أيّ غرض أو غاية، يكون عالم الجمال الذي يفرط في التنميق والتزويق أشد الثورين تفانياً والتزاماً، متمستكاً بفكرة عن القهمة مفادها الثّ هذه القيمة تستمت شرعيتها من ذاتها، على المكس ثما تراه النفعيّة الراسمالية. وبذا يكن للفنّ أن يبدي الحياة الحسنة ويعرضها، لا من خلال تمثيله لها، بل من خلال كونه هذه الحياة ذاتها، اي من خلال ما يويه لا من خلال ما يقوله، جاعلاً من فضيحة وجوده المبتهج بذاته دونما غاية أوهدف ضرّياً من النقد الصامت للقيمة التبادليّة والمقلاتيّة الاداتيّة. بيد أنَّ هذا الإرتفاء بالفنّ وجمّلة في خدمة الإرتفاء بالفنّ وجمّلة في خدمة تتمارض مع أهميّه السياسية، كما دفع صورة الحياة الحسنة لان تقوم مقام غيابها الفعلي، وهذا هو الشرك الخطير الذي يمكن أن تقم فيه كلّ يوطوبيا.

ولقد انتقضت الثفافة ذائها بمعنى آخر أيضاً. فما كان قد جعل منها نقداً للراسمالية الصنّاعية هو تأكيدها على الكليّة، والتناسق، والتطور الشامل للقدرات البشريّة. حيث كانت هذه الكليّة، ابتداءً بشيللر وصولاً إلى رسكن، قد وُضِعَتْ في مواجهة الآثار اللُّخلَّة التي ترتَّبت على تقسيم للعمل قرَّمَ القدرات البشرية وضيّقها، لدرجة أنَّ هذا التقليد الرومانتيكي - الإنسانوي كان قد شكّل واحداً من مصادر الماركسيّة ذاتها . غير ألَّ الثقافة حين تكون ذلك اللعبّ الحرّ، المبتهج بذاته، الذي تلعبه الروح ويمكن لجميع القدرات البشريّة أن تحظى فيه بالرّعاية الحياديّة البعيدة عن أيّ تحيّز، فلا بدُّ عندئذ لهذه الثقافة من أن تكون ايضاً فكرة تتعارض مع التحرّب أشد التعارض. وبذا يغدو الإلتزام دليلاً على الإفتقار إلى التهذيب والثقافة. ولقد كان بمقدور ماتيو ارنولد أن يرى في الثقافة دفعاً بالمجتمع إلى الأفضل والاحسن، دون أن يحول ذلك بينه وبين أن يرفض إتَّخاذ موقف من مسألة الرقّ في الحرب الاهليّة الاميركيّة. وبذا تكون الثقافة ترياقاً مضاداً للسياسة، فتلطّف تلك النظرة الضيّقة المتعصّبة من خلال سعيها وراء التوازن وابتعادها بالعقل عن التلوّث بكلّ ما هو متحيّز، أو متعصّب، أو بعيد عن الإِتْرَان. والحقّ أنّه على الرّغم من كلِّ النفور الذي تبديه ما بعد الحداثة حيال الإنسانوية الليبرالية، فإلثّ هنالك اكثر من أثر لهذه النظرة فيما تبديه ما بعد الحداثة من قلق تعدّدي تجاه المواقف الصّارمة، ومن خَلْطٍ بِين ما هو مُحَدَّد وما هو دوغمائي. فالثقافة، إذاً، يمكن أن تكون نقداً للراسمالية، لكنَّها يمكن أن تكون أيضاً وبالقدر ذاته نقداً لما تقتضيه مناهضة الرأسمالية من ضروب الإلتزام. فلكي يتحقق مَثَلُ الثقافة الاعلى متعدُّد الجوانب، من الضروري أن تكون هنالك سياسة أحاديَّة الجانب على نحو ناشط وفاعل ؛ الأمر الذي تجد فيه الثقافة سيراً مشؤوماً للوسائل بعكس الغاية المنشودة . فالثقافة ً تطالب أولِعكُ الدين يصرحون طلباً للعدل بأن يتطلُّعوا أبعد من مصالحهم الضيَّقة إلى الكلِّ ؛ وهو ما يعني أن يتطلُّعوا إلى مصالح حكًّامهم، فضلاًّ عن مصالحهم. وبذا لا تقيد الثقافة أيِّما إفادة من واقعة ان هذه المصالح يمكن ان تكون متناقضة مع بعضها بعضاً. والحال، الُّ ما نلحظه اليوم من إرتباط الثقافة بالمطالبة بالعدالة تجاه الجماعات الاقلوية هو أمر جديد تماماً.

تبدو الثقافة، في رفضها للتحرّب، كما لو أنها فكرة حياديّة من النّاحية السياسيّة. بيد أنْ تحرّبها

الصّارخ يكمن على وجه التحديد في هذا الإلتزام الشكلي بتعدّد الجوانب. فالثقافة لا تبالي حيال أيّ الملكّات البشرية هي التي ينبغي أنّ تُحقّق، وبذا تبدو سُخيّة في حيادها ولا مبالاتها على مستوى المضمون. وهي لا تلحُّ إلاَّ على أنَّ هذه الملكات ينبغي أن تُحَقَّق على نحو متناغم ومتسق، بحيث يشكِّل كلٌّ منها ثقلاً يقابل الآخر ويوازنة على نحو حَصيف وحكيم، وبذأ تدسُّ ضرباً من السياسة على مستوى الشكل. فالمطلوب منا هو أن نصات أنَّ الوحدة خير من الصَّراع، أو أنَّ التناسق خير من احاديّة الجانب. والمطلوب أيضاً أن نصديق، بمزيد من الإبتعاد عن المنطق، أن هذا ليس بالموقف السياسي. وبالمثل، فإنَّ الثقافة، في قولها إنَّ تلك الملكات ينبغي أن تُحَقِّق كرمي لذاتها وحسب، تبدو بعيدة كلِّ البعد عن أن تطولها تهمة أنها أداة سياسية. إلا أنها تنطوي في حقيقة الأمر على سياسة ضمنيّة تكمن على وجه التحديد في هذا الإبتعاد عن النفعيّة ؛ وهذه السياسة الضمنيّة هي إمّا السياسة الأرستقراطيّة لأولئك الذين ينعمون بالرّفاهية وبالحريّة، بما يتيح لهم أن يزدروا النفعيّة ويتبرّموا بها، وإمّا السياسة الطوباويّة لأولئك الذين يرغبون برؤية مجتمع قد تخطّي القيمة التبادليّة. وحقيقة الأمر، أنَّ ما يُطرَح هنا لبس الثقافة بالمجرّد، وإنّما إختيار محدّد للقيم الثقافية. فأن تكون متحضّراً أو متثقّفاً يعني أن تكون محبوّاً بمشاعر مهذّبة، وأهواء معتدلة، وسلوكات مقبولة، وعقل منفتح ؟ اي أن تسلك على نحو معقول ومعتدل، فتبدي حساسيَّة أصيلةٌ تجاه مصالح الآخرين، وتمارس ضبطاً ذاتياً، وتكون مهيِّعاً للتضحية بمصالحك الانانيَّة الخاصة من اجل مصلحة الكلِّ. ولا شكُّ أنَّ مثل هذه الوصفات، مهما تكن رائعة، هي أبعد ما تكون عن البراءة السياسية. بل إنَّ الشخص المتثقف على هذا التّحو يبدو أشبه بليبراليّ محافظ معتدل. كما لو أن مذيعي نشرات الاخبار ومحرّريها في الـ BBC وهيئة الإذاعة البريطانية ، صاروا النموذج الذي ينبغي على البشريّة جمعاء أنّ تحتذيه. ومن المؤكّد أنَّ هذا الشخص المتحضّر لا يجمعه أيّ جامع بالسياسي الثوري، على الرّغم من أنَّ الثورة أيضاً هي جزء من الحضارة . أمّا كلمة ومعقول ، الآنفة فتعني هنا شيئاً أقرب إلى ٥ مستعد للإقتناع ٥ أو ٥ جاهز للتسوية ٥، كما لو أنَّ جميع القناعات الحماسية غير عقلانيَّة بطبيعتها. فالثقافة في صفَّ الشعور الرقيق والعاطفة لا في صفَّ الحماسة والأهواء، الأمر الذي يعني انها في صف الطبقات الوسطى المؤدّبة لا في صف الجماهير الغضوبة. وإذ ننظر إلى الاهميّة المعطاة للتوازن هنا، فإنَّ من الصعب أن نفهم لماذاً لا يكون مطلوباً موازنة الإعتراض على العنصريَّة بما يقابله أو يعاكسه. خاصة وأنَّ المناهضة الصريحة للعنصرية تبدو بعيدة كلُّ البعد عن التعدُّدية. وبما أن الإعتدال فضيلة على الدّوام، فإنَّ النفور المعتدل حيال بغاء الأطفال لا بدُّ أن يكون أنسب من مناهضته مناهضة عنيفة ومتحمّسة. ولأنَّ الفعل لا بنا أن يشتمل على مجموعة محدّدة من الخيارات، فإنَّ من المحتوم على هذه الطبعة من طبعات الثقافة أن تكون تامليّة بعيدة عن الإلتزام.

وهذا ما يصح، على الأقل، على الفكرةالتي يحملها فريدريش شيللر عن الجمالي، حيث يقدّمه على الله وحالة سلبية من غياب التحديد غيابا كاملاً ، فالإنسان، في الشرط الجمالي، «هو صفر، إذا ما كنا نفكر باتة نتيجة محدّدة لا بجماع قدراته ٥٠٠ ذلك النا في حالة من التعليق او الإرجاء

^{*}Schiller, On the Aesthetic Education of Man, P. 141.

^{**} Ibid., P. 146.

ولسنا في حالة من الإمكانية المتواصلة أو الدائمة، نوع من النقص النرقاني لكلِّ تحديد. فالقافة، أو الجمالي، لا تتحاز إلى آية مصلحة إجتماعية بعينها، وهي لهذا السبب على وجه التحديد قدرة منشكل عامة. وهي لهذا السبب على وجه التحديد قدرة ولانًا ما يكون. ولانًا الشقطة عامة. وهي لهست معاكسة للفعل بقدر ما تشكّل المصدر الخلاق لكلَّ فمل كائناً ما يكون. ولانًا الثقافة ولا تضع تحت حمايتها أيّة ملكة منفردة من ملكات الإنسان بمنول عن اللكات الأخرى... فإنّها تمتع حظو تها لكل الكات الأخرى... فإنّها تمتع حظو تها لكل الكات الأخرى في ما الكاكات دونما تمين ؛ والسبب البسيط الذي يحول ببنها وبين ولا ثن تمتع هذه الخطوة للكة أكثر من غيرها، هو أنّها الأساس الذي تقوع عليه إمكانية جميع الملكات * و. ولانًا القفاحة التي لا حدود لها تبلغ بها حداً الرس والصحت. وكانً رعايتها كلُّ إمكانية إلى حداه الأفصاحة التي لا حدود لها تبلغ بها حداً الحرس والصحت. وكانُ رعايتها كلُّ إمكانية إلى حداه الأفصى، تخاطر بان تعقل عضلاتنا وتركنا بلا حراك. ذلكم هو الاثر الشالَ الذي تحدَّفه المفارقة الرومانيكية الساخرة. فنحن إِذْ ناتي إلى الفعل، نضع حداةً لذلك اللمب الحرّا بالتفاتنا إلى ما هو مخصوص ووضيع ؛ غير اثنا نفعل ذلك ونحن ندرك على الأقل الأثمتة امكانيات اخرى، ونتيح لذلك الإحساس المنفلت بالكمون الخلاق ان يملى علينا ما نعله.

تبدو الثقافة، إذاً، عند شيلار على اتها مصدر الفعل ونقضه في آن معاً. فنئة توثر بين ما يجعل ثمارستنا خلاقة وبين كون الممارسة ذاتها واقعةً ارضيةً ودنيريّة إلى ابعد حدة. وبالمثل، فإنّ الثقافة عند ماتيو ارنولد هي مَثلًا اعلى من الكمال المطلق، وهي في الوقت ذاته تلك السيرورة التاريخية المفعمة بالنقص، التي تجهد في الوصول إلى ذلك المثل الغاية. ويبدو، في كلتا الحالتين، أنّ ثمّة فجوة تكوينيّة بين الثقافة وتجسيدها الدنيوي، حيث يدفعنا تماتد الجوانب في الجمالي إلى افعال تناقض هذا الجمالي كما تشتمل عليه من التحديد.

وإذا ما كانت كلمة والثقافة ، نصناً تاريخياً وفلسفياً ، فهي أيضاً محل صراع سياسي . وكما يقول رغوند وليامز، فإن والمعاني المتشابكة المقدة (التي ينطوي عليها المصطلح) تشير إلى سجال متشابك ومعقد بشان العلاقات التي تربط بين التطور الإنساني العام وطريقة حياة محددة ، وبين كليهما من جهة أولى واعمال وعمارسات الفن والذكاء من جهة أخرى ٥٠٥ . وهذه هي الحكاية التي يتعقبها وليامز في كتابه الشقافة والمجتمع ١٧٥٠ – ١٩٥٠ ، حيث يستعرض الطبعة الإنجليزية من الدين كتابه الشقافة والمجتمع ١٧٥٠ – ١٩٥٠ ، حيث يستعرض الطبعة الإنجليزية من المما من المجاهدة في محاولة للزيط بين معاني الثقافة المتمادة التي راحت تنفصل شيئاً فشيئاً وكل يعوم في إنجاهه ؛ حيث يرى الأ الثقافة (بمعنى الفنون) تمثل سمة من سمات العيش المرهف الانيق (الشقافة بوصفها كياسة) الذي يمثل مهمة ينبغي على التغيير السياسي أن يحققها في الثقافة (بمعنى الحياة الإجتماعية) ككل وبذا يتمحد من جديد كل من الجمالي والانثروبولوجي . ومنذ كولردج وحتى ف ر. ليفيز، كان شمة إصرار على حضور معنى الثقافة العريض الذي ينطوي على المسؤولية في رائية معنى ينطوي على المحولوبية والإجتماعية ، غير الأهذا المعنى لم يكن من المكن أن يتعرف إلا قبالة معنى يتسم بمزيد من التخصيص

^{*} Ibid., P. 151.

^{*} Williams, Keywords, P. 81.

والتحديد (الثقافة بوصفها الفنون) ولا يني يهدد بأن يَحلُّ مَحَلُّ الأوَّل. ولقد أدرك كلٌّ من أرنولد ورسكن، فيما يخصّ الجدل المكرور بين هذين المعنيّين، أنه من غير تغيير إجتماعي، لا بدّ أن يكتنف الخطر المميت كلاًّ من الفنون و العيش المرهف الأنيق، وكانا يريان أيضاً أنَّ الفنون من بين الأدوات القليلة الباقية لمثل هذا التغيير. والحقّ أنَّ هذه الحلقة الجهنمية من المعاني لم تُكُسّر إلا مع وليام موريس، حيث سَخَّرَ هذه الـ Kulturphilosophie لقرة سياسيّة قائمة فعلاً هي حركة الطبقة العاملة. ولعلَّ وليامز في كتابه الكلمات المفاتيح Keywords لم يكن متنبّها بما يكفي لذلك المنطق الداخلي الذي تنطوي عليه التغيّرات التي يسجلها. فما الذي يربط الثقافة بوصفها نقداً طوباويّاً، والثقافة بوصفها طريقة حياة، والثقافة بوصفها خلقاً فنيّاً ؟ لا شكَّ أنَّ الجواب هو جواب سلبي، مفاده أنَّ هذه المعاني الثلاثة جميعها هي ردود فعل متباينة على إخفاق الثقافة بوصفها الحضارة الَّقائمة ؟ أي بوصفها السردية الكبرى(Y) للتطور الذاتي البشري. فحين تغدو هذه السردية قصة يصعب تصديقها مع إظهار الراسمالية الصناعيّة لمزيد من التكُشّف وظهورها على حقيقتها، وحين تغدو حكاية طويلة موروثة من ماض ورديٌّ، فلا بدُّ أن تواجه الثقافة بعض الخيارات غير المستساغة. فهي تستطيع أن تحتفظ بمداها الشّمولي وأهميّتها الإجتماعيّة، إنّما مقابل أن ترتد عن الحاضر التّعس لتعدو صورة مستقبل مشتهى تتهديدها الاخطار، أو صورة ماض قديم تجمعه بذلك المستقبل المنعتق واقعة لا مجال لتجاهلها، هي واقعة غياب كليهما. تلك هي الثقافة بوصفها نقداً طوباوياً، خلاَّقة بصورة مدهشة وواهنة سياسيّاً في آن معاً، يتهدّدها الخطر الدائم من أن تختفي في تلك المسافة الإنتقادية التي تنهك نفسها اشد الإنهاك وهي تقيمها بينها وبين الـ Realpolitik والسياسة الواقعية ،

امًا الخيار الآخر، فيتمثّل في إمكانية أن يُكتّب للثقافة البقاء إذا ما تخلّت عن كلَّ هذا التجريد وغدت عيانية وملموسة، بوصفها ثقافة بافاريا أو ميكروسوفت أو البشمان (^^)؛ علماً أن ذلك يعرّضها للخطر، إذ يمتحها خصوصية تحتاج إليها أشد الإحتياج بقدر ما تخسر من معياريّتها. فإذا ما كان معنى الثقافة هذا قد حافظ على قوّته المعياريّة عند الرومانتيكيّين، الذين أمكنهم أن يعتمدوا على معنى الثقافة هذا قد حافظ على قوّته المعياريّة عند الرومانتيكيّين، الذين أمكنهم أن يعتمدوا على هذه الأشكال من المعلّم في Gemeinschaft والجماعة ، في القيام بنقد واسع الحيلة لل Admischell الحساسيّة والمحالي الصناعي، نجد أن الفكر ما بعد الحداثي يبدي، بخلاف ذلك، أشد الحساسيّة حيال الحنين إلى الخاذ مثل هذا السبيل العاطفي، ناسياً أنَّ من الممكن، برأي شخص مثل وولتر بنجامين، إضغاء معنى ثوريّ حتى على الحنين. فما تجده النظريّة ما بعد الحديثة قيّماً ليس المحتوى الداخلي لهذه الثقافات، بال الواقعة الشكليّة المتمثّلة بتعادها. وهي ترى أنّه حين يتعلّق الأمر بمحتوى هذه الثقافات، فإنَّ من غير الممكن أن يكون ثمّة خيار، ذلك أنَّ معايير مثل هذا الخيار لا به أن تكون شائه شأن الكرسي الهزاز المنسوب إلى النزعة الفنية ما بعد الحداثية المسماة بالنزاة المنسوب إلى النزعة الفنية ما بعد الحداثية المسماة بالتزعة البناءة، الرفيعة، إثما على حساب حاء التقدي. الحداثة الرفيعة، إثما على حساب حاء التقدي.

أمّا الخيار الثالث، أو الردّ الثالث على أزمة الثقافة بوصفها الحضارة، فقد تمثَّل، كما رأينا، بتقليص

المقولة على قلا حفنة من الاعمال الفنيّة. فالثقافة هنا تعني مجموعة من الاعمال الفنيّة والفكريّة ذات القيمة المتفق عليها، إلى جانب المؤسسات التي تنتجها، وتوزّعها، وتنظّمها. وبهذا المعنى الجديد جداً للكلمة، تبدو الثقافة على اتها عرّضٌ من أعراض الازمة وحلًّ لها في الوقت ذاته. فان تكون الثقافة واحة للقيمة، معناه آنها تتوفّر على نوع من الحلّ. غير أنَّ أقتصار الإبداع على التعليم والفنون بوصفهما معقله الأخير هو دليل لا يطوله الشكُّ على أثنا في ورطة كبيرة. فايّة شروط إجتماعيّة هي تلك التي يصبح فيها الإبداع مقصوراً على الموسيقا والشُعر، في حين يغدو العلم، والتكنولوجيا، والسياسة، والعمل، والحياة المنزلية أموراً عادية جافة وعلنّة؟ بل إلاّ بمقدورنا أن نظرح بصدد هذا التصور للثقافة ذلك السؤال الشهير الذي طرحه ماركس بشأن الذين؛ فأيّ اغتراب ثقيل هو ذلك العراب الذي عثل مثل هذا التعالى ضرباً من التعويض البائس عنه؟

بيد الله فكرة الثقافة الاقلوية هذه، مهما تكن عرضاً من إعراض ازمة تاريخية، هي إيضاً نوع من الحل لهذه الازمة. فهي مثل الثقافة بوصفها طريقة حياة، تسبغ نوعاً من النبرة والقوام على تجريد التنوير للثقافة بوصفها الحضارة. وما نجده لدى أخصب تيارات النقد الادبى الإنجليزي من ووردزورث إلى أورويل، هو الله العنون، خاصةً فنون اللغة العادية، هي ما يمثل ذلك المؤشر الحسناس على نوعية الحياة الإجتماعية ككل . كما الله الثقافة بهذا المعنى، الذي يتسم بما تتسم به الثقافة بوصفها طريقة عن مؤرية وبداهة محسوسة، ترث أيضاً ذلك الإنحياز المعياري أو النزعة الميارية التي تتسم بها الثقافة بوصفها الحضارة. فقد تعكس الفنون العيش المرهف الانبق، إلا أتها تمثل ايضاً ذلك المقياس الذي يُقاسُ به هذا المعين، وإذا ما كانت الفنون تجسد، فإلها تقرّم أيضاً . وبهذا المنى، فهي تربط ما الذي يُقائم يضاً .

ليس من اليسير، إذاً، أن نفصل بين هذه المعاني الشلاقة المميّزة للثقافة. فلكي لا تكون الثقافة بوصفها نقداً مجرّد فانتازيا لا قيمة لها، لا بدأ أن تشير إلى تلك الممارسات القائمة في الحاضر والتي تصرّر تصويراً مسبقاً شيئاً من الصداقة والإنجاز اللذين تتوق إليهما هذه الثقافة. وهي تجد بعضاً من هذه الممارسات في الإنتاج الفتي، كما تجد بعضاً آخر منها في تلك الثقافات الهامشية التي لم يستغرقها بعد منطق النفعية بصورة كاملة. وبالتصاقها بالثقافة بهذين المعنيّين، فإلاً الثقافة بوصفها نقداً تحلول أن تتفادى ما تتسم به اليوطوبيا والرديقة ع من طابع شرطي وإحتمالي صرف، حيث لا اته أساس في الواقع. ومن المعروف، بالطبع، أل لهذه اليوطوبيا والرديقة ومعادلها السياسي المتمثّل في اته أساس في الواقع. ومن المعروف، بالطبع، أل لهذه اليوطوبيا والرديقة ومعادلها السياسي المتمثّل في يتمثّر تصورُه. وبخلاف ذلك، فإنَّ اليوطوبيا والجيّدة وهي تلك التي تجد جسراً يصل المستقبل بديل بالحاضر، متمثّلاً بتلك القوى الموجودة في الحاضر والمنطوبة على إمكانيّة تغييره، فالمستقبل المرغوب ينبغي أن يكون مستقبلاً محتملاً أيضاً. وبارتباطه بهذين المعنيّين الآخرين للققافة، واللذين يتسمان بفضيلة الوجود الفعلي على الآقل، فإنَّ ذلك الصنف الطوباوي من الثقافة يمكن أن يتحرّل قبالة معايير من النقد، المحايث، فيحكم على الحاضر بالله موسوء بالنقص والإقتقار عن طريق تقويمه قبالة معايير من النقد المحايث . ولدها الحاضر ذاته. وبهذا المعنى، أيضاً، يمكن للثقافة أن توحد الواقعة والقيمة، وذلك باعتبارها وصفاً لما هو قاتم واستشرافاً لما هو مرغوب في آن معاً. فحين يحتوي ما هو قاتم على ما ينقضه، لا بد لمطلح والثقافة » من أن يواجه هذين السبيلين كليهما. والحال، أن التفكيك، الذي يبين أن وضماً ما لا بدأ أن ينتهك منطقه الخاص فيما يبذله من جهد لان يتمستك بهذا المنطق، ليس سوى إسم حديث لفكرة الثقد الخايث التقليدية. فلقد سبق للرومانتيكيّن الراديكاليّين أن رأوا أن الفن، أو الحيال، أن والثقافة الشعبية، أو المجتمعات والمداليّة هي علامات على طاقة خلاقة ينبغي أن تنتشر لتعم المجتمع السياسي ككلّ. أمّا للماركسية، التي توافق وصولها مع أقول الرومانتيكيّة، فقد رأت أنَّ شكلًا من الطاقة الخلاقة الطبقة العاملة .. هو الذي يمكن أن يغيّر النظام الإجتماعي

والثقافة بهذا المعنى تظهر عندما تبدا الخضارة بإفشاء تناقضها الداخلي. فمع ظهور المجتمع المتحضر على حقيقته، تاتي لحظة يفرض فيها على بعض منظريه نوعاً من التفكير جديداً ولاقتاء يُشرف بإسم المتحكير الجدلي أو الديالكتيكي، وهو تفكير يمثل في حقيقة الامر ضرئاً من الإستجابة أو الرد على النفكير الجدلي أو الديالكتيكي، وهو تفكير يمثل في حقيقة الامر ضرئاً من الإستجابة أو الرد على عقيقها بعض إمكانية تجاهل أن الحضارة، في عقيقها بعض إمكانية تجاهل أن الحضارة، في عقيقها بعض إمكانية، والمعلقة الداخلية بين عقيقها بعض إمكانيات، والمعلقة الداخلية بين بقصر كلمة والحضارة على كونها حدة قيمة أو مصطلحاً معيارياً، ووضعها من ثم قبالة المجتمع بقصة الراهن ومعارضتها معه. ولعل مقداما كان يدور في خلد غاندي حين سُئل عن رايه في الحضارة البريطانية، فاجاب واعتقد آنها فكرة جيّدة جناءً . كما أن بمقدور المرء أيضاً أن يدعو القدرات المناصعة وعلى المنافقة أنها تتبع للثقافة الاستعمام على المنافقة المحاضر، في الوقت الذي تجد في هذا الحاضر ذاته أساسها العملب الذي تقوم عليه. فهي ليست غريبة عن المجتمع ولا متماهية معه (كما هو حال والحضارة ع)، بل تحرك مع التاريخي وضئة ميله الفطري في آن معاً. وبذا لا تمود الثقافة تحقيقاً لفشرب من الفائتازيا المهمة، بل مجموعة من الإمكانيات التي ولدها التاريخ وتعمل عملها الهمتام في داخله.

وتقوم البراعة في معرفة كيف نحرر هذه القدرات. ومن المعروف أنَّ جواب ماركس على هذا السؤال هو الإشتراكية، وعند ماركس، لا مجال للتوثق من أيّ شيء في المستقبل الإشتراكي ما لم يكن قد اخذ الإشارة من الحاضر الراسمالي على نحو من الانحاء. وإذا ما كان من الفكر التبسيطي ان نقول إنَّ أوجه التاريخ الإيجابية والسلبيّة وثيقة الإرتباط فيما بينها، إلا أنَّه فكرَّ ملهم إيضاً، فالحقيقة هي أنَّ القمع، والإستغلال وما شابه ما كان ليعمل عمله لو لم يكن هنالك بشر يشمتعون بقدر معقول من الإستقلال الذاتي، والمرونة، وسعة الحيلة بما يكفي لان يَستَغَلّوا أو يُستَقلّوا، لان يَشْمَعُوا أَنْ هذه الاشياء نادراً ما تكون أمباباً وجيهة للقرح والسرور، وإنّه ليبدو غريباً أن فقاتي لدى البشر إيماناً بانَّ لديهم القدرة على ان يكونوا مستغلين، إلاّ أنه من الصحيح، على الرغم من ذلك، ان تلك الممارسات الثقافية الحميدة التي يكونوا مستخلين، إلاّ أنه من الصحيح، على الرغم من ذلك، ان تلك الممارسات الثقافية الحميدة التي

ندعرها بالرعاية والتنشئة تشكل عوامل ضمنية أماسية في وجود الظلم ذاته. فوحده من تلقى الرعاية كرضيع يمكن أن يكون ظللاً، وإلا لما كان موجوداً كيما يسيء إليك ويظلمك. ولا بد لجميع الرعاية كرضيع يمكن أن يكون ظللاً، وإلا لما كان موجوداً كيما يسيء إليك ويظلمك. ولا بد لجميع الثقافات من أن تشتمل على ممارسات مثل تنشئة الأطفال، والتربية، والإنماش الاجتماعي، والتواصل، والدعم للتبادل، وإلا لكانت تعجز عن إعادة إنتاج ذاتها، وبذا تعجز أيضاً، ومن بين أشياء اخرى، عن أن تأرس الاستغلال. ولا شك أن تنشئة الأطفال يمكن أن تكون سادية، وأن التواصل يمكن أن يكون مشرئشاً، والتربية أوتوقراطية ومتوحشة. غير أن ما من ثقافة يمكن أن تكون سلبية بالمطلق، ذلك أنها كيما تحقق أهدافها الشريرة أيما تقيي لا بد أن تغذي قدرات تنطوي على إمكانية استخدامها لاغراض خيرة. فالتعذيب يقتضي نوعاً من القدرة على الحكم، والمبادرة، والذكاء ما يمكن أن يستخدم أيضاً خيرة. فالتعذيب، ويهذا المعنى، فإن جميع الثقافات مناقضة داخلياً. وهذا ما يشكل أساساً للأمل نفسلاً عن كونه يشكل أساساً للنرعة المكلبة المتشائمة، فهو يعني أن هذه الثقافات ذاتها تولد

وإلى هذا، فإن "مة طرائق اخرى لتفاعل معاني الثقافة الثلاثة هذه ، ففكرة الثقافة بوصفها طريقة وإلى هذا، فإن "مة طرائق اخرى لتفاعل معاني الثقافة اللهونية عنه، كمقهوم، نتاج للمفكرين المثقفين، عمن رأوا فيها تمثيلا للآخر الاصلي الذي يمكن أن يعبد الحيوية مجتماتهم المتدهورة . وكلما سمع المرء إطراءً للمجتمعات الهمجية وطرائق حياتها، فإن بمقدوره أن يثق أنه في حضرة اشخاص ذري ثقافة رفيعة. ومن المعروف إيضاً أن كشف ما يمكن للرغبات الغريزية أن تدسه في احلامنا من كلية محسوسة ، وتوق شديد إلى جسد ملموس ودافئ لكنه دائم التملص والمراوغة، قلد اقتضى شخصاً مثقفاً ثقافة رفيعة، هوسيضونه فرويد. والثقافة، التي هي في آن معاً واقع ملموس روزيا غائمة للكمال، تلتقط شيئاً من هذه الثنائية. كما أن مثل هذه الافكار البدائية هي ما التفت إليه وبذا اتام المفرط في التطور والمتخلف احلافاً غريبة ضمتهما معاً.

بل إن هذين التصورين للنقافة يرتبطان بطرائق اخرى ايضاً. فالثقافة بوصفها الفنون قد تكون بشيراً بالنغيير الاجتماعي. ومن جهة أخرى، فإن الخطر لا بد أن يحين بالفنون ذاتها من غير مثل هذا التغيير. وبلدا نجد انفسنا أمام حالة دائرية لافتة للانتباه. وهذا ما دفع إلى القول إن الحيال الفني لا التغيير. وبلدا نجد انفسنا أمام حالة دائرية لافتة للانتباه. وهذا ما دفع إلى القول إن الحيال الفني لا يمكن أن يزدهر ويتفتح إلا في نظام اجتماعي عضوي، وإنه لا مجال لان يمد بجذوره في تربة الحداثة الضحلة. ومن الطبيعي عندتذ أن يتزايد اعتماد التثقيف الفردي على الثقافة بمعناها الاجتماعي. ويدليا وجهيهما شطر أوروبا المؤدبة، البعيدة، الفنية برسوبياتها. فإذا ما كانت الولايات المتحدة واللاعضوي، الحضارة، بوصفها أمة شبه دينية. أما الفن فقد احاق به الخطر الميت في مجتمع يعمل منطقه المجرد على تعرية العالم من محسوسيته وملموسيته ولا يتحمس لهذا الفن إلا في صالات البيع بالمزاد. كما تلطخ هذا الفن أيضاً محسوسيته وملموسيته ولا يتحمس لهذا الفن إلا في صالات البيع بالمزاد. كما تلطخ هذا الفن أيضاً ودلكي نظام اجتماعي لا يجد في فكرة الحقيقة اية منفعة، ولا تعني له الفيمة إلا ما يباع. ولكي

ينجو الفن ويُكتب له البقاء، كان لا بد أن يغدو رجعياً أو ثورياً، فيعيد الساعة مع رسكن إلى النظام القوطي الإقطاعي المتميز بالترابط والاندماج أو يقدمها مع وليام مورهس إلى اشتراكية زال منها الشكل السلعي.

فمن اليسير، إذاً، إن نرى إلى معني الثقافة هذين وقد احاق بهما التنافس والنزاع. اليس الإفراط في التمسير، إذاً، ان نرى إلى معني الثقافة هذين وقد احاق بهما التنافس والنزاع. اليس الإفراط ألماجي أن تجمل المرء غير مؤهل الانتزامات عريضة، واضحة، بعيدة عن التجاذب ؟ اما اعتدنا على الا العاجي أن تجمل المرء قلل اللجنة الصحية؟ الا يولد ما تقتضيه الفنون الجميلة من شدة مركزة عجزاً عن القيام بالأمور الرتيبة المملة، حتى ولو كان الاهتمام منصباً على اعمال فنية تعنى بالمجتمع وتلتفت إليه. وبالمقابل، فإنه يس من الصحب أن نرى كيف تشتمل الثقافة بمعناها الذي يشير إلى طريقة حياة المباعدة العضوية على تحول إلى مجتمع ترتبط فيه القيم بالثقافة بوصفها الغن. فالثقافة بوصفها طريقة حياة هلي على المباع على نقرته في العادة بالتتاج الفني الجمالي، . بل إن كلمة المواجع المنافقة التي يفترض بها أن تشير إلى نوع من المجتمع، هي في واقع الأمر طريقة معبارية لتخيل ذلك المجتمع. كما يمكن أن تكون ايضاً طريقة لتحيل المرء شروطه الاجتماعية الخاصة على غرار الشروط الاجتماعية الخاصة بشعب آخر، سواء في الماضى، ام في الاحتال، الم في المستقبل.

ومع أن الثقافة تغدو كلمة رائجة وشعية مع ما بعد الخدائة، إلا أن مصادرها الأهم تظل ما قبل حديثة. فالثقافة البديل الظاهر الوحيد نجتمع متدهور؛ وحين تبدو الثقافة بمعنى الفنون والعيش المرهع تغدو الثقافة البديل الظاهر الوحيد نجتمع متدهور؛ وحين تبدو الثقافة بمعنى الفنون والعيش المرهع الانيق على وضك أن تكف عن الوجود إذا لم يحصل تغيير اجتماعي عميق؛ وحين تقدم الثقافة المصطلحات والحدود التي يُلتئس بها غمر جماعة أو شعب؛ وحين تضطر قوة إمبريالية لأن تفهم طريقة حياة من تخضعهم. ولعل اللحظتين الاخيرتين، من بين هذه اللحظات الاربع، هما اللتان وضعتا فكرة الثقافة باشد ما يكون الحسم على جدول أهمال القرن العشرين. فنحن ندين إلى القومية والكولونيالية، وكذلك إلى ظهور أثاروبولوجيا مكرسة لخدمة القوة الإمبريالية بقسط وأفر من تصورنا الحديث للثقافة. يضاف إلى ظهور الثقافة والجماهيرية وفي الغرب، في هذه اللحظة التاريخية ذاتها تقريباً، كان قد أضغى على هذا المفهوم مزيداً من الإلحاح.

فبشان القومية ودورها، من المعروف أن فكرة الثقافة الإثنية الميزة، المتسمة بحقوق سياسية لا ترتبط إلا بهذه الخصوصية الإثنية وحدها، كانت قد نبعت لاول مرة مع قوميين رومانتيكيين مثل هيردر وفيخته. فالثقافة أمر حيوي بالنسبة للقومية، وهي تحظى لديها بأهمية لا تحظى بها، بالقدر ذاته على الاقل، لدى الصراع الطبقي، أو الحقوق المدنية، أو التخلص من المجاعة، على سبيل المثال.

^{*} Terry Eagleton, "Nationalism and the Case of Iriland", New Left Review no. 234 (March / April, 1999).

حيث يجد القارئ في هذه المقالة نقداً لمثل هذه القومية الرومانتيكية.

فالقومية، من وجهة نظر معينة، هي ما يهتئ الروابط البدائية ويكيفها مع التعقيدات الحدينة. فمع إفساح الامة ما قبل الحديثة المجال المام الدولة – الامة الحديثة، تفقد بنية الادوار التقليدية قدرتها على تأمين التماسك المجتمعي، فتتقدم الثقافة عندثذ – بمعنى اللغة للشتركة، والقيم المشتركة، والتراث، والنظام التربوي وما شابه – كيما تشكل أساس الوحدة الاجتماعية ومبداها*. وبعبارة أخرى، فإن الثقافة تبرز فكرياً حين تفدو قوة يحسب حسابها سياسياً.

أما بشأن الكولونيالية، فمن المعروف أن المعنى الأنثروبولوجي للثقافة بوصفها طريقة حياة فريدة راح يفرض سيطرته مع تكشف كولونيالية القرن التاسع عشر. وطريقة الحياة المعنية هنا عادة ما تكون طريقة حياة (غير المتحضرين). فقد راينا من قبل أن الثقافة بوصفها الكياسة هي عكس البربرية، في حين أن الثقافة بوصفها طريقة حياة يمكن أن تكون متطابقة مع هذه البربرية. وكان هيردر، كما يرى جيوفري هارتمان، أول من استخدم كلمة الثقافة «بالمعنى الحديث الذي يشير إلى الثقافة الهوية، اي الثقافة بوصفها طريقة حياة ذات طابع اجتماعي أنيس، وشعبي، وتقليدي، تتسم بخاصية تتخلل كل شيء وتخلق لدى الشخص شعوراً بانه ذو جذور او انه في بيته ** و فالثقافة، باختصار، هي شعب آخر ***. وبحسب فريدريك جيمسون، فإن الثقافة هي على الدوام و فكرة تشير إلى الآخر (حتى حين أنتحلها لنفسى ****) ٤. ومن غير المحتمل أن يكون الفيكتوريون قد نظروا إلى أنفسهم على انهم ٤ ثقافة ٤؛ لأن ذلك ما كان ليقتصر في معناه على انهم يرون إلى انفسهم كما يرى النظارة إلى مسرحية ، تبل كان سيتعدى ذلك إلى رؤيتهم لأنفسهم على أنهم ليسوا سوى واحد فقط من الأشكال الحياتية الممكنة الكثيرة. فحين يرى المرء إلى عالم حياته على أنه ثقافة، يخاطر بإضفاء طابع النسبية عليه. وهذه الخاطرة هي ما يدفعه ثانية لأن يصف طريقة حياته بأنها إنسانية، بخلاف طريقة حياة الشعوب الأخرى التي يصفها بانها إثنية، وخصوصية، ومتميزة ثقافياً. وهي ما يدفعه أيضاً لأن يصف آراءه بأنها معقولة ومنطقية، بخلاف آراء الشعوب الأخرى التي يصفها بالتطرف والإفراط. وبشان الانثروبولوجيا، فإنه إذا ما كان هذا العلم يَسِمُ اللحظة التي يبدأ عندها الغرب بتحويل المجتمعات الأخرى إلى موضوعات مشروعة للبحث والدراسة ، فإن العلامة الفعلية على الأزمة السيانسية هي لحظة شعور الغرب بالحاجة إلى فعل ذلك حيال ذاته. ذلك أن ثمة همجاً في المجتمع الغربي أيضاً، مخلوقات مبهمة، نصف مفهومة، تتحكم بها أهواء وحشية ضارية وتميل إلى التمرد والمروق، ولا بد من جعلها موضوعات للمعرفة المنظمة المنضبطة. وإذا ما كانت الوضعية، التي هي أول مدرسة اجتماعية وعلمية ، تعي ما تفعله ، قد كشفت قوانين التطور التي تدفع المجتمع الصناعي إلى مزيد من الاندماج الراسخ المكين، تلك القوانين التي ينبغي للبروليتاريا المنفلتة من عقالها أن تدرك أنه لا سبيل

^{*} Ernest Gelluer, Thought and Change (London, 1964) and Nations and Nationalism (Oxford, 1983).

^{**} Geoffrey Hartman, The Fateful Question of Culture (New York, 1997), p. 211.

^{***} تلمح هذه العبارة إلى قولة رغوند وليامز الشهيرة (الجماهير هم شعب آخر ٤) وذلك في كتابه :
Culture and Society 1780 - 1950 (London, 1958, reprinted Harmond - Sworth, 1963), p. 289.

^{****} Fredric Jameson, On "Cultural Studies", Social Text no. 43 (1993), p. 34.

إلى انتهاكها إلا بقدر ما يمكن انتهاك القوى التي تشير الموج وتحركه، فقد وقع على عاتق الأنشروبولوجيا بمد ذلك بقليل أن تغرس في الاذهان ذلك و الوهم الخطير الذي اختلقت من خلاله الإمبريالية الوليدة و الهمج ع وجمدتهم كمفهوم في آخريتهم دون الإنسانية، بينما كانت تدمر تشكيلاتهم الاجتماعية وتعمل على تصفيتهم حسدياً * ع.

وإذاً، فقد تطورت الطبعة الرومانتيكية من الثقافة بمرور الزمن إلى طبعة وعلمية 6. إلا ألا ضروباً من الترابط والالفة بين الطبعة الرومانتيكية من الشغافة من ذلك. كما أمكن بسهولة تحويل ذلك الطابع المثالي الذي أضغة الطبعة الأولى على والشعب 6، وعلى الثقافات الفرعية الحيدة الطبعورة عميمةًا المثالي الذي أضغتم إلى تلك الاتحاط البدائية البعيدة عن الوطن. ذلك أن كلاً من الشعب والبدائيين عبارة عن يقايا من الماضي ضعن الخاضر، كينونات قديمة طريفة تبرز فيما هو معاصر شأنها شأن كثير من حالات النواء الزمن التي لا تزال مستمرة في الحاضر. وبذا فقد أعيدت صياغة المذهب العضوي حالات النواء الزمن التي لا تزال مستمرة في الحاضر. وبذا فقد أعيدت صياغة المذهب العضوي متماسك لا تناقض فيه. وكلمة وكلّ ه هنا، تترجّح على نحو ملتبس بين الواقعة والقيمة. فهي تشير إلى شكل حياتي يمكن أن يكون محط أنظارك لائك تقف خارجه، كما تشير إبضاً إلى شكل حياتي بشيرة بتمامه وتكامه، إذ يفتقر إلى شكل الحياتي الخاص ويختلف عنه، وبذا تحاكم الثقافة طريقتك الحياتية الذرية واللاادرية، إنما من مسافة بعيدة بالمعنى الحرفي للكلمة.

وعلاوةً على هذا، فإن فكرة الثقافة، بدءاً من أصولها اللغوية التي تشير إلى تولي النمو الطبيعي بالرعاية وإلى الآن، قد كانت على الدوام طريقة لنبذ الوعي وتهميشه، وإذا ما كانت الثقافة باستخدامها الضيق قد عنت ارق نتاجات التاريخ البشري المشغولة بوعي وحساسية رفيعين، فإن معناها العريض الضيق قد اشار إلى عكس ذلك تماماً. فالثقافة، بترجيعها السيرورة العضوية والتطور الجاري خلسة، مفهوم أترب إلى الحتمية، يشير إلى ما في الحياة الاجتماعية من خصائص هي التي تحتراز دون أن نختارها، مثل العادة، والقرابة، واللغة، والشعائر، والاساطير. والمفارقة إذاً، ان فكرة الثقافة هي أرفع من الحياة الاجتماعية العادية وأدنى منها في آن معاً، فهي اكثر وعياً منها بما لا يُقاس، وفي الوقت ذاته اقال قابلية للحساب بكثير. وذلك بخلاف الحضارة التي تتميّز بنبرة الفاعلية والوعي، وبجرّ التفكير العقلاني والتخطيط للديني، بوصفها ذلك المشروع الجمعي الذي حول المستنقمات إلى مدن ناهضة وكاتدرائيات ترتفع إلى عنان السماء. إلا آن جانباً من الفضيحة التي احدثتها الماركسية يتمثّل في أنها تعاملت مع المضارة كما لو أنها الثقافة، حيث كتبت تاريخ اللاوعي السياسي للبشرية، أو تاريخ تلك السيرورات نفي هذا عنا جاء به فرويد بعدها بقليل، حيث أزاح النقاب عن تلك القوى الخفية التي تقف وراء في هذا عنا حالي به فرويد بعدها بقليل، حيث أزاح النقاب عن تلك القوى الخفية التي تقف وراء الوعي الموارة الذور الخاضة و العاضم الواعية تلعب في تاريخ الحضارة مثل هذا الدور الخاضم الواعاتة العب مؤلّذه، فإنّه وإذاما كانت العناصر الواعية تلعب في تاريخ الحضارة مثل هذا الدور الخاضم الواطنة مؤلّد، فإنّه وإذاما كانت العناصر الواعية تلعب في تاريخ الحضارة مثل هذا الدور الخاضم الواطنية العب في تاريخ الحضارة مثل هذا الدور الخاضم الواطنية العبية مؤلّد الخاصر الواعية تلعب في تاريخ الحضارة مثل هذا الدور الخاضم الواضية المؤلّدة عائلية مؤلّد العناصر الواعية تلعب في تاريخ الحضارة مثل هذا الدور الخاضم الواضية العناصر الواعية تلعب في تاريخ الحضارة مثل هذا الدور الخاضرة مثل مؤلّد العناصر الواعية تلعب في تاريخ الحضارة مثل هذا الدور الحاضة من المناصر الواعية تلعب في تاريخ الحضارة مثل هذا الدور الخاضر الواعية العرب المؤلّد العناصر الواعية تلعب في المناصر الواعية تلعب في المؤلّدة العربة عن المؤلّد العربة المؤلّد العناصر الواعية للعربة

^{*****} Jairus Banagi, "The Crisis of British Anthropology", New Left Review no 64 (November / December, 1970).

فإن من البداهة أن يكون البحث النقدي، الذي يتخذ الحضارة موضوعاً له، اقل الامور قدرة على أن يجمل الاساس الذي يقوم عليه شكلاً من أشكال الوعي أو نتيجة من نتائجه يدد، .

والثقافة، إذاً، هي القفا اللاواعي للحياة المتحضرة التي هي الوجه. إنها تلك القناعات والميول المسئلة، إنها تلك القناعات والميول المسئلة بها بداهة، والتي لا بنه من وجودها كيما يكون بمقدورنا أن تنصرف أيما تصرف. وهي ما ياتي بمورة طبيعية، وما يولد في العظام، وليست ما يشم تصوره في الدماغ. ولذا ليس مدهشاً أن يكون مفهوم الثقافة قد وجد في دراسة المجتمعات البدائية و ذلك المكان السخي المضياف، حيث رأى الانثروبولوجيون أن هذه المجتمعات قد أتاحت الاساطيرها، وشعائرها، وأنظمة قرابتها، وتقاليد أسلافها أن تفكّر بدلاً منها. كما لو أن هذه المجتمعات هي الطبعة الخاصة بجزيرة بحر الجنوب من قانون العرف والمعادة ومجلس اللوردات الإنجليزيين، حيث تعيش في يوطوبيا كتلك التي اجترحها إدموند بيرك، تعمل فيها المغل المعلم المعادة ومن هنا تنبع، في حقيقة الامر، تلك الأهمية الخاصة التي حظي بها المغل المعلمية عاد الحداثة الثقافية، بدءا بديا بديانات الحصب لدى ت. م. إليوت وحتى طقوم الربيع لدى سترافنسكي، حيث وجدت فيه ضرّةاً من النقد الميهم لعقلانية التنوير.

وهدوا في هذه الثقافات والبدائية و نقداً لعقلانية التنوير تلك، وإثباتاً لها في الوقت ذاته. فإذا ما وجدوا في هذه الثقافات والبدائية و نقداً لعقلانية التنوير تلك، وإثباتاً لها في الوقت ذاته. فإذا ما كانت العادات الفكرية التي رُعم أنها عيانية ومحسوسة في تلك الثقافات تمثّل ضرباً من التوبيخ لعقل كانت العادات الفكرية التي رُعم أنها عيانية ومحسوسة في تلك الثقافات تمثّل ضرباً من التوبيخ لعقل الغرام والرصانة التي يتسم بها الجبر أو علم اللهة. هكذا استطاعت أنثروبولوجيا كلود ليفي شتراوس المسرامة والرصانة التي يتسم بها الجبر أو علم اللغة. هكذا استطاعت أنثروبولوجيا كلود ليفي شتراوس البنيوية أن تقدم أولئك و البدائيين وعلى أنهم مشابهون لنا على نحو فيه شيء من للواساة، ومختلفون على النواقة، ومختلفون وغيرها من الأشهاء الأربي والمقمر وغيرها من الأمرائية أنها المكارزي بلغة مغرداتها الأرض والقمر وغيرها من الأشهاء المعانية الملموسة، إلا أنهم يفعلون ذلك بكل التعقيد الأنيق الذي تتصف به هو المشروع الذي كانت البنيوية قد ورثته، غير مكتمل، عن الحداثة الرفيعة. وبذا تكون الذهنية الطلبعية قد دارت دورة كاملة لتلاقي الذهنية القديمة؛ ذلك أن بعض المفكرين الرومانتيكيين كانوا قد الطلبعية قد دارت دورة كاملة لتلاقي الذهنية القديمة؛ ذلك أن بعض المفكرين الرومانتيكيين كانوا قد الملابقة الوحيدة البعث الجياة من جديد في ثقافة غربية منحلة. فما دامت الحضارة قد بلغت درجة كبيرة من الانحطاط والتدهور، فإنا من غير للمكن أن تجد ذاتها إلا بالعودة إلى ينبوع المقافة، متطلعة إلى الوراء كبما تتحرك قدمًا مذير المكن أن تجد ذاتها إلا بالعودة إلى ينبوع المناقة المستقيل.

والبنيوية ليست الفرع الوحيد من فروع النظرية الادبية التي يمكن أن نرد إلى الإمبريالية بعضاً من أصولها. فالتأويلية، بما يلوح وراءها من بحث قلق عمّا إذا كان الآخر قابلاً للفهم أبما قبول، يصعب

^{*} Claude Lévi - Strauss, Anthropologie Structural (Paris, 1958) and La Pensée Sauvage (Paris, 1966).

فصلها عن هذا المشروع، شانها في ذلك شأن التحليل النفسي، الذي يكتشف نصاً فرعياً سلفياً عند جذور الرعي البشري ذاته. وهذا ما يصح كذلك على ما يُدخى بالنفد الاسطوري او النمطي البدئي، في حين أن ما بعد البنوية، التي تحاثر واحد من كبار دعاتها من مستعمرة فرنسية سابقة (۱۰۰، تضع تحت طائلة الشك ما ترى فيه هرباً من المتافيزيقا المركزية الاوروبية العميقة. أما النظرية ما بعد الحديثة، فليس أكره عليها من فكرة الثقافة الثابتة، الموحدة، وما قبل الحديثة، وهي سرعان ما تُشهر هجنتها ونهايتها المفتوحة نجرد التفكير في مثل هذه الثقافة. غير أن ما قبل الحديث وما بعده أقرب نسبًا مم توجي به النظرية ما بعد الحديثة. وما يجمعهما هو ذلك الاحترام الرفيع، بل المفرط في بعض لاحيان، الذي يسبغانه على مثل هذه الثقافة. والحق أن بمقدور المرء أن ينتعي أن فكرة الثقافة هي فكرة ما قبل حديثة وما بعد حديثة أكثر منها فكرة حديثة؛ وإذا ما كانت قد ازدهرت في حقبة الحداثة، فإن ذلك قد كان إلى حدًا بعيد كاثر للماضي أو استشراف للمستقبل.

وما يربط النظام ما قبل الحديث والنظام ما يعد الحديث هو الأ الثقافة بالنسبة لكليهما، وإلا يكن لأسباب مختلفة، هي المستوى المسيط بين مستويات الحياة الاجتماعية. ويعود بروز الثقافة مثل هذا الامباب مختلفة، هي المستوى المسيط بين مستويات الحياة الاجتماعية. ويعود بروز الثقافة مثل هذا المروز في المجتمعات التقليدية إلى أنها ليست مجرد «مستوى» بقدر ما هي الوسط الشامل الذي يتخلل كلّ شيء وتجرى فيه جميع ضرورب النشاط الاخرى. ذلك الأ السياسة، والجنس، والإنتاج الاقتصادي لا تزال واقعة بدرجة ما في إسار نظام رمزي للمعنى، وكما يلاحظ الانثروبولوجي مارشال الاقتصادي لا تزال واقعة بدرجة ما في إسار نظام رمزي للمعنى، وكما يلاحظ الانثروبولوجي مارشال المنافزة في معرض التقاده مقولة الاساس / البنية الفوقية الماركسية، فإن و الاقتصاد، ونظام الحكم، والشعائ، والايديولوجيا لا تظهر في القائم ما بعد والشعائ، ونعود التقلقة والحياة الاجتماعية مرة أخرى إلى ارتباطهما الوثيق، إنما هذه المرة على هيئة الماليات السلعي المستهلاكي على اسلوب الحيانة، والمكانة الرمزية التي تحليا السلوب عامة. فالجماليات، التي كانت في البداية مصطلحاً يشير إلى تجربة إدراكية عادية ويومية ولم يتخصص عامة. فالجماليات، التي كانت في البداية مصطلحاً يشير إلى تجربة إدراكية عادية ويومية ولم يتخصص بالفن إلا لاحقاً، تدور الآن دورة كاملة لتميد اتصالها من جديد باصلها الارضي، شانها في ذلك شان مامني المقافة – الفنون والحياة المشتركة – اللذين يندمجان الآن في الموضة، والأوياء، والإعلان، والإعلام وما شابه.

اما بين هذين النظامين فشمة الحداثة، التي لا يشكّل مفهرم الثقافة بالنسبة لها أهم المفاهيم أو اكثرها حيوية. والمن الذي كان يُنظَّرُ فيه إلى اكثرها حيوية. والحق الذي كان يُنظَّرُ فيه إلى المحتوية. والحيال، والهوية الثقافية - جميع كلماتنا الطنانة الدارجة اليوم - الجسدية، والاختلاف، والحلية، والخيال، والهوية الثقافية - على أنها عقبات تقف في وجه سياسيات التحرر والانعتاق، لا على أنها المصطلحات المرجعية لمثل هذه السياسات. فلقد رأى التنوير في الثقافة، تقريباً، تلك الروابط الماضوية الانكفائية التي تحول بيننا إلى تراث، بيننا وبين الشروع في مواطنيننا العالمية. فهي تدلّ على ارتباطنا العاطفي بمكان، وحنيننا إلى تراث،

^{*} Marshall Salins, Culture and Practical Reason (Chicago and London, 1976), P. 6.

وتفضيلنا لقبيلة، واحترامنا لتراتبية. أما الدعوة إلى الاختلاف فكان يُنظر إليها على أنها مذهب مُعْرِق في الرجعية، يُنكر المساواة التي هي حقّ لليشر جميعاً. كما كان الهجوم على العقل باسم الحدَس أو حكمة الجسد بمثابة دليل رسمي على الغباء والتحامل. وكان الخيال ضَرْباً من المرض الذي يعتري العقل ليحول بيننا وبين رؤية العالم على حقيقته، فيمنعنا تالياً من العمل على تغييره. أما إنكار الطبيعة باسم الثقافة فكان بمثابة الوقوف الذي يكاد أن يكون أكيداً في الجهة الخطأ من المتراس. ولا شك أن الثقافة كانت لا تزال محتفظة بمكانها؛ غير أنَّ هذا المكان كان يتحدد، مع تكشف العصر الحديث مزيداً من التكشف، بكونه إما موقع المعارضة وإما موقع التابع والملحق. فقد كان على الثقافة أن تغدو شكلاً من النقد السياسي الأدرد أو أن تكون ذلك النطاق الحصين الذي يمكن للمرء فيه أن يصرّف جميع الطاقات التي يحتمل أن تكون هدامة، سواء كانت روحية، أم فنية، أم ايروسية، مما كانت تقل إمكانية الحداثة أكثر فأكثر على أن تحسب حسابها. ولقد كان هذا النطاق، شأن معظم الاماكن المكرَّسة رسمياً، مُبجّلاً ومنسيّاً، مركزياً وهامشياً، في أن معاً. فالثقافة لم تعد وصغاً لحال المرء أو ما هو عليه، بل لما يمكن إن يكون عليه أو لما اعتاد أن يكون عليه. لم تكن اسماً لجماعتك، بل اسماً لاولثك البوهيميين المنشقين عنك، أو، مع اقتراب القرن التاسع عشر، لتلك الشعوب البسيطة التي تعيش بعيداً عنك. ذلك أن الثقافة لم تعد تصف الوجود الاجتماعي في كلامها الفصيح عن مجتمع معين. وكما يقول أندرو ميلنر، فإن و ١ الثقافة ، و ١ المجتمع لا يُقصَيّان عن كلّ من السياسة والاقتصاد إلا في الديمقراطيات الصناعية الحديثة . . فالصفة اللااجتماعية تُعتبر صفة مميزة وغير عادية من صفات المجتمع الحديث، كما يعتبر وغياب المعايير، وو الخلو من القيمة، أو، باختصار، غياب الثقافة، سمة من سمات حياته الاقتصادية والسياسية ، ومعنى ذلك أن فكرتنا عن الثقافة تقوم على اغتراب حديث لمَّا هو اجتماعي عمَّا هو اقتصادي، وللمعنى عن الحياة المادية. ومثل هذا التباعد والإقصاء بين الثقافة وإعادة الإنتاج المادية لا يمكن أن يحدث إلا في مجتمع يبدو وجوده اليومي خالياً من القيمة؛ ومن ثمّ فإنّ هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها لمفهوم الثقافة أن يغدو نقداً للحياة. وكما يقول ريموند وليامز، فإن الثقافة تظهر كفكرة أو تصوّر من وإدراك الانفصال الفعلي بين نشاطات أخلاقية وفكرية معينة وبين القوة الدافعة لنوع جديد من المجتمع،". لتغدو من ثم هذه الفكرة أو هذا التصور ومحكمة يحتكم إليها البشر، وتحتل موقعاً أرفع من الحكم الاجتماعي العملي ... بوصفها ضربًا من البديل الملطف والمنشط * * . وبذا تكون الثقافة عرضاً من أعراض انقسام تتقدتم هي ذاتها كيما تتغلب عليه، شأنها في ذلك شان التحليل النفسي في أعين بعض المشككين عن يرون فيه العلة التي يصف لها الدواء.

ترجمة: ثائر ديب

من كتاب:

The Idea of Culture - 2000

^{*} Andrew Milner, Cultural Materialism (Melbourne, 1993), PP. 3 and 5.

^{**} Williams, Culture and Society, P. 17.

الهوامش:

(1) من للعروف أن جاك ديريدا يدفع إلى العمل سلسلة من الصطلحات مزدوجة المعاني، تحمل النقيضين في آن معاً، ثما يجعلها قادرة، برايه، على خلخلة الميتافيزيقا الغربية وتفكيكها، قلك الميتافيزيقا التي طالما عسلت على الحط.
من أحد هذين للعنين.

فسصطلح والزيادة وأو والإضافة وأو والملحق supplement ، على صبيل للثال، يشير إلى ما يأتي لينضاف ويزيد ويكون بمثابة الفضلة، كما يشير في الوقت ذاته إلى ما يأتي ليسنة نقصاً ويردم هوةً ويكون بمثابة الفضل المفترض وجوده أصلاً. [لا بنا من الإشارة هنا إلى أن جميع الهوامش المشار إليها برقم هي إضافة المترجم، في حين أنّ كلّ الهوامض للشار إليها بنجمة هي للمؤلف].

- (٢) لفظة المانية بمعنى التنشئة أو التربية، وكثيراً ما تستخدم للتعبير عن الثقافة.
- (٣) علم التربية المدنية، CİVİCS، هو العلم الذي يعني بحقوق المواطنين وواجباتهم وطريقة عمل الحكومة.
- (ع) التذكيك، Deconstruction ، مو باختصار، الاسم الذي يُطلَق على الطريقة النقدية التي جاه بها جاك
 ديريدا وراى ان من الممكن بواسطتها تقويض ما ينطوي عليه الفكر الغربي ونصوصه من تقابلات ثنائية أو ثنائيات
 ضيدية مثل المراة / الرجل، المقبول / اللامقبول، الحقيقة / الزيف، المعنى / اللامعني، العقل / الحيون، المركز /
 الهامش، السطح / العمق . الخ. حيث توضح هذه الطريقة في العمل على النصوص أنّ المقابل يشكّل خفيةً جزءاً لا
 يتجزا من مقابله الآخر.
- (٥) سبقت الإشارة إلى ان الثقافة في تطور معانيها الحديثة كانت في البداية قد عنت شيئاً قريباً بما تعنيه الكياسة civility، لتتطور من ثم في القرن الثامن عشر وتغدو مرادفاً إلى هذا الحد" أو ذاك لكلمة الحضارة civilization.
 - (٦) ثمة تلاعب بالالفاظ هنا، بين Berbers والبريرة و barbers والحلاقون ، .
- (٧) السردية الكبرى، grand narrative، مصطلح شاع استخدامه مع ما بعد الجدائة، وخاصة مع جان فرانسوا ليوتار في كتابه الوضع ما بعد الحداثي، حيث يقول: واستخدم مصطلح وحديث و كيما اصف كل علم يستقي مشروعيته باللجوء صراحة إلى هذه السردية الكبرى أو تلك، من قبيل جدل الروح، أو تاويل المعنى، أو تحرير الذات العاقلة أو العاملة، أو خلق الثروة . كانت هذه حكاية المتنوير، التي عمل قبها بطل المعرفة لبلوغ غاية اخلاقية —سياسية جيدة، هي السلام الشامل . . . ومع التبسيط إلى آخر مدى، فإنني أعرف و ما بعد الحداثي، بائه التشكك إزاء السرديات الكبرى و . انظر: جان فرانسوا ليوتار، الوضع ما بعد الحداثي، ترجمة أحمد حسان، دار شرقيات —

القاهرة، ط. (۱۹۹۶ ، ص ٢٣ - ٢٤. و يمكن القول إن للقصود بهذا المصطلح هر ابة نظرية شمولية اساسا تتم العودة إليه في التفسير.

- (٨) البشمان، شعب يعيش على الصيد والقنص والترخل في أفريقيا الجنوبية.
- (٩) هذا التعليق جزء من قراعة لكتاب ماركس وراس المال 5 قام بها أحد المراجعين ونشرها في عدد أبار ١٨٧٧ من مجلة فيستنيك يفرويي، التي كانت تصدر في سان بطرسبورغ، وأورد ماركس مقاطع منها في تذييله الطبعة الألمانية الشائية من رأس المال عام ١٨٧٣ . انظر: رس 'الل: نقد الاقتصاد السياسي، المجلد الأول: عملية إنتاج رأس المال، الحارة الأول: عملية إنتاج رأس المال، الحارة الأول: عمل 6 2 .
- (١٠) الإشارة هنا إلى جاك ديريدا الذي ولد في الجزائر ويعتبر تفكيكه واحداً من أهم تجليات ما بعد البنيوية.



التاريخ وصعود الرواية

فيصك دراج

وإلى عزيز العظمة،

هجس الإنسان منذ زمن صحيق به وفساد الازمنة ٤٥ إذ ما عاشه الاجداد مضيئاً وصل إلى الاحفاد ناقص الإضاءة، وإذ الخير الذي كان عميماً ينزف متداعياً روحه الطاهرة. استماد و اجاكس ٤٥ في إلياذة و هرميروس ٤٤ وهو يتأمل الصخرة الهائلة، اطياف الاجداد وقوتهم الهائلة، حين قال: و لا يستطيع شاب قوي من جيلنا أن يرفعها بكلتا يديه ٤، وبعد مائمي عام، وفي القرن السابع قبل الميلاد، رأى الشاعر وهزيود ٤ في الاضمحلال سيداً مطلقاً، إذ العصر الفضي بعقب العصر الذهبي، وإذ المصر الحديدي يتلو العصر البرونزي، الذي ابتمد عن الفضي وبئت آثاره. وسيقول روسو بعد خمسة وعشرين قرناً تقريباً: وكل شيء يتذهور في إيدي البشر ٤، وصولاً إلى نجيب محفوظ العجوز، الذي تحدث في ذكرياته عن جماليات القاهرة في زمن شبابه، وعن أفول والثقافة الرفيعة ١ اليوم.

أخذ الإنسان دائماً بفكرة الشروق والأفول، وبحث حائراً عنا يرفع الظواهر ويخفضها، واطمأن إلى قوى الغيب طويلاً، إلى أن حاصره القلق وفتش في الأرض عن إجابة أخرى، دون أن يعادوه الأطمئنان المفقود. وضع الإنسان إجاباته القديمة في الأساطير والحكايات، وفي 3 كتابات تاريخية 4، تمس الوقائع وتضيف إليها ولعنة فساد الأزمنة 9 وحنيناً دافقاً يحول الوقائع المفترضة حكايات تجاور حكايات آخرى. وبعد أن هيط الإنسان الأوروبي، في القرن الثامن عشر، من عالم المجهول إلى عالم بدائه معلوماً أعطى 3 فساد الأزمنة 9 صيغتين جديدتين: صيغة ترى الوقائع المادية وتدع الإنسان المتاسي جانباً، ودعاها (علم التاريخ 9، وصيغة أخرى تبدا بالإنسان، وتقتفي في مساره آثار ما أنعقد وتلاشي. والصيغة الثانية، التي تقرأ الكون كله في وجه الإنسان وروحه، تدعى بـ : الرواية.

١ - التاريخ وتحولات الحكاية :

كتب نجيب محفوظ في واللص والكلاب عن وسعيد مهران ه، الذي اغترب عن سلطة تعلّم الناس الفراءة وتنهيهم عن التفكير، وسقط قتيلاً على جدران للقبرة. وفي والزيني بركات عكتب الناس الفراءة وتنهيهم عن التفكير، الذي يهزم شعبه، يوماً فيوماً، قبل أن يدفعه إلى هزيته الأخيرة. السخص الاولى لا وجود له ولا يعرفه أحد، سقط من الخيال على الورق، وإعطاء خالقه اسماً وقرّر مصيره. على خلاف الشخص الثاني، الذي خلقه الله وكتب عنه المؤرخ ابن إياس، ومنحه الغيطاني حياة جديدة. وعلى الرغم من أن الأول يولد ويموت على الورق، والثاني يزهن أرواح البشر داخل المركة وخارجها، فإن الشخصيتين تتقاسمان قولاً واحداً: مرّ عليهما التحوّل وأعطاهما ولادات متنابعة وموتاً لا رجعة منه، واستولد التحوّل منهما، معنى جديراً بالتامل. في الحالين تحوّل ومعنى، يحيلان على الرواية وعلى علم يدعى بـ: التاريخ.

كان التاريخ، ولا يزال، علماً جليلاً يفسر ويملل ويُتطق ماضياً سحيقاً، وراوياً غريب الصوت مغتوناً بحكايات الولادة والاضمحلال. ولم يغيّر تطور التاريخ من القران الغريب بين قول حكيم وحكاية مؤسية. كتب محمد المويلحي، صاحب العيسى بن هشام الافران الغريب بين قول حكيم التاريخ الإنسان في صيف ٢ ٩ ١ ١ الكلمات التالية: و واعلم أن تبدّل الازمان وتقلّب الحدثان يغيّر من مباني الامور، ويكيّف في اعتبار الاشياء، فما كان يمتبر بالامس فضيلة يعتبر البوم وفي الغد رذيلة، وما كان يعتبر الأرمان وتقلّب الحدثان يغيّر رذيلة، وما كان يعدّه الناس في الماضي نقيصة يعدّونه في الحاضر كمالاً إلاً ١٠٠٠. يبدو التاريخ معلماً قلقاً يعيد تعريف الظواهر، وعلماً يجاور و العلوم المبنية على النظر والقياس ٤ ، كما يقول المويلحي. وهو يعلم الخالين متمسك بما كان وانصرف، وبما اشتمل وانقياس ٤ ، كما يقول المويلحي. وهو بلغة المقامة. صدر بلغة اخرى عن توماس كارليل ر ١٧٦٥ – ١٨٨١)، الذي الثر في النقد الاجتماعي الإنكليزي، ووطد في عباس محمود العقاد فتنة العبيقيوات و وبهاء والابطال ٤. كتب كارليل: ووكل انواع المثل المغيالها حدودها المقادرة لها، ولها حفظها وفيراتها المينة للشباب والنضج والكمال والانحطاط والموت النهائي والزوال ١٤٠٠)، انذي بعقبها اعتدال واكتمال، وتخوم لاحقة منفتحة على التقوّش والزوال.

يصوغ علم التاريخ أحكاماً مبنية على والقياس والنظراء ، ولا يتخلى عن حكاية الشباب والزوال. ووالمعرفة المرفة الموضوعية التي تخللها حكاية ضرورية ، حملت المؤرخ الإنجليزي الشهير ر. ج. كولنجوود في كتابه و فكرة التاريخ ، الذي وضعه في ثلاثينات القرن الماضي، على الحديث عن المؤرخ الروائي، ومن وعلى نوزيع الخيال على الروائي والمؤرخ في آن. تأتي الحكاية، التي يحتاجها المؤرخ والروائي، من أزمنة منفرقة، ويطبق عليها الطرفان أدوات مختلفة. يعيد المؤرخ بناء الحكاية ، محاوراً الموقائع الظاهرة ومستنبطاً الوقائع المناهرة، منتهياً إلى تفسير ومقترباً من معنى، قالت به الحكاية المفسرة، ويكتب

الروائي حكايته موحياً بللمنى وتاركاً التاويل لقارئ محتمل. وفي بحثه عن التفسير والمعنى، يتكئ المؤرخ على «الاستدلال المقلي الخضى»، يلغة المؤرخ الإنجليزي، وعلى «الحيال الجبّار»، كما يقول، المؤرخ على «الاستدلال المقلي الخضى»، يلغة المؤرخ الإنجليزي، وعلى «الحيار»، كما يقول، المنادي يشتري المناتب من الحاضر والملتبس من الواضع. متوسلاً معنى قوامه المخاتلة والوضوح، وللمؤرخ، الذي يزاوج بن المنطق والحيال، مادة تاريخية محددة المكان والزمان وميرّاة من «التناقض»، ولا يختلس والحيال الجبار» من وصدقها التاريخي، شبقاً "الميان وميرّاة من وصدقها التاريخي، شبقاً "المنال والزمان، ويشبي ألى وصدق خاص به»، يوقظ بالمكان والزمان، ويضيف إلى «الواقع» ويحدف صنه، كي ينتهي إلى وصدق خاص به»، يوقظ المساعلة وينهى عن الإجابة الأكيدة، وعلى الرغم من توزّع الحيال وهجرة القول» على المؤرخ والروائي، يظل الأول قائماً في الماضي، حتى وإن راى في الحاضر ماضياً آخر، ويبقى الروائي في كل الازمنة، يسائل مثالاً الخلافيًا دالب الهروب.

يجعل المزج بين الاستدلال العقلي المحض والحيال الجبار التاريخ فناً، ويقيم بينه وبين الفنون الاخرى صلات قربي. تستدعي الفنون، والتاريخ قريب لها، المثل الأخلاقية التي تحتضن الصدق والحقيقة والقبض على الحقيقة بوسائل صادقة. كأن الاخلاق مهد الفنون جميعها، والفنون ظلال الاخلاق بامتياز. يشير المؤرخ الالماني راينهارت كوزلك، في كتابه المنير ﴿ تجربة التاريخ ﴾، إلى أواصر التاريخ والشعر والحقيقة في أزمنة منقضية. فقد نظر أرسطو، دون إجلال كبير، إلى 3 علم التاريخ، الذي يرصد الزمن ووقائعه صامتاً، مكتفياً برصد زاهد لا يقول شيئاً، كما لو كان الزمن التقي بالحوادث عرضاً، أو كما لو كانت الوقائع التقت بالزمن في صدفة عابثة . بينما يرى الشعر إلى الوقائع ويصل إلى قرارها، واصلاً بين الواقعي والممكن والحدث الواهن والرؤية الواسعة، مبرهناً أنه اعمق من التاريخ رؤية واكثر منه أهمية. وسيأتي الفيلسوف الألماني لايبنتز (١٦٤٦ - ١٧١٦)، وبعد تطور الكتابة التاريخية، فيساوي بين مقاصد الشعر والتاريخ ويطالب، وهذا أكثر دقة، التاريخ أن يتعلّم من الشعر، وأن يرتقي إلى مقامه. كان يقول: 9 يجب أن تكون غاية التاريخ الاساسية كغاية الشعر، تعلّم الحذر والفضيلة بأمثلة عيانية، وتكشف الرذيلة بطريقة تنقر منها، وتفضى إلى تجنّبها أو تساعد عليه ١(١). اتكاءً على وظيفة (الفنون) التهذيبية، رأى الفرنسي ديدرو، عام ١٧٦٢، في رواية الإنجليزي ريتشاردسون تقدماً في وعي التاريخ ودروسه، لم يبلغه المؤرخون، ذلك أن الرواية، وهي تعالج المجتمع وطبائعه، تحتضن أمكنة النوع الإنساني وازمنته. يقول في دراسة عنوانها ٩مديح ريتشارد سون »، وجهم إلى الروائي الذي أعجب به: « أكاد أقول إن علم التاريخ غالباً رواية سيئة، وإن الرواية، كما كتبتها، تاريخ ممتاز (°°). لم يكن ديدرو، كما لايبنتز وغيره من المفكرين المستنيرين، يحتفي بالرواية ويحتفل بالتاريخ، كجنسين كتابيين منفصلين، بقدر ما كان يدير حديثاً اخلاقياً عن الإنسان والتاريخ الكوني للنوع الإنساني، ويفتش عن نوافذ جديدة تستقبل النور. كأن الرواية، وما جاورها من الفنون، مرآة ترصد تحوّل الإنسان في شروطه المتحوّلة، داعية إلى الأفضل والأكمل، وناهية عن الشاذ والقبيح. يفسّر البحث الفاضل عن مجتمع لا تنقصه الفضيلة تمازج الاجناس الكتابية، الذي قال به الفكر الأوروبي المستنير في القرن السابع عشر وما تلاه، حيث الرواية والتاريخ كلمتان متطابقتان، ترحبان بالشعر وبالوان الكتابة التهذيبية الختلفة.

تمامل الفكر المستنير، في طور منه، مع عمومية كتابية غايتها التهذيب، في انتظار زمن، وشيك الوصول، يفصل بين العام والخاص وبين المعرفي والأخلاقي. حين يتحدث قسطنطين زريق (١٩٠٩ - ١٩٩٨)، على سبيل المثال، عن و فن التاريخ و، يضمه في القرن الناسع عشر، الذي شهد النصر النهولي المثال المثال الذورة البرجوازية الأوروبية، والمفكّر العربي، الذي يتنافس في كتاباته توقد الذهن وإخلاقية المهرفة، مطمئن إلى علم التاريخ وضرورته وموضوعيته، ذلك أن وغاية التاريخ هي إدراك الماضي كما المرفة، عن كان إ^{١٧٠}، يختزل زريق الحكاية التاريخية إلى حناها الاقصى، طارداً التؤهم والخيالات الباطلة، منشباً عن والمهرقة في الخبر، وعن والخبرة في التحليل العقلاني، ولهذا، يوحد بن الاديب والمؤرخ وهما يقصدان منابع الحقيقة والجمال، ويفصل بينهما حين يوكل إلى المؤرخ تحده الإخريز ويونية تمييزاً دقيقاً بين الادب والتاريخ، وإذ أن التباس المدهما بالآخر يؤدي إلى الرتباك بينهما وإلى ضعف الإنتاج واضطرابه في كل منهماه.

يضع زريق ولادة علم التاريخ في القرن الذي شهد صعود الرواية، وعرفها ملحمة برجوازية، بلغة لوكاتش التي تستانف لغة هيجل ولا تتحرّر منها إلا قليلاً. بقي القرن التاسع عشر، لدى كبار مؤرخي الادب وصغارهم، مرجع ازدهار الرواية، وإن عشر بعضهم على ميلاد الرواية في نصوص يونائية، مثل الروسي باختين والإيطالي ماسيمو فوزيللو في كتابه وميلاد الرواية ٥. وقد يُفستر توامن صعود الرواية وعلم التاريخ بعجوار المعارف او به ورح العصره، لكنه يُقسر أولاً بتحولات اجتماعية تؤمّر تطور المعارف والحوار الحصيب بينهما. احتل الإنسان في هذه التحولات، التي استولدت عصراً جديداً ينقض ما سبقه، مكاناً مسيطراً، تجلّى في علم التاريخ، الذي يسائل إمكانيات الإنسان في الإزمنة الختلفة. ولعل سيطرة موضوع الإنسان على ما عداه، هو ما أملي على لو كاتش وهو يدرس العمل الروائي، فكرة جوهرية وبسيطة تقول: 3 يميّر جوهر العمل الروائي الاكثر عمقاً عن ذاته في السؤال التالي: ما هو الإنسان؟ ٤٠٠٠. والبرنسان المتحود هو ذاك الذي استولده عصر النهضة، الذي وعد بإنسان يمشي على الأرض ويروض والتحود.

انضت مقولة الإنسان المسيطرة إلى حوار بين حاضر الإنسان وماضيه وبين الرواية وعلم التاريخ. وهذا ما جعل والترسكوت (١٧٧١ - ١٨٣٣)، الشهير برواية تاريخية مجللة بالفضيلة، استاذاً في الكتابة التاريخية وصانماً للرواية الأوروبية، كما جاء على قلم والترائن في كتابه والرواية الإنجليزية ٥. استمد سكوت قيمته من ذهابه المستمر إلى تاريخ احسن معرفته، يتكشف حياً في إنسان تميّزه خسائصه الذاتية وحياته الاجتماعية ورباطه الواضح بتاريخ مضى. شيء واهن القرب، وفي زمن اجتماعي مختلف، من رواية تاريخية عربية صيكتبها جورجي زيدان (١٩٦١ - ١٩١٤)، وهو ينتش عن المعنى في حاضر عربي أضاع المعنى، منتقلاً من زمن بني أمنيّة إلى زمن محمد علي بيك الكيور، ومن زمن والحجاج بن يوسف الإلى زمن الفتح العربي لمصر، وسواء اجاد زيدانة الذي أسس مجلة الهلال في مصر عام ١٨٩٧، الهدف أم اخطأه، فقد جمع ما استطاع من التاريخ وسكب عليه

فضائل عربية كثيرة.

أملت التحولات الإجتماعية ، من نهايات العصور الوسطى إلى الثورة الفرنسية ، ولادة جديدة لـ المنت التحولات الإجتماعية ، من نهايات العصور الوسطى إلى الثورة الفرنسية ، ولادة جديدة لـ وصناعة التاريخ ع وكتابة الحكايات . ولهذا لم يُعلّم والتر سكوت المؤرخين إلا ما تعلّمه من تاريخ معنقي ، يُعلّم الرائع وهو يشهد على استعمار الإنجليز لمسرء مختلفاً ، وإن كان مجتمعه يتحوّل متفهقراً ، فائدفع إلى تاريخ بعيد يواجه به وإمبراطورية لا تغيب عنها الشمس ع . تظل الحكاية تسرد احوال الميلاد والأفول . تترسب ، إلى حدود الاختفاء ، في النص التاريخي الذي أصبح علماً ، وتطفو واضحة فوق النص الروائي ، تاركة الخيال يتوسد ما شاء من الامكنة والأزمنة .

٢ - رواية التقدم وتقدم الرواية :

راى هيجل، في ١٩ / ١ / ١ / ١ / ١ ، ١ ، ١ و ح العالم ترتدي قبعة وتمتطي جواداً وتذرع انحاء اوروباً.
لم تكن روح العالم التي باتت واعية لذاتها، بلغة هيجل، إلا الفرنسي بونابرت، الذي وضع فوق ظهره
الثورة الفرنسية وجاء يحبر عن انتصار التاريخ الأخير، أي عن نهايته. فبعد أن سارت روح العالم في
دروب دامسة وقعت على يوم مضيء وكفت عن المسير. رأى هيجل، المنبهر بالسلطة وبالإمبراطور
المنتصر، نهاية التاريخ تركب حصاناً وتعلن عن انتصار الروح الأوروبية. كان للتاريخ بداية من سديم
ونهاية تميل إلى القصر لها مشية عسكرية. ومع أن ماركس أحسن إلى هيجل واوقف ديالكتيكه على
قدميه، فقد قاسمه الرأي والتمس للتاريخ بهاية أخرى، لا علاقة لها بالمدافع والحروب المنتصرة عنوانها
ذا مجتمع الشيوعي، الذي يمحو غياب الصراع الطبقي فيه التاريخ ويلغيه، يفصح الموقفان عن الانتصار،
تمثق وركب حصاناً واملى على التاريخ نهايته، أم بني مملقاً في الفراغ ينتظر ما وعدت به النظرية

قالت فلسفة التنوير، وزامنها من اعتنق تشاؤماً شديداً، ينهاية التاريخ، مطمئتة إلى إنسان جديد يخاطب الكون بنبرة آمرة. صدرت النهاية المنتصرة عن فكرة التقدم، وهي جوهر الفكر التنويري، التي قاست الزمن الكون بنبرة آمرة. صدرت النهاية المنتصر، وقرآت المستقبل الآتي بغبطة الحاضر المتفجّرة. وفي إيديولوجيا انتصارية، تبدأ من الإنسان وتبقى فيه، تكون حركة التاريخ حركة التقدم الذي يلازمه، ويكون التاريخ، والتقدم الذي يلازمه، ويكون التاريخ، وقد (تشخصن)، الفرنسي، قبل أن يترجّل عن حصائه، وتنقما معاً بالحقيقة والانتصار. لكان التاريخ، وقد (تشخصن)، عسكري فرنسي كورسيكي الاصل، والتقدم روح مبصرة تركب حصاناً. وعن التاريخ المتشخصن صدرت تعابير متعددة تدل عليه مثل: وعلى التاريخ، وهي دقيقة وموضوعية، وو محكمة التاريخ، وهي مشاملة ورهيبة، وو محكمة التاريخ، وهي منزمة ولا تعرف الزلل: والعدالة التاريخية هي القدرة على استخراج النتائج الصائبة انطلاقاً من الحقيقة التاريخية المستخلصة من الوقائع هناك. للتاريخ عمدكمة وبصيرة وعدالة تعبّر، بداهة، عن الروح الأوروبية المنتضارة التي وعدت، في يوم انتصارها، ان يكون العالم اوروبياً او لا يكون.

يولد التقدم من التاريخ العاقل، ويأتي التاريخ العاقل من رجولة التاريخ، التي التقت بإنسان نوعي
قادها إلى مصب ذهبي. كتب الألماني شلنغ (١٧٧٥ – ١٨٤٥): وإن التاريخ من حيث هو كلية
كشف عن المطلق وهو يتقدم ويستبين شيئاً فشيئاً ١٩٤٥. يتحدد التاريخ بلا نهائية التقدم الذي
ينتهي، أي يكتمل، بكشف المطلق عن وجهه بعد رحلة مقتعة طويلة. والتاريخ، وهو مطلق يتكامل
ويكتمل، يفصح عن الحقيقة ويتميّن في الحقائق التي يفصح عنها، مثل إله خاص أقواله أفعاله
اللهبية، وأفعاله أقواله المضيئة. وهذا ما يفسر قول نوفاليس: والتاريخ بأسره إنجيل، وو كل ما هو
إلهي له تاريخ ٤، الذي يمكن أن يأخذ صياغة أخرى ليكون: والتاريخ كتاب إلهي و وو كل ما هو
تاريخي هو إلهي ٤، لم تمنع مقولة العقل، التي تُنسب إلى فلسفة الأنوار بيسر كبير، فكرة التقدم
الجامحة عن أن تضيف إلى عقلانية الانوار بعداً دينياً، تُجلَى في إضافة مرجع خارجي إلى التاريخ، هو
المطلق، وفي تاريخ متشخصن له صفات الآلهة.

انطوى التقدم التنويري على صفات تعطيه قوام الحكاية، الممتدة بين بداية ونهاية وانتصار بينهما. قال التقدم بتحوّلات نهائية لا يمكن الرجوع عنها، تعبّر عن زمن عاقل مستقيم، لا يرتد ولا يقبل الرجوع إلى الوراء. يعطي هذا الزمن، وقوامه التراكم والاستمرار، التاريخ السياسي شكلاً وحيداً متقدماً، لزوماً، يعين السياسة سباحة مع التيار، أي فعلاً يقبل بـ وحقيقة التاريخ ، ويرضى بـ عدالته ، أمر قريب من قول لايبنتز: وليس في الإمكان أبدع مما كان ٥، فما أنجز إيجابي والإيجابي المنجز لا يمكن إنجاز ما هو أفضل منه، طالما أن المطلق، وهو يواكب التاريخ، متمهّل في التخفّف من أقنعته ولا يسفر عن وجهه مرة واحدة. واتكاءً على المطلق، الذي يتقدم، خلط الفكر التقدمي، بين التقدم العلمي والمتخيّل النظري والاجتماعي، مؤمناً بتقدم منساو في الحقول الاجتماعية جميعاً، ينصّب الإنسان المبدع سيداً على المجتمع والعلم والتقنية، وينتهي إلى حكاية و فرانكشتاين أو برميثيوس الحديث، التي كتبها ماري شلى عام ١٨١٨ . لم يكن غريباً، والحالة هذه، أن يرى فالتر بنيامين، وفي نصه الأخير ٥ حول فلسفة التاريخ، (١٩٤٠) في «الزمن التقدمي» زمناً للمنتصرين والمسيطرين يرجئ (زمن الثورة) إلى يوم لا يُرى، متفقاً، وعلى طريقته، مع ماركسي آخر يدعى: غرامشي. حايث والزمن التقدمي ٥ انبهارٌ بالتحولات الاجتماعية وانبهار أكبر بميد التحولات ذاته، إذ الإنسان يحوّل العالم ويحوّل ذاته، بل يستولد ذاته من ذاته وهو يخلق المواضيع الخارجية التي يمسّها. عبّرت الماركسية عن الخلق الذاتي بتعبير والبراكسس ، الذي شرحه ماركس الشاب بلغة أدبية - فلسفية في ومخطوطات ١٨٤٤ ، حين راي في تحوّلات العالم الحديث وكتابًا مفتوحاً يتملّى الإنسان فيه قواه الجوهرية و(١١). يحضر اللاهوت، مرة اخرى، في الإنسان الذي يخلق ذاته وفي الاصابع الجديدة التي ينبثق منها كوناً أصيلاً. فبعد أن تحوّل الإله إلى تاريخ يمتطى جواداً، اعتصم الإنسان بخياله وصرف جميع الآلهة.

تؤول رواية هيرمن ميلغل (موبي ديك»، التي ظهرت عام ١٨٥١ ، فكر التنوير كاشفة عن عظمته وعن الخلل الذي سكنه . أراد وآخاب»، وهو صورة عن الإنسان الحديث، أن يغزو الطبيعة وأن يغغنَّ أسرارها، وانتهى ومن معه إلى فوهة الموت. ذلك أنه سعى إلى حشر نظام الطبيعة الأبدي في نظام الإرادة الإنسانية المتفطرسة، وإلى تملك أسرار الطبيعة وتحويلها إلى هامش في صفحة الإنسان. غير أنه، وصل إلى نقيض ما أراد الوصول إليه، حين طبق العقل الإنساني على الطبيعة بشكل لا عقلاني. كشف البحار العصابي بساقه المبتورة عن بصيرة ماري شلي الماساوية والمشرقة معاً، لانه كان وجهاً من وجوه فرانكشتاين المرعبة والمحزنة في آل.

التاريخ، في التصور الغاثى للتاريخ، حكاية عن التاريخ، ذاك الذي يشبه قارباً محمّلاً بالتفاؤل يقله المطلق المتمهل إلى مرفا أمين. يشرح هذا التاريخ تكون الحكاية ويقوم بسردها معاً: يشرحها بحقب تاريخية متعاقبة، إذ كل حقبة لها فكرها واقتصادها ونظامها السياسي، ويسرد حكايتها بتفاوت الحقب، ماهية وكيفاً، ويصعود الأفضل وانطفاء الأخفض مرتبة. بين القديم الذي تداعى والجديد الذي تلاه حكاية، لها زمنها المتعاقب، الذي يضيء مرحلة وينتقل إلى أخرى، لها مقاطعها الزمنية التي تصف الأحداث الاجتماعية وتوحّدها، وصولًا إلى المرفأ الأمين الذي يعلن عن تطامن ۵ العقدة الحكائية » وانتهاء الحكاية. تتضمن الحكاية الميلاد واليفاعة والشيخوخة والموت وولادة جديدة تحتفظ ببعض ما كان وتتجاوزه. هناك دائماً وما قبل، تلازمها، لزوماً، وما بعد، تتداعى على أبواب وما قبل، جديدة هي، بالضرورة، وما بعد، لاحقة. تتكوّن وحكاية التاريخ، في فضاءات محددة ببدايات ونهايات متنوعة، تنتهي إلى حل أخير. تتكشّف في هذا المنظور التاريخي القائم على تتابع الأحداث القرابة الحقيقية بين الرواية والتاريخ، أو بينها وبين معنى التاريخ في فلسفة التنوير. فالطرفان يتَّخذان، وبنسب متفاوتة، من المحاكاة مبدأ للكتابة، طالما أن موضوع الكتابة هو ما حدث وما هو واحب الحدوث، والطرفان صعدا معاً في القرن التامع عشر، وكلاهما شكل إيديولوجي يتصارع فيه الو قعى والمتخيل، والرواية والتاريخ ينزعان معاً إلى مثال أخلاقي جليل يتكوّن في «الحقبة الزمنية» الراهنة. وبقدر ما ابتعد وفن التاريخ، الذي رغب فيه قسطنطين زريق، عن فلسفة التاريخ، ابتعدت الرواية وضاعفت الابتعاد عن ﴿ رواية التقدم ﴾ قاصدة قولاً آخر(١٠).

اعلنت الرواية عن تقدمها باشكال مختلفة. قطعت مع التصوّر اللاهوتي للمالم، وتتوافق معه حكاية قديمة عن الوعد والوعيد، أو فككنّه وادرجت عناصره في منظور جديد، وانصرفت إلى دنيوي محسوس، يُشتق فيه الإنسان من الخبرة اليومية، وتُخبر فيه التفاصيل اليومية عن معنى التاريخ. اخذت الرواية، وهي تنقض الحكاية، بإنسان دنيوي لا هالة له ولا يعرف التمالي، مخلّفة بعيداً إنساناً مجرداً، قوامه السقوط والفقران والخطيئة والهداية المنتظرة. فقد اكتشف الإنسان، الذي وقعت عليه الرواية، أن حياته الارضية لا يتنبغي أن يمال دون زهد أحمق يلتبس بالورع، وأن الحقائق المطلقة فضاء للتأمل لا منهجاً في الحياة. هكذا يمال دون زهد أحمق يلتبس بالورع، وأن الحقائق المطلقة فضاء للتأمل لا منهجاً في الحياة. هكذا الادبي المقدم، بلغه إلى إنسان يترجم الحقائق الثابتة المطلقة وإلى عالم متمال الإنسان ظل واهن له، لا يعترف واهن له، لا يعترف واهن له، لا يعترف واهن له، لا يعترف المؤردة، الركا ألجسد والحواس واهن له، كان يضع العقل في لا مكان، به بعد أن ارتكن إلى مطلق ليلازمه الشبات، واكتفى بورح الإنسان المجردة، تاركاً الجسد والحواس والرغبات في أرض الرذيلة. لكنه وهو يبارك الروح ويعرض عنا تبقى كان يضع العقل في لا مكان،

لان الأرواح الطاهرة لا تحتاج إلى دليل. ولهذا، فإن الحكاية، كما العقل الحكاثي، لا تعرف مبدا السببية الذي يشرح تكون العلاقات المادية وانحلالها، ولا العلاقة المتملة بين ما حدث وما كان ممكن الحدوث، مرتاحة ابداً إلى مصادفات متتابعة باركتها الملائكة، وإلى القران السعيد بين الإثم والعقاب والخير والثواب(١٣).

ترجمت الرواية الاوروبية تقادمها وهي تترجم تحولات اجتماعية حاسمة، تُحرّر الواقع المعيش من دلاجه الاثيرية، وتنقل الإنسان من وضع مقيد، يقتات بالمقدس ويقتات المقدس به، وقد تُشَخصنَ في الكنيسة وسلطة سياسية لاهوتية المضمون، إلى وضع يقاسم فيه المقدس قداسته، أو يكتفي بحياة دنيوية متحررة من أطياف و الخطيفة الأولى 8. يقول آورباخ في كتابه: و كتابات حول دانتي 8: و كان على العقل التصفوي في القرنين السابع عشر والثامن عشر أن يهدم الإيديولوجيا السلطوية ويقايا الكرزمولوجيا المسلطوية ويقايا الكرزمولوجيا المسيحية القروسطوية، حتى يتكون تصور عملي لوحدة المجتمع الإنساني (١٠٠٠. تفرض وحدة المجتمع الإنساني (١٠٠٠. تفرض والإنسان 9، ومن أوضاع و الرجمة ۽ إلى مقام و الشعب 8. اعتمدت هذه الوحدة على تصور للعالم قوامه اكتشاف الشخصية الإنسانية لذاتها، بلغة معينة، أو سيادة الفرد على ذاته، بلغة آخرى. فبعد تصور لاهوتي يذيب الإنسان في مقايسات روحية ويقذف به إلى زمن عصي على التحديد، التقى تصور لاهوائي يذيب الإنسان في مقايسات روحية ويقذف به إلى زمن عصي على التحديد، التقى الإنسان بجوهره، وتوحد روحاً ورحسال وعملاً ورغبات، اي استماد تعدديته الروحية والمادية والاخلاقية والاخلاقية والا خلاقية بمناته مختلفاً عن الحاضر، وعرف أن الحاضر لا يساوي الماضي ولا يتطابق مهه.

اكت التصور الجديد، الذي أشار إليه آورباخ، الاستقلال الذاتي للظواهر المختلفة، الذي يفصح عن خصوصية كل ظاهرة ويعطفها على غيرها في آن. جاء علم التاريخ وتاريخ الادبان وتاريخ الآثار، وآتى علم الغيزياء والكيمياء والفلك، وتوزّعت صفة الواقع على البحر واليابسة والفضاء وأقاليم مجهولة قيد الاكتشاف... كان على الإنسان الجديد، في الفضاء المتعاد الأسماء، أن يكفّ محاكاة السماء، وأن يعرف الغرق بين حياة الإنسان المحدودة وخلود الملائكة. حاكى الإنسان الطيعة، معرفاً إستقلالها الذاتي ومنصرفاً إلى معرفة قوانينها، وإلى معرفة إمكانياته، وطامعاً بتريغهها الطبيعة، معرفاً الميها. وحاكى عالم الداخلي الذي يحتمل الفرح والكراهية وكآبة الصباح والخوف من الزوال ومتعة الحواس المشرقة. يلخص إرباخ في كتابه الشهير ومحاكاة»، وهو يتحدث عن رابليه وتكون الرواية، الوضع الجديد بالسطور التالية: «والحق أن الثوري في فكرته لا يكمن في مناوأة المسيحية، بل في خلخلة الرؤية والشعور، والتفكير الذي ينجم عنه عبث مستمر بالأشياء، بداهة، في نقطة واحدة، وذلك بطريقة مناقضة للمسيحية من حيث هي المبدأ، فبالقياس إليه يعد الإنسان الذي يتبع طبيعته، والحياة الطبيعية، ظاهرة خيرة، سواء بالنسبة للبشر أم للأشياء "(الميه ذابحة). ولمية الطبية الطبية الطبيعة على الطبيعة تصافحات عائد وتبتل وولادة متجددة، بعيدا عن رصانة تسلطية تابتة الطبيق مبدأ، والكان أن الضحك تعائد وتبتل وولادة متجددة، بعيدا عن رصانة تسلطية تابتة الطبيق مبدأ، والكا، ذلك أن الضحك تعائد وتبتل وولادة متجددة، بعيدا عن رصانة تسلطية تابتة الطبية المبت

وترصّن مستبد يعادل الموت.

زوّد الزمن الحديث الإنسان بعالم خارجي وبعالم داخلي لا يقلّ عنه اتساعاً، وسمح له بماساة خاصة به لا تُختزل إلى مآس لم يرها أبداً. اختصرت الماساة في الازمنة اللاهوتية، وكما يقول أورباح، إلى ا ماماة المسيح، التي تتضمن المآسي الإنسانية كلها، واختصر الإنسان إلى ظل الإنسان لأن ماساته، وهو ظل كسيف، ظل لماساة كونية وحيدة. والأمر، بداهة، لا يقوم في الظلال المتعددة والرجوه الغائبة، بل في مكان أكثر عمقاً تتراصف فيه ظاهرتان: يساوي وجود الإنسان، في الأولى منهما، ماساة الإنسان السرمدية التي تقمّطه من الميلاد إلى الموت، في انتظار أن تتوسط والماساة الجوهرية ١، اي المسيح، بين أرض معمورة بالفساد وفردوس قديم، سقط منه الإنسان في لحظة مهلكة. ويساوي أفق الإنسان، في الثانية منهما، العالم الآخر، الذي يسلخ عن الإنسان مأساته، بعد فداء كريم. ينوس الإنسان، بين الخطيئة الأولى والماساة الارضية، وبين الماساة المتحددة وأفق الموت الوحيد. ولن يكون، في الحالين، إلا ظلاُّ بين ظلال أخرى، تتعذَّب ولا يرى وجهها أحد، مرددة حكاية قديمة عن أرواح تتقاسم أسماء مختلفة ومصائر متجانسة. في الحكاية مأساة لا زمنية وفي الرواية مأساة الإنسان الذي أيقظ الزمن وغرق فيه . يقول اندريه مالرو: ٥ الرواية الحديثة في نظري تعبير عن الماساوي الإنساني، لا إيضاح لمعنى الفرد (١٦٠). يتحدث مالرو عن إنسان الازمنة الحديثة المتأخرة، الذي اكتشف فرديته وارتطم بحضارة مسحت ملامح الفرد وأوصلته إلى ماساة حديثة. ولذلك يكون فرد مالرو منقطعاً عن والفرد النهضوي، الذي غادر ماساة متعالية والتقي بماساة ذاتية لا يخاصمه فيها أحد. حين كتب والتر الن عن هنري فيلدنج (١٧٠٧ -- ١٧٥٤)، الذي أصبح روائياً صدفة في التاسعة والخمسين من عمره واشتهر بروايته وسيرة توم جونزه قال : ولم يكن فيلدنج مجدداً من الناحية الفنية فقط. فقد كان توم جونز نوعاً جديداً من الأبطال، بطلاً بلا بطولة، إن جاز القول. حقيقة أنه أنيق شجاع كريم وحسن المقصد: (بالرغم من انه لم يكن يحسن التصرف السليم دائماً. لكنه لم يكن يفعل ذلك إلا ويحس بما فعل ويقاسي بسببه. ومع أن قلبه في مكانه الطبيعي، إلا أنه لا يسيطر على غرائزه تماماً. وهو تصوير للرجل العادي الضعيف، الرجل العادي الشهواني. وهو عندما نلقاه لأول مرة طفل لقيط. . ١٤٠٤. تظهر ماساة الفرد الجديد في الموقع الذي أراده لها الوعي الروائي، قائمة هي في إحساس الفرد بافعاله السيئة، وفي سيرة الطفل اللقيط، التي تختلف عن سير أفراد ولدوا في بيوت ناعمة أو في بيوت من صفيح.

لم تتكون الرواية وهي تواجه ماساة المسيح بماساة الفرد اللقيط، بل تكونت وهي ترى إلى الماساتين مماً من وجهة نظر دنيوية. يتعين السؤال بالنظر الجديد إلى مواضيع قديمة، تاخذ معنى جديداً دون ان تغيب . ظل الإنسان يمشي على الإرض بعد أن ظفر بماساة لا يقاسمه فيها غيره، وبقي جرس الكنيسة، الذي كان يحداد الزمن في العصور الوسطى، في مكانه بعد أن وضع الإنسان ساعة في معصمه الأيسر. والزمن الذي كان تعبيراً عن النظام الإلهي ظل «زمناً»، وهو يقيس ساعات العمل والإنتاج في مصنع برجوازي، مع فرق شاسع بينهما. كان الإنسان ينظر إلى السماء في المرة الاولى، واكتفى بالنظام إليا بينظر إلى السماء في المرة الاولى،

تحول دلالة الكرنفال، ويشتق من الأخير نظرية رواثية. كان الكرنفال، أي العيد الشعبي، فضاءٌ حياً بطلق الإنسان فيه جسده متحرراً من قواعد الأمر والامتثال، مغايراً الأعياد السلطوية، الخاصة بالكنيسة والنظام الإقطاعي، التي توطِّد الاعراف القائمة وترسّخ تعاليم النظام وإشاراته، وتحوّل الزمن إلى علاقة شكلانية فارغة. ومع أن الكرنفال شكل للإنسان حياة ثانية، بلغة باختين، فإنه لم يتنفس ما يكفيه من الهواء دائماً. يقول باختين: والكرنفال عيد تمرد الطبقات التي اقصيت عن السلطة. إن خالقي الكرنفال هم الذين يعطونه قوامه الحي، كحال الجمعيات الخيرية التي تشكل دولة دأخل الدولة ١٩٨١)." يبدأ باختين من الكرنفال، وهو حياة شعبية ثانية تكسر الرتيب وتعبث بالمترصن، ويعطفه على سياق تاريخي جديد، واصلاً إلى تزامن صعود الرواية والحركة الشعبية. فالكرنفال الحقيقي، الذي يموت قيه الجسد الفردي ويبعث في الجسد الجماعي، لا وجود له خارج المدن، والكرنفال الذي يعيد تعريف الاعلى والادني، لا وجود له خارج الساحات العامة في المدن. فالعبد الشعبي، الذي يلتفت الإنسان فيه إلى أولاده وينسى أجداده، عيد مديني عناصره الساحة الفسيحة المفتوحة على السماء والإرادة الطليقة الهازئة بالطقوس وجَمْع بشري طازج، نسى فوارق الطبقات والأعمار والأجناس والمعتقدات. ومن هذا الاختلاط البشري السعيد اشتق باختين، ربما، مقولته الذائعة الصيت عن الرواية وتعددية الأصوات، أو عن تعددية الصوت في البنية الروائية. كأن انفصال البشر عن بعضهم واعتناقهم الانفصال، وهو خاصة المجتمعات المستبد بها، يمحو العيد الشعبي وتداخل كلام البشر و يمنع الرواية أيضاً. لذلك كان طبيعياً أن تكون الرواية تتويجاً للقاء العيد الشعبي الطليق بـ ٥ قرن التاريخ»، بلغة زريق، الذي أعطى البشر حياة ثانية. قاد العيد الطليق، الذي تترجمه لغات كثيرة، باختين، وقد اعتقله الرماد السِتاليني، إلى أن يري في الضحك المنفلت من عقاله تصوراً للعالم ومنبعاً لتطور العملية الادبية. ففي الضحك ينقض الشعبيُّ السلطويّ، والمتحركُ الساكن، والمتصل المنفصل، واليومي المليء الابدي الفارغ. . وفي الضحك الكرنفالي يتساوى البشر في الساحة العامة وتتساوى ثقافتهم دون فصل أو مراتب. وبسبب الضحك التاريخي الجديد وقف «الادب الوضيع» إلى جانب والادب الرفيع؛ في رواية، ونسيت اجدادها ، وتوجهت إلى القراء جميعاً. يقول باختين: وتميّزت فترة النهضة (الرينيسائس) بعامة، والنهضة الفرنسية بخاصة، بالميدان الأدبى قبل أي شيء آخر، ذلك أن الثقافة الشعبية الساخرة، وفي أرقى إمكانياتها، ارتفعت إلى مصاف الأدب الرفيع وأخصبته إ(١٩).

رافق صعود الثقافة الشعبية، الذي ارتبط به صعود الرواية، تغيرات موازية في اللغة. فبعد الإصلاح اللغقي، الذي المجوازي على المواطنين اللغوي، الذي المجرجوازي على المواطنين اللغوي، الذي المجرجوازي على المواطنين جميعاً، كان على الخطاب الادبي أن يعيد إنتاج اللغة الجديدة التي يتعامل بها مواطنون لا تمييز يينهم. تراجعت اللغة المتاتفة، وموضوعها زخرفها، وجاءت آخرى توافق المواضيع المادية، تنتج المعنى واضحاً بعيداً عن المخاتلة البلاغية الفارغة. ارتبطت التغيرات، وتترجم الانتقال من المواضيع إلى الكمات، بتعددية الظواهر وبتنوع الأحوال الإنسانية. إذ لا يمكن التعبير، بلغة واحدة، عن بشر مسعداء بكثرة والساعات التي يمتلكونها وعن فلاح يخمن الوقت وهو ينظر إلى السماء. ليس غريباً،

بعد هذا التحول، أن يتحدث آورباخ، وهو يقرآ تمثيل الواقع في أدب الغرب، عن الامتزاج اللغوي والخلط الاسلوبي، وعن اختلاف لفة الملحمة عن لفة الاساطير.

٣ - التاريخ والرواية وتداعى الأصول:

و خلق الله الإنسان على صورت و. و و شائع بين المؤمنين، يذيع جمال الله في خلقه وجمال خلقه في آباته البينة . جاء تشارلز دارون ورمى القول الجميل بحجر، حين كتب عام ١٨٥٩ و أصل الانواع من طريق الاصطفاء الطبيعي و الذي ينسب الإنسان إلى حيوان ملتيس الجمال . نقل دارون الإعجاز عن طريق الاصطفاء الطبيعي و الذي ينسب الإنسان إلى حيوان ملتيس الجمال . نقل دارون الإعجاز مهد اليقين إلى غبار الشك و الفضول . رحل الإنسان من والملا الاعلى و إلى بوار بعيد عن أضواء مهدا اليقين إلى غبار الشك و الفضول . رحل الإنسان من والملا الاعلى و إلى بوار بعيد عن أضواء سوال الاصل ، ذكن دارون ، الذي المداه أو احد عصره وهو يُقلق سوال الاصل ، ذكن دارون ، الذي المداه أو الم الموال و الموقة والتفاوت الاجتماعي، الإنسان وموقع الارض وأصل الملغة والمحقة والتفاوت الاجتماعي، الإنسان الذي تتحد منه سلطة طاغية تلتبس بالمعناية الإلهية . بحث السؤال ، الذي غزاه الشك وجانبه اليقين عن تكوين المؤسسات والنظم والقيم والاعراف، وعن الماضي الذي تكونت فيه، وعن طبائع البشر الذين ارتضوا بمؤسسات والنظم والقيم والاعراف، وعن الماضي الذي تكونت فيه، وعن طبائع البشر الذين ارتضوا بمؤسسات مختلفة لا يعرفون أصولها . كان السؤال معرفياً ، إن صبح القول ، عن المعرفة ، وان المعرفة بين بنية المؤسسات الاجتماعية المختلفة وحاجات الإنسان الطبيعية المتعددة ، عملياً يرى إلى الملافة بين بنية المؤسسات الاجتماعية المختلفة وحاجات الإنسان الطبيعية المتعددة ، ومنامل أواصر التلاقي والغراق بين و جوهر الإنسان و ولتعيينات الخارجية الذي تعتر عنه .

عبر سؤال الأصل منطقياً، عن إنسان مازوم، لم يعثر على ما يريد والتقى بما لا يرغب، وذهب يبحث عن غاياته في انجاهات متنوعة. وكان و الحكم الإطلاقي ٥، بلغة ليست من هذا الزمان، سبب السؤال وازمة السائل معاً، بعد أن اغترب السائل عن و حكم و يتدثّر بماض مقدس ويعيّنه مرجماً للحقيقة المطلقة. وكان على المازوم، الذي تقمعه طبقات قديمة وغامضة، أن يعود إلى الماضي، مفتشاً عن العناصر التي شكّلت الأصول المقدسة، وعن السياق المتناتج الذي قيّد الإنسان ووطة الأصول. بدا المحكم، قبل أن يسائله العقل المستيقظ، جليلاً، واتخسف جلاله في بدايات الإجابة. ٥ يسقط الطغاة حين يسأل الإنسان من أبن جاء الطغاة »، يقول البولوني ب. باتشكو وهو يكتب عن روسو، الذي منال عن أصل المجتمع واللغة والتفاوت الاجتماعي وأصول أخرى (٢٠٠٠. وانتهى الفكر التنويري الأوروبي، وهو يدخب من روسو، الذي وهو يدف أصلاً ويحفر قبراً لأصل تالى، إلى ما يجب الوصول إليه، أي إلى الإنسان المستقل وسيرورة التفريد، حيث سعادة الإنسان وحاجاته مرجع لكل الأصول.

نقد الفكر التنويري الأصل، وقوامه اعتناق الحجب وتقديس المحتجب، سعياً وراء الاكتشاف واحتفاء بالمكشوف. والمكشوف عاريُري في زمنه المعيش، والاصل محتجب وزمنه طاهر قدّسته البدايات الجليلة. والاصل، وكما يري مارسيا إلياد وهو يعالج الاساطير، لا يستنفد ولا يساءل، بعد ان لازم الآلهة وشهدت الآلهة على زمته السرمدي. مقدس هو ومكتمل، مستقبله ماضيه وعصي على التحول والانطفاء. لذاء فإن القول بالأصل قول ببداية مطلقة، وبنهاية تطابق البداية التي بزغت في التحول والانطفاء. لذاء فإن القول بالأصل قول ببداية مطلقة، وبنهاية تطابق البداية التي بزغت مع زمن — الأصل وأن يحافظوا عليه، بعد أن نصبوا أنفسهم حماة للبدايات والنهايات المضيئة. مغ زمن — الأصل وأن يحافظوا عليه، بعد أن نصبوا أنفسهم حماة للبدايات والنهايات المضيئة. وزجل الدين، وكما يقول جاك آتلي في كتابه اللامع و تواريخ الازمنة او مع حارس الزمن الإلهي والفاصل بين أزمنة الضياء والازمنة الفاسدة على الزيم والفاصل وانتظر يوم القيامة، وتشهد الازمنة الأولى من تملق بالزمن — الأصل وانتظر المؤلى، ويما أن رجل الدين، وهو مؤمن — أصل، يعطف جائحات الطبيعة على الزيغ والصلال، فإن الازمنة الحديثة وسعت خطابه، وأمدته بالوان من الفساد جديدة. وآية الزمن الفاسد، مثلما يروي كتاب اتلي، اختراع الساعة، الذي اختلس من حارس الزمن الإلهي وظيفته، وأو كلها إلى قطمة معدنية صغيرة، والآلات المخترعة المتعددة، التي نظرت إليها كنيسة المصور الوسطى بمقت وحفيظة، معدنية صغيرة، والآلات الخيرعة ومسلم لا روح له هو: الزمن القتي .

نقض الزمن التقني الزمن الديني، واعطى الزمن دوراً مسيطراً متنوع الاتجاهات. توّجت الساعات الساحات العامة والبيوت والأفراد الذين يقيسون زمن الزيارة، وأصبح الزمن قيمة إنتاجية ومعياراً للانضباط والدقة، ومدخلاً وحباً للازمنة الحديثة. غدت الساعة الاختراع الابهي في القرن السابع عشر، وصناعة هامرة في القرن الثامن عشر، وأخذت اشكال ورود وحيوانات وتماثيل من رخام. تجلّي هوس الوقت وتعيينه بدقة وإحكام، وقد غدا ﴿ روح العصر ٥، في نصوص كثيرة، كأن يكتب هنري دوميم في مذكراته: ﴿ ولدت في باريس، الثلاثاء في الثلاثين من كانون الثاني عام ١٥٣١ في الساعة الثالثة صباحاً، بالتقويم الروماني الذي ناخذ به اليوم ،، أو: ٥ رجعت إلى باريس في الثامن عشر من تموز عام ١٥٥٨ ، وجدت زوجتي مصطحبة طفلة عمرها شهر، ولدت في غيابي وبعد سبعة أشهر من سفري، الذي وافق اليوم الاخير من حزيران عام ١٥٥٧ وفي تمام الساعة الحادية عشرة والربع مساءه، وعندما ماتت طفلته في الرابعة من عمرها كتب: «وهكذا لم تعش إلا أربع سنوات وتسعة أشهر ويومين اثنين وعشرين ساعة ونصف الساعة ١(٢١). تعبّر المذكرات عن ذاكرة يقظة، استأنست الدقة ووضعتها في قفص ذهبي، حالها كحال روبنسون كروزو، أول فردي عظيم، الذي قاس زمن إقامته في جزيرته المتوهمة، فكانت و ثمانية وعشرين عاماً، وشهرين، وتسعة عشر يوماً.. يكشف تحديد الوقت في مكوناته الكبيرة والصغيرة عن إحساس عنيف بالحركة وعن يقظة مستمرة ونمو صاخب في الملاحظة والاستنتاج. يساوي الوقت الذي قضاه كروزو في جزيرته الناثية جهده المبذول في خلق ذاته منتجاً مبدعاً وفي استثناس الطبيعة العذراء وخلقها من جديد. قاست الساعة المستمرة الحضور الزمن المنتج، وأمسى الإنسان ساعة عجيبة أخرى يقرأ فعله الدؤوب فيما خلق وأعطى، وأصبحت الساعتان وجه سلطة سياسية جديدة ووجه مجتمع حديث. تحالف الزمن والإنتاج وآلة مبتكرة هي امتداد للإنسان والإنسان صورة عنها، وانزاح الإنسان عن الصورة - الأصل، التي زعزعها دارون، وانتمى إلى صورة أرضية هادرة هي: الآلة. وهذه الأخيرة أوحت إلى الفرنسي والامتري؛ بعمله والإنسان - الآلة؛

(۱۷۴۷) ، الذي اعتبر جسد الإنسان آلة ذائية المراقبة والتنظيم، هي وصورة حية عن الحركة المتابّدة ٥. وكان الفيلسوف الإنجليزي توماس هوبس (١٥٨٨ - ١٦٧٩) ، قد متق قرينه الفرنسي إلى تشبيه اكثر عنفاً وقسوة ، ساوى بين الإنسان ووالاشياء الاخرى ٤، وأرجع قيمة الإنسان إلى المبلغ المعطى له مقابل جهد عضلي معين .

انتهت التحولات السابقة إلى نقض الزمن للقدس بالزمن العادي، أو إلى نقض الزمن الديني بالزمن التادي، أو إلى نقض الزمن الديني بالزمن التقني . لم يعد زمن الإنسان، وقد علمن الزمن، يقاس بالخطيفة وانتظار المغفرة، ولا بجرس الكنيسة ومواقيت الصلوات، بل بجملة من الكميّات الباردة، عناوينها الإنتاج والمنتج والمنتج . أخذت السناعة والإنتاج والمعرفة مكان الأصل القديم، وهو كامل وثابت، مؤكدة التحوّل والحركة والتبتل، أي كل ما لا يقبل ببداية ثابتة ولا يرضى عن نهاية مخلقة . وعن التحوّل، الذي ينكر البداية والنهاية، ولمد التاريخ، ذلك أن التاريخ يغدو تاريخاً حين لا يلتمس لذاته بداية ولا نهاية، وصدر و الإنسان التاريخي عندو تاريخاً حين لا يلتمس لذاته بداية ولا نهاية، وصدر و الإنسان التاريخي عن حاضر، و الإنسان التاريخي عند و الإنسان الإشكالي ع، الذي يعمل إلى ما المعرى إلى» .

انطوث التحوّلات الحديثة على شعور حاد بالزمن، وبآثاره التي تخترق الظواهر وتزيحها من مكان إلى آخر. وتعطى سطور الفرنسي ميشيل مونتني (١٥٣٣-١٥٩١) صورة عن ملامح ١ الإنسان التاريخي، المأخوذ بنبض الوجود الذي لا ثبات فيه ولا سكون: «إن ملامح صورتي صادقة على الرغم من أنها تتغير وتتحور، فالعالم تذبذب دائم، وكل الأشياء فيه تتذبذب دون ترقف، الأرض، وصخور القوقاز، وأهرام مصر، سواء جراء حركة ذبذبة عامة أو عن طريق حركة خاصة بكل شيء من ذلك. والثبات نفسه ليس إلا تذبذباً أكثر بطئاً وأنا لا أستطيع أن أثبت موضوعي، فهو يتحرك في اختلاط وتذبذب، في ثمل طبيعي، وأنا لا أصوّر الوجود بل أصوّر التحوّل، لا التحوّل من عمر إلى آخر، او كما تقول العامة من سبع سنوات إلى سبع، بل من يوم إلى يوم، ومن دقيقة إلى دقيقة، ويجب على أن أكيّف قصتى مع كل ساعة على حدة، وربما تغيّرت في أجل جد قريب، لا في مصيري فحسب بل في تفكيري، إنها رواية لاحداث متباينة وقابلة للتغيّر . . . ١٤(١٢) . التحوّر والحركة والتغيّر والتذبذب والاختلاط والتحوّل والتباين. . هي مفردات الوعي الحديث، التي تضع الإنسان في سباق مع الزمن، ووعى الإنسان في سباق مع صاحبه، وتضع المعرفة التي تكوّنت في قبضة معرفة مهيّمنة لم تتكون بعد. هذا الشعور المرهف بالزمن، وتُبَاطنه كآبة مدوية، ستترجمه الأزمنة اللاحقة بمفردات الصناعة والاكتشاف والإنتاج، وسيحتفي به كارل ماركس، في ١ البيان الشيوعي، احتفاء ثملاً لا مزيد عليه، كان يكتب مبهوراً بالبرجوازية المنتصرة: وخلقت عجائب تفرق الاهرامات المصرية والاقنية الرومانية والكاتدرائيات القوطية، . . وقادت حملات ومغامرات أبقت سائر هجرات الاقوام والحروب الصليبية في الظل. . خلقت البرجوازية، منذ حكمها الذي لم يكد يمضى عليه قرن واحد، قوى منتجة تفوق في عددها وعظمتها كل ما صنعته الأجيال السالفة مجتمعة. أي عصر سالف وأي جيل مضى كان يحلم بأن مثل هذه القوى المنتجة العظيمة كامنة في قلب العمل الإجتماعي، (٢١). في هذا الفضاء المحتفي بالخلق المتجدد: وحيث كل صلب يتحول إلى أثيره، بلغة ماركس، ولدت الرواية، مترجمة، في الكتابة، دلالة الزمن الذي تُعلّمَن والتاريخ الذي لا أصل له والإنسان الذي غذا الرواية، مترجمة، في الكتابة، دلالة الزمن الذي تُعلّم ترمنها الذي نسي والبدايات الجليلة ». آقامت تاريخياً، وما كان للرواية أو السالية التاريخية، وقوامه الأثير الذي كان صلباً، وارتكنت إلى خطاب زمنها وأخصبته بعناصر مضيئة. وكان عندها، في الحالتين، ولادتها التاريخية، التي تضع بينها وبين الزمن والذي باركته الآلهة »، بلغة إليلاد، مسافة شاسعة. آتاحت هذه المسافة للروائي بلزاك، وبقرار ذاتي، أن يضع اسمه إلى جانب نابليون وغيره من قادة العصر، بعد أن كانت الرواية و أدباً وضيعاً علميقاً بلغة العوام. يكتب البير تيبوديه في كتابه وقارئ الروايات »: و كلمة الرواية، وكما يشير اسمها، تدل على كتابه بلغة العوام تعارض الكتابة السوية، أو الكتابة بالمعنى الدقيق للكلمة، التي كانت توضع في زمن كتابه الموام تعارض الكتابة السوية، أو الكتابة بالمعنى الدقيق للكلمة، التي كانت توضع في زمن عن نشر وحديث عيسى بن هشام »، معتبرين أن ما جاء به يوافق العوام ولا علاقة له بادب الخاصة. غير أن دخول و العرام ع إلى علم اللغة اللاتينية ومن يكتب غيران دخول و العرام ع إلى مسرح التاريخ، بعد الثورة الفرنسية، اقصى اللغة اللاتينية ومن يكتب غيران دخول و العرام الم اللغة اللاتينية ومن يكتب غيران دخول و العرام ولا علاقة له بادب الخاصة. غيران دخول و العرام أم المناب نابليون، أو أن يقف على كتفيه.

قام الزمن التاريخي على أطلال زمن الأصول، ولم تنهض الرواية على أطلال أحد، لأن والبطل الحكاثي ، رحل طائعاً. احتلت الشخصية الروائية موقع البطل الذي لم تطرده، المقمّط دائماً بالحكمة والفضيلة، وأعلنت الرواية عن رحيل (البطل الحكائي)، وعن قدوم إنسان مغاير، لا يتعرّف بـ (الكليات الاخلاقية ٥. بدأت الرواية من إنسان متعدد الاحتمالات، فرد عظيم هو في جزيرة مهجورة، و8 لقيط، حصيف في مدينة معروفة. كانت الرواية بمشيئة، أو من دونها، توازي زمن الأصول ولا تتقاطع معه، وتقطع مع بطل حكائي لم تتعرّف عليه . بل أن الرواية قذفت، دون أن تدري، بالبطل القديم خارجاً واعطت مكانه، خارج الكتابة، لبطل جديد، اندرج في منجزات عصره، هو: الروائي. أعاد البطل الجديد إنتاج الزمن الذّي انتجه، فبدا ابناً لزمن نجيب، يعي ما يرى ويضعه في كتابة نبيهة. عيّن بلزاك ذاته، كما دائماً، ١ سكرتيراً للتاريخ، كما قال، مبرهناً أن الرواية تاريخ ممتاز وأن علم التاريخ، أحياناً، رواية باثسة. وانبهر إميل زولا، الذي حاول االرواية التجريبية ، بالتوثيق المعرفي، وطبق المعارف المختلفة على الشروط الاجتماعية إلى أن جاء زمن مارسيل بروست، لاحقاً، فاستمع إلى فرويد وأدرج خطابه النظري في كتابته الروائية. انتجت الرواية زمناً منتصراً خاصاً بها، وأدرجته في أزمنة منتصرة أخرى. يقول رج. البيريه: والرواية جنس ادبي سطحي (مبتذل في الأزمنة القديمة، ومحتقر حتى القرن الثامن عشر) اغتنى بمقاصد بعيدة عن جوهره ((٢٦). يخطئ القول في اتجاهين: يخطئ وهو ينسب الرواية إلى أزمنة قديمة، محولاً الرواية إلى جنس أدبى غير تاريخي، ويضاعف الخطأ وهو يعطف على الرواية جوهراً غريبة عنه لأن جوهرها، الذي لا وجود له، يتوزّع على الوان من المعرفة والكتابة مختلفة. لكن القول يصيب وهو يذكر احتقار الرواية القديم، وسببه 3 الراوي الشعبي 4، الذي يستدعي العوام والسخرية من السلطة وجمهوراً لا يعرف القراءة والعارف الطقوسي.

تمثل جديد الرواية في الزمن الروائي الذي يقطع مع زمن الاصول، وفي الشخصيات الروائية التي غادرها اليقين. ففي مقابل الفرد القديم الذي يستظهر ما تلقنه، تكشف الروائي خالقاً، ينشئ شخصياته وازمنتها المتناثرة واقاليمها المعروفة والجمهولة في آن. ومع أن الروائي كان يذهب، ولا يزال، إلى موائد متفرّقة يستمير منها ما يخلق به قواماً إنسانياً، ظل مخلوقه الروائي ملكاً له، لا يخاصمه فيه أحد. بقي لدون كيخوته ع، الفارس الحزين الشهير الذي لم يلتق به أحد، خالقه الدنيوي، وللبحار المستبد الذي يطاره ومهي ديك ع مرجعه الذي سرّاه وشوّهه، وانبثق وأحده حبد الجوادع، التقي في الصباح والمنطلق مساء، من بين أصابع نجيب محفوظ. يظهر الروائي خالقاً في الأسماء التي يختارها واللغات الذي يختارها واللغات التي يختارها واللغات التي يختارها واللغات والمخلوق، فإن دنيوية الخلق الروائي تزوّده باجنحة محسوبة، ترفعه عن الأرض ولا تدعه يغادر تخومها. ولذلك تفيب المسافة، وباستثناء اللغة، بين الروائي وشخصياته، طالما أن الأول يخلق من عرفه والتقي ولذلك تفيب المسافة، وباستثناء اللغة بين الروائي وشخصياته، طالما أن الأول يخلق من عرفه والتقي به، وأن الخالق والخلوق نتاج لـ والتجربة الحياتية ع. ولعل دنيوية التجربة، أي ماديشها المشبعة بالاحتمالات، هي التي تمنع تنميط الوجوه والأفعال، التي تلازم الحكاية، وتفرض تنوعاً في الاسماء والمعائر.

اتكاءً على تصور الخلق الروائي، تطلّع فيلدينغ إلى و فضح اسرار ثورات مختلف البلدان ع، وسعت الرواية البلزاكية إلى و منافسة المجتمع المدني ع، كما قال بلزاك في جملة ومضية ، أي إلى وضع المجتمع اللوزسي في برنامج روائي، قوامه طائفة واسعة من الشخصيات تمثل الزمن الحديث في طبقاته واخلاقه الفرنسي في برنامج روائي، قوامه طائفة واسعة من الشخصيات تمثل الزمن الحديث في طبقاته واخلاقه وطبائعه ونزوعه التاريخي. كان و سكرتير التاريخ و شاء إلى إعادة تخليق المجتمع كله، ضابطاً صوره ومدققاً في علاقاته وباحثاً، لزوماً، عن معناه الحقيقي. وفي برنامجه العجيب كان بلزاك (١٩٧٩ – ١٩٥٥) شاعراً وروائياً معاً، شاعراً وهو يرى في و الكلية الاجتماعية و مطلقاً جديداً لازم الشعر ولازمه الشعراء الكبار، وروائياً وها يبين و الكون الاجتماعية و مطلقاً جديداً لازم الشعر إلى الاكوان الفردية، يتأمل أسرارها ويقلب أقدارها، ويرسلها إلى حيث ارتضى التاريخ. وكان في الحالين روائياً عليماً بلغة النقاد، أو روائياً كلي المعرفة، بشكل أدق، يسوق الزمن من مرحلة إلى الخرى، وتخلق كلم القامة الصدفة والضرورة. ومع أن اقتران الرواية بالتاريخ ارتبط بفترة محددة تاريخياً، كربر بلده وصولاً إلى فرجينيا ولف في والامواج و، حيث ينصب القارئ إلى بشريناجون انفسهم في لحظة موجعة .

يلازم الخلق الروائي زمناً يوافقه، يغاير رمن الحكاية المستقيم، لا تكون النهاية فيه مضاعفة جديدة لبدارة المباقة . وهو يحيل إلى الرواية الحديثة، حين بين أن التسلسل لبدارة ما المارة إلى الماريخ العام تصبح مستحيلة، وكل الزمني الدقيق لا يوائم العمل الروائي، ذلك أن وكل إشارة إلى التاريخ العام تصبح مستحيلة، وكل إشارة إلى ماضي الشخصيات التي نصادفها، وإلى الذاكرة وبالتالي إلى كل حياة باطنية يه (٢٠٠، ومهما تكن أشكال الزمن في البنى الروائية، فإن علاقة الرواية بالزمن، بالمنى التاريخي ، تستبين في التقاط الرواية ما يتحرك ويتفير في الحياة اليومية، وفي محها ما يتبرعم ويذوي، وما يوند وما يتلاشي، وما

يستجدّ وما يتقادم. . وهذا الإحساس الرهيف بالزمن يحدّد الرواية كتابة حداثية ومنظوراً حداثياً بامتياز .

ولدت الرواية في زمن انقطع عن الكليات، وتعامل مع المفرد والجزئي الذي يتجزأ، وراى في المجزوء عالم في سيرة علما فسيرة جديداً مدهشاً، وميراثاً قديماً اعيد عالماً فسيحاً واسع الأرجاء. احتضن زمن القطع، إن صح التعبير، جديداً مدهشاً، وميراثاً قديماً اعيد خلقه من جديد. فبعد أن كانت كلمة والواقعية ، تعني، في المصور الوسطى، الاعتقاد وبواقع الكليات ، أصبح معناها الحديث الاعتقاد بقدرة الفرد على إدراك الواقع عن طريق الحواس، وبعد أن كان منذ البدء ، غدا تعبيراً عن والشيء المستقل البكر الذي لا أصل له ، على خلاف ذلك، فإن الحكاية القديمة لم يرثها أحد، إلا من ارتاح إلى مجتمع لا تاريخ فيه، يرى في الحداثة الروائية خروجاً على والاصول ، (٢٥).

١ - الرواية والمتخيل الحديث :

رافق المتخيّل الإنسان، منذ أن أدرك، يشهوة حزينة، أن الواقع قائم في صيغة الجمع، وأن وراء سجن الواقع المعيش واقعاً مختلفاً، أكثر بهاء، ربما. لذلك لم يكتشف بلزاك، الذي أدرج التاريخ الفرنسي في برنامج روائي، متخيلاً لا يعرفه أحد، بل وضع متخيّله في بنية جديدة. تشكّل اليوتوبيا نمو ذجاً للمتخيل القديم، الذي زامل الإنسان وأعرب عن رغبة متداعية . حلم افلاطون في « الجمهورية ، ، في القرن الرابع قبل الميلاد، بمدينة مثالية «يقودها الفلاسفة»، وجاء توماس مور، الذَّي أوجد كلمة يوتوبيا، وكتب وافضل الجمهوريات؛ (١٥١٦)، القائمة في «مكان مستحيل»، واقترح توماسو كمبانيللا ومدينة الشمس؛ (١٦٢٣)، التي يحكمها رجال الدين. حملت ومدن الشمس؛ احلام ولا مكان، الذي هو المعنى الحرفي لليوتوبيا (٢١). وبما أن ولا زمان، قائم، لزوماً، في ولا مكان، بقيت المدينة الفاضلة تنتظر اخلاقها، وبقيت الاخلاق الفاضلة في الزمن المستحيل. لذا اختلف متخيّل المدن الفاضلة عن متخيل بلزاك، الذي سوته الخبرة والمعارف التاريخية والوثائق الاجتماعية. عايش المتخيل كل الازمنة دون أن يوافق مضمونه الازمنة كلها، فما يلاثم كل الازمنة غير زمني بامتياز . ولد المتخيّل الروائي في جدل النص والسياق، في 3 قرن التاريخ ، الذي الزمه بعناصر صاغته وأعطته قواماً. وما كانت الرواية العربية، في زمن تأسيسها الهش، بعيدة عن الإلزام وإطاعة المعطى، وافداً كان أم أحلام مثقفين أدمنوا القراءة . كتب السوري الحلبي فرانسيس فتح الله المرّاش (١٨٣٩ -١٨٧٤) رواية أخلاقية في شكل مقالة، أو مقالة أخلاقية في شكل رواية، عنوانها : ٥غابة الحق٠٠. حكت الرواية التي ظهرت عام ١٨٦٤ هواجس مثقف عربي تاثّر بأفكار الثورة الفرنسية، وقرأ فيها أحوال استبداد عثماني. وبسبب السياق الذي جاءت منه الافكار والسياق الذي وصلت إليه، كان على الرواية أن تضع العقل في مواجهة (الجهل»، والحرية في مواجهة العبودية، بلغة ليست من هذا الزمان. ليس صعباً، على من أختبر أفكار التقدم، أن يعرف غايات الرواية، التي نادت بمجد الإنسان ووعدت بمستقبل مضيء (٣٠). ولن تختلف رواية مرّاش عن رواية لاحقة، كتبها فرح أنطون (١٨٧٤ ـ ١٩٢٢)، عام ١٩٠٣ عنوانها: «الذين والعلم والمال»، بسبب تشابه الأفكار والغايات والسياق

ايضاً. تفترض النظرية، التي توخد بين النص والسياق، أن تنطوي,الروايتان على المتخيّل التاريخي، الله الذي يواثم الله التاريخي، الله ي يعدو متلاشيا، الله ي يواثم الرواية ويُترف الخير الله الله عن المستنبرين خلطا بين جمالية الافكار وإمكانية الواقع، وانتهيا إلى نص تبشيري، لا ذلك أن المثقفين المستنبرين خلطا بين جمالية الافكار وإمكانية الواقع، وانتهيا إلى نص تبشيري، لا يزال يبحث عن قارئ محتمل. لم يعثر مرّاش وفرح انطون في الزمن العربي على المتخيّل التاريخي لائهما لم يعثرا على الوئائق، التي وصلت إلى بلزاك قبل أن يذهب إليها.

يحيل المتخيّل، نظرياً، إلى انعتاق سعيد من الزمن والكان، وإلى فضاء تبني فيه الرغبة زمناً لم تختبره بعد. تكشف قراءة الرواية البرجوازية الصاعدة، عن متخيّل محسوب لقنه زمنه المعيش القول، وترك له وفسحة الإضافة. وهذه العلاقة بين نص روائي يقصد المحتمل وواقع مادي، لا يمكن الهرب منه، انتجت في زمن مضى ونظرية الانعكاس، الصحيحة في المبدأ والخاطئة في عسف التطبيق. يستبين المتخيّل البرجوازي، الذي يتحرّر من واقع ويلوذ به، في رواية الفرنسي جول فيرن (١٨٢٨ - ١٩٠٥) الذي انصرف إلى رواية والخيال العلمي ٤، إن صح القول، وليم يغادر قبضة زمنه، رغم الأمكنة المجهولة والغامضة التي ارتادها. فالروائي الذي يبهره العلم، كما غيره، بني رواياته على مقولات زمنه المسيطرة، وتحتضن: الإنسان العقلاني، التحويل الشامل، فضيلة العلم والاكتشاف وبطولة الاختراع. آمن فيرن بقوة العلم واعتنقه مذهباً ايديولوجياً، وثوقياً، يُنطق الماضي والمستقبل وما بينهما، واطمأن إلى ترجماته العملية الناطقة بالسفينة والمنطاد والقطار والراكب المتعددة. ومثلما أن للعلم رحلة من المعلوم إلى المجهول، ومن المجهول المعلوم إلى مجهول جديد، فإن لروايته حركات نظيرة عنوانها الأساسي: الرحلة (رحلة إلى مركز الأرض، عشرون الف فرسخ تحت البحر، خمسة اسابيع في بالون، حولَ العالم في ثمانين يوماً ...). ترتكن الرحلة إلى الإنسان العقلاني ومنجزه التقني كاشفة، وبفضل ما ترتكن إليه، عن نهاية واضحة تساوي البداية التي انطلقت منها. الأكتشاف، دائماً، منجز قبل الوصول إليه، وحركة الرحلة مستقيمة لا تعرف الانعطاف والتراجع، حالها كحال الزمن المتقدم، الذي ينتظره المطلق الشفاف في مكان ما، كأن اكتشاف الجهول مضمون قبل الانطلاق إليه، أو كان المستقبل المكتشف قائم في الحاضر. يفصح هذا الاطمئنان، الذي يروض الإنسان فيه الطبيعة ولا يناله أذي، عن تحالف مستتربين الإنسان والطبيعة، فيسوسها راضية وتاوي إليه بحنان. لكن التحالف لا يكشف عن وئام الطرفين إلا بقدر ما يكشف عن قوانين تلقّهما معاً، تضع الطبيعة في الإنسان والإنسان في الطبيعة، وتضع فيهما قوانين متماثلة. بهذا المعني، تكون الصناعة، وهي أداة الرحلة ووسيلتها، تعبيراً عن تمازج الطبيعة والإنسان، وعن قوة القانون التي تخترق الظواهر جميعاً. وهكذا تتجاور الطبيعة والصناعة والإنسان في كون اليف، وذلك في علاقات متبادلة توحدها وتفصل بينها في آن. يرتكن تصور جول فيرن، في مستوى منه، إلى مقولة التحوّل، وفي مستوى لاحق، إلى مقولة التحوّل التقني، التي تعيّن الإنسان آلة من نوع خاص، وترى في الطبيعة آلة أخرى متجلية الظواهر في المد والجزر والبراكين والزلالزل والفصول الاربعة. . في هذا كله، يكون المستقبل حاضراً والنظرية تطبيقاً والقانون مرجعاً والمتخيّل واقعاً، فما يبصره الخيال تحقّقه رحلة الاكتشاف، ولو بعد زمن(٢١).

مستقبل الإنسان حاضره، ومتخيل الإنسان واقعه. هاتان الفكرتان اللتان قالت بهما رواية فيرن، وهي تقرأ مستقبل الإنسان في حاضر العلم البرجوازي، وقع عليهما الإنجليزي دانييل ديفو عام ١٧١٩، حين كتب ٥ روبنسون كروزو ٥، التي ترجمت الإيديولوجيا البرجوازية بشكل آخر. بطل ديفو فرديّ عظيم، أو فردية اقتصادية مبدعةً، احتفى بها جان جاك روسو واعتبرها معلّماً ممتازاً، وقناعاً إيديولوجياً نابضاً بالحياة، إن لم تكن جملة مقولات اقتصادية اجتماعية في هيئة رجل. فالرجل الذي استانس جزيرة عذراء، انطرح على شطآنها صدفة، يجسد في مساره أفكار مجتمعه البرجوازي الصاعد: المغامرة، الإنسان الخالق، جوهر الإنسان، الحاجة والمنفعة، التملُّك والأمان، المنافسة والدفاع عن الذات، مواجهة (المتوحش) واستعمار أرضه .. على خلاف أبيه، الذي يُؤثر الأمان، يندفع كروزو، الذي تمثّل أفكار زمنه، إلى المغامرة، بحثاً عن المجهول وتعبيراً عن إرادة ترفض الحدود المغلقة. ولن تكون الجزيرة العذراء، التي اقتحمها صدفة ما هي بالصدفة، إلا المسرح الضروري الذي يبرهن فوقه عن بطولة الفرد البرجوازي، ويجسِّد فيه ٤ جوهر الإنسان؛ المكتنز بالإبداع. فإنسان الله الإنجليزي، الذي غمرته المياه وقذفته وحيداً، يعثر في الجزيرة على حياة ثانية، أو يولد فيها ولادة جديدة، تفرض عليه أن ينسى حياته السابقة وأن يحبو من جديد. ولأنه صورة عن جوهر الإنسان العقلاني الذي هو فيه، يعبر الاختبار بلا خلل، ويتعلّم المهن جميعاً ويسود على الجزيرة. غير أن وجه هر الإنسانيه، وهو مقولة برجوازية ترى بعض البشر اقل إنسانية من غيره، مما يجعل روبنسون يلتقي بـ والإنسان الاقل، ويسيطر عليه، دفاعاً عن والملكية، وتحقيقاً لـ والأمان، ياتي والمتوحش، ليسرد سيرة والمتحضر، ويسوّغ، وهو يسردها مهزوماً، مبدأ السيطرة والاستغلال. هكذا تبدأ الرواية بصدفة، ما هي بالصدفة، وتنتهى بالفتح والانتصار.

يساوي كروزو في جزيرته النائية الإنسان الإنجليزي الذي لم يفادر جزيرته، كانه لم يفادر موطنه،
فنهايته ماثلة في بدايته، وحاضره يطابق مستقبله، رغم أمواج المتخبّل الروائي وه متوحش، هذبّه
رجل الله الإنجليزي. وتماثل الواقع والمتخبل دفع مايكل نيولش، في كتابه وابد بولوجيا المقامرة وإلى
رجل الله الإنجليزي. وتماثل الواقع والمتخبل دفع مايكل نيولش، في كتابه وابد بولوجيا المقامرة وإلى
ان يقرآ إقدار كروزو في فلسفة جون لوك (١٩٣٧ – ١٩٧٤)، وأن يرى في الرواية كتابة أخرى
خطاب فلسفي حديث، فرواية ديفو، كما فلسفة لوك، حديث عن الفرد الحر المستقل الذي يتساوى
مع غيره في الحقوق والواجبات، ويحثّق مع غيره المنفعة الاجتماعية. تظهر حرية القرد في اختياره
المنامرة ويتكشف استقلاله في صنع ما يحتاج إليه وتدبير شؤون حياته، وتتجلى مساواته مع الآخرين
في حقه في الملكية الحاصة وفي حقه الاكبر في الدفاع عنها. تنطوي هذه المقولات على فكرة المصل
الذي يخلقه الإنسان ويتخلّق فيه، ومبدأ المنافسة المضروري لتطور الشخصية الإنسانية، وعلى فكرة
تامين الحاجات التي تحفظ للإنسان حياته. لا فرد بلا منافسة ولا منفعة دون من يدافع عنها، ولا فرد
ومنافسة خارج مجتمع يحقق افراده منافعهم الخاصة وهم يحققون منافع الجتمع الذي ينتصون إليه.
تتابع المقولات مبرهنة أن المجتمع الراسمالي هو مجتمع التفكير العقلائي، وأن مغامرة الفرد البرجوازي جديك
عقلانية أيضاً. وهو ما يجعل كروزو يروض الجزيرة ويغادرها ليورثها، بالضرورة، لبرجوازي جديك
عقلانية أيضاً. وهو ما يجعل كروزو يروض الجزيرة ويغادرها ليورثها، بالضرورة، لبرجوازي جديك
يعيش المغامرة تجارة والتجارة مغامرة ويلتقي يده المتوحشين، في كل مكان ويصرعهم. يحمل كروزو، و

كأبطال فيرن، أصله في ذاته، ينجز مغامرته وحيداً، مكتفياً بفاعلية العقل وتقدم المعارف(٢٠٠).

إن كانت رواية فيرد وديفو نصا روائيا شفافاً، يشي باصوله الإيديولوجية وتشي به اصوله دون عناد، فإن هيرمن ميلفل في عمله العظيم و موبي ديك ((١٨١٥) يقدم نصا ملتبسا كثيفاً مراوغاً، يقوم في زمنه وهو يستانف مقولات آخذ بها يقوم في زمنه وهو يستانف مقولات آخذ بها غيره : المفامرة، الطبيعة، الإنسان، الفتح والاكتشاف، وفتنة المعرفة القاتلة. غير أن اموبي ديك ، تدفع بافكار التقدم إلى تخومها الاخيرة، محدثة عن صعود الإنسان وسقوطه وعن استئنام الطبيعة واغتصابها، وعن استعمال العقل إلى تخومها الاخيرة، محدثة عن صعود الإنسان وسقوطه وعن استئنام الطبيعة في نص منسوج من الرموز، خالطة ما جاء بما سيجيء، وتاركة زمن الانتقام سيداً على ما عداه. فبعد أن استدعت الازمنة الحديثة بروميثيوس القدم، وعالجته بفتنة الافكار وصخب الاختراء، انقلب إلى برميثيوس حديث يقود من آمنوا به إلى حتفهم الاخير. كان وآخاب ، الذي باع روحه حين بترت ساقه، صورة اخرى عن المسخ التقني، الذي حدثت عنه ماري شيلي، أو صورة عن جلاد لا زمن له استدعى بروميثيوس القدم وقاده إلى جهنم (٢٠٠٠).

انطلق الإنسان الحديث من العقل ونصبه سيداً اعلى. غير أن واشعب و و آخاب و يكسر قواعد المعلى واعد المعلى وهو يطارد حوتاً ابيض، اخترعته ذاكرة مريضة. ساعياً إلى كسر قانون الطبيعة الازلي، وإلى عمول الطبيعة الازلي، وإلى عمول الطبيعة الازلي، وإلى عمول الطبيعة الازلية إلى ذمية فارغة. في هذا التعارض بين ذات إنسانية تؤمن بالعقل وتطبق المقل بشكل لا عقلاني، يستبين بروميثيوس المقلوب، الذي يعد قومه بالخلاص ويجذبهم إلى هوة لا رجعة منها، كما لو كان قد نفر ذاته دليلاً أثماً، يبئد من اختاره ويد تر والإنسان المغتار و الذي رأى ذاته فيه أخيار والية قامويي ديك إلى عماء الإنسان وفئة المعرفة ولا إنسان يعرف ويحب المعرفة ولا يعرف انه لن يبلغ قرار للعرفة، فينتهي إلى للوت دون أن يدري أن المعرفة المطلقة هي الموت. ولعل الكون الغامض، الذي يغتن بحاراً مبتور الساق، هو الذي يجمل عالم و موبي ديك و يحتقب ازمنة متعددة ورمناً غامضاً مسيطراً لا تخوم له، إذ لا شيء واضح للعالم إلا الموت، وإذ الازمنة كلها مضطربة باستثناء زمن الانتقام.

في رحلته الشهيرة انجذب و أوليس الى أصوات الساحرات، ولم يكن ذلك الانجذاب إلا غواية المحرفة، التي تستدعي الإنسان طاغية وترمي به إلى المحرفة، التي تستدعي الإنسان طاغية وترمي به إلى المحرفة، وما كان لـ و آخاب ا ان يقاسم البطل الاسطوري اليوناني مصيره، ذلك أن الثاني شب وترعرع تحت أنظار الآلهة، على خلاف و أشعب اللذي تخلت عنه الآلهة بعد أن خلع رداء البراءة الاولى، والتحف بغطرسة ترمي إلى امتلاك الكون، فإن رفض الكون رغبة العليل الآلم، رفع الصياد المبتور الساق في وجهه رماح الانتقام، ووضع الموت في البحار رسولاً بلا رسالة، بل نبياً زائفاً، أرسى مبادئ المعرفة على مبادئ الانتقام، ووضع الموت في سيرورة المعرفة، وأرفع البحارة في رهان لعين، يطاردون فيه الحياة وهم يظنون أنهم يطاردون الموت. خرج بطل مبلغل من قلب الثورة الصناعة، التي تعيش الزمن والمكان واللحظة والبرهة والهنيهة، مسكونا بالعماء والانتصار في آن: منتصر وهو يرى الآلة الحديثة التي تُنطق المادة الصماء بلغة إنسانية، واعمى وهو يعتقد أن العمل يحمل ضمانه الصادق فيه. كان البحار البائس في الوهم التراجيدي

يخترع ذاتاً متغطرسة تتوهم اصطياد النجوم، ويخترع ضحية شيطانية من حوت بريء استحم بمياه الطبيعة منذ الازل. وكان في الاختراعين شيطاناً رجيماً، يحمل الوهيّته الكاذبة ويندفن متلاشياً في طمات الطبيعة الخالدة.

تكوّن متخيّل الروايات السابقة، كما غيرها، من عناصر مادية انتجها الزمن البورجوازي المنتصر في مستوياته المتعددة. وصدر عن العناصر، التي ما زجتها الخيلة، متخيّل حديث، بلغة معينة، أو متخيل تاريخي، بلغة أخرى، يخاطب المستقبل والإنسان ومفامرات متلاحقة، سعيدة الأجنحة حيناً، وصوداء الاجنحة في طور آخر. وسترتبك الرواية العربية الوليدة حين تعتنق متخيّلاً غريباً عنها، إلى أن تعتر عاقلة على متخيل تاريخي خاص بها، لا ينفتح على المغامرة، بل على تاريخ راكد مغلق، يرى في المغامرة هرطقة وبيلة العاقبة.

الرواية ومجتمعية القراءة والكتابة :

كتب إيان واط في 8 نشوء الرواية 9 السطور التالية: 8 من المؤكد أن جمهور الرواية لم يكن يشكّل في الجتمع تلك القاعدة العريضة التي كان يشكلها جمهور المسرحية الإليزابيثية مثلاً. فكل الناس باستثناء المعدمين كان بمقدور أحدهم أن يدفع بنساً من حين إلى آخر مقابل وقوفه في النهاية الخلفية المسرح (غلوب)، ذلك البنس الذي لم يكن وقتها أكثر من ثمن جرعة بيرة. وأتا ثمن الرواية، من الناحية الاخرى، فكان يكفي لإعالة أسرة طيلة أسبوع أو أسبوعين، الأمر الذي ينطوي على أهمية كيبرة (**). يشير القول، وموقعه القرن الثامن عشر، إلى مسرح اعتاد الجمهور الذهاب إليه بلا كيبرة (وإلى رواية تتمتم بفتة قارئة قليلة. ولن تكون أقدار الرواية الفرنسية، وكما ذكر جورج جان، مختلفة تماماً، فقد كان عليها ان تنتظر إلى ما بعد ، ۱۸۷۷، لتصل، على مسترى القراءة، إلى عصرها الذهبي. كان ، في الحالين، مسافة زمنية بينة بين إنتاج الكتابة الروائية واستهلاكها الجماهيري.

فصلت اسباب كثيرة بين الرواية الصاعدة وجمهور القراءة الموسم. كان للقراءة وللكتابة، حتى القراد النامن عشر، معنى لم يتحرّر كلياً من سطوة الموروث، يحتدها بمعرفة اللغات والآهاب الكلاسيكية ولا سيما اللاتينية. وبدت القراءة، لا وساط دينية وغير دينية وألهية خطيرة»، تعبث بالخيال وتصرف المامل الماجور عن عمله الضروري. ولم يكن شمن الرواية، وألمح إليه واط، يسمح بجمهور قارئ موسم، إضافة إلى الأمية التي كانت لا تزال راسخة في القرن النامن عشر، دون أن يمنع هذا كله جونسون من وصف الامة الإنجليزية عام ١٧٨١ بـ وأمة من القراء (١٠٠٠). بيد أن الوصف نسبي ولا ينقعه التفاؤل، لان إعطاء الحوانيت اسماء مكتوبة، بدلاً من العلامات المنتشرة، لم يظهر جلياً إلا عام ١٧٨٢ من الملامات المنتشرة، لم يظهر جلياً إلا المهاب عملية، موافقة للمجتمع البرجوازي، على مقربة من أبناء الطبقة الوسطى، الذين فرض عليهم عملهم في التجارة والإدارة والحرف إتقان القراءة.

لا يتحدد وضع القراءة الروائية بحوانيت تحرّرت من الإشارات وتزيّنت باسماء مقروءة، ولا بانتقال الرواية من قارئ النُزُل إلى قراء في بيوتهم، ذلك أنه تحدّد بسيرورة اجتماعية – ثقافية تنتج، بشكل متصاعد، الرواية وقارئ الرواية, فبعد اختراع المطبعة (٣٣٦) عدد ١٤٥٠) جاءت دور النشر والصحف والمدارس والإصلاح اللغري ودولة حديثة تتكلم مع المواطنين بلغة موخدة. وانتقل المجتمع، في سيرورة متصاعدة، من الغفلق إلى المقتوع، ومن الطقوسي إلى الاجتماعي، ومن لغة نجبوية متعالية إلى لغات عديدة، محتمل الفنج والناعم والمبتدل. شكّلت الصحيفة، وهي موقع حداثي وديمقراطي بامتياز، مرآة للازمنة الحديثة، تخبر عن قارئ جمعاعي وقضايا اجتماعية جماعية، موطّدة تعلم القراءة وأصول الحكم والقياس، كانها مدرسة حكيمة تصوب المدرسة التقليدية وتصحح أخطاءها. لم يكن غريباً، ولخلاة هذه، أن تكون الصحيفة مهد الرواية ومهد قراءتها، وأن تكون الرواية المسلسلة» إمتاعاً للقارئ وتسويعاً للصحيفة وإعلاناً مستمراً عن توالد الرواية. عترت الصحيفة، التي تباع في شوارع واسعة ومستقيمة، والرواية، التي تباع في شوارع حوار بين أفراد تمتموا بحقوق: المواطنة.

شكلت الصحافة حاضتة اساسية للرواية وللتطور الروائي، منذ أن نشر دانييل ديفو روايته الأولى التي كتبها في عام ١٧٦٩، وصولاً إلى منتصف القرن التاسع عشر، الذي و-قد بين صعود الرواية وانتشار الصحافة، وربط الملاقتين معاً بشروط النشر والتوزيع. فقد نُشرت اعظم روايات القرن التاسع عشر مسلسلة في الصحف والمجلات، يستوي في ذلك ديكنز رديستويفسكي، وبازاك وزولا وفلوبير، وإن كان الروائيون الثلاثة يفضلون المجلات على الصحف اليومية. فرضت هذه العلاقة، فيما فرضته، مواضيع محددة، توافق قارئ الصحيفة اليومية، وأسلوباً يلائم القارئ ولا يقع في التبذل والاستسهال، أعطى فيه بلزاك دروساً في السهولة والابتكار. تفسر العلاقة بين الروائي والقارئ، وقد التقيا في صحيفة يومية أو في مجلة اسبوعية، شروط ومصادر والرواية الواقعية والتي تضع أمام القارئ موضوعاً ليس غربباً عنه، وشخصيات حية يعرف وجوهها ويدخل إلى عوالمها الداخلية دون جهد كبير.

أوجدت الفصحيفة الموقع الملائم الذي يلتفي فيه القارئ والروائي، وانتجت الشروط الاجتماعية العامة شروط القراءة وجمهور القراء. ومع أن بعض الدراسات يربط بين الرواية وقارئة أنشى، أو بين العامة شروط القراءة وجمهور القراء. ومع أن بعض الدراسات يربط بين الرواية وقارئة أنشى، أو بين الرواية والوافدين رواية اقرب إلى الميلودواما وقارئ بروليتاري، فإن نزوع التحولات الاجتماعية أقام بين الرواية والوافدين من الطبقة الوسطى علاقة ظاهرة. غير أن تامل الاجتهادات النظرية، التي تمر بقارئة أنشى وببروليتاري محاصر وبموطف ناجع وبسيدة أوستقراطية تقرا الرواية في غرفة جميلة الإضاءة والتدفئة، يخبر عن القديمة من يحرن إليها، وتقبل الجيماعي والمنوق اكيدة، وحكايات جديدة الانشاء والموكايات وديكنز. مع ذلك، فإن جمهور القراءة للوسم مرتبط، اشد الارتباط، بعنصرين متلازمين، يخبر عن تراجع الأمية وارتفاء الكيف الاجتماعي والنزوع إلى المعرفة والتعلم والتحرّر من سطوة الكتب المقدسة. ويقول الثاني: لا ينفصل التقدم الشقافي، ويحتضن قراءة الرواية والوائاً ثقافية أخرى، عن سياسة ثقافية – لغوية أخلت بها الدولة – القومية، وامي توحيد المجتمع ثقافياً ولغوياً، وهادفة إلى إنجاز التوحيد وتوطيده من وجهة نظر الدولة حالفوية قائدة منتجة ومهمنة في آن واحد،

لم تكن الصحيفة التي تهذَّب القارئ، وتفرض على الروائي أسلوباً مريحاً إلا مرآة لحيّز اكثر اتساعاً

هو السوق، بلغة فجة، أو السوق الثقافية، بلغة تنفر من الخشونة. غير أن هذه السوق، التي لا غيل الأرواح المرهفة، كسرت الطقس الثقافي الضيق والقديم، إذ السلطة ثقافة وثقافة السلطة خير الثقافات، وعملت على تحرير المبدع من وصايات كثيرة، تبدأ بالفقر ولا تنتهي بامير فارغ الروح وعنلئ الجيوب. لذلك المير وإلا في سوق الادب شرطاً ضرورياً للإنتاج الادبي فقط، إنما رأى فيه أولا ضماناً لاستقلال الاديب، ذلك أنه وعى ذاته منتجاً لسلعة بين سلع آخرى، تبحث عن زبائن خاصين بهاه (٢٠٠٠). بدا السوق وسيلة لتحرّر الأديب، لا ضرورة خارجية تهين العمل الفني وتنتقص من قيمته، مما حمل الاديب على إنتاج أدب جماهيري، أو آدب للجماهير، يؤكد الاديب مواطناً حرا، يعتمد على دخله الفردي، ولا يمتثل إلى إرادة خارجية ببادلها الحرية بمورد اقتصادي. لم يكن الأديب يعتمد على دخله الفردي، ولا يمتثل إلى إرادة خارجية ببادلها الحرية بمورد اقتصادي. لم يكن الأديب بحثلف عن قارئه، فكلاهما ببيع جهده في السوق، ويتحرّر بتسليع عمله، كتابة روائية كان أم بحداً وإمن الصلة بالعمل الذمني. وبداهة، كان على الإنتاج الادبي الموسم أن يحمل تناقضه الداخلي المؤرع على الآخامين: أدى تسليع الإنتاج الأدبي أبي توسيع القراءة وتراجع الكيف الادبي من ناحية المؤرغ على الآخيام، اعتماداً على إبداعه الذاتي المسلم جماهيرياً، لا أكثر. الناريخ، ذائية مبدعة رفيمة القوام، اعتماداً على إبداعه الذاتي المسلم جماهيرياً، لا أكثر.

أفضت علاقة الرواثي بالسوق إلى رواية متعددة المواضيع، تساوق الطلب الجماهيري وتمتثل إلى قوانين العرض والطلب، حتى وإن اخذ الطلب سمة اخلاقية وتهذيبية، كما هو الحال في رواية و جيرميني لاسيرتو ٤، التي كتبها الأخوان إدمون وجول جانكور عام ١٨٦٤، وكتباً غيرها من الروايات. يقول الأخوان في تقديم روايتهما: ١ لما كنا نعيش في القرن التاسع عشر، في عصر الاقتراع العام، والديمقراطية، والتحرّر، فقد تساءلنا: أو ليس لما يسميه الناس «الطبقات الدنيا، حق في الرواية، وإذا كان يجب على هذا العالم الذي هو تحت العالم، أي الشعب، أن يظل خاضعاً لهيمنة الحظر الأدبي . . و(٢٧). لم يكن لدى الأخوين ميل إلى الاشتراكية، فهما من وسط ميسور، بل كان عندهما شعور بمبدأ المساواة بين الناس، في عصر يقول بالأخوة والمساواة والحرية، وبضرورة أن 1 تكتشف، الرواية، أقاليم المجتمع المختلفة. يوحي القول، في مستوى أول منه، برغبة في واكتشاف الطبقات الدنيا؛ وفي النهوض بذوقها الأدبي، ويفصح، في مستوى آخر، عن حرية داخلية تقود الروائي إلى تعددية مواضيعه. فإضافة إلى الأخوين المذكورين اللذين قصدا (رواية واقعية) يمليها الوازع الاخلاقي، كانت هناك ﴿ روايات عن الشعب ﴾ ، الذي لم يكن يعرف، في زمن مضي، القراءة والكتابة، ولم يعرف إلا صدفة من يكتب عن الشعب أو يحتفي به، حين كانت الكتابة تعالج بلغة ضيقة مواضيع اكثر ضيقاً. كتب الإنجليزي ريموند ويلمز عن (الروايات الصناعية ، التي حدّثت عن بعض مظاهر الحياة في مجتمع صناعي يصاحبه القلق وبحث قلق عن الاستقرار، وأعطت الرواية الفرنسية، من زولا إلى سيلين، مكاناً واسعاً لـ «الشعب» موزعة صفة «الإنسان» على ألوان مختلفة من البشر. تجاور، وفي صفحات رواثية متلاحقة، المرابي والكولونيل المتداعي والعاشقة التي تحاكي الحكايات والعاملة الشقيّة وعمال البحروشاب متطوس مسكون بنابليون، الذي رحل منفياً تاركاً صهوة التاريخ لاباطرة لاحقين. وبقدر ما تجلُّت (رواية الشعب؛ في مواضيع تصافح الايدي الخشنة ووجوهاً كساها

صقيع الصباح، ظهرت أولاً في لغة روائية جديدة، لا تستقبلها المايير الاكاديمية بترحاب كبير:
ويعني تمثيل الشعب والحالة مذه تمثيل لغة الشعب، أو تمثيل الشعب من خلال لغته. مع كل الدلالات
البالغة التنوع التي يتضمنها هذا التمبير (((() له الشعب) النه الشعب، التي ازور عنها فيكتور هوغو
وزهد بها، قادرة، كما هي، على تمثيل الشعب، طارحة على الروائي، الذي تحرّر من الاقانيم الاكاديمية،
ولاأ فنياً محطاً. غير أن الروائي لم يحول واللغة الفجة وإلى سؤال فني مشروع، إلا بسبب منظور
للمالم جديد، يضع مبدأ المساواة بين اللغات الاجتماعية، بعد أن وضعه داخل المجتمع في مستوياته
المتعددة، وبهذا المعنى، فإن الروائي، الذي اراد تمثيل الشعب، لم يهبط من لغته العليا إلى لغة دنيا،
ولم يسمح إلى نقل واللغة الوضيعية وإلى و مقام نبيل »، إنما تنقل بين الوان مختلفة من اللغات، لا
الخيال الروائي أم اللهي بنفسه من عل إلى واد محيق.

يستين في تعددية المواضيع الروائية بعدان: يخير اولهما عن فضاء طليق متلاشي الحدود، لا مركز له، بعد أن تداعت هالة المركز مع المراتب العالية المتداعية. شيء يُذكّر بد «بروميثيوس القدم» الذي حرّرته تحولات الازمنة الحديثة الموضوعية، وقيّده الخطاب التنويري، الذي اعفى التاريخ من بدالية مقدسة والتمس له نهاية مجللة بالضياء. ويظهر البعد الثاني في تبادلية الاعتراف المتوالية، إذ الإنسان الذي اعترف بداته يعترف بالروائي الذي يكتب عنه، وإذ اللغة الشعبية التي اعترف الروائي بها تعترف بشخصيات روائية متانقة اللغة إلى تحوم الحذلقة. وحد مبدا تبادلية الاعتراف بين الروائي والقارئ، غدا الأول ناطقاً باحوال الثاني، وأمسى الأخير بعداً داخلياً في الكتابة الروائية، وهذا التفاعل بين علاقتين متساويتين، لا مراتب بينهما ولا منازل، اتاح للروائي أن يكتب نصاً طليقاً متعدد الدلالات، وسمح لقارئه أن ينجز قراءة متعددة التأويل.

ما التعدد، الذّي يحتضن الرواثي والقارئ والشخصيات المتخبّلة، إلا مرآة لزمن ديمقراطي، ولو على مستوى الخطاب، لا يلغي شخص فيه آخر، ولا تنتهك لغة غيرها، ولا يهمش فيه الشاب المتطوّس عامل البحر المجوز . كتب موريس ندو معلّقاً على كامو وروايته والغريب ع: ورواثي موضوعي يردع ذاته عن التدخل في مصير شخصياته، وعن الكلام نيابة عنها أو إيضاح افكارها ومشاعرها. فهو يكتفي بوصف أفعال رحركات بطله ميرسو، ونقل ما تنطق به تصرفاته، وفقاً للمبدأ والسلوكي ع. إن ميرسو لا وجود له، يرد على المحرضات التي يستقبلها لا آكثر ع^(٢٣). يترك الرواثي بطله في أحواله، لا يجبره على ما لا يريد، ولا ينتهك ذاتيته، ولا يستنطقه ولا ينطق عوضاً عنه، أي أن الرواثي يقوم بكل ما لا يُرضي المستبد القديم، الذي يحتكر الكلام والصمت، ويحلم بتعيين ساعة موت الآخرين، بعد أن فاته اعتقال ساعة الميلاد.

الرواية العربية والأصل الذي لا ينقضى:

حين كتب دانبيل ديفو عام ١٧١٩ روايته: وروبنسون كروزوه، كان يرسل بطله إلى المستقبل. ويتأمل بطلاً تحقق المستقبل فيه، وما كانت رواية جول فيرن تقول بشيء مختلف، وقرات ماري شلي عام ١٨١٨ المستقبل في إنسان آلي انزاح عن غايات خالقه. بعد ذلك، وفي بدايات القرن العشرين، ولدت رواية عربية تخشى المستقبل وتتطيّر نه، فإن راته اخطات سبل الذهاب إليه وارتدت إلى الوراء. ولهذا ذهب محمد المويلحي، في «حديث عيسى بن هشام»، إلى باريس مصطحباً معه بديم الزمان الهمذاني، واستنجد حافظ إبراهيم، في «ليالي سطيح» (١٩٠٦) بحكيم عربي قديم.

حدثت الرواية الوليدة، التي ترى الحاضر وتعتصم بالماضي، عن شرط تاريخي على صورتها، كم يقطع مع حكايات بلا تاريخ ومع تاريخ له شكل الحكايات. انطوت الرواية الاوروبية، في زمن صعودها، على أطووحتين أساسيتين، قالت الاولى: لا تاريخ دون تحرير التاريخ من بدايات مقدسة ونهايات لا تقل تقديساً، وقالت الثانية: لا رواية دون فردية تميش علاقاتها الدنيوية وترى إلى مميشها بتصور دنيوي. أكدت الاطروحتان الدنيوي والمشخص والراهن وإحساساً حاداً بالزمن مستمر المحدود دنيوي. أكدت الاطروحتان الدنيوي والمشخص والراهن وإحساساً حاداً بالزمن مستمر الحدود لم تلتق الرواية العربية الوليدة بما ينبغي على الجنس الروائي أن يلتقي به، ذلك أنها لم تلتق بالدولة – القومية، والمجتمع المدني، الذي لا ينهضي على الجنارة والمعاندة.

في هذا الغضاء التاريخي، الذي إضاع مركزه أو لم يعثر عليه، كان على محمد حسين هيكل، في رواية زينب عام ١٩١٣، أن يستلهم مواطنه رواية زينب عام ١٩١٣، أن يستلهم مواطنه جون لوك، وعلى فرح انفوال أن يستلهم مواطنه جون لوك، وعلى فرح انظوان أن يستظهر اشتراكية فرنسية، متقهقراً إلى حدود الفجيعة عن إميل زولا، الذي اتبكا في روايته على معارف مجتمعه الفرنسي. وحين شرع نجيب محفوظ، بعد عقود ثلاثة تقريباً، في مشروعه الروائي الهيء، كان عليه أن يستذير، كما المويلجي وحافظ إبراهيم، وراءً قبل أن يهبط على أرض زمنه، راحلاً إلى عبق التاريخ وحكمة الفراعنة. كما لو كان الرحيل القلق إلى الاصل البعيد شرط الكتابة الروائية الصائبة. بقي الزمن الروائي، في الخالين، خارج موقعه الطبيعي موزعاً، وبارتباك لا تخطئه العين، على زمن أوروبي فاتن ومنتصر وزمن محلّي قديم مضى، يلتمس منه الماؤوم والمهزوع نصيحة ووعداً بالانتصار.

يمعلي الرجوع إلى بعض الدراسات الجادة، الذي رصد الرواية العربية في ولادتها المتمرّة والمتعسرة، صورة عن زمن تاريخي، يرى إلى الأمام قليلاً ويكتفي، بيقين، بزمن الحكايات وبما مضى من الازمنة. وضع الراحل لويس عوض كتاباً عن (الادب العربي الحديث) عنوانه: (المؤثرات الاجنبية في الأدب العربي الحديث، يتضمن فهرس المبحث الاول، وعنوانه وقضية المرأة»، الدراسات التالية: رفاعة الطهطاوي، احمد فارس الشدياق، قاسم أمين، أحمد لعلفي السيد، ويتضمن المبحث الثاني، وعنوائه : (الفكر السياسي والاجتماعي، المواد التالية: الانفجارات الثورية في مصر قبل الحملة الفرنسية، الحلفية التاريخية، عبد الرحمن الجبرتي، رفاعة الطهطاوي، فارس الشدياق.. اتكا عوض على منهج واضح، أخذ به سابقاً في تقديم اللامع لـ الابوميثيوس طليقاً»، حيث معنى الادب قائم في الحقل الثقافي الذي تشكّل فيه. والحقل المقصود، وكما يشير عوض، له إرهاصاته وقائم بـ والقوق، قبل مجيء نابليون ووقبل الحملة الفرنسية، مع انه قائم، رغم الحصافة والعزة القومية، في وبعد الحملة الفرنسية»، لان الاسماء للذكورة كلها، وباستثناء الجبرتي، الذي كان يكتب بلغة ركيكة، تاثرت بالثقافة الفرنسية، ودعت إلى التجديد مرتكنة إلى أفكار الثورة الفرنسية (الله على في شرط كهذا ، ان تأتى الرواية ، كما المسرحية والصحافة ، مع ثقافة وافدة ، وأن يرتاح إليها طويلاً من انفتح على الثقافة الأوروبية ، وأدرك معنى الثقافة الإنسانية ، وعادي أيضاً أن يصالح فرح انطوان بين «الثقافة الوافدة » والمصلحة الوطنية ، وأن يكتب وعلى سبيل التساهل » ، رواية ذهنية ، هي شكل للوعظ والتعليم لا اكثر . وعادي اكثر الأيقرب الرواية تلميلاً لثنته المدرسة الرسمية لغة قارّة جامدة ومنقطعة عن شؤون الحياة و ولغة العوام » .

قلتم الراحل الكريم عبد المحسن طه بدر في كتابه المضيء 3 تطور الرواية العربية الحديثة ٤ عرضاً، مجزوءاً للضرورة، عن الرضع الثقافي في مصر ١٨٧٠ - ١٩٣٨، أي عن الفترة التي سبقت ولادة الرواية وواكبتها، إلى أن جاء نجيب محفوظ وجاءت معه رواية أخرى. لا تحمل الفترة، وقد رحل نابليون عن مصر قبل سبعة عقود وارتحل محمد على باشا العظيم والمهزوم قبل فترة قصيرة، من المقوّمات الاجتماعية والثقافية والسياسية ما يسمح بـ 3 نثر الحياة اليومية ، ولا بخيال يخلق الإنسان المتعدد وبلغات متعددة. كان هناك المثقف الشامي المغترب الذي يعيش في مجتمع ويفكر بطريقة مجتمع آخر، والشيخ القديم الذي يدافع عن حق السلطان المقدس، ويرى في الخديوي المستبد توفيق «آية من آيات الدهر» إذا رأته العين الفت في محياه ما يبعث على التسبيح(١٤١). لم يكن غريباً عند من يقفز التسبيح إلى لسانه، إن صافحت عينًاه الوجه المستبد، أن تكون العلوم وبالا والصحيفة بدعة وعلوم اللغة اداة لعلوم الدين لا اكثر. كان نقرأ في كتاب بدر: (لم يسمح لطلبة الطب أن يشرّحوا الجثث، سمح لهم بتشريح جثث الكلاب، ثم سمح لهم بعد ذلك بتشريح جثث النصاري والعبيد، كما قاوم علماء الأزهر ظهور صحيفة (الوقائع المصرية) بحجة أنه قد يرد فيها اسم الجلالة والنبي والقرآن، ثم يلقى بها إلى الأرض، في الوقت الذي ستطبع فيه بمداد قد لا يخلو من مواد نجسة ١٤٠٠). بين العلم والبدعة علاقة، وبين الصحافة والنجاسة علاقة، وبين المتخيل الروائي والزندقة علاقة، ولم يغفر المشايخ نحمد المويلحي و خياله الكاذب ، و إلا بعد أن اعترف أن و كذبه أبيض ، يُراد به خيرة الأمة وخدمة المؤمنين. يتجاوز الأمر، بداهة، ومثقفاً شامياً ؛ يجتهد في نشر أفكار دارون وروسو وماركس، ومثقفاً مصرياً ورعاً يحاور الفيلسوف الإنجليزي التطوري سبنسر ويتعلم منه، فالأمر كله قائم في غياب دولة حديثة تحقّق مجتمعية القراءة والكتابة، وتدرجها في سياسة ثقافية، تضيثها وتوضّحها سياسات اجتماعية اخرى. وبسبب الغياب المتواتر، وله أشكال متباينة، راي بعض رجال الدين في اللغة الصحفية مساساً بكرامة اللغة العربية الأصيلة، وحجب هيكل اسمه عن روايته ﴿ زِينبٍ ﴿ فَي طبعتها الاولى، وقال كرم ملحم كرم «إنه بدأ كتابة القصة سنة ١٩٢٨، حين كان الأدباء لا يعترفون للقصة بكيان أدبى، ويعدون كاتبها متطفلاً على موائد الادب، لا يستحق اكثر من الإهمال والاحتقار،(٢٢)، وشكا نجيب محفوظ، وقد جاوز الثمانين، من رجل الدين المتاسي على فرصة ذهبية ضائعة : (لو ثم تأديب نجيب محفوظ حين كتب (اولاد حارتنا) لما ظهر سلمان رشدي. بهذا المعنى، وفي منظور لا يختصر الرواية إلى أفراد يكتبون الرواية، تكون الرواية جنساً أدبياً حداثياً بامتياز، يتضمن الفرد الحر والمجتمع المدني والعقل المتحرّر والإصلاح اللغوي ورواثياً متفرّغاً وقارثاً متعلماً، يستطيع شراء الكتاب ولا تكفيه الحكايات وقصصاً تاريخية لها شكل الحكايات.

تشكّلت الروآية العربية، ولا تزال، في شرط تاريخي قلق، اخطا حداثته الاجتماعية، وسمح بـ

«مؤثرات اجنبية اعديدة، تتداخل فيها الترجمة والصحافة ومعرفة اللغات الاوروبية وشيء غامض
من ا حوار الثقافات ا واقتراحات حداثية وطنية اجهضت بالقوة حيناً، وقادت ذاتها إلى الإخفاق حيناً
آخر. كان الرواية العربية مشروع ثقافي هجين، ولد داخل المجتمع وخارجه، فهر داخل المجتمع يكتبه
ادباء عرب وبلغة عربية، وهو خارجه لان زمن الحداثة الاجتماعية الذي يرد إليه لا يزال مبتوراً وشائهاً
وهجيناً، او لم يحضر بعد.

تنتمي الرواية العربية، على مستوى الكتابة، إلى زمن حداثي كوني، وتنتسب، على مستوى القراءة، إلى زمر. لا حداثة فيه. كانها، رغم جهدها الجميل، تنتظر جمهوراً محتملاً، لا اكثر.

مراجع الدراسة:

- (١) محمد المويلحي: حديث عيسي بن هشام، دار التراث، بيروت ١٩٦٩، ص: ٤٤.
 - (٢) إيمري نف: المؤرخون وروح الشعر، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٤، ص: ١٦٠.
- (3) R. G. colling wood: The idea of history. Oxford, 1966, pp. 245 460.
- (4) R. Koselleck: l'expérience de l'histoire. Gallimard Le Seuil, Paris, 1997, P: 33.
 - (٥) المرجع السابق، ص: ٣٢.
- (٦) تسطنطين زريق: نحن والتاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١، ص: ٥٧. (٦) G. Lukacs: La Signification présente du realisme critique, Gallimard, 1960, P: 30.
- (8) L. Niethammer: Posthistoire, verso, london, 1992, PP: 62 68.
- (9) Koselleck: P: 39.

- (١٠) الرجع السابق، ص: ٤٤.
- (11) E. Balibar: La philosophie de marx. La découverte, paris, 1993,
- PP: 83 86.
- (12) Centenaire du capital. Collectif. Mouton. Paris, La Haye, 1969 PP: 73-75
 - (١٣) إيان واط: نشوء الرواية، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١، ص: ٢٢ ٣٠.
 - (14) E. Auerbach: Ecrits sur Dante. Macula, Paris, 1998, P: 186.
 - (١٥) إيريش آورباخ: محاكاة، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٨، ص: ٢٩٨.
- (16) G. Jean: Le roman, Le seuil, Paris, 1971, P: 111.
- (۱۷) والتر الن: الرواية الإنجليزية، مشروع النشر المشترك، بغداد القاهرة، بلا تاريخ، ص: ٥٤. (18) M. Bakhtine: l'ocuvre de françois rabelais, Gallimard, 1970, PP: 63.
- 5.4
- . ١٠٩) للرجع السابق، ص ١٠٤. (20) B. Baczko: rousseau, solitude et communauté, mouton, 1970, p 157
 - (٢١) ميرسيا إيلياد: أسطورة العودة الأبدية، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٠، ص: ٣٣ ٣٣.
- (22) J. Attali: Histoire du temps, fayard, Paris, P: 125.

- (٢٣) آورباخ: محاكاة، مرجع سبق، ص: ٣٠٨.
- (٢٤) مارشال بيرمن: حداثة التخلف، كنعان، دمشق، ١٩٩٣، ص: ٨٥.
- (25) G. Jean: P: 58 59.

- (٢٦) جورج جان، الرواية، مرجع سايق، ص: ٥٧.
- (٢٧) رولان بورنوف: عالم الرواية، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٩١، ص: ١٢١.
 - (٢٨) إيان واط: مرجع سابق، ص: ١٢.
- (29) Magazine Littéraire No: 387 mai 2000.
 - (٣٠) فرنسيس فتح الله مراش: غابة الحق، دار المدى، دمشق، ٢٠٠١.
- (31) P. Macherey: Pour une production Littéraire, Maspero, Paris, 1971, PP: 190 195.
- (32) Michael Nerlich: ideology of adventure, university of minnesota press, 1987, PP: 260 -275.
- (33) Felix S. A. Rysten: False prophets. University of miami press. Florida, 1972, PP: 92 -114.
 - (٣٤) إيان واط: مرجع سابق، ص: ١٤٤ ٧٩.
 - (٣٥) الرجع السابق، ص: ٤٤ ٢٩.
- (36) Peter burger: La prose de la modernité, Klinckseick, Paris, 1994, P: 258.
 - (٣٧) آورباخ: محاكاة، ص: ٥٢٥ ٣٧٠.
- (38) Nelly wolf: Le peuple dans le roman françai de zola à céline p.u.f, Paris, 1990, P:5.
- (39) Cité par g. Jean, P: 173.
- (٤٠) لويس عوض: المؤثرات الأجنبية في الآدب العربي الحديث، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٦٣.
- (٤١) عبد المحسن طه بدر: تطور الرواية البربية الحديثة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، لا تاريخ، ص: ٢٩.
 - (٤٢) للرجع السابق، ص: ١٩.
 - (٤٣) الدكتور محمد يوسف نجم: القصة في الأدب الغربي الحديث، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦، ص: ٣٤.



عرس خالتنا ...

نزيه أبو عفنن

```
أمنء
                                    ليل أمس،
               وأنا نائم فوق سطر الكلام الاخير
             من كتاب أميري: والأمير الصغيرة
            جاءني في المنام يسوع المسيئ الرسول
                   راكباً فوق ظهر أتان مكحلة
                     ضامر. . حلوة . . وخجول
                        كان يحمل ورداً كثيراً
                             ونائ رعاة قصب
                      وعُصينَ نخيل نحيلْ....
  فتعجبتُ من حَال هذا الرسول الفقير، وفكَّرتُ:
                       هل جاءنا عارياً ١٩٠٠ ....
                وتساءلتُ : اين عصاة وخنجرة؟
                       أين سيفُ النبيِّ المحارب؟
أين مساتسة وحزام الرصاص العريض على خصره؟
        أين ثوبُ و أميري الصغير، المنقط بالزهر؟
   أين هو التائج، والصولجاتُ، ودرعُ الرماة التُقيلُ؟
                                الله كله ال
                           فتنقدت حزنا عليه
        نزيه أبو عفش، شاعر سوري يقيم في دمشق
```

وقلتُ لمن ليس يسمعُ: جاء اليتيمُ إلى موته عاريا ... وحيداً ا وكان على الدرب خلق كثيرًا، ووردٌ كثيرًا، ويأسَّ كثيرً وسيوف . كثيرًا . . . مخباة خلف ورد الثياب. فتلقَّتَ نحوي، وسلَّمَ مبتسماً. واصطفائي (لماذا أنا؟!..) من جميع الذين أتوا يشهدون عبور الرسول الفقير وقادَّمَ لي وردةً ا (يالها وردةً1.. لم أكادُ أتحسَّسُها وأشمُّ توبجاتِها البيضَ حتى... صار ينزف من قلبها الدم ١١٠.) فكُرتُ : وجاء إلى موته الاعزلُ التبسُّمُ . . و . . فانسكب الدم في راحتي ا صحتُ : يا ذا للسيحُ الذي يحملُ الورد انت وحيد واعزل؛ والليلُ أوشكَ ياتى؛ فلا تذهب الآن. لا تِذْهَب الآن من مَذْه الدرب. سوف يلاحقك الانبياءُ القدامي بأسياقهم ومزاميرهم؛ ويطاردك الشعراء الحديثون بالنظريات والعُقد البُنْيَويات. لا ترحلُ الآن يا ذا الفتى الورد.. سوف يَسدُّ عليكَ الطريقَ مغاويرٌ وجيش الحقيقة ع ابناءُ بيتك والشاربون حليب نعاجك. صحتُ، وصحتُ؛ وصحتُ فصاح الهواءُ، وصاحَ الغبارُ الذي في الهواء، وصاحتُ ملائكةُ الحوفِ مذعورةً من تلاطم دمع

الهواء المفضِّض فوق حديد الهواء الي . . . هواءً إ . . .

صحتُ ؛ صحتُ وصحتُ . ولكنْ . . . عبثاً!... كان يمشى . . وحيداً واعزل قلتُ: احترمنْ يا فتايَ اليتيمُ. قرمانی بضحکته . . وانتصّب ملكأ ملكاً عالياً.. ملكاً . عارياً فوق داتته مفرس المعجزات وحداثي في الد . . فوق ، في الد . . فوق في قبّة الفوق في ما وَراءَ السُّحُبِّ . . ٤ قال : ذاكَ أبي فوقَّ، يبصرني ويساعدني. قلتُ : يا ورد، ليس لكَ الآنَ أَتْ .. ألت صوت وحياة. واكدتُ: انت ابنُ نفسكَ يا ابنَ جميع الذين أتوا ومضوا. : انت ميت . وحيداً . قَالَ لَى: لا تَحْفُ يَا حَبِيبُ } أَنَا مَرْسَلٌ وَابِنُ رَبُّ. صحتُ: لا يا ابنَ ربّ. واشرتُ إليه أحدَرة : الدربُ صعبُ. لم يكن ليصدُّقا (كنتُ أكلم ريحاً ا ...) : فإذا "قلتُ قل لابيكَ يدلُّكُ من أين تمضى.. فهذى الطريقُ التي أنتَ راكبُها الآنَ أوَّلُها يُذبحُ الوردُ فيه وآخرها يُذبحُ الحاملُ الورد. صحتًا، وصحتًا، وصحتُ... فما كان يمكن أن يَسمعَ الراكبُ الربُّ صوتى . .

فأيقنتُ:

هذى مكيدة موت. وسمعتُ غناء الثمالب من حوله تتركمُ في السرُّ : ١ موتُّ . ١ ١١ . . قلتُ : قامض إذن . . إمض معتصماً باناجيل ميثاقك ـ الموت يا يَا ابرُ موتْ . .. وتوسّلتُ ؛ حَفْ يا أميري ... قالَ لي (قالَ لي عابدُ الموت فيه) : أنا لا أخاف لهذا أعيش طويلاً . . اعيش طويلاً طويلاً وأطول من سلطة الموت. قلتُ : . . وكيفَ ؟١ . . . فدلُّ على قلبه 1 (لم أصدق كالأم صديقي السيح ولكنني قلتُ : اصدّقتُ. . ١ . . خفْتُ على قلبه خَفْتُ بِخِدِعَةُ قَلْبُهِ: خفت منه عليه فلتُ : وصدَّتتُ، صدَّقتُ . . . ا ثم التَّمْتُ إلى قلب عيني لأشحل دمعة عيني وأبكى عليه . . .

فحزنتُ عليه، فغنّيتُ ا غنّيتُ للربيح: ولا كانَّ في الَّارضِ موتَّ يميتُ ولا كانَّ في الناسِ خوفٌ يخيفُ.. ولا كانَّ حزلٌ.......

وعدَّتُ أكلِّمةً من بعيد

قلتُ أُرمي بسهمي الأخير؛ لملَّ؟ : إذا قارو شهوة قلبي الهَلُوعِ، وخذني دليلاً . كَبُرتُ ضمكُ الوردِ في قمرِ الوردِ ... فازددتُ حزناً . فطمانني : ليسَ بعك ..

فطمانني : ليسّ بعادّ . يا أخا خُلمي، ليسٌ بعادٌ .

صحت : ارجوك خاتني فالربع: فالب صياحي في الربع: ذابت سيداء وخاتني 18 وأخاتني 18 وأطفائي الأمير وعلف الأمير وعلف الأمير وضعف الأمير وضعف الأمير وضوكة قلب الأمير وضائ الأمير . . . وصار بمياء فالمار الأمير . . . وصار بمياء فالمار الأمير . . . وصار بمياء فالمار الأمير . . . وصار بمياء فالمار الأمير الأمير . . . وصار بمياء فالمار الأمير الأمير وطال رجائي من غير رد .

وحدة النورُ من حوله قالَ : كبرُ واثقاً . . ثمّ أوماً لي هكذا... وابتعاد. (كان ذلك يومَ أحَدْ . .) صحتُ : يا صاحبي، يا رسولي، تمهَّلْ. فما كان يخرع من صوت صوتى صوت ا ... (جمة النورُ في صيحتي ١١٠٠) قلتُ : هذى وليمة موتّ. وسمعتُ غناءَ الثعالب من حولنا كان ذلك يوم أبحاث (يوم غرس الرعاة الكبير. .) غيرُ الله . . كان دربُ الأمير إلى عرس قانا طويلاً وصعباً: درب موت. وتناهت إلى زغارية موت! صحت : يا أهل قانا الكراع لا تغنُّوا ولا تفرحوا. هو ذا النيتُ آت إلى عرسه عارياً وجديداً ١٠٠ يا لعرس الحزينة قانا ! . . يا لهُ عُرْسُها 1 يا لهُ عرسُها! يا لهُ عرس موتُ!!.. وأتُثني الرياخ/ بشميم نواحُ وتزيَّنَ سقفُ السماوات - بيت الرسول - باقواس موت. وقضيّ الأمرُ . . ٥ . قلتُ فَغُنَّيتُ : يَا لَلْحَزِينَةَ قَانًا . . وصلتُها أتانُ السبع، ولكنْ... لم يصلها مسيحُ المسيخ! هو ذا تحرشها دامتر وأجاجينُ خمرتها البيضُ مكلومةً

ونسيم عرائشها زبد غامق يتنقطُ من شريانات ربِّ جريح!.. هو ذا . غرسها داممً؟ والذي كان يسعى إلى قطف خمرتها ورنين مصابيحها وهديل بنياتها اللؤلؤات سوف يرقد هادي العشية تحت اكاليل ورد ضريحًا أينَهُ الآنَ صوَتُ أبينا اللِّي في الأعالي يُؤِيِّنُ سَكَّتَهُ قلب أخينا المسيخ؟! . . أينة عهدُ ربُّ المسيحُ ١٠٠٠. 11 11 وقضيّ الأمرُ و-قلتُ لنفسي فأسندت رأسي على خُلْمي فوق سطر الكتاب الأخير... وغفوتُ : غفوتُ على دمعتي.. فجرت دمعتى ندأ دامياً فوق صدر أميري الذبيخ. فغفرتُ على دمعتي.. (ساعة، ساعتين، ثلاثاً...) وتُهِيّاً لي أنني قد غفوتُ زماناً طويلاً والنيّ-من شاة الخوف.

> فاصبحتُ مئيناً 1 ومتُ زماناً طويلاً.

أصبحتُ ميْتاً

وعلى غير ما كنتُ أحسبُ هبٌ على لحم قلبيّ نورٌ ومسّت كتاب أميري (الأمير الصغير) يدر. قصحوتٌ. صحوتُ: حديناً ومنتاً. كان موتى شديداً وصعباً. فمضيتُ أصارعة زمناً لأرى كيف تبدو لناظرها صورة الثيت في موته. غيرُ أنْ . . ما رأيتُ سوى ظلمة ـ ظلمة مُرّة .. تتراقصُ فوق جليد النهايات الألاءةُ كندئ أسود وخبيث ولستُ (لستُ ..) علام الخلود فابصرتني ميتأا قلتُ : ما أبعُضَ الموتُ 1 ما أبغض الد ؟ وتطلعتُ من قاعٍ موتي الحزينِ فابصرته واقفأ عند راسي يتبسم لي . . ويعاتبني: -خفتُ ١٩ . التَ معي . . . لا تخفُ يا ابنَ عطفيَ؛ ها قد مجوت (وأشار إلى قلبه.. ثم مرز راحته فوق موضع قلبي) وتحسَّسْتُ قلبي فصدُقتُ:

> يا لة من مسيح لطيف عطوف

ها أنذا قد نجوتٌ ونجا هو أيضاً . . .

ٔ ضعیف ِ وينجو ا حيثما كان ينجو !! . . ثم أمسكني من ذراعي اليمين وقال: فهيّا إذنَّ يا صديقي... قلتُ : أينَ ؟ . . إلى أينَ !! . . قالَ : إلى عرسنا يا حبيبي عرس خالتنا الأرض.. عرس أبينا الزمانُأينة عرسنا؟ أينَ قريةُ خالتنا؟.. أين بيتُ أبينا الزمان؟ قال لي : في الـ و هناكَ ٩ ـ ودلُّ بعيداً ـ . . وأصحابُ عرسي هناكُ، وأهلي هناكُ ولى في الهناك بسريرٌ وقلبٌ وبيتٌ... ائرى ؟ . . / فرأيتْ . . . وعلى غير ما جاء في سفر لوقا الرسول مضى صاحبى . . فمضيتُ ثم أردفني خلَّفة، فوق ظهر الاتانُ فمضت تتراقص من تحتنا أختنا الفرسُ الوردةُ، المرثم الحلوق المجدلية، بنتُ الزمان، الأتالُّ الخجولُ البتولُ. . البتولُ ثم وشوشني بحياء العذاري: لا تقلُّ في الطريق لمن قد يرانا معاً

```
اننا تابعٌ ورسولُ
                                   قلُ : رفيقا طريق..
                                  ويجمعُنا . . ضعفُنا .
                                       . . . . . . . . . . . .
               هكذا ابتدأت رحلة الصاحبين الضعيفين
                            هذا يقولُ: أيا صاحبي...
                        ويردُ الذي خلفهُ يا حبيبي....
                                       ومضينا معاً..
                       صاعدين دروب الجبال إلى عرسنا
                          خلف احراش قانا الجليلُ....
                    ضاحكين، سعية بن، مستبشرين. ١.
                    وراح يهبُّ على جبهتينا . . فينعشنا
                            تَفُسُّ الربُّ : عطرُ السهولُ.
                                       طالت الدرث إ
                         طالتُ، وطالتُ، وطالتُ....
      وأحلامنا تتراقص نعسانة فوق سطر الكتاب الاخير.
                                     صاحبي ساكتٌ:
                    يتناوم تحت قناديل اعراسه . ويميل.
                              وإنا ساكت ... وأميل ...
                                          ساكتّ ال.
                   : لم يعد بين اوراق ذاكرتي ما اقول /
                 من كلام أسلّى به صاحبي وأميري . . . ؟
                                   ثم . . ثم . . هنالك :
         خلف الشجيرات، خلف المنازل، خلف الصخور
الكبيرة، خلفَ الجبال الرقيقة، خُلفَ ضفاف المنامّات....
                               بانت جبالُ الزمان المنيعة
                                  زرقاءَ . . زرقاءَ . . . .
                       تلمعُ مثل زجاج السماء الصقيلُ
                                    صحتُ : بانتُ !..
                     وأوشكت أسمع فوق زجاج الزمان
                                    رنينَ نعال حبيباتنا
```

ابو عفش: عرس خالتنا

دمشق ۱۹ - ۲۰۰۱ / ۱۵ / ۲۰۰۱



قصائد

عبد الكريم كاصد

أمامهم ليل وخلف ظهورهم ليل وهم لا يبصرون كالهم تعنب اينتظرون؟ ماذاع والطريق أمامهم طرق وليس وراءهم أثر مكانهم الزمان مشوا إليه وغادروه ولم يقيموا فيه لم ياتوه يوماً مل أتوه؟ وهل اتى حينٌ عليهم لم يكونوا فيه؟ ما كانوا وقد لا يبصرون مكانهم يومأ

وعادوا لا يرون الشمس إلا في الافول

١- السائرونمرموا

عبد الكريم كاصد، شاعر عراقي مقيم في لندن

سيطوون الزمان إليه لن يصلوا ولن يصلوا ولن يصلوا ولن يصلوا

۲- الحسناء والوحش

و امواك a قال الوحش للحسناء قالت: وكا اواك a وكاد يبكي غير ال الريح هبّت تحصل الاصداء يا حسناء يا حسناء يا حسناء فات الوقت يا حسناء

٣- ظلال

شجرٌ رعاني كنتُ تحت ظلاله ابكي ولكني ضحكتُ ضحكتُ حين علمتُ ان ظلاله كانتُ – وقد افلتْ – ظلالُ الزيزفون

\$- إبحار

عبرت بيّ الدنيا بحوراً لم اعد منها

فقلتُ لصاحبي في رحلة الإبحار: «اين تراك تحملني؟ » فصاح وكاد يسقط وسط قصف الرعد والأمطار: «إيه لستُ اسمع ما تقول! »

٥- حلم

و ظمآن ۽ قال النجم قال الطفل: وفلتشرب ۽ ومدّ له يداً فاريج حول النجم ليلٌ عاد اخضر غير انّ الطفل نامٌ

٦- صفصافة

صفصافةً
يا مسافة صفصافتي
يا مسافة صفصافتي
تبكين أم آبكي؟
ودممك ذاك؟
والليل مرّ
والليل مرّ
واند من النهار
واند من النهار
واند تنتظرين؟
يا صفصافتي الخضراء
ماذا أنت تنتظرين؟
مرضحةً
موضحةً

(تنويم على أغنية الصفصافة لشكسبير في «عطيل»)

يمريك الهواء؟

٧- تينة البيت

تبنة البيت يعيرها طائر نام في حضنها أمس كم المُملتة المدوبة في تينة البيت كم طار يحملها خلسةٌ في الهواء وكم صدح الطير كم حط في هضبات الغصون وكم دار . . کم دار لكنّه الآن يمرق كالسهم يرمقها خاثفاً وهى ترمقة - تينة البيت -خاثفة أيَّ فرَّاعة تنهض الآن تنشر بيض ذوائبها وتحاتق خلف السياح؟

۸– قبر

في الشام لي قبار وأعشب قلتُ: هل في الشام لي قبار وقلتُ لعلَّ بيتي اضضرُ والجار الذي أيصرُكُ جاري وذلك البيت من حجر ولكن كيف أعشب؟ كيف؟ في البلد الذي وقعتُ في البلد الذي أودعتُّ في البلد الذي ما كان لي يوماً به قبرٌ ولا جارٌ ولا ما يُسعد الغرباء يا قبري سلام الله – يا قبري العزيز – عليك ما بقيت قبور فيّ ديار الشام ما بقيت قبور فيّ ديار الشام

٩- طلل

من بین رسومی الآلف تُمة طَلَلٌ غامض یوقفنی حین اُمرّ ولا یترکنی حتّے اُعدۃ اُن اقف لاہکی

> طللٌ غامض يتطلع في الليل إلى النجم وكالنجم يلمع في الشمس لكته يعتم، يعتم، يعتم، حدن يراني

١٠- صحبة

إلى الشاعر فؤاز عيد

حين صحبتك مسروراً كالطفل إلى وجويره..

لتريني كيف يكون هواء القرية أخضر والصحبة خضراء ما كنتُ لاعرف آئي ساعود إليك وقد أجهدني السير وبمبر ظلاً يسود ومقبرةً بيضاء وجوبر – تلك الخضراء المنسية –

۱ ۱ – اعتراف
في الثلاثين كابرتُ

– ولم يحن الوقتُ بعد. ٤
وفي الا ربمين تعزيتُ

– وثمة متسع ٤
وفيما أتى من سنين مضتُ
الم أقلُ غير آئي ابتعدتُ
ولم المؤيعد على السير
مل أقول لطأي: وفلنفترق ٤
ام ساجلس مستأنساً بالنهاية
الم التي ساعود لابدا ثانيةً

رواية

فراسخ الخلود غربـاً إلم وادب قره صو

سليم بركات

الفرسخ الأول (تُرجمان الحيثلة)

هوا عن نفس الليل مس شعلة السراح فوق المسطبة الحجرية، فتماوج ظل القلم ذي النصل النحاس فوق السطور السود، الممتدة من فراغ الشهوات البيضاء إلى فراغ الشهوات البيضاء. تعلقت المعاني عناقيد ناضجة بسهم الظل قبل أن يرفع دلشكاد شاهئور يده عن الورقة المختمرة بخيال صناعتها المعاني عناقيد ناضجة بسهم الظل قبل الناساع، ثم إلى الباب الطعقم بخمس مرايا دائرية صغيرة من الداخل، ثم إلى النافذة الموصدة بعلوم أسرارها خلف ستارة القماش الكيطلادي الأصفر من نستج عداوات جزائر إيجاد الأمنفر من نستج عداوات جزائر إيجاد الامنافذة الموصدة بعدورات المراح، أنها الشعلة، إذاً، تدور على أقفال الليل يمناتيح الضرورات المحتبسة في دورة الثور سالدورة الموعدة باهرامات من الحقائق التي تتاقف، أبداً، على مسمع الله، من كونها حقائق حتى الندم.

خاطب دلشاد الشعلة بلسان الطبائع الصامنة. وعنها بزيت من كُلية السَّمور يبتهج بنَّفحه

ثلاثة فصول قصيرة من رواية في ثمانية، بالعنوان ذاته.

سليم بركات، شاعر وروائي سوري مقيم في ستوكهولم.

المرورون، فهدات اللَجالجة في كلام النار المهذبة كنصل ذهب. عاد دلشاد إلى سطوره المنتفخة من كُرّم الحبر، عاين التوافق بين مراتب الشكل والغواية في ما يلي الشكلَ الحافظُ لجلال العمور. قلّب الماني وطابقها انفاساً، وحدوداً، ونواقص، كي يُصلُح بين المتنافرات وبؤانس بين المُتحاذر: كان يدقق، بالتناوب، في السطور التي يكتبها وفي سطور الكتاب المفتوح امامه، كانه يستنسخ الحركة الإبدية لافلاك المتشابه المتنافر.

قرأ لنفسه، بصوت عالى، سطوراً بالسريانية في الكتاب المفتوح، ثم قرأ لنفسه، بصوت خفيض، سطوراً دوّنها على ورق عجين الذَّرة بالكردية. تنفس ملء رئيه المتصلين برئتي النشآت للكتملة في رماد الجوهر الدفين، والتفت إلى المرآة المستندة برأسها إلى كتفه اليسرى، من خلفه، كامًا تنصت إلى الارق القديم في عضلة اللحج الشاهدة، منذ التدبير الأول لتاهة العلوم، على أن الأعضاء اليسرى، في الإنسان، والحدود اليسرى، في الكون القائم وجوداً اجساماً ومعاني، هي اقل شرفاً من اليمنى: و الماذا ففي ألله هذه الجهة على هذه، يا دلشاد؟ و قالت أكيسنا وقد نقرت بإصبع بدها على جهتي ظهره. ففي المتدار دلشاد إليها في جلسته فوق البلاس النسوج من شعر أراوي جبل الكرد، المولمة اللحوم من هبوب هواء بحر اسكند رونة الكسول، نظر في عينيها الطافيتين على غمر قلبه، وقبلها من فمها المسارة بين المواقع من المنافهما المتمرغين المسارد قبلة المتن للإثم الطاهر، فاستعاد فمها ماصوابه، تقلّبت الحقائل مبتلة تحت لسانههما المتمرغين أحدهما في لوعة الآخر. نفصلا في الحيّز الملتحم — حيّز عناقيهما، و بقي القليل من هذا الكتاب. منتنهي الترجمة ع، قال دلشاد، فارتعدت عضلة الوقت في ثدى أكيسا الإيسر، اطبقت راحة يدها على عضده منذعرة من فجاءة المتصريح الصلب كغدر. ولم تخبرني من قبل ع، قالت بلسان الحيلة المعلنة المعلدة عنده منذعرة من فجاءة المتصريح الصلب كغدر. ولم تخبرني من قبل ع، قالت بلسان الحيلة المعلدة المعلدة على عضده منذعرة عن فجاءة المتصريح الصلب كغدر. ولم تخبرني من قبل ع، قالت بلسان الحيلة المعلدة على عضده منذعرة عن فجاءة المتصريح الصلب كغدر. ولم تخبرني من قبل ع، قالت بالسان المعلة

و أخبرتك مرتين ، قال دلشاد المعلَّق من خياله إلى خيالها.

«نسبتُ»، ردت موبخة، بانكسار المحاصَر، نقسَها المنشغلة عن أحوال الوقت. تداركَتِ الفراغ الماقل، المنصت إلى انعتاق هواجسها من قيد النسيان: «ماذا نفعل إذا أنهيت الترجمة؟».

تراخى دلشاد. تراخى عصب الحيلة فيه: لماذا غفل عن إيقاظ نفسه، ذاتها، على صلبل الوقت الذي بدأ يتقاصر من مهلة الترجمة ؟ سنة وثمانية شهور. السطور السريانية في مخطوط والمختصر في حساب المجهول ه المنتصر بحبر من سُخام شجر الخوخ ودم ضفدع الرمل المسموم بلدغ العقرب، تتراجع أمام تسخها بالسطور الكردية: المعاني تتصافح وتنعانق. والرغيف، الذي عجنه دلشاد بيه الماهية الصغرى للضرورات، ينضج على نار اللغتين المرقدة من حطب المسكون الاليف: لقد سلم الزمن جراب نقوده من شرفة السريانية إلى العثاء في خيال الترجمة ؟ ه الاليف: لقد سلم لوعتي – اكيسا. ستنتهي الترجمة . ماذا نقعل إذا أنهيت الترجمة ؟ ه قال مُتُمتراً من رئتي وجدانه. في بلدة كوماجينا المنتصبة على هضبة من رمل ما بعد الطوفان الثالث – طوفان الحسف الذي أصاب وادي مُرَة صُو، شرق الفرات الأعلى، نحر دلشاد شاهنور ثلاثة ديكة نقية الحصى، لم تسافد دجاجاً بعد، على باب مكتبتها المشهود لها، في ميزان المتخاطبين بلسان البرزخ، انها عقل بستة دراف عين هي مخطوطاتها المنظورة، وتقابلها ستة آلاف عين آخرى هي نظائرها الحرة من العلوم من العلوم عين على مخطوطاتها المنظورة، وتقابلها ستة آلاف عين آخرى هي نظائرها الحرة من العلوم العلم على مخطوطاتها المنظورة، وتقابلها ستة آلاف عين آخرى هي نظائرها الحرة من العلوم من العرف عن مخطوطاتها المنظورة، وتقابلها ستة آلاف عين آخرى هي نظائرها الحرة من العلوم المعربة على المؤمن الثالث عين مخطوطاتها المنظورة، وتقابلها ستة آلاف عين آخرى هي نظائرها الحرة من العلوم المعادية المنظورة، وتقابلها ستة آلاف عين اخرى هي نظائرها الحرة من العلوم المعربة المنظورة، وتقابلها ستة آلاف عين اخرى هي نظائرها الحرة من العرب المعربة المنابعة المنظورة المنابعة المنظورة المها في منوان المتواطولة المنابعة المنابعة المنابعة المنابعة المنابعة المنابعة المنظورة المنابعة ا

المستورة. وقد خُلعَ بابها الخشب المزين بتعاريق الحديد وفق الخيال البيزنطي، ونُصب عليها باب الخر من الإرث السابح على نداء الكمال – نداء العصمة الإسلامية، منذ تحلى سينودس خلقيدونية عنها لعجزه عن تدبير القائمين على شؤون النداء الإرثوذوكسي. بقايا سينودس خلقيدونية؛ ممثلون عنه؛ بعض المنتظرين نهاية التكليف كي يعودوا من أرض قسطنطينوبل المفقودة إلى ما وراء سور البحر، هم الذين رهنوا المكتبة إلى سراي بلدة كوماجينا. نقلوا مخطوطات اللاهوت الستة آلاف إلى دير ساموتراكي، على مداخل بحر مرمرة، وأبقوا المخطوطات الأخرى، المشرفة من حبرها على علوم المجاهل الأرضية، وغرائب العقل الثائه في أمور التاريخ ومصادفات العلل. نامت المكتبةُ على رمل حقائقها المدوَّنة بالأخبار الجسورة، والملولة، والنبيهة، والساهمة، واللُّغزة، والأليفة، والغريبة، ستُّ سنين. تعاقبت ثلاثة أجيال من سحالي الصخور الرملية على خيال صمتها، وهي تدوِّن، بالسنتها الدبقة الطويلة، إحاديثَ الوقت المتأفَّف من شفاء الإرث الزمنيُّ، على أغلفة مخطوطاتها الخشنة، المصنوعة من رُقع جلَّد، حتى اليوم الذي انقلبت فيه مجازاتُ الصمت إلى غزوات للصوت من مكنسة العرقج الموصولة بقضيب طويل من الحيزران: « أيُّ عقل أنتنَّ، يا براهين الغبار؟ ٥، قال جرُّجُو للسحالي، وهو يمشط سطورهن على الجدران فيتساقطن على الكتب، وعلى الأرض ممزَّقات في جلودهن الرقيقة. جرجو نيقو قاديشا - الشيخ الاعجف، حملتُهُ رحلةُ النقائض في أرض الاناضول إلى كوماجينا. سريانيُّ نصبتهُ مجامع الكنائس الصغيرة، في قرى إقليم إنطاكية، كَشافاً باسم الدورة الألفية للأسرار المنظومة في أشكال الحروف البيزنطية، يتحرى التورياتِ الحيّلُ، ويفكُّ الكيفيات الموَّهة.في صناعة أخبار الكميات عند رهبان نهر كوروتاس، المولعين باستنباط الألغاز من علوم «روح القدس». حمل ورقة عليها ثلاثة عشر ختماً إلى الباشا الشارد العينين في السراي، فلم يقرأها الباشا. وضعها على منضدته وساءله: (ما تريد؟ ٥) فقال: (المكتبة، يا سعيد الشان. أنا سرياني لا تفوتني الاعيب الإغريق، هشُّ له الرجل ذو الإصبعين السبابة والوسطى المصفرَّتين من لفافات التبغ: ١ المُكتبة في إدارتك. حبذا لو أضفت إلى مخطوطاتها سيرة السيدة غولبّدتن بَيغُم، ابنة الإمبراطور بابر. لها سطور عن أجدادي،، قال، فهزُّ جرجو رأسه منتشياً من غمامة الفوز: ﴿ سأضيفِ إلى المكتبة سيرة أبيها ايضاً، لو شئتَ، وسيرة أختها وأخيها، فابتسم الباشا ثانيةً. اوما إليه أن يجلس على كرسي فجلس الشيخ الأعجف، المعتمر طربوشاً يحفظ للعقل فراغة الدافئ. ﴿ إِلَهَام صوناي، أختى، عندها أشعار في أصناف الفراشات. لو تستنسخ منها أربع نسر للمكتبة باسم لاملين هانم. نعم. لاملين هانم أفضل من إلهام صوناي ٥.

نحر دلشاد شاهنور ثلاثة ديكة على باب المكتبة. وضع قدمه اليسرى على جناجي كل ديك وحوًّ بمديته قصبات الهواء المذعور . نطقت قلوتُها باسرار المتميِّن الصريح المشكل، وتلاسن الريشُ بكلمات الافعال اللازمنية : وهذه هبة خيالي لك يا سيد قاديشا. أنا حيوان اعجم من صنف الطير الذي لا يطير، فاجْتَلْني ناطقاً ه، قال الرجل الذي يرتدي قفطاناً أصفر فوق بنطال اسود، ويعتمر غطاءً اسود إيضاً، من نسّع إقليم ميرسين، يحيط به طوق مجدول من الحرير خالطتهُ شرائط ذهبية، فرد جرجو: وقبلتُ هبتك، يا ابن الاصل الناطق»، قالها بكردية اهل الجبل. ثلاثة ديكة، بارواح ترقرف في الارجاء اللامسكونة من خيال الوجود المسكون، كانت صلة لسانه الكردي باللسان السرياني، تحت رقابة جرجو نيقو قاديشا المتساهلة. حملها دلشاد معه، حيّة في قفي من غصون الكينا - شجرة البراعات الناقصة، وقد طُليت قضبانها بالاصفر والاخضر لوئي الرقية المؤية لجيه داهية العين. كلّمها، بلسان خياله الذي يتذوق طلّع نبات العرفج، عن سُن العلوم التي تتفتق كبزر اليقطين بين اسنان الترجمة: «المعاني شطرغ، وزَّع التدبير المُحير كلّ حجر من حجارتها على لغة ٤. سشى كل ديك باسم سهل من سهول كركميش بين الفرات الغربي وجبل الكرد: «فلتكن أرواحكن الناجية من أي مؤاخذة في السماء ميزان روحي في تقدير الهبات بلا خوف. أتا ذاهب إلى السيد قاديشا كي أستنسخ الزالم الففص عن ظهر بغله. نادى الشيخ الاعجف بلقب الكياسة والفضل من رواء خشب الباب ذي الوشم النافر بالحرف العربي في صورة والقلم ٤، فخرج إليه جرجو حاسر الرأس، تُحِرَتِ الديكة تحت بصريهما المتوافقين في رشم المنابه، وطد الكله تكلية المتوافقين في رشم

«ماذا الهمك، يا دلشاد، ان تقصدني لتتعلم السريانية؟ ع. ساءله الشيخ الأعجف، المُتتَحرُّ بعلوم المروف والأنساق، فردَّ الرجل المُقبل على تحصين خياله الناطق باللغات: «المعذرة، يا سيد قاديشا، لو ساءلتك لماذا تعلمت الركية، والكردية، والعربية، والفراسية، واليونانية؟ ع. حسر الشيخُ عن رأسه الطهوش الذي لم يتوارثه عن الأسلاف، أبقى يده على النّسج الشّمي الأحمر: «احببت تقبيل الدنيا باكثر من فم ». تنقس دلشاد التورية بحياء المُخجب، فتداركه الشيخُ ممازحاً: «تصور لو أن لك خمسة، أو ستة من هذه »، واشار إلى مُلتقى فخذيه، فاضطرب دلشاد خجلاً. ضحك جرجو، وألقى عليه ثلاثة أبيات من الشعر السريائي اختص ً فيها القاف الكتنز كخنوص راكض، «لن أترجمها لك، وقال «لا أريد لكمرتك أن تنخسف إلى باطن صَغبك».

ثلاثة آلاف بيت من الشعر المكنون في رطانة السحر أنقيت على مسمع دلشاد، في إقامته سنة قمت سحاب الأزل السرياني، يتلقى من جرجو إنباء حروب الماني، وحصار التوريات للتوريات، وإحابيل الحروف، وتواريخ الخطط الجازية لتوليد الأشكال النطوقة من خيال السكون للنطوق، وتواشق وإحابيل المخروف، وهوائم المفردات أو غدر بعضها ببعض. حمل جرجو قلب دلشاد إلى عاصفة الإعراب باقدار المعقل، وهزائم المفردات أو غدر بعضها ببعض. حمل جرجو قلب دلشاد إلى عاصفة نهاية: وولدت في كتاب عن تاريخ الماء. لا اتذكر نفسي إلا ماءً. ليس لي لحم أو عظم بعد. علي نهاية: وولدت في كتاب عن تاريخ الماء. لا اتذكر نفسي إلا ماءً. ليس لي لحم أو عظم بعد. علي بغيتي الخفيقة في كتلة الظل الرطب. سترافقني يا دلشاد في عودتي بك إلى خوفي الأول من أن انخل متاهة الحروف فلا أرجع قطاء، ابتسم: ومن يدري؟ لعلني لم أرجع قطاء، قال متردداً في النظر الرخزة بقينه.

الربح الرسولة دحرجت على لسان دلشاد بزرة المجهول الشبيهة بحّب الكزيرة. سال لعابه من طهو النطق التركي فتردد على التكية النقشبندية في بلدة نزيب، حتى حشد لنفسه، وهو يافع، سلالَ البذور النقية في خيال الكلمات. حفظ اربعة آلاف بيت وبيتين من أشعار المتنويين، الهاشمين بسُبُّحات الغروب الاعظم في الخلجان الجافة من يحر الاناضول المفقود. طلب قلبة الاستزادة فاوفده أبوه سينو شاهنور إلى اخواله من آل هشت الدين في حلب. جمع هناك اللغة العربية من كتاتيب الوراقين. عاد إلى اخواله من آل هشت الدين في حلب. جمع هناك اللغة العربية من كتاتيب الوراقين. عاد الهي بلدته سياسيل المرفوعة على جُرفٍ من بقايا الطوفان الشالث، ليونّق العقد الذي نظمه بأشعار الهواء في حنجرة الفرات الاعلى. قسم خياله، بالتساوي، على لغته الكردية، واللغة التركية، واللغة العربية، حتى غدا، وهو في مطلع شبابه بَعْك، إمام المتمسين شفاعة تحرير العرائض إلى الوّلاة، وتسطير المرائض إلى الوّلاة، وتسطير المرائض إلى الوّلاة، وتسطير المناقب وتجريد المطالع الاكثر مبالغة للرسائل المحمولة في سروج السحاة إلى محطات القطار بين أورفه وأنطاكية.

ظلَّ قائرً لسانه واضح التدبير، يهيئ له في دُور السرايا، من ارض اسكندرونة واضدة، تكليفاً مدوع الاجر بالليرة العثمانية، عن تدوينه لنقل الملكيات، وتصريف شؤون المواريث في الاضابير المطرّقة بخيوط القنب، حتى اليوم الذي اتاه رسول من الأمير مهران إيفارّورًا، سليل تاريخ يهتدي معصوب المينين إلى تزويد الانساب بكمالها. جمع دلشاد قلبَهُ النّارُ وعدّةٌ من حوائجه في صرّتين على ظهر بخل، ثم تتجّ الرسول إلى بلدة كلاس، بين كركميش على الفرات وجبل الكرد. رمى حجرً القراءات التسع من خياله على زرابية الخيب المزوّقة يستُطُ غاية الأمير من الإيفاد في طلبه. قلّب طريف الحقول ورقة ورقة على ضفاف الجداول الثمانية والثمانين في مسالك السفوح الجنوبية لهضاب الشرق المعشبة: «ما الذي قادك إليّ، يا سيد إيشاردر؟». ذلك ما كان مكتوباً على لوح الحظوظ المرق المعرّبة على خياله الاميري، بدت المسالة صغيرة كسفاد العصفور: «لقتّ عقلى خبرك في شؤون اللغات».

سمع دلشاذ الكلمات عاديةً، مقرونة بالحاصل الذي جمعة بدابه في اقتياد الخيال المتعدَّد للكلمة الواحدة إلى مآدب الالسن. لكن مهران فاجاه قليلاً بسؤال لم يتحوَّط له : « لماذا لا تتعلَّم السريانية ، يا دلشاد؟ ». ترقرق الصوتُ كثيفاً إلى سمعه . « السريانية؟ »، ردّ دلشاد بحروف تتمطَّى ، « ماذا افعل باللغة السريانية ، يا سيد إيڤاردر؟ » .

وفي كوماجينا مَنْ يعلَّمك السريانية . آمِرُ مكتبتها جرجو a ، قال مهران .

و ولماذا اتعلم السريانية؟ ١، عاد دلشاد إلى سؤاله بصوت شرَّده تدبيرُ جواب مًا.

عندي لك ما تختبر به يقينَ لسانك ع، قال مهران.

واتعنى أن أترجم عن السريانية؟ ،، ساءله دلشاد.

وتعمه، ردَّ مهران.

أرخى دلشاد عنقه على وسادة الهواء الخفية . تلمُّس ببصره إشارة العقل المتعرِّق من أحمال المخاطبات الصغيرة بينه وبين مهران :

ملاذا لا تعهد بالترجمة إلى ذلك السيد ـ آمِرِ مكتبة كوماجينا ؟

و أربد كردياً يعيد المعاني تاثهةً مثله ع، قال مهران. عاين دلشاد غمامة المرح في عيني الرجل المحتفظ في خزانة تسبّه بلقب حرى إلى وريده من سلالة ناصر الدين محمد بن شهاب الدين، الأيوبي، الذي بسط التاريخ الثناة الازرق عليه في مَيّا فارقين ـ قاعدة بلاد ديارْ بَكِرْ. تنفّست القروثُ سليم بركات: فراسخ الحلود غرباً إلى وادي قره صو على وجه دلشاد فاستنشق دلشاد الحمائز المُبْتَكَرَة بنقائض المعقول:

ــ الترجمة مطابقةٌ بين الماني. أثرٌ على مقاس الاثر، يا سيد إيڤاردر. وأنا لست تائهاً، في الارجح. قد آخذُلك.

ولن تحذلني 1، قال مهران . و كل كردي موعود، في قسدمة من حياته، بجهة تائهة ع. ولمس كتفّ حامل اللغات . و انظر حولك 1، أضاف، فنظر دلشاد من حوله مُخْتَطَفاً من صحوته الشفيفة إلى اللغز الشفيف في توريات مهران .

دماذا ترى؟ ٥، ساءله الشيخ الخارج من خزانة لقبه الأزرق، فرد دلشاد:

- ارى بيتك الكريم.

وأنت ترى ما لا أراه، يا دلشاد،، قال مهران.

قيد دلشاد ميزان الاحكام الذهبي بقيد شروده في لسان الشيخ، المتاذب على فطنة التاريخ ذي الخزائن المقتلة. تأزجح خياله خفيفاً في نعاس التقدير: ومن أين تريدني أن آبداً، يا سيد إيفاردر؟ ٥٠ قال، فرة حامل القب الازرق: ونبداً، أنا وانت، من السريانية. تعال. اجلس إلى جواري هنا، على الريكة السيدة شَهْنَاز أرطفرل شاه . كُرديَّة توضات بدم حمام الزَّاجل كي يرجع بعلها التركماني إليها مهما كثرت أسلابه من نساء التنار، لكنه هجرها، فسلخته بعد خنقه، وكست عيني الفهد المنجور على خشب عارضة هذه الاريكة بجلد صَمَنه ٤٠ أمسك بسبابة دلشاد وتقرَّى بها بؤبؤي الحيوان النافرين. سحب دلشاد يده، في حياء ونفور معاً: تسرب إلى إصبعه ليونة وخزت خباله.

في ميناء اسكندرونة تفتقت بررة النداء السرياني في القطاع الثامن من عقل مهران. سقطت البررة عليه من ارقام الحساب المتطايرة من دفاتر جباة المكوس. كان حامل اللقب الازرق يستخلص عربة من التي من ارقام الحساب المتطايرة من دفاتر جباة المكوس. كان حامل اللقب الازرق يستخلص عربة من التي بمؤمل الجياد، صُنعت في سردينيا من ائتلاف النحاس المحتل من رفاهية الفلز الخالص، وخشب القيقب المعدل النار المحتل النار من خاصلها التي تطوى من مفاصلها القيقب المعدل النار فهب تعكس السماء مدؤرة في شرودها. وعوفيتم ع، قال للممال المسعة، الذين حملوها إلى ظهر محقة كي لا تمس عجلتاها الارض، في طريقهم من زحام الميناء إلى قطار الناساء والمعلق المنارة الحشينة عليه من قلك إرثه. دفع لجباة المكوس ورقاً عريضاً نقلتة صناعة النقرش والرسوم من مرتبة النسارة الحشينية إلى مقام المعدن النفيس. عنه الحباة الورق النقد بالحاصل الذي يحوّل اللون بين رسم المراق في اقفاص الاقاليم. بلغ الصدى السرياني الالسنة الجباة، وهي تحصي الاعشار حشداً حشداً، مسمع مهران: ارقاع غزلالا تقافرت من العلم المستور إلى الغيب للكشوف. و المذا تعدون بالسريانية ؟ عنه ما للقب الازرق، فرة عريف الكشوف المكومة في فوضى ايامها، والسجلات المقيدة بسلامل من ذهول اللامرئية: والرقم وحشي، تقورة وحذر، لكنه يانس إلى مناداته باسماء العمورة قال بلسان تركية.

الرقم حبِّلة اللاتقييد في علوم المحسوس؛ وواسطته إلى عِلْمه بذاته هي لفظُ الإطلاق بلا عمق، أو

بُعد، فكيف قيده عريف ألكوس السرياني بقيد الهيئة، واللون، والحركة، التي هي منزلة الصرّر في خيال العين وخيال العقل ؟ الرقم حلاً وحيّرًا ، وضيّط، ومراوغة فكر لاستدراج الكلي إلى متعيّن اسماء هي كناية غيابه: تجريد الرقم بلا أمل في شكل، أو لون، أو أثر من آثار الماهية، كأنه غيبوية لُحكنًى بها مثلكات اليقظة، فيستمير منها الإنسيون حقائق الكمّ الموقوفة على أشياء العالم وأشياء المعلّل. فكيف خرجت اللغة السريانية على ناموس البزرة التي أنجبت خيالاً على هيئة اللاخيال؛ البورة المتي أخجت من غذاء الأبعاد الثمانية - ابعاد الجسم ولوازمه الحرّة الناطقة، والصامتة ؟ للرقم أسماء الصور. هذا ما فهمه جامل اللقب الازرق من عريف المكوس على باب البحر الأسعث من كثرة لهوه بالإخيال؛ المسكونة. السريانية! ها؟. لغة التحقيق في علوم المهشل - يقول المُتزِّمون خواصً المساء المسكنة وذلك من طرب له القطاع الثامن من عقل مهران، فرقص خياله من أول مساء المبحر بإسكندرونة، حتى فجر الحدائق المحرصة بالبوخانفيل في كلاس.

كانت اللغة السريانية تحت يدي مهران، قبل النداء الذي تفتقت بزرته في ميناء اسكندرونة ميناء الخالد وأنة ميناء الخليج المتكرة على أحاديث القيّافين في متاهات البرزخ الإغريقي: حَوَت مكتبة أبيه، التي ورثها مع الحتد شَبُول فاخذت نصفها إلى عفرين، ما يخرج عن تدبير اللسان في الفهم، طبّ، ومنطق، ومنطق، ومنطق، ومنطق، وألهندية ، ماهولة ومهجورة، وكيمياء، وقلّك، وهندسة، باليونانية، والفارسية، والتركية، والعربية، والهندية ؛ وترجمات بالسريانية عن فلسفة أهل العقل المسحور عقل الوصف الكامل لآلات النقصان؛ وصحائف لها حجوم الأبواب تحوي خطوط مِلل الصين المتلوق بحجارة الشُهب، التي نفخ عليها الغيهب من جهات الكلب الاكبر في دخوله برج القوس؛ فتساقطت اشجاراً سوداء، وانصاف أسماك سوداء، وأعاش.

لم يتوسّط قلب مهران اخياله بين اللغات إلا ما أقصل منها بالوجدان المُعَنّب في سطور التاريخ، حيث يبني القدار ألمالك والدول، ويهدمها العمّلاح؛ ويقدر السّلب والقصّب أن يعيدا صناعة الاقدار وفق رضبة الرحمة. التفت بعضلة الاعتبار فيه إلى التركية، والعربية، وبعض الفارسية. لكن مكاشفات الرقم، على السنة جباة المكوس السرياني، ترجمة بالقلم الفحم: والمُحتصر في حساب عليه أبوه وازا إيفاردر بالكردية، تحت عنوانه السرياني، ترجمة بالقلم الفحم: والمُحتصر في حساب المجهول ، مع تعليق مُختَطف من خوارق اللسان الخدر، وتوريات الحوف من العبث بالحدود المسكوكة من معدن المخطور: وحين يبلغ بك العدة إلى الله يُحتَوّل الرقم الذي انت فيه من تلقائه، نصف الرقم المُخترّل هو هو الازل، وحين يبلغ بك العدة إلى الله يُحتَوّل الرقم الذي انت فيه من تلقائه، نصف الرقم المُخترّل هو الازل، وحين يبلغ بك العدة إلى الله يُحتَوّل الرقم الذي انت فيه من تلقائه، نصف الرقم المُخترّل هو والازل، وحين يبلغ بك العدة إلى الله يُحتَوّل الرقم الذي انت فيه من تلقائه، نصف الرقم المُخترّل هو الازل، وحين يبلغ بك العدة إلى الله يُحتَوّل الرقم الذي انت فيه من تلقائه، نصف الرقم المُخترّل هو الازل، وحين يبلغ بك العدة إلى الله يُحتَوّل الرقم الذي انت فيه من تلقائه، نصف الرقم الله يَلادة ي و

ونبدا من السريانية، يا دلشاده، قال المتكئ على خزانة لقبه الازرق، وسرد عليه، باختصار في تحديد الجهات والوقت، أنه أبلغ الباشا الشارد العينين في كوماجينا بقدوم دلشاد، عسى يشمله آمرُ مكتبتها بسخاء الصبر، وسعة الصدر، والسلوك بالحروف السريانية إلى الترويض والاستفناس باستدراجها من ناموس حقيقتها إلى الإقامة في حقيقة لسان آخر، منعكسة الهيئات في ماء المعنى الواحد، وخذ ثلاثة ديكة نقيَّة الحُصى، لم تحسّمها برهة سفاد بعث. السفاد يورث الكالن خيال الشكَّ ه. آخذ دلشاد الديكة، في قفص، وهي تتجادلَ، باهتزازِ من أعرافها، في شؤون السديم الذي ترجع إليه روح الحيوان. تُحرَّت الديكةُ على عتبة باب مكتبة كوماجينا. تلاقحت البرازخُ وتسافدتِ الحدوة المحجوبة بيلاغة الدم وفصًاحته.

ثلاثة آلاف بيت من الشعر ألفيت على مسمع دلشاد، تحت غمامة الإرش السرياني. ليس لدى
سنجرة تدوين النَّظْم المُستَعْلِيّ، أو المُبيِّن، ومنله من آناشيد الليل والنهار، ترجيحٌ للعدد المحصى من
سطور مرثاة وخراب انطاكية ٤. بعضهم قدارها بعشرات تسم، وآخرون بعشرات مائة غير منقوصة،
إلا جرجو نيقو قاديشا، الذي عدَّها ثلاثة آلاف بيت وبيت واحد اكلت الارْضةُ عجزه، فآثر إسقاطه
من للرثاة لغرابة ما تبقى من صَدَره: والبقاءُ الذي يمرَّقُ ذلك كله ٤، متحسبًا للأمر بعذرٍ قوييٌ: ويا
دلشاد، هذا البيتُ منحول، إسحاق الانطاكي لا يشير بلفظ واحد إلى الزوال. الاشياء تتقوَّض،
لكنها تبقى على صورة وجودها المظوظ في عقل عناصرها، الوجود المخطوظ هو ما يكون امتنان
الهيئة لابعادها المرثية المعقولة في نسّيّ مُرْضَر. الهندسة تفعل ذلك، الرياضيات تفعل ذلك، أعني
الرياضيات . نعم. تجريدها مرتيَّ. دخلُ من هذا، وتعال إلى اسحق الانطاكي، إنه لا يشير إلى الزوال،
فلماذا يُشحمُ البقاء في الشطر الاخير من مرفاته؟، ها؟».

تسرَّبت إلى مرثاة اسحق الانطاكي ابيات عن ظلال شجر النارجيل في كوماجينا ـ ظلال الشجر الباكي بدموع الفلسفة على افكار الثمر القلقة. لم يدبّر لها جرجو تبريراً - ربما مرّ اسحق بأرض كوماجينا، في لحاقه بخيال الاعمدة وهي تنهار تحت ثقل السِّحر الزمني: الاعمدة الذهبية؛ التماثيل المطوَّقة الأرداف باحزمة الوجود المرتخية؟ الأبهاء الناطقة بلسان الرخام؛ الآنية الجرارُ المنقولة باقلام الخزف عن عقل اللون. من معاقل السهول الملتوية حول نهر العاصي حتى قلعة أعزاز المحمومة من ريح السلجوقيين، نثر اسحق لوعته على بساتين التاريخ، كلُّ بستان بحسب ما حوى من مراتب انطاكية ـ فردوس النهب المتعاقب بين امم الغضب، حَمَلة بيارق الشموس، والنسور، والآساد، وانصاف الاقمار، والصلبان، والنجوم. قراءة في الوَّدَع كانت انطاكية؛ تجمعها ينُّ وتبعثرها ينُّ، فتجتمع لها حظوظ الحداثق مرَّةً، وحظوظ المدافن مرة. روم، وقُرْس، وعرب، وصليبيون، وعثمانيون، بتعاقب مُنْصِف للمجهول الحيّر، والمعلوم المبذّر، يضاف إليهما زلزالُ القرن السادس بعد معجزة الحبل السماوي _زلزالُ المشادة المدبَّرة، بإتقان، بين الله والوجود: ١ أيها المساء الذي تحمل على ظهرك، كالاتان، ريحَ القساد الذي امتلاً به جوف البَيْض. . كذا صَكُّ الانطاكيُّ معدنْ شفقته على طباع الصيرورات، في البيت المُشرف من سطور المرثاة على حقائق الليل والنهار، المدوّنة بانفجار العناصر الترابية غيظاً. عناصر تأويل الغيب المحسوس مثل قُساء الظربان. وقد ألحقَ جرجو بمطلع فقرة الزلزال من عمود المرثاة بيتاً آخر، باعتراف وحيد منه، ابتغاء 3 ترميم المعنى . كما يقول - بهيكل من المجاز الذي لا بله منه ليصير الشُّعر إشراقاً من عصيان الكلمات للكلمات، ومن طاعة الكمال للعبث: ﴿ أَيُهَا الْمُسَاءِ الْكُلْبِ، اللاهث، الذي يقود الإنسان الاعمى إلى هاوية النُّور ، جازماً أنه آراد (النُّور ، رمزاً لبراعات العمران، وترف الزخرف والنَّقش.

كانت شمس الربيع، الموشومة برُقي القلُّكِ الرابع ـ قلكِ الخصائص الازلية، منعكسةً، في الهزيع

الأول لمغيبها، على الجدول الصغير الذي لم يترسب من دم الديكة الثلاثة، حين غمس دلشاد ربشة قلمه المنقوبة في سائل الحياة، ودؤن تاريخ قدومه إلى كوماجينا على صفحة من دفتره المجلّد بلوحين وقيم من قشر البلوط للضغوط بعد نقمه في لين الخيل. جرجو، نقسه، فهر الصفحة برئسم إلهامه تاكيداً للرهان على سباق دلشاد مع المكان المطلق السراح كعلوم البدء. وقد كانت الشمس ذاتها مصم الربيع المختمرة في حقول الهندباء والناردين، هي المنعكسة، في الهزيع الأول من الصباح، على شمس الربيع المختمرة في عمل دلشاد ريشة قلمه فيها لمحمد الديك الرومي المذبور على عتبة باب مكتبة كوماجينا، حين غمس دلشاد ريشة قلمه فيها ليدور وحيله عن بساتين جرجو المستورة بحجاب من أشعار سلفه الحزين اسحق الانطاكي، بعد سنة وشهر واحد من الإقامة في برزخ الحروف السريانية: واستاذ قاديشا، ضع صورة إلهامك المفموسة في الدم على طرف منديلي هذا، الذي مسحت به أربعة آلاف مجلد. لن أغسل عنه الغبار الناطق 8، في الساحة المفتوحة، جنوباً، على مقابر الغبارا الناطق 8، تحت الشجرات كان الشيخ مراد حاج كوزلي متكتاً بظهره إلى جُرن حجري، معشر الهيكل، من عمامته حتى قدميه الحافيتين، بالهبوب الخامد لزهر الميموزا رزهر الولادة العسيرة لغمامة المون الأصغر من رحم شقيقتها البيضاء. وإنه ينازع 8، تمهم دلشاد. مقير جرجو طرف المنديل بإبهامه: ومنذ ولد وهو في آمره هذا. سينازع حتى في الجنة»، قال سليل الهدنة الأبدية للخيال السرياني.

تحتُّ شجرات الميموزا أنهي الشُّيخ مراد رحلة جسده الصائم، الذي انتقل به من شُجر الكينا إلى شجر التين، ومن شجر الكستناء إلى الأكاسيا. انجلي لعقله المهد بالزخارف الذهبية - زخارف التاويل السالك محموماً بين التيه والندم، أن التكُّفير، الذي قالت به أمٌّ من أحزاب الوعيد بلا نهاية، تكفير مبتور. فما طاول من الأحكام أطفالَ الزنادقة بتكليفهم شُبهاتِ الآباء، ينبغي التوسُّع فيه على المطابقة بين المادة العضوية والإرادة. فالأغذية تولُّد للجسم ما يصحُّ به توليدُ الفعل: ٥ التفاحة، على الشجرة، هي غير ما هي وقد انهضمت في أحشاء الزنديق، قال كوزلي. التفاحة إمَّا شرٌّ أو خير، لكننا لا نعرَف منزلتها على الغصن. لا بأس. ما يجري في التفاحة يجري في اللحم، والكرَّاث، والعدس الفهرست، الذي حوى اسماء النَّبت، والبزور، انتهى في فضل ختامه بالمنيِّ. أخذت الحيرة بلجام المُقايسات في إشراف كوزلي الشيخ من حقل التُّكفير العاطر على آلات الحَقُّ-آلات صَقْل المغاليق، وترميم الاقفال: «المنيُّ شُبُّهة»، قال. نَحْويُو الرموز، والمواثيق المؤكَّدة المفقودة، في انحاء من جبال أمانوس، لم يناهضوه ولم يُمالئوه . تركوا لأسباب اجتهاده أن تبقى معلِّقةً إلى باب الوحي من وجه، وإلى باب الكُسب والتحصيل من غرائب الأحكام، من وجه آخر. فاشتد بالشيخ كوزلي نزوعه إلى تفريع المُشْكِلِ من المُشْكل: «الماءُ شبهة. الماء غذاء الشرَّ في الزنديق»، قال. قُرئت عليه كرامات الماء في الأحكام، فأكد جوارً النَّسْخ من العلماء الاقطاب: ﴿ لا كرامة للماء بعد انكشاف المحذور من علَّة عنصره . انكشفَ الماء لي، وأنا قطبُّ ،، قال، ثم اسلم جسدَه للجفاف الطاهر، صائماً، ينقل طبائع الرطوبات، في الخلية، من حال ذهول إلى حال ذهول، حتى تبعثرت مقاديرها في رُسوُّ الغيبوبة به تحت شجرات الميموزا، حيث القي دلشاد ببصره وهو يستعيد منديله المذَّيلُ بتاريخ الظاهر من جرجو نيقو قاديشا. و المُختَصر في حساب المجهول ، هو الخطوط المُونِيَّسَخ ، الذي وضعه الأمير ذو اللقب الازرق ، ببن الحيال المُمتَحن بدورة المطابقات اللامتجانسة -خيال الترجمان في المنزل الثالث من عقل دلشاد .

كانت الغرفة ، المخصصة الإقامته ، بارتفاع خفيف عن السور الجنوبي من دار مهران ، تطل بشباكها للطؤق بحجر اصفى ، نافي على حقل شجيرات اللأذن . شجيرات الميناق الماتي المحاصد دائرياً بطريق مرصوف حتى سوق كلاس الكبير . والترجمة ماء ، قال مهران حين قاد ترجمانه من البوابة المشرفة على نهر نُوه آف عبر المم المسقوف برقائق القرميد . حزف المكنون المشوي فوق نار العلوم ، إلى الغرفة المنفصلة بتمامها عن هبكل الدار العالي . و نحن ندع هذا النهر تؤوة أف والاتراك يدعونه يلدزاً ، نغ -سرة في جسد الظاهر المؤجل سمنح معالى ما المنفون بي المؤبلة بني زازا إيفاردر ، والد مهران ، دارته طبقتين فوق نحد منحدر باتجاه الماء . حمل عين البوابة - المطقمة الخسب بأصداف تتبدل الوانها في المخبب ، المؤبلة من مرض التأبو في جزيرة ساموس المهجورة -على سطور النشيد ، المخفورة هنساء في لوح اجتلا من من ثراميل الزبد الرقبة أبتكرت حروف الظاهر الحفي معروضة بكمال على خيال زازا . وهمت المناء من توبيخها العلوم المقصرة عن تحويل الزئبي إلى تبرء فرد الاصمة برطانة فيها نبرً من صوح طبور المؤوق ، والا يمهراناة فيها نبرً من صوح طبور المؤوق ، والا يكفيك سور السماء ، يا نفيب البَرات ؟ ».

كانت الغرفة .. المنفصلة عن مجرّة الدار ذات المداخل الثلاثة، المنفرّعة عن الصحن الحجري الذي يلي البوابة . منذورة، في الأصل، لآلة زازا الخشبية، الضخصة: الواح واسطوانات، قبّان، مروحة، امشاط مستطيلة مثبتة في تجاويف افقياً، ملاقط، حوض تحت الألواح غير عميق، عتلة ذات مقبض ثدار باليد . آلة من قديم الإنشاء الصيني لورق الرسوم، حملتها الجمال القاجارية اجزاء إلى بُخارى، ثم حملتها بغال صحراء الملح إلى قزوع الأنهار إلى بحيرة والأ، ثم لهشت بها عربات حمير الاناضول البيضاء إلى نبع كلاس . نصبت الاجزاء هيكلاً كهيكل الوقت، وذهنت بريت زيتون رودس الاسود فالتمم بالمافية خيال الخشب الساهر، منذ بزرة نشأته الأولى، على تكليف حكيقته بصناعة الكافد .

تحصُّلت لزازا علومٌ صغيرة في مهنة انتقال العجين إلى ورق، بمخالطته الورَّاقين في أورفا. لكنه آثر ا اعتناق المجازفة بالخمائر في صيرورتها غذاءً لصناعة المخصوص، وابتكار السريً. وقد خذلته الخمائرُ حيناً، واعانته حيناً: إِمَّا يتفتت الورقُ من مقادير أخلاطه اللامتجانسة، أو يخرج نبيلاً بجوهر ليس إِلاً من خصائص الحسارات. كان زازا يخرج بمحصول من ورقة أو ورقتين في شهر، بمقاسات لا تتعدى اشباراً قليلة، يوقفها على أهل الخط، وسادة الرسوم من الكرد، فإذا عادت الأوراق إليه معتنقة خيالً المتادير الكبرى والصغرى للأشكال، متغتمةً من غزّل اللون، وهيّها لباشوات من آل زنكي في معرَّة النعمان، وآخرين في أعزاز.

لم تبق تُخالة شمير، او حنطة، او جاورُس، او دُرة، او لوبياء يابسة، إلا وُضها زازا على الملاسة بعد خذفها رقائق حسّنة بتدبير خمائر من أحماض الصمخ، يترسّب منها الجوهر كَيْفاً، والكيفُ جوهراً، في الموض الذي تتخذ فيه المجينة خصائصها النهائية كورقة ينشفها بمروحة قصب المقدران. طحن َ نقي نبات الاخيون، ورزنم النخل، ومزجهما بدقيق صناف الحلوون النهري - حلوون لسان المقائق الرطبة، ثم جفف الحلط في ساعة للغيب من سنة أيام في أيار العاقل، وأعاد عجته بعصارة خب الفرطم، فاستخلص الورق الاصفر الصالح لتدوين الجركم الهندية بالحبر البيئي حبر اللون الملجوم . نقع القطن، مستخرجاً من جوزه الاخضر قبل نضوجه، في نشارة شجر السرو، وأضاف إليه صمخ الغار مع حمض الحصرم، فاستخرج الورق الرمادي الذي يغري باستراق البصر، عبر اللونين الاحمر والاسود، إلى المتنم مُظللاً بحروف أهل الحبشة، التي شاعت في الوشم. ولما استنفذ زازا كيمياة النسب العضوية في معاجينه، نزح به خيال المحظور إلى تدوين أحكام في ما يتوجب تخطيطه على جلد الآدمي، بحسب جلد كل عضو فيه:

٥ جلد الطُّهر يصلح لنقش اشرعة المراكب. الطُّهرُ خليجُ الإنسان، وما بين تَرْقوتيُّه ريحٌ ١٠.

(جلد الصدر) مع حفظ الحلمتين فيه، يصلح لنقش النمور تتصيد الحمارَ الوحشيّ. العندُرُ بريّة الإنسان، وما بين القدين آثارُ عميان قنّاصينَ بالسّمع وبالشمّ ا.

ة جلد البطن يصلح لنقش الاسماء الكبرى - أسماء الافلاك الارضية المتصلة بأسرار العنب . البطن آلة الإنسان في تمكن المطلق من العثور على أغذية الجوهر، .

وجلد المالة يصلح لنقش نبات البرسيم. المانة حياءُ العقل من النظر إلى نقسه يرعى في حقول جيراته الثلاثة: الخيال، والتيه، والخطور».

وجلد الردف يصلح للدمغ بختم المُكس الازرق مضكس الزجاج والخزف. ردفا الإنسان سيرتُه ٥.
 وجلد الفخذ يصلح لنقش الاسطرلاب. فخذ الإنسان علمُ جسده ٥.

1 جلد الرقبة يصلح لرسم الخنفساء بالحديد المحمَّى. الرقبة حماقةُ الجسد في الإشراف على القناء المؤجء .

وجلد الجفن يصلح لتدوين الرقم التاسع. الجفن علامة الحجاب في الإنسان ١.

3 جلد التُرثول والعبُّفن، من غير فصلي، يصلح لنقش بيت من الشمر في خصائص الموت. الغرمول والحميتان من آلات الخوف 9.

اهمل زازا، في سجلُ الجلد المدوّن بحبر من مرارة الوزل، ذكّرُ الذراع، والساق، والمَضُد، والرأس خلا الجفنَ فيه . لكنه استفاض في ما يصلح له جلهُ ظاهر الثنام مع استبقاء الأصابع الخمس: رسّمُ الشَّلُك على صورة زرافة بخمسة أعناق؛ او الديك يخمسة رؤوس؛ او تخطيط كلمة والخسارة، سبع مرات تلحقها تعريفاتٌ فيها إطراء، واستحسان، وتفخيم، وملاحة، واستِعْداب: و ربُحُكُ من الخسارات لا حَصْرُ له . إِحْسَرُ اكثر تُرْدُدُ تُراءً» . والخسارةُ يقظةً، الربحُ إغفاء، والحسارة لذَّةُ الربح، .

في الغرفة تلك، المشرفة بشبًاكها الجنوبي على حقل شجيرات اللأفذن، تماوجت كلمات الامير ذي الله المقد المتحدد المت اللقب الازرق في خيال دلشاد: والترجمة ماءًه. ربما كان الندى المنتشر من أنفاس نهر نوه آف على فضة الحياة، حول دار مهران، يستدرج العلوم إلى النظر في منشأ الحساب الازلئ. الماء شُعلة الرقم الاول؛ وقم المكنات. لكن مخطوط الأمنية عمراء الاول؛ وقم الممكنات. لكن مخطوط المأمنية في صحراء من الربح لا من الرمل؛ عليه أثر من أصابع الوزل -سادن الجفاف الناطق باسماء الجهول الاربعة: الملم؛ النسيان؛ البداية، والمقدور. ربما أطلقت تورياتُ الآبِ زازا إيقار در ذلك الوزل من كمين سطوره 8 حين ببلغ بك العندُّ إلى الشيطان . . . الخ. حين يبلغ بك العندُّ إلى الله . . الغيّه، ربما. رأى دلشاد الاثر الحقي ً للحيوان الزاحف في مجاهل الحرف السرياني. قلّب الورق الحشن باتامل تتقرّى بمحاةً السرَّ، قرأ اسم المؤلف: جرجيس لوقا سالوحي: «هذا كتابُ الاعيان المنظرين أن يلد احدُهم من عقل الآخر وهم يلميون الشطرغ».

«بقي الْقَلَيل؛ يا أكيساً»، قال دلشاد، في مساء الخريف المُرصَّع بخرز الفرات. «ماذا نفعل إذا أنهتُ الدجمة؟».

وضعت اكيسا شفتيها الملَّحتين من قصِّقصة بزر اليقطين على زاوية فمه اليسرى. تذوَّق بلساته خيال لسانها المُشتفل على توليد الحواسّ السبع ناطقةً بشهواتها. قامت إلى النافذة الشمالية ـنافذةِ الجهة المجولة. أبعدت ستارة النقوش الجبلية بإصبعها مقدارَ فِتْر ترصد ساحة الدار.

وسنجد حلاً و، قالت من غير أن تنظر إليه. تراجعت عن ألتأفدة: و ساذبح هذه البلدة فرداً فرداً على ركبتي إذا انهيت الترجمة. الانتهاء منها مُلكي، وحدى، يا عرف كبدي يا دلشاد و، قالت، منجهة إلى الباب الذي فنحه لها الشاب. رمثة بحفنة من برر البقطين، وانسلت.

الفرسخ الثاني (شجرة الهَرَّهُو)

عراة عشب تسلم زمام الفضاء الشاغر من دار مهران حتى نهر نوه آف، ومن اطراف حقل اللاذن حتى نهر نوه آف، ومن اطراف حقل اللاذن حتى دار أوزال بَكْيَكِيجوك المنتفخ الرقبة من داء الغُدة الشرقية . مهاجرون من الهُون البيض، حملتهم رياخ جبال التاتي، نشروا بذور المشب المسحور ذاك، قبل ثلاثة عقود، يرعونه بخفرهم الشقر القرون، فظل ينبت كل عام بنفسه، اخضر في زرقة إلا أيام الكباب ظل الجليد المرتفع من قمم طوروس على كلاس، في للمر المرصوف بحجر الزمهرير -حجر المغاور الرطبة، الممتند من الجسر قبال دار مهران إلى السوق، التقى دلشاد وثيثان بروار النحيل، عديل الأمير في الزواج من شقيقة امراته . وخطواتك واسعة عن قال دينان ذو السترة السوداء القصيمة والحذاء المدتب

حازَّةُ دلشاد ببصر الحروف في خياله : وأظنُّ الأرضُّ تتمطَّى لك وتتقاصر لي ٩.

ابتسم رجلُ دار الصكوك التقدية التابعة للامير مهران. تلمُس شراريب عمامته المذهبة: وأرايت زوجتي؟ ٤.

_زوجتك ؟

ـ خرجت باكراً إلى دار مهران، ولم ترجع بعد.

مال دلشاد بوجهه صوب النهر صامناً فلم يكرر دينان سؤاله. سمعا جلبة فحادا عن المرالمرصوف. جاورتهما عربة مهران ذي اللقب الازرق. احنى الرجل جذعه من تحت القبة الجلد الملتمع بعافية الاصل الحيواني: « أأحملكما معي ؟ » قال، فرةًا بإشارات امتنان من الايدي: « نفضًل أن نتنصُّى بنهم مثل جوادك »، تطقّ دلشاد، ثم توقَّف. توقَّف دينان الكهل. فاجاتهما جَلَهٌ أخرى: خرجت عربةٌ ثانيةٌ من بلّورة الفراغ وهي تزاحم عربة الأمير فكادت تصدمهما. هرولا جانبياً حتى صارا في العراء العشب. تجاورت العربتان. منة الرجل ذو الطربوش، الجالس في العربة الاخرى، وأسه من القبة السوداء: « كيف حال إمارتك، اليوم، يا سيد مهران؟ »، فرد الأمير ذو الملقب الازرق:

- كحالك، يا سيد أوزال بكبكيجوك باشا.

تعرّقت حجارة المعر من اتفاس الجوادين الملجومين، اللذين أفسحا للتهكُّم بين مهران وأوزال خلوةً يشحذ فيها معدله المستثار .

« ما القويُّ فيك، وما القويُّ فيَّ، يا سيد مهرات؟ »، قال أوزال، الذي نطقت سُبُحةُ الفضة، في يده البسرى، بلسان المعدن فيها ما ينبغي أن يسمعه الغيب، فردٌ ذو اللقب الأزرق:

. القويُّ فيك ما تعرفه من ضعفك. والقويُّ فيّ عظامي.

تراشق حوديًا العربتين لفافتي تبغ. كلُّ حَضَّ الآخر انَّ يَتذوُقها، بحركات خرساء، تغليباً لمذاهب النكهات على النكهات، خض الدم فربة زبده في صدغ اوزال:

ـ لماذا نحب حكمة الجزّار في مباهج اقسام اللحم، ونبتذل مهنته؟

ورعا لان مهنته هي حكمتنا يا سيد بكيكيجوك لكنني لا أفهم لماذا تبتذلون مهنته ع، قال مهران محاصراً مثنّة بكيكيجوك في احكامه . استدرك بكيكيجوك لفظة المتنائر: ولا اعني الإبتذال تماماً على محاصراً مثنّة بكيكيجوك في احكامه . استدرك بكيكيجوك لفظة المتنائر: قال مُشتناً بابتسامة ، بل نشرقم. حسناً: نتباهي بكلاب العمنيه ، ولا آحد يريد أن يكون كلباً عن قال مُشتناً بابتسامة ، لبلاغة طاوعت شرود لسانه عن المعاني ، فابتسم ذو اللقب الازرق بدوره من جفاف المعنى على لسان أوزال . حيًّاه مودّعاً : وااعتبر جوادي حرًّا الآن ، أيها الباشا المخوط ؟ ع، قال ، فاستوقفه الباشا بسؤال غن مدى أن

-أيُّ ضياء أحبُّ إليك: ضياء النهار أم العقل؟

«ضياء النهار، لأنه يساوي بين ظلى وظلك»، رد مهران.

و وماذا عن ضياء العقل؟ ٥، ساء له أوزال بنبرة انتقاص.

دأثقه لك كي يبهرني فلا أراك، ولا مهران.

أزُكة قلب أوزال . اعتصرَ بقبضة قلبه ناموم لسانه كي يطاوعه في تدبير الكيد: ٥ أتزرع بندورة في حقلك؟ جلد مقصورة عربتك أحمر، يا مهران ٥، فتلبَّد مهران . ماج به حَتَقَّ خفيف لم يلجمه: ٩ بل نزرع الطرابيش الحَمراء ٤.

فرقع سوط حوفي الباشا فانقذفت العربة سابحة في اخدود الهواء الازلي. تقدمت عربة مهران، بدورها، حرقة على تقدمت عربة مهران، بدورها، حرقة عالم التفاقية وتقدما بدورها، حرقة عاد دلشاد ودينان إلى سكة المعرّ الحجر متصالح ساجرام المتوازيات الحفية، وتقدما بحركة متصالحة مع ظليهما المتلامسين: والا تصلح معدنا اليوم؟، ساءل الشاب المقاني المتناظرة في الترجمة، وفيقه الكهل ذا الحذاء المدبّب، فردّ دينان: ولم يصلنا نحاس من جهات اورفا. أنا ذاهب إلى دار الشحن لاستطلم الأحوال،

أوكل الأمير إيقاردر إلى عديله دينان إدارة مشغل الصكوك الواقع شمال جسر نوه آف، بعدما استحصل ترخيصاً من السراي. أوحى إليه أمل الخلود المُثقلُ بهبات النسيان أن يستحدثَ ما يثير شهرات الجهول إلى اقتناء المعلوم: لا أحد يريد أن يفنى في طريقه إلى ميزان الوجود الثاني.

الحياة مصيدة : ذلك ما عرفه ذو اللقب الأزرق في قراءة أحوال الإيمان. كلُّ الدّاهبين إلى يقينهم بالسجلاَّت الموثوقة الأمينة على أن الغيب هو البقاءُ الكمالُ لم يستطيعوا خلعَ جذوزهم الأرضية من سحر النقصان الزوال ـ النقصان، نفسه، كبقاء كمال. ابقوا لوجودهم السائر إلى مجهوله الفردوسيُّ عيناً على الآثار، التي أطبق عليها المعلومُ من أحوالهُم الأرضية بفكُّيَّه الزمنيُّيْن، فابتكروا القبورَ، والالقاب التَّصلة بأسماء القوة أو الضراعة للقوة، والفخر بالذُّريَّة، وتدوين البئير، وإخضاع العقل للخوف من نفسه كشكُّ إلهيٌّ في اقتدار الإلهيُّ أن يسيطر على نسله الصاخب من أجناس الشر والخير في حديقته البلورية. عرف مهران ماذا يريد الواقفون أمام بوابة الوجود الثاني ـ الوجود المعلَّق بخيط من القطن إلى خيال الإنسان: إنهم مذعورون الا ابتكروه للوجود الثاني من خصائص الوجود الاول المذعور، لذلك قد يطمئنون قليلاً بامتلاك اثر صغير يذكِّر أرواحهم بالعلامات الأرضية التي تعود بها إلى الوجود الأول، إذا تاهت في المسالك إلى الوجود الثاني، ولم تهتد إليه قط. وجود أرضيٌّ ووجود سماويٌّ، وبينهما الغيبُ المعلوم إلى درجة الضجر من تقدير خصائصه بحساب الأرقام الأبدية. نعم. الغيب حاصلُ جَمْع، وطرح، وتقسيم. الغيب شهوةُ الواقع إلى ابتكار نَفْسه مفرطاً في الوضوح: و هياوا إلى تاويل بجتهد به المعدل في التوسُّط للمازق ، ذلك ما لم يقله ذو اللقب الازرق، لكن ارج · به صيروة الخلود المرتبك، فاقام مشغلاً للمصكوكات الشبيهة بنقود الآستانة: قطع من مزيج النحاس ـخيال اللُّهاء، والرصاص_خيالُ الكُلِّبات المُعلُّبة. دوَّن عليها، بالنقش النافر، علوم المجازات الصغرى: مواليد الاشراف، وتواريخ الانساب، والقاب الامكنة، وأشعار الجنّ، وصور الاشخاص، بضمنهم رَسْم الخاتون نَازَلي بكتاشلي بعد حفره على الجصَّ الطري بسكِّين النقاش جنكيز تمامَّست.

تولى دينان مَشَغل الصكوك، مستحداتا مباهم الخلود بين فرن المعادن الصغير وآلات الضغط، التي يديرها ابن اخيه بمعونة النقائر اسمداخية من يديرها ابن اخيه بمعونة النقائر مستحداث المعدنية من الإسكندرونة حتى تحفره الاناضول الشرقية، وكان المُقتنون سعداء بتحصيل الاسرار المعلومة على لوح الكرامات في غياهب المعدن، حيث تتجاوراساسات السعر واساسات البرهان . دلشاد، نفسه، اقتنى فلساً مدوراً عليه نقش العصمة : العين والسيف. وقد فائح دينان، في عبورهما ذلك اليوم حقل المشب المسكون بارواح أهل التاتي، برغبته في صك دوهم ممهور برسم أبيه ، نظر إلى خداة انقضت على غراب، في ضفة النهر: والطير ترجمان يائس »، قال . التفت إليه دينان ذو الحذاء الملتمع من خلاصة شحم النيس الجبلي: وماذا فلت؟ »، تمتم، وأردف منصرفاً عن سؤاله: ولا أعرف كيف أفنح مهران بالفضة في الصكوك بُنان الرصاص» .

هوامٌ مختمر في حرارة الأجبان أطلق قطيحه على مدخل سوق كلام. افترق دينان عن دلشاد. عَثَّلُّ رَطَّبُ ٱلهم سقوفَ خشب الصندل، في المرات، أن تبتكر لنفسها تاريخ الروائح، ببيان كثير على لسان الملح، أو الشُّكر، أو الحِمْض. تكلمت الحوانيتُ بَذاهب أشعارها القماش، وإشعارها الزبيب، واشعارها الخلّ، واشعارها اللحوم، واشعارها الطيور في الأقفاص، وإشعارها الأفاويح من فم النبات المجلّف بخصائص أسراره الخبولة. لمح دلشاد شخص آكيسا عند باب العطار سيروب، الذي يتمسم أن الربحان ينبت من ذرق الطائر الخائف. أبطأ سيرة يترصدها ويترصد الوجود المطبق بيدي يُقسم أن الربحان ينبت من ذرق الطائر الخائف. أبطأ سيرة يترصدها ويترصد الوجود المطبق بيدي كيانها على كَمَرة شهواته، المهلبة منها والمطبوعة على النهب: إنها تشتري بزر البطبخ الفارسي الاحمر وبزر القشرة القاسية واللهاب المكتنز بعافية دهنه الحلو. فمها قبل الثبار، وبعد الثبل، مُملح على النهاء على شخم النشأة واللهاب، وهو يحبّها أبدأ، شفتاها مملحتان. مذ عرفها دلشاد وهي مُملَّحة من انفاسها حتى كاذئي فخذيها. وهو يحبّها تسخرجه كاملاً غير مهشم فتنقله، برأس لسانها، إلى رأس لسان دلشاد. بزورٌ من كل صنف وساسرة ميئات ببرائن الخيال الترابي إلى علوم الوصف وعلوم الحيرة والإنخطاف: بطيخ اصفر بيضوي، ضغطت الممكنات عليه بثقل الاسماء فتحفق بزره ورق، بطيخ أصفر اسطواني، عضم الفهراء فتقلص ضغطت الممكنات عليه بثقل الاسماء فتحفق بزره ورق، بطيخ أصفر اسطواني، عضم الفهراء فتقلص فينا في المنافرة الشمسية حول خياله، اسود بزره وانتفخ. بطيخ أحمر بقشر أبيض ذي حزوز خضراء هي حراثة اللون فيه، ترك التراب بانفاسه شهرته المينانية على بزره . وطيخ المعبدة الحوالة حتى انحل عنه الطُمْم وفارقته مدارك الذوق، فتلبس بزره وباضاً يتصافى يقطين أشكلت عليه الحوالة حتى انحل عنه الطُمْم وفارقته مدارك الذوق، فتلبس بزره وباهاً متشاهي، يقطيع الماها في الحوف، مع اللاتعين حشيق الظاهر المشكل.

انتقلت اكيسا من حانوت العطار إلى الإسكافي. تستشر دلشاد بعنقود من السلال يتدلى على بالب بالتوبق والصحاف النحاس. نام" كُثر من الفادين والرائحين حجبوه في النقلة التالية عن عيني المراة الفارقة في سترة سوداء ذات كُمين واسعين، مشمولة الرأس بطوق سميك من فتائل الخبوط المراة الفارقة في سترة سوداء ذات كُمين واسعين، مشمولة الرأس بطوق سميك من فتائل الخبوط الذهبية فوق خمارها. ترقرق فوح ليابها من خيال دلشاد إلى رئتيه. تنقسها من حدائق الشكل سووالها الطويل الفضاض. هي تفي المراكفي إلى الحلاج، في موج مسترسل من حفيف سورالها الطويل الفضاض. هي تفي المراكفي إلى الحلاج، في موج مسترسل من حفيف بالمصطكى المحترق فوق عبدان نبات السوس. هي هي . بشرة شديدة البياض، تقشر عنها صكائف المجاب دافقاً في خيال وجودها القائم بحاله في خلاع سحاب. زغب صدغيها أبيض. رموشها بيضاء المجبود دافقاً في خيال وجودها القائم بحاله في خلاع سحاب. زغب صدغيها أبيض. رموشها بيضاء لنعنق وتنفت عن عينيها البئيتين غماماً رقنه ظلَّ الحفاء المحقوق الخية الطاهر. وقد تحرى دلشاد، الفروق انبت لها شعراً أحمر، مشتعلاً ، فيه وعد اللمس أن الحريق عافية الطاهر. وقد تحرى دلشاد، في ذلك الحريق الهداية، نقوش قلبه النافرة على لوح قلبها، حتى آيشن أن اللون سيرة الكمال لملى، من فم الحقي" على العبلم المتحقق من خواص الجمال المنطورة في هيئة شعر كشعر كتسم اكيسا: احترق فيه، فاستولات نفسرة من خيالها لا تعرف تاريخاً لحضور الحواس قبله لا لمس"، لا لمس"، لا لمس"، لا لمس"، لا المستحدثة بحدوثه ذكراً من عماء المسكونات الحية.

أحَبّت أكيسا، في أواسط اربعيناتها، دلشاد الشاب حبيس النَّقلة من لسان الحروب، في مضائق الترجمة، إلى لسان الحروف. رازقه ببصر الوجود النَّهم في بهو دارة الأمير مهران، يوم حلوله الأول، على صَحْفة العشاء ينقل الارز خجولاً إلى فمه، فيما تحده لُوفاجان، زوجة الأمير، من وراء اكتاف سليم بركات: فراسخ الخلود غرباً إلى وادي قره صو

ثلاثة من ابنائها القادمين ضيوفاً على ابيهم من جهات ملاطبة: 3 كُلْ يا بني . هذا ارزُّ انضجتْه انفاسُ الفخارة.

ضحك الجالسون من تورية حُجبَت عن عقل دلشاد. ينضج الرزَّ في الآنية القنخار، فما وجه الظراقة في الامر؟ تتالت المكاشفات المرحة حتى انكشف المستفلق للمستور: ينضج الرزَ في ورق المرز إذا طُوي ودُفن تحت جمر مطمور بالرمل. ينضج ملفوفاً بورق التبغ العريض، على نكهة كخيال الديك: غيش وراءه فجر يقشره فجر آخر. ينضج الارزَّ على اثنين وثلاثين نحواً في محفوظات الطُهاة بخان انطاكية. لكنَّ ما تُقل عن الم اكيسا يضيف إلى القائمة ما لم يُهُم به الرزَّ من مذاهب عقوده مع الطهو لطاه قبلها. اكيسا روت ذلك في مجلس الامير قبل ثماني سنين: «ضمّت أمي راحتها على حفنة من الارز. استندت بمرفقها على المسطبة وقربت يدها من السراج. بقبت على حالها هكذا، ثابتة، حتى الفجر، تفاوتت الشروح، بالطبع، بعد صلَّح حَسَن بين السَّحر والتسليم حتى راقت الحكاية بما تقطر من شحم الحكاية: ابنة آخر منتسب إلى السلالة الإنكشارية بازرباشي مراد آثارت حفيظة مهذة، أم اكيسا. «اتعرفين من فنون الطهو غير الشُلُق؟ ه، قالت، فردت سهدة بالكردية: «بل اعرف كيف اشوى فرجك على عود، في الشمس ». امتمضت ابنة بازرباشي: «لم افهم»، قالت بالتركية، فسحبتها سهدة من مرفقها: «تعالى يا فساء الإوزة. ساريك علوم الجن».

عضّت كلاً سماء على ذيل السماء التي دونها حين اتكات سهدة على السطبة، مضمومة الراحة على حفنة رز، وقربت يدها من السراج كانما تشويها . لم يكن في الحكاية، حين سمعها دلشاد، ترتيب لصور المكان، أو إحكام للمنظورات . هي جَرَت فحسب، في بيت منا من المساء حتى الفجر، الذي فتحت فيه سهدة راحتها فإذا الرز قد نضيح من كثرة العَرق الساخن بفعل لهب السراج القريب من يدها : بخار داخل الراحة المضمومة قام مقام شقيقه البخار في القنز : منطق تحل ل لا غير . علم طنين منذ عرف كانن الرسوم الناطقة أن مذاق الماكولات يستوي مطابقاً لحيال الجوهر إذا نضجت في وعاء فوق النار، أو وعاء مغلق تحت النار . دلشاد، على نحو لم يحتكم فيه إلى لسان الحيطة، باداً اكيسا، في ظهيرة اليوم الثاني : وافعلت امناك ذلك، حثاً ؟ و . أخرسة سكوتها الممتلئ بشفاعة عبنيها المتاملتين : وسألتشأجك أنت في راحتي هاتين، أو هنا »، ووضعت يدها على بطنها.

عبرت نحلة تحت أنف دلشاد فارتنا برأسه إلى الخلف. لم يكن الخريف قد اكتسى، بعد، صلابة القشنة المشر البارد. رخواً دافقاً ظلَّ فوق البُيُض الذي يفقسه غمام كلاس. الزنابير كلمات الصيف الخشنة حومت، عاقلة ، فوق اكباد الخراف المعلقة بالخطاطيف. الدبابير اللهاث الساخن كانت أبطا في طيراتها قرب قشور البطيخ المرمية عند أحواض الماء الخاصة بدكاكين البقالين، لكنها لم تعذم تدبير الكمائن للنحل، بالتماسها الثغرات المؤمة في سور الهواء: توقف طيراتها فتسقط، عمودياً، على ظهر النحل، بلا إنذار من رفيف اجنحتها.

لَّكُولُ الوالي صَفُوت بكبكيجوك هو الذي يسقط في كمائن الدبابير، لشدة اشتغاله على احتكار السوق في كلاس اجتاح الحقول، والحدائق، والبساتين، ثم قسامة قشور البطيخ حيث ترتع الدبابير. كان نحلاً خَلْبه إطراءُ الإقليم. وصف عسلة كاقتدار من آيات الطبيعة على تصريف الطُغم المُعْجز: عَسَلٌ صَمِورٌ تنتقل من لسان المتلوق إلى لسان احواله . صورٌ ظلامٌ هي البيانُ الذي درَّبت جذورُ النبات عليه هداية الزهر في انقلابه إلى نبات نور . ظلامٌ مذاقٌ من توريات التراب في مخاطبته البزور باشعاره الماجنة . مذاقٌ ادراجٌ بن بساتين العلوم المحفوظة في خزائن الوعد الأزلي .

مَدُّحٌ كثيرٌ اسْكرَ نحلَ الوالي، فقشًا فيه التهورُ : يخرج أبكر من أي نحل، ولا يرجع إلا في سواد المغبب إلى قُفْرانه منازل الهندسة القدرية. استعراض وراء استعراض يدوَّحَ به الوقتَ حتى يُغمى على الوقت، فيسطو بجُوهره الحرَّ على رحيق الهيولي الكُلِّية -بُرعم الفراغ المُشْكل، فتتحيَّن له الدبابيرُ تلتقطه من برزخ المُطلق الناضج-كحساء ناضج-على جمر المعقولات. ترتفع به وتخرج به من بوابة سوق كلاس الجنوبية، حيثُ امتدادُ نهاية حقل الريحان القرمزي الداكن، المتصل بسور المارستان المتهدام المفتوح من جهتين. بُنيَ من طين وسيقان قصب، فانحلُّت اقسامُه في فيضان اوحدَ من نهر نوه آف، انحسر بعد أحد عشر يوماً، تاركاً للبساتين على ضفتيه عُمْراً من حصيٌّ أبيضٌ بعروق متشعبة حمراء، عدُّه العامُّةُ من والهون البيض، قبل رحيلهم عن كلاس، بَصرًا من أبصار العَدَّم يتفحُّص به أحوالَ الممكنات المذعورة. لم يغادر أحد من مرضى المارستان حدود السور. أنذروا أن المتاهة، التي تتحول فيها أعضاء الإنسان إلى قيود من حديد، وحبال رطبة، هي على بُعْد فتر من جدران الطين المتهدمة، لكن ما من رغبة حَدَّت بأيَّ نزيل التطاول على مقام والعقل الضيف ، . هُمْ لن يغادروا حتى لا يستوحش مَنْ خصُّهم بالإقامة في صور المرثى المُحتَجب، قرب خيالهم. والعقل الضيف، هو المقيم. ابتكر تقسم من الوحى المُستَولّد في الحقائق المنكشفة ـ كالتوت على اغصان اهل المارستان. جمعتهم شرطة الولاية واحداً واحداً بالدليل القاطع على اتخاذهم علامة منسوجة في سجاجيد الصلاة: سبع ورقات صغيرة بيضاء، تحيط بشمس صفراء ـ مَوْلكُ النور في حجاب الهيولي، قبل مرافعات الشُّكُل، القائم في خيال ذاته، أمام الله، أن يفوّض اللهُ إليه عِصّْمَة الحُدعة التي اسمُها والمُحْدَث، واطلق عليهم المامورون بترويض النفسانيات اللامسكونة اللامهجورة لقب وملَّة البابونج ٥. لكن نزلاء المارستان سخروا من اللقب، بإشارات ناطقة من فم السكون العاقل: ٩ بل نحن مُنطِق

تلعنم بَصرَ دلشاد. زاخ برهةً عن شخص أكيسا فانقلبت سدياً في غشاء سديم. أسرع الخطى في رواق من السوق يُفضي إلى عرَّصة دائرية لا يشوب هواءَها نَشرٌ من انفاس الدلائين. أهل اليُقول، والجزارة، بل تتمدد على المصاطب، أمام أبواب حوانيتها، لفافاتُ قُماش ـ حدائقُ تنفيتُر تُرَخاً من أصكال أُم الحيوان وأم الرُّهر، يعرضها القشاشون الاثمة في أصول السرد الصامت لحكايات اللون على أشكال أم الحيوان وأم الرُّهر، يعرضها القشاشون الاثمة في أصول السرد الصامت لحكايات اللون على كلمات الشحار في إصمائها، والأستماع ببصره إلى كلمات الشكل، والنظر بسمعه إلى ما يستعرضه النسيج من خيلاته أمام موازين الاحكام. لذلك، كلمات الشكوذون بـ «منطق البابرخ» و يجتمعون في رحاب الرُّشرف المرقون، جالسين القرفصاء في زوايا الجرصة، تأخذهم شرائح الجدال في منشا النُّس من باب إلى باب، ومن تلخيص إلى شرح إسهاب، ومن تفسير إلى تاويل، وقد عقدوا مناديل جيوبهم الصغيرة على حفنات من البابوخ اليابس يتفرُحون به ويستعرون، م ويستعرون، عو والمادم، فأجازوا بعث

الإنسان نباتاً ذا زهر، يفشو طُلْمُه وينتشر لذائدً في حال لقاح على حدائق اللانهاية. ولما بلغ خبرهم دارُ الإفتاء، في الولاية، وفعت الدارُ امرهم بالبرهان الدامغ على اتهامهم بالشُّمُّ في شؤون العقل ـ إلى جناب الوالي، فكيست الشرطة معاقلهم في عرصة السوق، وتحت شجر السفرجل على الضفة الشرقية من نوه آف. لكن الشرطة تحيرت في اختيار المُحبَّسة لانام هادئين، وورعين، فضمتهم إلى عامّة اعل المارستان، الذين مستهم خطفُ الحقائق للحقائق بذهول وديع. تآخى المذهولون المسلوبون والنزلاء الجدد، المبشرين بطبائم الزهر. تآخى كل شيء من حولهمً.

كان في مستطاع المشاد ان يتشمم البابوغ المتحب في كماله النباتي إلى ربيع آخر؛ ان يتشمم أتم الزهر في القماش النبسط على المصاطب شِبّاكاً لقنص المعلوم النائه والجهول الثائه. دار بخياله على الزهر في القماش المنتوب المساطب شِبّاكاً لقنص المعلوم الثائه والجهول الثائه. دار بخياله على نقوش المكتون يستقرئ آثار آكيسا، السائرة على غصن اللامرئي بقدمين من انفاس المركي المفمى عليه. عمير قابه معتبرة المتحب عني 9، قال صوئها. لم يلتفت، اخرج من جيب تفطانه كيس التبني، عقد لفائة واضعلها بفتيل القناع. تقدمته اكيسا بسلها الملكي صرراً صغيرة مما المناعد، خالطت الجمع الخفيف في العراصة، فجاورها دلشاد مرسلاً بصره في كل اتجاه إلا إليها. تصنّع خلالنا هذا السديم على عارق بيده، هامساً بلسانه المتحبّن شهوات المفيب العثّال: واتعرفين من اين ساعضنّك لو

ولو خلا لنا السوق لم أبق لك لساناً »، قالت، وهي تنقل سلتها من يد إلى اخرى. ولن أبقى دَمك في موضع، لو خلا لنا السوق »، قال وهو يقلّب ذيل قماش متفحّصاً.

« لن أَبقي فيكَ شيئاً تنقل به شيئاً مني من موضعه. ساّعيدكَ مرتجفاً كمُرف على راس دجاجة ، قالت المراة المشرقة في مغيب اللون.

«بياضٌ جلدَكُ هذًّا لن يَبتَى بياضاً، لو خلا لنا السوق. ساصيغه بشهقات كبدك، ، قال النازلُ، على سُلُم الترجمة إلى سطور ذكورته اللَّمْزة.

و آتمنا لنبي عن بياضّي؟ لو خلا لنا السوقُ جعلتُ كَبدكَ تفور بياضاً من فم عقلِكَ اللحم، قالت اكسبا.

ولو خلا لنا السوق.. »، قال دلشاد، علَّق قلبه إلى سلسلة من الحروف بلا اختيار، مال بوجهه إليها إلى شروق بياض وخطئة اقواس حليب": حاجبان وجفون بلا ابعاد. حملها بملعقة بصره إلى فم لوعته: وماذا أفعل بك لو خلا لنا السوق؟ »، قال وهو يلجم وثبة خياله إلى خيالها. تنهدت اكيسا، فننهد دلشاد، ماجت العرصة من سقوط شراوة ماء رقيقة على عصب هوائها. قطرات متفرقة أوقدت حركة القشاشين فهرعوا إلى اقمشتهم يجمعونها عن المصاطب، وينكفنون بها إلى دواخل الحوانيت. وجاءت الطيور »، قال دلشاد، ملتزماً كالمتسوّقين أن ياخذ جانب السور الذي أشرفت عليه، من خارجه، إغصال شجر الكستناء الكثيفة - شجر الثمرة المخطوطة بوبر الباطن في قشر الظاهر الأب. وجاءت الطيور ». طائر من رذاذ لماء المتجانس في هيئة عظام وريش يقود أسراب الطبور، العالمية بتوليد الحيّل من بسائط المسكون المهجور، إلى المحيط الاعظم - محيط العلل والاحوال في صيرورتها ندى يتدحرج على صَنتفة النشآت؛ الصَّدفة القوس البلُّور. تغرف الطيور من الندى بمناقبها وتؤوب إلى السمت الازرق، للتشكّق، الذي امتلاّت حظائره الارضية بمخلوقات الضجر. تفتح منافيرها فيتساقط الندى قطرات من حجوم بحسب جرّم كل طير .. كبيرة، وصغيرة؛ ذرّة أو ما فوق . مطرّ يسرد السّيّرَ الازلية على عقل الوجود الازلي .

« افي حزانة لسانك شيء من أشعار الاغاني؟)، قال دلشاد، ملقياً بهمزة إلى سماء الطيور الخفية . قاست اكيسا، بعينيها، المسافة بينها وبين اقرب ملتجئ إلى السور الملتجئ إلى اغصان الكستناء. تلتَّمت بطرف خمارها فانحيس الصوت وتجمع دافقاً. أطلقته يجري في اتجاه دلشاد:

«ما سرُّكَ، أيها اللص، الذي أمكُّنه من خزانة شَبابي؟

خذ كلُّ شيء. وتعال في الغد. سأملا لك، ثانيةً، خزانة شبابي.

خذ كل شيء، ايها اللص. سِرِّكَ أن تسرقني. سِرِّكَ أن تسرقني،

تبهًد دلشاد. علا الصحب في عرصة السوق: دخل كلبان سلوقيان سهمين من لهاش، مقذوفين إلى لوح الغراغ يسطرانه تسطير المباح المخطور بآثارهما التي تقود هيكليهما وراء ارنب أبيض، ملطخ الوبر من ارتطامه بجدران للسالك؛ ارنب من ملّل الحيوان المظي برعاية البستانيين. انتهرهما القماشون بالمكانس، ورماهما البعض بالاحذية. حلّمًا طائرين في عدو لا تمراً أقدامهما الارض، حلّى الارنب بجناحي قلبه المذعور. « أهذا فال حسن؟ »، قالت اكيسا. تنهد دلشاد: « لا تتوقفي، يا حظُّ المخطوط». ارسلت المراة- البزوغ الصعيل لحجو اللون بصرها إلى الدائرة، التي فصلها السلوقيان والارنب تفصيلاً محسوباً بالدرجات المكينة على كرة الإبعاد:

٥ من أين جئت؟

عمامتك هواء. قميصك غيم. سُترتُك رذاذ. حذاؤك جدول في حقل.

بصل. ثوم. كرفس. فجل. كُرنُب. هليون. كُرَّاث: هذا ما نبت تحت سريري حين خرجتَ هارباً، أمَّا خوفُكُ من أبي ـالرعد فقد غطَّاني بالكَماً.

من اين ... ، . تشقق صرت اكيسا لما انجه الأرنب إليها مستنجداً. ضمت سأتها إلى قلبها ،
ومالت في اتجاه دلشاد ، الذي تمالك تفسته المتماوجة بين احشائه وصدره فلم يحتضنها . ارتذا الارنب .
مر مندفعا تحت انياب الكلبين ، فتصادما ، ثم ارتئا . ذكرت الغيوم الغيوم بموعد الهدنة ، فاللجمت .
تقهقر القطر في اتجاه الاعالى ، ويضما بمهد العقل السحاب للمقادير حصصها من حرية الماء علت
الشتائم من أفواه القماليين مسنونة كإير النَّيص تساوي ، في وحزها ، الكلبين باصحاب الكلبين ،
الشتائم من أفواه القماليين مسنونة كإير النَّيص تساوي ، في وحزها ، الكلبين باصحاب الكلبين ،
اللذين حرّقا مواثيق البرزخ في ما يضيفه الإنسان من حصانة الشهادة إلى قانونه ، وما يضيفه الحيوان
من حصانة الغيب إلى قانونه . دخلا حانوتاً لجا إليه الارنب ، وخرجا ينبحان لباحاً انيناً بعد الأ أصيبا
بقضيب حديد -متر لقياس القماش . واهذا فال حسن ؟ ع تمت اكيسا لسائل دلشاد ، ومع الشاب

٥ جئتُ من حظُّ المحظوظيْنَ }

من حظَّ البصل المسقيِّ ماءً علباً في الفجر؛ من حظَّ الهليون المُدلِّل من آبيه الشمس؛

من حظ النعناع النابت في ظل شجرة الغار؟ من حظ البَقْلة المِتلَّة، ابداً، حول البعر،.

انتشر المتسوّقون، ثانيةً، في عرصة السوق، فاختلط بهم دلشاد وأكبسا غير متجاورين، ثم اتجها إلى المراوق المفضي إلى الدكاكين. تقاربا قليلاً: ﴿ ستنتهي الترجمة › ، قال الشاب النازل من سلالم السريانية إلى حقائق الختام. سيدرّن بضخ كلمات معصوبة الجباه بأرقام التواريخ، في ذيل آخر صفحة بالكردية من ﴿ المختصر في حساب الجهول ﴾ . شيء منا ، كالموت، سيفصلً اسيٌ رقيقاً على مقاس خياله ؛ اسيٌ كالحياة ذاتها التي ية -للها الموتُ بلا إنقان .

\$لا)، ردت المرأةُ التي صُفِّي بيا ضُها ستَّ مرات في مجرى اللون إلى جلدِها الحليب. توقفت: \$لا, لن تنتهى الترجمة).

لم يشأة دلشاد تقليب كلماتها بين يدي وجوده المؤوّل، بل قلبها، هيّ، كعرناس النَّرة المشوي، يقضمها من كل نبض فيها باسنان قلبه. تداركته في استغراقه الملتهم فكمَّمت فمّها بطرف خمارها، ثم ابتعدت بعدما شربته بعينيها صافياً جُلابًا مَفرَّحاً برهر القاقلة، واكبتها في حركتها المقتطّفة من قلّك النظائر الاحد عشر ـ نظائر السرّ العاقل. لُمِست كفه أ، التفت: همو انت؟ ٩ . كان دينان بروار ينظر إلى اكيسا المبتعدة قبل الرجوع ببصره ـ المزان إلى مقادير الصور في عيني دلشاد، الذي باغتته لمسةً الرجل المدرّب على ترويض المسكوكات. تُجاورا في مشيهما.

«ما الأحوال في دار الشحن؟؟) ساءل دلشاد رفيقه الكهل، فرد ذو الحذاء المدبب: «بُرادة النحاس غدت علفاً للحمير. لا أفهم. مقطورة واحدة، لا غير، انفصلت من جسم قطار ملاطية. تدحرجت على منفح هضبة في مَرْعَشُ لتستقر فوق أغصان شجرتي بندق ضخمتين. تسرَّبت برادة النحاس من خَصَاصِ البابِ الحديد في خيط على مزود حمير الدراويش من ملَّة النُّوت. اختلطت البرادة بالعلف الجريش من بقايا قشور العرفج. سكت برهةً. رفع راحتيه يستحضر الصلاة للدهشة: ١ رأوا ذلك بالتفصيل! ٢١ من حمل الخبرَ إلى دار الشحن موثِّقاً بالشاهدة على هذا النحو؟ الأسرار تنمو كالدعاميص في وادي قره صو، يا دلشاد ٤. سكت ثانيةً. تباطأ متفحّصاً حُصرًا زرقاء من جريد النخل: ٩مذ وصلت هذه الشجرة إلى كلاس احْتَمَلَ التينُ في ثمرته دماً ، نقر بإصبعه على الحصر المعروضة على حبل؛ وما سبكون روثُ الحمير إذا اغتذتْ من برادة النحاس؟ ٤. معدن غير مُعْلَن على أساس صيرورته، بل على عُلَبة الصفة المحالة إلى حقائق الذهب المفقود. اذا دُفنَ اخضرٌ متنقلاً بطبعه بين الفارُّ والطُّحلب. وإذا طُرقَ ارتعشَ. تمرُّد على الجوهر الذي اختُص به التبر واللُّجين فانحبَس في مرتبة الاعراض للزينة اللُّالْبُ. كانت له تسعة أسماء، تناقصت بالنسيان المُدبِّر المقصود حتى أضحت ثلاثةً: النحاس، والشُّبَه، والصُّقر. ﴿ روثٌ شمسيٌّ. سبكون روثاً شمسياً تلتقط منه عصافير التين شرانقَ علوم النُّور ٤، قال دينان متنقساً من مسام لسانة: 3 محظوظون هؤلاء الدراويش في نواحي مَرْعَش. القواعن كواهلهم مشقات التفكير وعناءه. مندهشون، لا غير. وجودهم هو أن يندهشوا. لا يقولون شيئاً، لا يقرأون شيئاً، لا يصغون إلى شيء أو أحد، ولا يريدون أن يصغى إليهم شيء أو أحد. حميرهم تتولى كل شيء، وها هي تتدبَّر صناعة مسكوكات من الروث النحاس؛. هزُّ راسه يطرد ذبابة الحيرة من أمر

البضاعة التي لم تصل. واسترد التُّور الذهبي جملةً من حماقته المعدنية ، تمتم دينان متعتَّر العقل بالتوريات المصنوعة على عجل. خاطرُ الدراويش، الذين انفقوا خزائن غيبوبتهم على وصف النُّور بأسماء شرانق القزِّ، الْتَهَم ـ بنفاذه في رطوبة الخريف ـ خاطرَ دينان. ألهموه، من البرزخ العائم على مياه المعضلات الزرقاء، أن ينسج توريات على عجل؛ أن يدحرجها على عجل؛ أن يمهُّد لها تراماً معافى في سيرورة عقله من نظام الإشكال إلى نظام اللسان الحذر من اللرَّاشكال. نَقْزَةٌ من احوال فكره في النحاس إلى أحوال لغته في ارتدادها من التصريح بالسخرية إلى التمويه: بُرادة النحاس تسيل من المقطورة المنقلبة، المعلَّقة باستار السماء النباتية، والدراويش مندهشون كما عرفتهم الأرضُ هناك، مذ صورً لهم الشيخ بايزيد انصاري، صاحب وحالنامه ٤، الكردي العارف بانساب الجن في وادي قره صو، أن النُّور جَسمٌ صلةً، كتيم، يحيط بنفسه العاقلة التي هي الموت، وغير العاقلة التي هي الزمنُ ـ الشكلُ المستترفي غلاف الخيال الحظور؟ جسمٌ صناعةٌ تتدبر تركيبه آلاتُ المصادفة والاتفاق المتهادنين، وليس الإنسان إلاَّ تاريخاً مُفتَرَضاً - كتلةً تتحرك بالتامُّل في التقاء الانساق الصلبة، الجوهرية، المتعلقة بالنُّور وحده. وقد عمد دراويش مرعش إلى تعليق الصابيح في أعناق الحمير، كل ليل، لتتبع حركة الآلات المنكبَّة، بلا صخب او صرير، على توليد القوالب اللانهائية للكثافة الشفيفة. غير أن الحمير الرمادية تلك. المنجذبة، بكسل له خاصيَّةُ اللوعة، إلى استقراء الضرورات التي جعلت الحيوانَ فطرةً كمالاً _إعترضت قطارَ ملاطية، ذات مساء اختلطت فيه الحظوظ الفجَّة بالناصَجة، فانذعرَ ساتقُها الفحَّام. أطلق النفيرَ محمولاً على عقل الدخان الحجري، متعوَّداً بآلهة الشُّكل من رطانة النُّور المطحون على حواف الفراغ المُختَرَق بالسكة الحديد.

لم يكن في الحكاية تفصيل، بحسب ما رُويٍ في دار الشحن لدينان، أبُعهُ من انفلات المقطورة الحاملة ذخيرة المسكوكات ـ البُرادة التي أُغمي على ممكناتها، فانعطف بها مساقُها عن أن تكون نقوشاً صلدةً تنالق فيها الانساب. ظلّت بُرادةً عماءً تسرَّمت من كمين الحقائق المعدنية إلى علف الحمير . و روث شمسيًّ »، تمتم دينان من جديد . حدَّق في دلشاد: ومنذ متى انت في كلاس؟» . ومنذ سنة وثمانية شهور » ، وذا الشاب المتحيِّر في غنائم الترجمة .

دلم تر، بعثه ؛ احداً من ابناء السيد مهران ؟ »، قال مرؤض المسكوكات، واردف: دلم يحضرا احد منهم إلى كلاس منذ سنتين. لكنهم آتون قريباً. الاربعة معاً ». توقف كاتما نسي شيئاً: دساشتري قطاراً »، قال بلسان العلم المرح، واستدار عائداً إلى السوق. وإذا رايت زوجتي، يا دلشاد، قُلِّ لها إنني رحلتُ إلى ملاطية».

ابتسم دلشاد. علن الفكاهة المنسولة بطبع دينان الساخر إلى غمامة النسيان. دخل حانوت الخياط، وخرج بقفطان أخضر، في تستجه عروق متوازية حفرتُها براثنُ البياض بتقطّع خفيف. ستة عشر يوماً انقضت في تفصيله برَعْم تصرّتُ الدين، الذي أوّل فدلشاد القماشَ حين اشتراه: «خذ الاخضرّ- شجرة الهرّهرُ السرمدية»، وتولّى بإشارات الخيال الحقّ تكويرُ المراتب على إهليلج القلك الدائر في الشمام: المواتب الدائر الي المستقيمة الشمام: المواتب الدائراري المحصّنة بازلية المعنى: «هذه العروق، في القماش، هي الاعصان المستقيمة لشجرة الهرهر، المنتشرة فوق بحر العماء، يا دلشاد»، قال نصرت الدين، مستعيراً من انفاس العقل

في رئتي ملّته، القلقة في نسّبها إلى دين واحد بتمامه انقلاب الهواء إلى كتاب سرّ، يقرؤه، من جيل إلى جوز، واحد بتمامه انقلاب الهواء إلى كتاب سرّ، يقرؤه، من جيل إلى جوز، واحد اختصَّ بتوليد البلبلة في المماني، وتبديل مراتب الموجود بمراتب المفقود، ضمانة يأمن بها على الغراغ الجوهر من غدر أخيه الملاء الجوهر. وبالطبع، انزل الخياطُ نصرت الدين، على أعصان شجرة الهرهر السرمدية، طائراً هو الأول في كمال اللون دقلك المسترسل، بضراوة، في نزوعه إلى حرية التصريف في شؤون كل ظاهر، مشهود، مرئيَّ، مُنْصَرَّ ولون لا يُعقل شَكَلُ، أو كتلة، أو كتلة، أو المنظهار عقله.

والطادوس الملك ع، قال الخياط، فوافقه دلشاد متاملاً فقطاته: و شجرة سرمدية، وطاووس ملك. وأنفى الارجح، يا نصرت الدين، سارتدي الفردوس ع. فتح ذراعيه يستقبل الطيور الملائكة على اغصان قلبه المنتشر كثيفاً فوق انهار المفقودات. مشى يتفخص الحوانيت الاخرى على مهل، حوانيت المناجورة عقو لا تتدبّر صناعة البيان الارضي المعرف بنقصانه الخالد. خرج من سوق كلاس عبر بوابته المرصودة بنقوش التأويل: الميزان، والشمس، والسيف، والسنبلة. سرح بسرة في حقل العشب المسحور يستقصي الشخوص ذاهبة أينية بسلالها الملائي والفارغة. وافي خزانة لسانك شيء من اشعار الاغاني؟ ٤٤ جاءه صوئها - صوت المراق من بياض نهم. ابتسم المازل البهلوان فابتسم له الازل البهلوان فابتسم له الازل البهلوان فابتسم له الازل البهلوان المسرقي لليوابة. جاوز ثه، والقعين. الممود الشرقي لليوابة.

الفرسخ الثالث (الكِيلُوس)

جلست اكيسا على الأرض، فوق سترتها المقصبة، خارج بوابة البيت. نسمة باردة مست بريشتها - ريشة الربيع المولود من صَدَفة الخمائر العاقلة - أجفانها المتقرَّحة فاطبقتها المُراة على دموع خرساء انزلقت بلا إنذار. مسحت عينيها بالمنديل المغموس في مسحوق اللاّزورد المغلي، ثم وضعت المنديل في حجرها . أخرجت الصرَّة الصغيرة، البرتقالية، من جيب قفطانها . فتحت العمرَّة عن حفنة من بزر البقطين - ثمرةً الممكن الجوفاء.

القت اكيسا خيالها، عبر اجفاتها المتقرّحة، على دار مهران، جسرٌ خشبه، بمساند من ليف مجدول حبالاً رطبة، يصل الضفين، اللين يتناظر منهما منزلها ومنزل اختها، بلسائي العلو الواحد، واللون الابيض الواحد، والنوافذ الست المبشرة بمآثر الشروق على ببتها، ومآثر المغيب على بيت نوفا جان سيدا، زوجة الامير ذي اللقب الازرق. شعاعات شمس العصر، المطروقة على سندان الغيوم العالمية، المتنارة، انعكست بروقاً ناطقة على اجتحة سُرُمان الماء الحَجَليّ، العابر لَمُحاً بين قصب نهر نوة آف، يطار بعضه بعضاً بمراوح المنطق: حشرة من فصيل الزنبور، بلا خبث، عقد لها الخيال الرطب المتصل بعقل النبات المائي شهوة الفلسفة في مناظرات الاحياء الناطقة بلسان الحركة ولسان السكون. تتبع الماء حيث يسيل أو يركد باجنحة جدال، ولها آحوالٌ في اللون تتزلَّف بها إلى الظلال المُحبِّد المُحبِّد التي تُغلِقُ عليها أشعار الوجود المنسوبة إلى الهواء الكتوم.

اقترب زوج مرمان من أكيسا. رفرفا في حذر وابتعدا. قفز ضفدع من الضفة إلى الماء. تبعه آخر. تسلق دعسوق حائر ثوب المرأة المعشب يريد النفاذ إلى الخلاء بين الورق فيرده السطح الكتيم، المستوي، للرسوم الكتيمة المستوية بلا عمق أو خلاء. تساقط قشرُ بزر من فم أكيسا على صدرها: كانت تضيُّق ما بين أجفائها، في الم، كي تتَّمكن من حصر المكان السَّاكن، في الجهة الأخرى من الجسر. منذ سنة شهور، أو أكثر بقليل، أحسَّت حريقاً كنس الفلفل الحرِّيف في عينيها، فواظبت على وضع عصابة عليهما بعد تغطية كل عين برقائق من قشر القثَّاء الْبَرِّد. انتفخت أجفانها. سَرَد العارفون بأحوال الأهوية، ومهابِّ الرياح الخفيفة والقوية، علومَهم في اتصال عوارض العين وعلُّها بالمجابهات بين الفصول، وإخلاء بعضها الهواءُ لبعض في الظاهر، مع توسيط للحيلة يحفظ لذلك البعض ثغوراً في سلطان الفصل المعقودة له مشاغلُ الشمس. ٥ تختلط الظلال العاجزة عن اللحاق بمثيلاتها، التي أستولدها سَمْتُ الطبيعة في دورة الليل والنهار . ظلال باردة تعتنق ظلالاً دافئة . ظلال مكسورة تستنسخ ظلالاً صحيحة. ظلال ليُّنة تُقشِّر ظلالاً صلبة. ظلال فتيَّة تتوسد ظلالاً هرمة. ظلال ماجنة تغوى ظلالاً عفيفة. ظلال لا مرثية تعتصر ظلالاً مرثبة. ظلال رطبة تلتف على ظلال جافة. ظلال عجولة تقضم، في عبورها، ظلالاً متانية. ظلال غاضبة تعصف بظلال سمحة. الظلال كالدجاج، يا أكيسا، يهرب بعضُّه من مزرعة إلى أخرى. تختلط الظلال فتختلط حقائق البِّدن و. ذلك ما قيل لها بلسان العزاء المداهن. لكن ابنتها زَلْقُو البيضاء مثلها، اتتها بعُقد من العلوم نستحة لها الورَّاق عاكف شهبان - ورَّاق بلدة كلاس الأوحد - من حرَّائن الوشاية الأرضية بعقل العلَّل إلى عقل الأدواء: كُتُب المُحصوص المُحتَكَر، الموقوفة على دُهاة تراكيب العُنْصر، المتدبرين قلُّ جسوم الجهول الثلاثة بآلة الإستقصاء. زلفو لم تمهل أمها أن تستمر في تغطية عينيها بقشور القثاء، وغسلهما بماء تُقعَ فيه مسحوق اللازورد. تركت ابنتيها الصغيرتين في عهدة جدتهما، وزوجها ابن اخي دينان، لتشرف على بصر أمها من معقل قلب البنت المستوفية خصائص الشبه الأكمل: كانت كماء انعكست عليه صورة أكيسا نفسها، التي ابتدعت تاويلاً مُستَظِّرُفاً أوجبت به على نفسها أن لونها، هي، يمنع اختمارَ الجنين في الرحم: الجنين لا ينضج. بياضُها بَرُلا لولُّ. شمس أحشائها مطوَّقة بغمام كتيم. أنجبت بنتاً واحدة وهي في السنة الرابعة من زفافها إلى دينان. أكيسا في الخامسة والأربعين، وزلفو في الخامسة والعشرين. ﴿ أَيُّنَا البنتُ، وأيُّنا الأم؟ ﴾، تُسائل المرأةُ اترابَها استَخفافاً بدورة الجمض الزمنيُّ في . الخماثر مى تعرف أن الزمن متبلبل قليلاً، ضعيف الحيلة أمام الشقاق الذي أحدثه اللون في عقل التخمين: أيهما الام وايهما البنت؟ بَشُرةً سطوعٌ زاغ منها بصرُ التقدير. لكن زلفو اطول من أكيسا، وأسرع لساناً: وهيَّى يا أمي. جثتك بالكما في فصل لا كما فيه، درج النطاسيون على توصيف الإثمد، المنقوع في ماء غسل به الكمأ، لجلاء العين، ومنع الرسوبات فيها. هي ثمرة الرُّعدة: يختبل الظُّلامُ في جوف الارض، أو يعوده مسُّ الصَّرَع فينزف عَرَقاً يتماسك - كما الهلامُ حول حصاة في صَنَافَةُ اللَّوْلُو - كُرات يتحيَّر فيها الطُّمْمُ أهي لَحُمَّ أم نبات، أم مزيجُهما. لا خلاف بلغ بالتاؤل في الاحوال مبلغ قلقه قنرٌ نشاة الكما. وجودُهُ سبنيٌّ مضطرب: تَحْصُلُ ثمرته خَلْقاً من لا تلاقح أو بذرة. ذلك ما عدمه إلا النفخُ العالمُ في حمض الأوليَّة - الطين الصلصال، أو ما يقوم مقامه في خيال

المقل المذعور . تجتمع الجواهر" الفلكية والأعراض العناصر" ـ جارياتُ القدّم الابكارُ ـ مصادفةً في برزّع المخدّة ، حين يعيا النشكُ الطليقِ برزّع المحدّة، حين يعيا الوجود، في جداله، عن تدبير صورٍ للخيال الناطق ـ خيال الشكُ الطليقِ الملجوم بالشكُّ المُركِّض، تُعتمد الجواهر والأعراض مُمتّئلة، بشهوة العصيان، للغدر بالله، فتستولد ـ من عرّق الطلام ـ كُرّة الكمأة على مثال اختها كُرّة الكون.

لا جذور للكمأة تنتسب بها إلى الباطن. لا ورق تنتسب به إلى الظاهر. لا أثرُ تُصنَّف به في حقائق البرهان المعقولة. يُستَدلُّ عليها بغيرها. لكنه استدلال لا يصير قانوناً إلا في موقع الشمِّ من الحيوان: مرة يجدون الكما في ظل شجر القصيص الغريب، أو تحت سطح نبتَ قوقه الشُّكَرذيون اليوناني ذو الورق الرفيع بلا سيقان، ومرة لا يجدونه. يذهب به ماءُ الرعد من مجهول إلى مجهول. بَيْدَ أَنَّ الْكُلِبِ المَدربِ عَلَى رائحته يقتفي أثر المجهول إليه، ويُسمى صيد الكما بالكلب وعلمَ الماء ، لم تقل زلفو لامها من أين أتت بالكما تداوي به بصرها المحترق. جعلت الكما دقيقاً مطحوناً خلطت به الإثمد الذي تكتحل به اكيسا. وآه، قلبي ٥، كانت تردد المراة على مسمم ابنتها كلما مرَّت ريشةُ الكحل بين اجفانها. قلبها الملجوم من أن يزحف إلى حدائق دلشاد غلب، بالمه، حريق عينيها. منذ شهر، قبل جلوسها ذلك العصر خارج بوابة البيت، لم تعد قادرة على اجتياز الجسر بلا معونة من زوجها، أو ابنتها. تهدُّل جلَّدُها المشدود في نحة عين. كانت مُدرُّبة، بصوت العاشقة فيها، ان تذوب غماماً يتنشَّقه الحفيُّ وحده في عبورها الجسر إلى بوابة الامير ذي اللقب الازرق، منسلَّة، من المر لصق السور الجنوبي، إلى غرفة دلشاد - غرفة التاريخ الصقول بلا تدوين على الورق المصقول بقوة الاسطوانات الصاغطة، قرب خيال الاب الاول زازا إيقاردر. وها هي لا تصل إلى عاشقها إلا في انعقاد حلقة الجُلساء بدار الامير، جالسة إلى جوار اختها، وخادمٌيُّ اختها الطورانيتين، وبعض الزائرات في المساء المُلقَق أبداً باستعراض العلوم المشدوهة على السنة الظُّرفاء: يختلس دلشاد النظرَ إليها ذائباً في صَنافة السرّ الملتهبة، وتذوب اكيسا من خيانة عينيها اللتين تُصَيّران الشابُّ شبحاً تتقاسمه الظلالُ السميكة لمصابيح الزيت؛ فما يتبعّى لها غيرٌ رماد صورةٍ.

كان داب مهران أن يقرآ على جلسائه، كل مساء، السطور التي ينجزها دلشاد من ترجمة والمختصر في حساب المجهول . دقائق، لا آكثر، هي تحصيل انقلاب الخيال السرياني خيالاً كردياً. ذلك ما يقدر المترجم أن يعود به، نقياً في غربال يومه. دقائق قليلة من القراءة، ثم يسود الصمت المزبد في قربة اللّين العقل. هم لا يفهمون شيئاً، في الارجح، لكنها وساطة مُحتملة من الوقت، في الفاصل بين نشيد الغامض على لسان مهران وبين مرتبة الترويح عن لسان المتاهات بلسان الشكر للنوادر، والشكر لحثة العقول المضحكة – القصص المقذوفة من نوافذ الام إلى نوافذ الام يلتقطها الشُّعار العميان، الذين يغزلونها على مغزل الأصباغ الأزلية، ثم ينسجون بها المُرَّيِّ – ثوب التسلية النُّور.

في النشهر الخامس من صاعقة الجهول، التي أوقدت النار في محجري اكيسا، لم يعد مهران ذو اللقب الأزرق إلى قراءة شيء من كفاية الترجمة، وهي أشهر خمسة أدرك الجلساء فيها، على قدر علومهم بظاهر اللسان البسيط، أن لفة الأوراق بين يديه قد انحسرت عنها شهوات ألمُحيِّر، وكَبُسَت عليها شهرات الظرائف المقصودة، والسيِّر المختصرة، وغرائب الامصار، والأحاديث المُستَملَّحة بلا تزويق. ودلشاد سيرتاح قليلاً و، هكذا علّل الأمير غياب قراءته الممهودة، عائداً بخيال لسانه إلى اليوم الذي ادرك فيه، بنفسه، أن السياق المعذّب لانتقال الانفاس بين سطور الترجمة تقرّض بسرد مُلفِز عن نشأة و عقول المعادن و. كان ذلك قبل ستة شهور من بلوخ الخريق مرتبة نفتيت الصور في عيني اكيسا. قراء في مسائه ذلك، ما ينبغي أن يقراه على مسامع الجلساء متخبط القلب. لكنه خرج في الصباح إلى الحيام منتقاً بعباءته السرداء، المذهبة الحاشية، أصفى إلى المياه قليلاً يسترد بخياله ودائخ المعسر الذي يجمع نشأتيهما في خزائن المعلوم المُغلق، سلّم على النهر، فرد النهر التحية محمولة على انفاس القصب. نادى، من غير أن يجاوز نهاية الجسر: واكيسا االا، وانتظر برهة يعرف من تخاطر الخلايا الحية بعقل الغنام الحي أن صدى الإسم سيلتقط صوت الإسم، فانفتحت البوابة بصرير سكران: واناديتي يا زوج اختى؟ و.

« أكيسا»، قال ذو اللقب الأرق. الفي بيصره إلى الماء ريشما بلغت المرأة – البزوعُ طرفَ ظلُّه ، و ما اللبي قرائه البارحة لجلسائي ؟ » .

اطرقت اكيسا، وعادت إلي إلقاء عينيها في مصبّ عينيه صامتةً. نطق الشيخُ بفضول يغور من لسانه: ولا اظنك لقّمت عقولاً للمعادن ، اعتصرها بقبضة حصاره اللامرئي، فلم تقاوم: « إنه دينان ». دارت الحقائقُ بكماءً دائخةً في قلك علمه بالحقائق، ارغى معدلةً معدنُ الهيئة الآدمية: « دينان؟! ماذا جاء بدينان إلى...؟ ». تاه اللفظُ علم لسانه محدثةً إلى اكيسا.

و دينان يعرف،، قالت المراة - البزوعُ من صَنافة اللون.

و يعرف ماذا؟ ٥، دمدم مهران إيڤاردر.

وبالذي بيني وبين دلشاده، قالت اكيسا.

كان دينان يحوّم حول فضسه كنحلة ذات ليلة، بعد عودته من مجلس لشُطَّار الحمَّامات، في بيت دفتردار الشحن زكي مجبور، المولع بالخط الديواني في تدبير المتاهات للمَضْبَطة التركية. مفاقيلُ حكايات الحقّة، التي وزن بها الشُطار الألمَّبانات خيال اللسان الحاذق، بلبَلت الميزان في عقل مروّض المسكوكات المصقولة بغبار الخلود: كانوا يفصلون علوم الجسد بتاويل الماء الساخن، والمشمومات الافاويح المركبة من دهون النبات، وقشور الثمر، وعُدد الحيوان - مسك الغزال والسلّور. والا اعمار تنجو من غواية النبخير بارواح اللطائف. لكل عمر تزويقٌ يعترض به الخيال على المقدورة. توريات صقيلة واكبت ترثرات الشُطار في وصف حيّل العشاق الخُلاسين - الأزواج والزوجات، والحّدي، صقيلة واكبت ترثرات الشُطار في وصف حيّل العشاق الخُلاسين - الأزواج والزوجات، والحّدي، والغلمان حمّالي المتاع من الحوافيت إلى البيوت، وجُلاح السكاكين الجوالة، وصيّادي العقارب من سقوف المتازل بابتداع الاصوات الرقي. ثم رئيوا الآثار في رمل المعقول: ولكل مظهر قيشمة يُستَثنلُ بها إلى شهوة، أو هوى، إذا أحبت المراة ضاعفت الكحل مرتين في اليوم، وأبقت جلة عانتها جليًا كراحة اليدة.

لقشَ دينان الصَّورَ في خزانة عقله المرثيِّ الخافظ - عقلِ الاستدلال بالضوء على الظاهر. استعاد اكيسا، ببصر المعاني المحسوسة، من الواقع خيالاً، ومن الحيال واقعاً. طابقَ الظنونُ فانطبقت. ارغى كبكه: ٥ سافقت الاشكالُ في محجريك. ساقشرُّ حدقاتكِ الحمس عن بصلة البياض الاعمى -

حدثتي عينيك، وحدقة قلبك، وحدقة كبدك، وحدقة فرجك، يا اكيسا، ظنولٌ , قيقة مسَّتْ عضلة الشُّبُّهة فيه، من قبل، وهو يرى زوجته، من نافذة مشغل المصكوكات، تعبر الجسر مراراً، في اليوم الواحد، إلى بيت اختها. لكنه تخقُّف من المحتمل للسنون بذرائع النِّسَب حول اخدود قرة صُوًّ الطويل: «النساء رمادٌ في الأربعين». ليكن أن تُضاعف أكيسا الكحل على عينيها. ليكن أن تظلُّ حليقة العانة بانتظام. ليكن أن تبخر خمارها بعصارة الماميران المغليَّة: ﴿ تلك هي مدافعةُ الأنثى عن حديقة فكرتها النضرة في المرآة ٤، هكذا سوَّغ مرؤضُ المسكوكات لنفسه ما يحبَّب ظلَّ الشكُّ عن السقوط على أثر ظلِّه. لا. شُطار الحمّامات أعادوه إلى سكَّة فكرته - الشبح؛ الفكرة المتدحرجة ككُرة الشوك من الظن إلى الاحشاء: امرأته لا تغفل عن شعرة واحدة في موضع النُّقف من الحاجب. نقوشُ الحنّاء على ظاهر يديها هي في الموقع ذاته من الق اللون - نقوشٌ نبيلً من أرقام الحساب الكلي المفقودة. كل صباح تُنَفَّى فمَها بمضغ صمغ المُصْطكي. بصرُها، في مجلس المساء بدار الأمير، على دلشاد. كيف أخذتْهُ الغفلة، إذاً؟ ما يصحُّ من التقدير في أمر عاشقة واحدة يصحُّ في أمور العاشقات حميمهن. اعتصر دينان ثدي عقله الثامن - عقل الإطلاق: أيتبعها؟ يتبعها إلى أين؟ إلى بيت اختها؟ . لو بَدَرَ من اكيسا ميلٌ يُريبُ للجَمَها الأمير أو تُوفاجانٌ. هي في مرمي رقابة العجوزين السارحين، أبداً، في حداثق البيت المرئية والخفية، المستورة والظاهرة، المُعلَّقة إلى سماء المكنات أو المرتكزة علَى كثافة الحاصل: ولا يليق بك، يا دينان، أن تجرفك الشبهة إلى الإختلال، قال مروض المسكوكات لنفسه الكادحة في تطويع معدن الصُّدمة. ﴿ إِن كَانَ فِي الأمر مجرُّد ميل ساهددها بضَّرَّة ` بكرهي، في حساب شيخ مثلي، نجاة البدن من محنة الجفاف البطيء. ساعذ "ب خيال اكيسا ليلة بعد ليلة. سأسلخ النقوشَ عنَّ ثيابها. ساتيد الصورَ في أحلام يقظتها وأحلام منامها. بطيئاً سيغدو نَفْسُكُ يا أكيساً. بطيئاً سيغدو نبضُك. ستتآكل المُتّع الصغيرة، المنثورة حولك كبصر الارتب،، قال دينان، غير مُكِّنف بالفاظ انتقامه. تحرى صوراً اكثر شقاءً يمتحن بها امراته، ثم اقسم قسم الوجود بالهباء ــ ثمرة الكُليُّ الناضجة أبداً: «وحقَّ الألم، لو بَنترتْ من قلبك، يا أكيسا، لفتةٌ، تخفي حتى على الملاك الرقيب، إلى رجل آخر، سلبتُ من عينيك ودائع الله ٤.

لم يكلف مروّض المسكوكات نفسه التزام العلوم الماذونة في تدبير الاستقصاء، وقيافة الافعال، والتحرّي عن المكنون بالظاهر. داهمّ امرائه في كمين الذهب – كمينٍ قلبها المطابق عشَّ الْخُطّاف: 3ما الذي يعجبك فيه يا اكيسا؟؟.

كان السؤالُ الجليد في لا تحديده موجباً للحدر . شُلُ خيالُ المراة البزوخ . تفتّ لسائها ، وتخلخل الهواد . تتبّ ته بيصرها منتقلاً بصركة تتلامس فيها البروج ، إلى ركنه الاثير، حيث الكرسيُّ الثقيل ، الهواد . تشت بيصرها منتقلاً بعرية المنتقل مدرّب على شواطئ إسطنبول . و اسمعي ، المنتقب المنتقب على شواطئ إسطنبول . و اسمعي ، اكيسا » . قال دينان مصغياً إلى الشقاء الرقيق ، المنتقبر في قدح الحيلة : ولن أثير عاصفة في عمرنا هذا . حداث إليها متلاشية . وعندي ما اساومك عليه : ستنقلين خواطري إلى دلشاد يُقحمها في فقرات من ترجحته ، منذ الغد » .

١ خُواطركَ عمَّ ١٩، تمتمت المرأةُ البزوغ مهشَّمة اللسان والصوت.

«عن عقول المعادن»، قال مروّض المسكوكات، فلم تفقه أكبسا شيئاً.

الأمير ذو اللقب الأزرق، الذي قراً على جلساته أنفاس السطور الثالقة من محاججات المعادن للممادن، ذات مساء، أحس صريراً في قلبه. كان قد اعتاد، في الأشهر التي سبقت غزرة الحريق في حدقي عيني اكيسا، ان يُملي على المرأة البزوغ قصصة البسيطة كي تحملها إلى دلشاد، فيعيدها إليه دلشاد في غطاء ينسبها إلى ترجمة والمختصر في حساب الجهول »، فيقرأها مهران لجلسائه المستحسنين طرائف الرجود البسيط، اكيسا لم تعرف، حتى ساعة جلوسها قبالة الجسر متصدعة البؤبرين، في الربح الأعشى ذاك، كيف اهتدى الأمير إلى هواها المنتقل ككتيب ترعى به الربح، من حجاب إلى عبد المناقبة في الحيال الازلي، هي سلكت الحائر في عبورها اليومي من بوابة بيت اختها إلى غرفة الشاب النازل الصاعد سلالم الترجمة، من غير مبالفة في التحوف للفجاءات، مطمئنة قليلاً إلى الشرود الذهبي، الذي يوطد لمقلي الزوجين الشيخين سلام المغلى الزوجين الشيخين المساعد ملالم التوجين الشيخين المناقبة الدار والطهو، فهما، في الأرجح — تواطؤاً مع أكيسا، أو الخلامان أيشاً وشهلاً بالأمر — لم تكونا في عداد خذرها.

في مساء آخر، قبل شهور من المساء الذي اعترت فيه قراءة الأمير للترجمة على جلسائه ما يُربِ خيالُه، فاعترفت له اكيسا، من ثم، بما اقحم به دينان من إملاءاته عليها ليضيفها دلشاد إلى الترجمة؛
عن مساء آخر، اعترت السطور بين يدي مهران حُتى النقلة الغريبة من سياق في أحوال الاعيان الخامضين، داخل والمتصروفي حساب الجهول ، إلى سياق في أحوال الوشم بالنَّيْلج، وبالعصارة الخامراء في حشو الجراد، والمفاضلة بينهما، بدا التاليف ركيكاً، متعشراً، متقطعاً، موصول الخواطر عنوة بلا تجانس. كتم ذو اللقب الازرق ريبته المُثقلة باستيائه، كلم أكيسا، في الصباح التالي، من السهاية الغربية للجسر، بعد خروج زوجها إلى مشغل المسكوكات: وأكيسا، فلأ استفسرت من دلشاد عن حكاية الوشم هذه ؟ و، قال، مخترقاً بيصره حقل القصب الابيض على ضفاف عينها. وفوجت المرأة البزوغ، ارتعشت عضلة الطير في روحها – روح السفح الجبلي: ولو يساله جنابكاً ، ودت مرتبكة، اطرة مهران، نقل بصره إلى النهر يستشير ماؤه فاشار الماءً عليه بالسكوت، استثقلت:

- لماذا تخيرتني أن أسأل دلشاد؟

أعاد مهران بصرَّرهُ من الماء إليها رطباً. دار بلسانه، كمقرب الساعة، على محيط الكلام: 3 كوني حذرة، يا اكيسا. قد تعرف أختك نوفا ما أعرفه ».

ذاب خيالُ آكيسا. مشاهئ عبورها بوابة دار الامير إلى غرفة دلشاد، لَمْحاً، تتالتْ مهشمةً في عيني قلبها: لا أحد ينجو من خذلان الحيلة، في برهة ما، على مرمى رقابة الآخر. غَلَبةُ الظاهر، في حقل أخيه المستور، هي غَلَبةُ غبار الطَّلع. نطقتْ أكيسا متلبِّسةُ بهواء المكتوم المُعلَّن. نطق لسانُ اعترافها – اعتراف الماء: (أنا لمُقت لدلشاد تلك الإضافة إلى الترجمة، يا زوج اختي،)، قالت. حادثْ ببصرها عنه إلى رخام الملوعة الملامرئي: (كانت الترجمة ستنهيئ. مسّت حالً مهران، في برهته تلك، ريشةُ حال اكيسا، فرنَّ ورُّ الأسى فيه من عقله إلى كبده: هي تستبقي دلشاد. تستظهره من خاطر الأنشي فيها سطوراً هي حكاية عودتها إلى كمال الفكرة المفقودة: الهوى وجوداً. الإستجارة بالهوى وجوداً. محاكاةُ الأرضيِّ للغيب المستعاد ارضيّاً. البقاء في طور الشمرة بلا نهاية.

كانت اكيسا مفيمة في عِلْم قلبها بالازليّ. هكذا رآها ذو اللقب الازرق، فحرّضها على تلك الإقامة بتاييده - تاييد العقد الذي لا يعرفه إلاّ قلبٌ موثوق: «ستدوم الترجمة. سندوم ما دامت يثُّ دلشاد قادرة على التدوين».

بسيطاً كان التدبير: اكيسا تحمل إلى الشاب ما يمليه عليها مهران، فيعيدها إليه الشاب بإنشاء قريب من الترجمة، وفي ظنه ان اكيساء الملتزمة كتمان المهمة، هي التي تختلق الطرائف الرقيقة، والنوادر المشاعة، وتزيّن الاقاصيص الهائفة والملوّعة برسوم الكلمات المتوسلة الوان السحر الملجوم. والنوادر المشاعة الوان السحر الملجوم. وينها داب ذو اللقب الازق على إرسال كل بضع صفحات إلى عاكف شهبان، وزاق كلام، يستنسخها له اربعاً بخط المرية الحالمة، إعادة الحرف العربيّ صورةً في مُقتَتِح الفقرة الكردية. ثم برسل النُسخ، في محظة سائق القطار، إلى أولاده الاربعة، المستقلين باشغالهم، كلَّ في محطة من الاربع المتثلية من الاسكندرونة إلى ملاطبة، هائلاً في رعاية خياله المنسوج سطوراً تؤيّد أبوّة شيخوخته بلا قيد. لكنه صُعق من اقتحام خيال آخر في ابتكار اوجبه على نفسه، واستمثلكه خصراً سخيال دينان بروار، مروض المسكو كان. عنا الامر عرطقةً: وكيف تجاسر هذا الخذول، يا اكيسا السائقسُّر بؤبؤيه، ساعيد بهميرةً فوضيًّ: لا تورًا لا ظلام الهراه.

حين اقامت فرقة والكيد و التترية دعائم الغناء الغريب، في دار صُوصُوكُ جُوْلُ، تنزُّل على عقل دينان خاطرٌ من شروق الحيلة: و سأملي على اكيسا ما تمليه على دلشاد. سيكون لي في ما يترجمه عن السريانية موقمُ السطر التائه ع، هكذا توطّد الحقائق الكسولة، وتهادُّد المكنات.

لا رياط، في الآرجع، بين فكرته، وبين إصغائه إلى عزيف الآلات بين ايدي اولئك الستة، المنتفخي الارباط، في الآرجع، بين فكرته، وبين إصغائه إلى عزيف الآلات بين ايدي اولئك الستة، المنتفخي الاجفان على عبون جروح مستطيلة المذاهب، تنفقد المستمعين بحثاً عمن لم يحضروا. هم اتخذوا اسم و الكثيد، من فقط في القرآن، بحسب الترجمان التركي. لكنهم يكيدون لاصوات المهجورات المهجورة المستاحة مثال هو تلك الاصوات مجتمعة في تناحر بلا انكسار أو النحسار: أصوات الربع، والماء، والسحاب، والعقل، كان مغنيهم ينتقل بحنجرته من مقام إلى مقام في الثبر، بخليط من النفخ لا يشبه الغناء، والفاظ هي تمام محاكاة اللسان خركة الطبيعة وانفاسها، أما الثبر، بخليط من النفخ عما مهذا الترجمان للنقلة بين المراتب بالتركية، فقد اجتمع في تمثيل خاصبيته الطنبور، تسم مرات على سطح الماء، في رمية واحدة، والفخخ عرغرة من اللهاة: وصوت العقل هو الحجر الذي ينزلق تسم مرات على سطح الماء، في رمية واحدة، والمناخر الرؤيا، من مُبتلز النشأة زمرة في فنح المراب على مدارج الرؤيا، من مُبتلز النشأة زمرة في فنح المراب النبي على مناه على الاسطوانة الحديد، شرب دينان من طاسة نحام ودار، المكوكات عن لسان القارع بالملعقة على الاسطوانة الحديد، شرب دينان من طاسة نحام دارت المسكوكات عن لسان القارع بالملعقة على الاسطوانة الحديد، شرب دينان من طاسة نحام دارت

دورة الكمال القصيرة في المجلس. استعرض قلبه الخازث على عقله الجزانة صور المعقولات المحتدمة: «اريد موقع السطر التائه يا اكيسا»، تمتم بلسان السماء المنطقعة بطبائم الأرض.

لا يعرف دينان لماذا تجلى -- من بصر علومه القلقة على بصر علومه للطّمتيَّة - ذلك السياق الغامض من مكاشفات المعادن للمعاني. كان انتقاله بين خواص المواد يضعه، ابدأ، في صورة السؤال العادي عن ديمومة المسكوركات، التي تستولد، في خواطر الطالبين، حساب تاريخ العالم الصغير، والعالم الكبير، بارقام من صناعة النُّسَب العائلي. مواذُ تدوم واخرى تبلى. احماض الطبيعة، الحاصلة عن الكبير، بارقام من صناعة النُّسَب العائلي. مواذُ تدوم واخرى تبلى. احماض الطبيعة، الحاصلة عن المارة. ودينان، الحامل إلى زُلنه برهان المعدن على أن المصادفات اناطت بها عقولاً على قدر بقائها، او المرتبة، ودينان، الحامل إلى زُلنه برهان المعدن على أن المصادفات اناطت بها عقولاً على قدر بقائها، او زوالها، يريد برهة لا يُشتَهَل فيها خلود النقش المطبوع على ماذته، لقد كلم عناصر الخارصين بلسان الروبية بالليل - مذاهب الرهبة والرغبة؛ وكلم عناصر التحام بلسان الأكيد المائث ب الاكيد الحالم المنافق المنافق المنافقة وكلم الفصدي بلسان الموميض المنافق المنافقة بلسان الإستغاثة؛ وكلم الذهب بلسان المجهول المصوم الذي يحتال به القباء في تصريف الوجود المنكوب: وهبّني أيها الجماد فضيلة القائق الساخرى، قال خياله المسكون، فوهبه الجماد قلق الإنسان. دار على عقبيه في اتجاه ذاته المرتضلة: وطدي أن اجراكم معي السطر التائه، يا اكبساء، الكوساء.

كانت حيرة اكيسا أشبه بشلل، حين سرد عليها زوجها دينان خواطرَ عقله التاثه في مسالك المعدن. هو، نفسه، بدا متلعتم المنطق، قلقاً في الإنشاء، يحمل بَيْض الكلمات مكسورةً إلى اعشاش المسطور المتوازية في خيال لسانه. حاجَجتُهُ المرأة البزوغ بانكسار: « لا افهم ما تقول. كيف انقل ما لن أحفظه إلى دلشاد؟».

و فكّري، معي، في طريقة نبسِّط بها ما في عقلي، قال مروِّض المسكوكات.

ولا أفهم ما في عقلك، يا دينان،، ردت أكيسا.

اخترعي معي شيئاً ما. اعينيني، قال موبّخاً.

ا فلنفكر بحكَّاية صغيرة إِذاً. أيَّة حكاية تريدها؛، ردت أكيسا.

و أريد المعادن أن تتحدث بلساني عن أحوالها، من عقل لا هو لي ولا هو لجماد آخر غيرها. المعادن ، تمتم مرؤض المسكوكات، فاطرقت اكيسا. أحصت مجرات اللامعلوم الثماني والاربعين مستعينة بأصابع عليها. وصابع الخفي الطويلة التي مسئت أعشاب عقلها. احتدم دينان: وما بك ساكتة ؟ فكري »، قال، فظلت المرأة البزوخ في البرزخ، تتجاذب والوجود الصغير وشاخ المفقودات الصغيرة. ربّ صوت زوجها من جديد: واريد هذه المعادن أن تعترف باقتداري على إعادتها إلى صوابها، أو قلاسمة جدالها، يا اكيسا».

ظلت أكيسا في البرزخ. نقلت حصاة الوقت من مجرى الآثار الأرضية إلى مجرى الكيد السماوي. غلى ماءُ الجوهر في خليَّة عَظَم دينان: وما شكوتكِ هذا؟ أتستخفَّين بي؟٤. رفعت إليه أكيسا نظرتُها الفارغة، فازداد غلبانه: واسمعي يا فاشلة الحقيقة، ويا فاشلة اللون. أنت استولدت فيَّ جرحَ

الفكرة. خذى الجرح إلى دلشاد،.

وخلق الله المعادن اولاً. فكرت المعادث، ثم تكلمت.. ، و، هكذا بدأت اكيسا سرد المخطوط الحنمي على المعادن الميسا سرد المخطوط الحنمي على دلشاد، الذي لم يطاوعه الحبر. وفع القلم عن تخوم البياض وحدق إلى المراة البزوغ: و الا ينتبه مهران اننا نلقق له، كل يوم، شيئاً مختلفاً المعامل متاع المرجمة المنافق المنا

ارتعدت أكيسا. مالت عليه في مجلسهما على الأرض تحتضنه بيدي تُديبها، ويدي أحشاثها، ويديها هي المُعْتَنقتين مذاهبَ اللوعة. تهدج صوتها: ﴿ كلما قلتَ هذه الكلمات احسستُكَ تهدُّدني ﴾ . ارتعش كبُّد دلشاد: 9 لا . . 3 قال، فسائتُ فمه بصدرها. اعتصرتُ راسَه: 9ليكنُ. اقتُلني واذهبُ. اقتلني على النحو الذي تشاء. ضع سكيناً على نحري. اسكب عليٌّ زيناً مغلياً. اقطعُني شرائح رقيقةٌ ووزَّعني على هذه الكتب، بين الصفحات. الله بي في النهر. ادفُّني في طاحونة الملحُّ. علُّقني قطعتين إلى شجر السُّدر، في مهبّ الربح على وادي قره صو كي أجفُّ. اعتصرتي بين حَجَرَيُ رحي حتى أغدو هريساً تملُّط به جحور النمل في كلاس. استفرع دمي من وريدي في الزير، واكتب به أشعار الخسارات إلى آخر رطوبة فيه . اسلخُ جلدي في القيظ يجتمع عليُّ الذبابُ الأزرق . مرَّعْني في حقل من أعشاش الدبابير. الفعني من حافة الدنيا إلى هاوية ال. . . ٤ . تعثر لسائها بدرَج خيالها . وضع دلشاد راحته على فمها، وهمُّ بتقبيلها، فردَّتْه: 3 ثم ماذا إذا أخبرتَ مهران أن الترجمة انتهتُّ؟ نتقابل، بعد ذلك، في البرية. تتنكُّر في جلد حمار قادم من بلدة سياسيل، وأتنكُّر في جلد أتان قادمة من كلاس. هاه. سنكون على ما يرام، يا ابن ال. . . ٤ . تعثُّر لسانُها بحجر الغضبُ فتساقطت الكلماتُ واحدةً فوق رئة الأخرى. مدَّ دلشاد يده إلى غمامة شَعرها الحريق. تكلُّمَ: 1 اكيسا. ستُفتَّضَح لعبتُنا هذه». انتفضت أكيسا: وهل سمعتَ مهران يتذمر؟ ما بك أنتَ، إذاً؟ هو راض، فارْضُ. أمَّ مَلْلَتَني؟ ٥، قالت منكمشةً من فجاءة الفكرة. ضحك الشاب بصوت ملجوم. دفعته المرأة البزوغ بيديها الحانقتين فارتد دلشاد بظهره على الوسادة . جلست أكيسا على حجره . قرصت خاصرتيه ، وتَندُونَيْه، وجلد أضلاعه. عركتْهُ. لوته حيثمًا مكُّنها عضوٌ فيه من الإلواء. عضَّته من أنفه، وكتفيه، عضته من فخذيه المرتعشتين من غزوها لحمّة، ثم التقطت متاع الذُّكر فيه. توعّدت الأرضَ في خصيته اليمني، والسماءَ في اليسرى: ولن أُبقى تراباً فيك لانثى. لن أُبقى ماءً فيك لانثى. فليَكُن سلوقيُّكَ، هذا، قنوعاً بما اصطاد منِّي، واعتصرت كَمَرَّته بإصبعين، ففتح دلشاد فمَه، اخرمي، من الألم، خوف أن يسمعهما أحد.

كأن دلشاد، كلَّما اتنه اكيسا باحمال إضافاتها إلى ترجمة (الختمبَر في حساب الجهول)، لا يلجم حنق، يعارضها مستهزئاً. يتهاتهما أن السياق سيُقتَضَح، وإن الشروخ بين أصل الترجمة وبين الإضافات الملقَّقة لم تمد تخفى على نعجة. الأعيان الغامضون، الذين يسردون على مُؤلَّف والختمبَرة جرجيس لوقا سالوحي، سيّر ملائكة بلا مهمات، يتعثرون باكياس الإثمد، ونيزلجات أحبار الوشم في قصص اكيسا. تتمرغ علومُهم في طرائف حكايات مهران، وتلتهمهم السويداءُ وهم يسمعون صلصلة معادن دينان بين سَنَن العقول التي يستخرجون بها ميلاد الدورة الإلهية في الارقام. لطالما فاتحتة أكيسا أنها لا تفقه شيئاً ثما يقرؤه الأمير، في مساءاته، من الترجمة. وهو الأمر الذي كان دلشاد يكيسها به: 3 كيف يحدث، إذاً ، أن ما لم يكن مفهوماً لك وللجلساء يصير مفهوماً حتى كان دلشاد يكيسها به: 3 كيف يحدث، إذاً ، أن ما لم يكن مفهوماً ثل وللجلساء يصير مفهوماً حتى المهران؟ يه . يشد شاربه بإصابعه مختنق الغضب، ثم يلبن، ثم يدون ما يعرضه عليه خيالً المرافغ مفهوم. وأكثر من مفهوم . بسيط، لا يحتاج أحد إلى الإصغاء كي يفهم هذا يا كيسا . إنني اسمع عظام جرجيس سالوخي تشتمني ٥ ، يقول الشاب الصاعد سلالم الترجمة المنادوني تشتمني ٥ ، يقول الشاب الصاعد سلالم الترجمة للتكوية، منصرةً بعد غضبه العابر إلى إنشاء التلفيقات إنشاءاً يليق، قليلاً ، بخيال مهران القارئ، من غير أن يخفي تذمره : 9 لك مخالب عقل العقمق . مخالب تفكر أولاً ، ثم منقار يفكر، ثم معدة تفكر، ثم دَرَقٌ هو خلاصة سيرة الطعام ٥ .

«لم أفهم»، تقول المرأة البزوغ.

ا انا، تفسي، لا اجد مخرجاً لهذا المثال. لكنه يشبه الحال التي تنتقلين بها من الوشم والكحول إلى حِتِّل الجُزَّارِين في حَقْن اللحم بالماء، والعبور من كل هذا إلى طلسمات المعادن. كيف، بالله، جمعت حَمَّلُكِ مِن الغرائب؟ أم اتني لم اقطن إلى علومك، يا هَبَة الغيب؟ ، يقول دلشاد، فتقتحمه اكيسا بمداعباتها الجسورة: ولحمك هبة الغيب. سآكل بعض أعضائك نيئاً، ذات يوم، وبعضها الآخر مطبوخاً بالمشمس المحقّف».

حتى اليوم الذي جلست اكيسا فيه قبالة الجسر متقرِّحة الإجفان، كليلة البؤيؤين، لم تنبس بشفة لدلشاد عن تدخل مهران، أو زوجها، في تلفيق الإضافات. أبقته في هواء يقينه الذي يتنفسه من هبوبها هي عليه: يدوّن ما يظن أنه اجتهادُ لسائها في تدبير العلوم الصغيرة، وابتكار الملذات العفيفة للاسماع. لكنها منكوبة البصر، تستجدي من خيالها للتقرَّح ترسيمات تكمل لها مشهد الجسر متصلاً ببيت اختها – البيت الصَّدَفة التي استقرت في ركن منها لؤلؤةً لوعتها: وآخ دلشاد. أثّراني اسأتُ إلى الله؟».

الكثير من الهندباء الجرية تناثر في كل أنحاء بيت اكيسا، مذ قيل لها إن لبن سيقانها يجلو بياض العين. الهندباء الجرشة الاوراق، المتضرعة – ابداً – إلى التماثيل اللامرثية، لم تُنجد اكيسا، بَيْضُ دجاج، كثيرًا اختلا بدهن الورد المعجون، ثم طُليَت به اجفانها، اربع مرات في اليوم الواحد، بَيْضُ الحمام، والمصافير، والسنونو، والحجل الجبلي، والهدهد، واللقلق، عُجِنَ كله بمسحوق حجر السبّيج الهندي، والحيدة كمادات لعينيها. تاول لهما قيّافو المستورات الذهبية حقائق الزّلال والعمّار في اللهندي، والحيدة القيلاء، والقلق، كلاهما لون يقدر على إحالة الفراغ والملاه إلى جنس حركة؛ والحركة تطرد الاورام من الاعن، ومحيطها. أما حجر السبّيج الهندي فهو حافظ المهارات في كتلته مهارات الما الراكد، المقتدر على ابتكار خميرته الحالقة عقل المظورة والمرايا التي تُتَخذ منه، بعد صقله، توسيع حدقتي الناظر إلى عينيه فيها، وتجلو الصور. أما قيّافو مكنات المجهول الذهبية فتاوًلوا خزائن الحيوان: زبّل الضب الشريد المتمرد على ضرورة الماء مين ما والجهول الذهبية فتاوُلوا خزائن الخيار، من انقلاب رطوبة المعن إلى نزيف مائي يصير غشاءً، مثله مثل مرارة المقاب، مدرّب المتحدرات الحيابية على الطيران في ظله. واكد رسًا هولاء القيافين أنهم شهود على أن من أداموا النظر إلى حُشر الرحش مرف أول في خطاطة الرحش حرف أول في خطاطة الرحش درف أول في خطاطة الوحش حرف أول في خطاطة الموحش حرف أول في خطاطة الرحش عرف أول في خطاطة الرحش عرف أول في خطاطة الموحش حرف أول في خطاطة الموحش حرف أول في خطاطة المستورة المتورة المتورة على مدون أول في خطاطة الموحش حرف أول في خطاطة الموحش حرف أول في خطاطة الموحش حرف أول في خطاطة المتحرف الموحش حرف أول في خطاطة المتحرف المعلم على المتحرف أول في خطاطة المتحركة المحرف أول في خطاطة المتحرف أول في خطاطة المتحرف أولو على المتحرف أول في خطاطة المتحرف أول في خطاطة المتحرف أول في خطاطة المتحرف أول في خطاطة المتحرف أول في خطاطة المتحرف أول في خطاطة المتحرف أول في خطاطة المتحرف أول في خطاطة المتحرف أول في خطاطة المتحرف أول في خطاطة المتحرف أول في خطاطة المتحرف أولا في أولا والمتحرف أولا في أولا والمتحرف أولا في أولاء المتحرف أولا في المتحرف أولا في أولا والمتحرف أولا في أولاء المتحرف أولا في أولا أولا أولا والمتحرف أولا في أولاء المتحرف أولا أولا أولاء المتحرف أولا أولا

البيان الأعجم، المنسوب إلى أنبياء الحيوان ». أما مرارة الطبي، إن تُقع فيها عود المكحلة، فهي ردعً لقروح الأجفان، وتحوَّكُ من عين الشر الحاسدة عين المحسود: والطبي بؤبؤ الطبيعة في حدقة الحُفيًّ المحسوس، وفي السياق المُنتَنَّب من علوم الظاهر القوية سُنيت مرارة القبّع، أيضاً، باسماء التحصيل: وطيرً له قدمٌ في الشُّرُكُ وقدم في النجاة. يرى إلى عقل الحيلة بعيني العناصر الأربعة ». كما ذُكِرتُ مرارةً سمكة الشهر الملوبة بوساوس القدم.

لم تنوك اكوسا من الادوية ما وصف لعينها وما لم يوصف. اعتمدت نبات النهار مرجعاً، ونبات البيار اعتمدت المجرّب من جوارح الحيوان الداخلة في كيمياء الجواهر العارضة ، وغيرًا لجرّب . نقلت بعمر ياسها في حدالتي الكثافات المنسيّة على تخوم العلوم الكبيرة : عصارة زهرة الماميثا. عصارة الكنور . قطران شجرة العرم. نشاء القصع. ماء المردكوش . ثرور إقليمياء الفضة والنحاس . شراب القاوصيا . مرق قانصة الحيارى . دقيق حجر الفيروزج . الكراث الجيلي المطحون مع العسل . محلول الثوري . عصارة الوشل الكريرة الزعفران . وشال الكريرة الزعفران الشائخ المسمى حجر اللم عصارة القيري والمناسبة معلم المحلول الكريرة الزعفران . المائة المسل . محلول الملاح بشعره المبيرة بين المعامى حجر المورد على المحرد الفيرة ومناسبة من خيل الملاح بشعره المبلدة . مرق المعدم المحلوث عن مؤسس المبلدات من معنوا ريشة من ذيل طائر الملاح المراسية من ذيل طائر وسهر الليل – أن تتحرك الريشة ، و تقليل على سهر المبادر وسهر الليل – أن تتحرك الريشة ، و تقليل على منهم المحال العالم المسمون في المناسبة على المورد وسهر الليل – أن تتحرك الريشة ، و تنقلب على جنب ، فانقلت الريشة بعيدان القصم من من خوف الملاح الموام الكما المعالم أم علما المعالم ثم علم المحال العالم المعام المحال إلى طوق قماش احالت المعام، من طرح المحام المحال المعام من على المجرد على المهرة المعام المحال إلى طوق عماش احال أم المحال المعام على المحال المعام المحال المعام المحال المعام المحال المعام المحال المعام المحال المعام المحال المعام المحال المعام المحال المعام المحال المعام المحال المحال المعام المحال المعام المحال المحال المحال المحال المحال المحال المعام المحال

العناصر اللامعدودة، التي تمازجت في أخلاط الأدوية، المدت إلى اكيسا ذاكرةً لا تنقلب على العناصر اللامعدودة، التي تمازجت في أخلاط الأدوية، المدت إلى اكيسا ذاكرةً لا يتقلب على الجسد الحيّ في استحالته جمادًا بالله الموعة كلانهاية. وهو امر لا يستوجه تفصيل الدوء على أحواله في الم طاهر. المنتصر اللم في خاصيّته؛ المّ جوهر هو ما متكن المادة منذ نشره التحصيل الدوريً للأهوية – نشوء المنتصر المتعاقب على استدراج نقسها إلى خيال كل مادة التخذيها دواءً: الالياف في النبات، الحلادات المطحونة، والكيموس في الدم. كانت تنعقد وتلتف على أعماقها كحبل، وتتجمد كصمغ الحجر، وتسيل كالمصل: ثلاث خواصٌ هي ما تعرّف بها الازلُ الخالق على اللامتقيّل، اللامتقيّل، اللامتقيّل، اللامتساب، اللاحصول، اللامتعال، اللامتشب، اللاحصول، فاستحدث المتاهة، وزخرف مسالك التيه بصور السرّ – صور المِقاب الارضيّ الواضح، والثواب السماوي المُهمّ.

طفى خرير جريان المأء في نهر نوه آف، قليلاً، على قرثرات التدبير الملجوم في خيال اكيسا، الجالسة على تُهد رمية من قلبها إلى قلب داشاد - رمية الحريق الحجري، مسحت بكمها شفتيها المملحتين من نشوة انفلاق بزر اليقطين بينهما. نهضت مستنشقة هبوب الهواء عليها من بستان الطبائم المتناظرة. خلعت خفيها الجلديين الاخضرين، ومشت إلى سياج القصب الطري، النابت جدالاً أخضرَ في عقل الضفة. تبلّلت قدماها بللاً معدنياً بارد الجوهر، تاركتين في الطين خُشْمَي أثريهما. تنهُد دمها. ازلقت أكثر، بجسدها، عن حافة سرير الهواء الوثير إلى رخام الماء الصلب. انغمرت سُرُتُها - موقعُ التاويل المُجسَّمُ في لوح الله. «الماء الذي يلمسني منك، الآن، هو من منبع غُولًا جَارُسِيةُ أيها النهرا، تمتمت أكيسا.

سبعة عشر ينبوعاً هي الجوارح الاسس في هيكل نهر نوة آف. ثمانية من اسافل هضاب مرعش، وتسمة من منحدرات امانوس، تختفي تحت قشرة الارض تسمين فرسخاً قبل انبجاسها في نواحي كلاس. واحد منها يقع في آخر الصف المستقيم من شجيرات الورد الاصفر، المنحدرة من بوابة دير الكلدان المهجور. أربعمائة شجيرة. سُمِّي النبعُ باسم الشجيرة الاخيرة منها. الحجر الذي تظلله حجرً إصغرُ لون خزانة الربح، بحسب لا مِلَّة البابوغ، او أون صدّنة الهواء في نضوج لؤلؤته، قبل الظهيرة التي شهدت مولد الفردوس، في سياق اليوم التمهيد، الذي ارتجله الله لصناعة الؤمن المؤلِّق بالخوف من المعند، "

وغولاً جارسية ع الوردة الأربعمائة . اكيسا خاطبت الماة القادم من النبع هناك : إنه خفيف، يتفرّق قطره عن الجسد كاتما يلامس الزيت . خرة الضفادع فيه كثيف أكثر من غيره ، يتسلسال جارياً كسبيّهمة من نوى الزيتون ينتظمه خيطاً زيات اما عبوره في دخل الشيّع – نبات الانفاس، وخروجه، من شمّ، إلى سهل اللاّذات، قبل اتصاله باشقائه البنابيع، فهو ما ورثه طبع الإصغاء إلى عبور الخفيّين من حَمّلة

الجسور المائية إلى البرازخ: في كل موضع يخفت فيه جريانه، على الناس ان تسكت هيبةً.

كل نبع غمس فرشاته في لون من الوان الحقائق: أُعيد تلوينُ أكيسا صورةً في الكئيب المسحور -كثيب الوجود الزاحف من خزانة العلّل النفيسة إلى خزانة المُطلّق المقيّد بالمهجور المسكون. بجمع الماءً
بذور خياله، من بساتين التلوج في طوروس إلى بساتين المغيب عند السفوح الجنوبية للاناضول،
ونثرها على خيال اكيسا.

تنقست أكيسا.

تنفس عقلُ البرهة، التي اختارها الله من ماءٍ ليتداِّر انقلاِبَه الناطئَ على الأزليِّ العتين الاخرس. خاضت أكيسا، أعمنَ، في مجرى النهر. بلغ الزهادُ المدغدغُ عنقها، فاتضحت السطورُ الشفيفةُ على لوح المجهول المعترف بتقصيره عن خدمة المعلوم – ابيه المتكثّم على خصائص الغيب.

غاصت اكيسا اكثر. لمن الماغ شفتها السفلى بسطحه. نطق البياش المستور -- البياض الذي اندى المدتور -- البياض الذي انحدر منه ماء النهر. علوم الثلوج، المجتهدة في حفظ محاورات الاعالي، انبسطت روائح تحت انف المراة البزوغ: روائح ظلال، وكهوف، ورياح، واشكال منقسمة على تفسها في اتخاذ القرار بالانتساب إلى الاشكال ، روائح بياض ناطق أفشى للحدائق المفودة باسماء الانهار في حدائق الله، حيث المدمم المنشرح متراخ في زحافته التي يُعجَّما كليُّة الوجود.

من ثلوج الرّبيم الذائبة نسج نهر نوة آفّ خماراً لاكيسا فوق خمارها . أوصد عليها خزانته ــ حين نزلت درجة جسدها الاخيرة إليه ــ واغلق القفلّ بمقتاح الكمال .

ترقرقت دموعٌ في عيديّ الماء. بضع فقاعات شقت طَريقها إلى السطح بنشيدها الخافت، وطفتُ على الرقراق المتماوج حفنةً من بزر اليقطين تراخت عنها ينهُ اكيسا.



العشاء الأخير

زیاد برکات

جماليات آفلة

ولدتُ في نهاية عصر الاسطوانات : عرفتها صغيرة، توضع على الجهاز الخاص بها، ثم تُدار .. إذ ذلك ينطلق الصوت دافقاً وعذباً، اما أسياد الفناء آنذاك وفي حياتي كلها فيما بعد، فهم عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ وفيروز، كانوا يتسللون خفية لكن بعمق إلى الطبقات الابعد غوراً في أرضي، وكالجلور لم يغادروا، بعد، مكانهم في تلك الأغوار السحيقة.

بعد سنوات قليلة، في بداية السبعينات، اختفت فجأة وبشكل غامض.. تلك الاسطوانات، وها قد جاوزت عتبة الثلاثين الكتيبة، وتزوجت وأنجبت وكتبت كتاباً وسافرت إلى أقطار لم أحلم بالسفر إليها يوماً.. ها أنا الآن مليء بالحزن، ذلك أنها ذهبت إلى الابد من هذا العالم الذي يتغيّر فيه كل شيء بسرعة غير مفهومة.

أكتب، لانني استمتع بالكتابة، آخرون وهم كثر يكتبون من أجل إيصال رسالة ماء أو لجرد الزهو ليس إلا، الامر بالنسبة لي مختلف: اكتب لكي أتدخفى، لكي أترسب في القاع السحيق كصوت عبد الحليم حافظ الدافئ ولللزع، بمسحة الحزن النبيلة، أقصد ذلك العموت الذي كان ينطلق من الاسطوانة ثم يتسلل بعذوبة لا تُضاهى إلى الطبقات الاعمق، والابعد غوراً، من حياتي وأرضي... أكتب لكي أرثي ذلك الزمن الغابر، المنقضي كطعنة تمت ويدين مغسولتين من دم الخلص، ذلك الزمن الغابر، المنقضي كطعنة تمت ويدين مغسولتين من دم الخلص، ذلك الزمن الذي عرفته مُبهماً لكن جميلاً على نحو طاغ وبالغ الفتنة لانتشل ذلك الفتى من طينه وبؤسمه

زياد بركات، كاتب فلسطيني مقيم في الدوحة -قطر.

كي أراه ثانية أمام عيني . . وأبكي على صدره، ذلك أنه ولد في نهاية عصر الاسطوانات، وُلد في السنينات الذهبية التي منذ ولت لم يعد للكون من لون ومن مسحة جمال متبقية .

8.0

نشات وحيداً وناحلاً ودون حماية في مختم يقع على اطراف العاصمة الاردنية عمّان، كان يُدعى مخيم شنار ثم أصبح «حطين»، ولا أدري ماذا سيصبح اسمه فيما بعد.

آثذاك، أقصد في نهاية عصر الاسطوانات، قبل ربع قرن، نشات وكبرت حافياً تحت سماء الله، دون رضاه كاتما و الربح تحتى ». . .

آنذاك، كنت أسمع جرس الكنيسة يُقرع كل أحد، وكنت أرى الزهور في الجبال كحريق يشتعل، أما الآن فإن أحداً لن يصدق أن مخيماً للاجتين الفلسطينيين حيث أما الآن فإن أحداً لن يصدق أن مخيماً للاجتين الفلسطينيين حيث المنازل الني على عجل تُنيت، المنازل الكثيرة المكتظة بالولادات السريعة، حيث المنازل تتحوّل من خيمة إلى ما يشبه البيت، وحيث الشوارع مليقة بالماء الآسن، إن مكاناً كهذا يمكن له أن يحتضن جبلاً أو إثنين يحترق فيهما ربيع دائم طيلة فصول السنة، غير أنني اصدى ما أكتبه، ذلك أنني رايت، ولقد رايت ربيماً يتفجر على جبل، وسمعت جرس كنيسة يُقرع كل أحد، ورأيت اطفالاً يلهون بالقرب من مدرسة شئلر، تلك التي اسسها مبشر الماني وأطلق عليها اسمه لرعاية الايتام، دون صدى طدف سوى الحبة التي هي قوية كالموت...

آفذاك، رأيت شاباً يحمّل جهاز الاسطرانات، ويضطجع على العشب على ذلك الجبل ثم يشكّل الجهاز، كان الفتى في ضجعته تلك يشبه ما تتركه من أثر لوحات التعبيريين العظام، حيث الطبيعة تكتنف وتلف الجمال الذي سيزول عمّا قريب بعد أن يمرّ النسيان من هنا.

كان الشاب فتيًّا، وحزيبًا، ومولّهاً، وكان يدندن مع المطرب الذي ينبعث صوته من الأسطوانة، ثم رأيته يشعل سيجارة . . ويدفن رأسه في العشب، بعد ذلك دخلت المشهد: فتاة صغيرة ما أن رأته في ضجعته تلك حتى تجمدت في مكانها: كان المشهد بالنسبة لي، اليوم كما في الأمس، غامضاً، فما المذي يجمل الشاب يبكي؟ وما الذي يجعل الفتاة تتسمّر في مكانها؟ كان المشهد فاتناً وغامضاً رغم أن ما تلاه كان بالم الوضوح .

--

كانت شقيقتي الكبرى مغرمة، كبقية أبناه وبنات جيلها، بعبد الحليم حافظ، كانت تترك آلة التسجيل، وقد إشتراها اخي، قرب رأسها ثم تغيب في حالة تشبه النعاس، في إنتظار بث إحدى حفلاته في ساعة متاخرة من الليل، من اجل ذلك كان على أشقائها الصغار الذين هم نحن، أن يذهبوا إلى آخر نقدلة في الخيم ليشتروا من الصيدلية الوحيدة أقراصاً خاصة لطرد النعاس بعيداً عن جفنها، كي تظل مستيقظة ولا تفوتها حفلته التي كان يبثها وصوت العرب ، في وقت متاخر من الليل.

بعد ذلك، كبرنا نحن، وظل عبد الحليم حافظ سهران تحت جلودنا، ومستيقظاً كحيوانات الليل، وعندما توفي إنخرطت شقيقتي الكبري في البكاء، ولفّ المشهد ضباب شفيف من الحزن.

آنذاك، إنتاب أمي الفزع من إحتمال انتحار ابنتها من أجل ذلك المطرب، آلذاك كان الموت، حقاً،

يطرق أبراب بيتنا كثيراً، حيث كان يختطف أخوة صغاراً لي دون سبب مفهوم، ومنذ ذلك الوقت إلى الآن وأنا أرغب في الكتابة عن عبد الحليم حافظ، لا لشيء إلا من أجل شقيقتي الكبرى، علّ ذلك يبعث فرحاً في نفسها، وهي التي لم تعرف في حياتها سوى العذاب.

ماذا حدث بعد ذلك؟

جاء رجل بكوفية فلسطينية (ماذا يرتدي الفلسطيني في الادب والسينما غير كوفيته ؟!!) واتهال على الفتى الذي كان يدفن رأسه في العشب ركلاً، الفتى آخذ يصرخ من الألم، ثم آخذ يركض، فيما خلع الرجل عقاله وتبعه وهو يضربه على مؤخرة رأسه وظهره، وظلا يركضان حتى غابا من المشهد.

ماذا حدث بعد ذلك؟

ظل جهاز الأسطوانات في مكانه، وظلت الفتاة مسمرة في مكانها... بعينين تاتهين كاتما ظبي مشرك ملغز، أما المطرب فظل يبث نجواه عبر الأسطوانة بصوت خفيض: كانت الاغنية عن الحب.. عن الحب وحسب، كانت الاغنية عن المراق وما يخلقه من أسى، كانت الاغنية الحليم حافظ، عن الحرب وحسب كانت الاغنية الحليم حافظ، ولم يكن مصبر الشاب بعيداً عن خِتام الاغنية الحزينة.. ككل أغاني عبد الحليم حافظ، حيث الحزن شفيف ونبيل، حيث الحرب على رأس جبل، حيث الحب نفسه مجروح كذلك الشاب بالضبط، ذلك الشاب الذي لم أفهم إلى اللحظة، سرّ ضجعته تلك، وسر بكاته الخافت فيما راسه منمور بالعشب.

لنتأمل ما حدث . . . بدأت بالكتابة عن الأسطوانات ثم انتقلت إلى ذلك الشاب، في الرعشة من ذلك هناك الصوت العذب، والوجه الشاحب، في الرعشة من ذلك بالضبط هناك عبد الحليم حافظ، لكن أبن الفتاة نفسها ؟ .

الفتاة تستدير ثم تنزل الجبل بخطوات تائهة ومتفاقلة، ثم تنسرب خطواتها بين الخيام الفقيرة إلى ان صل إلى خيمة أهلها، إنها غافلة عن الصراخ.. حتى أنها لم تسمع صوت البكاء الذي كانه صوت جوقة في مسرح إغريقي، وإذ تدخل وقبل أن تُلم بالوضع يفاجئها صوت أمها طالباً متها الهرب، وإذ تنفلت خارج الخيمة بذعر غريزي... تتبعها السكين: طعنة في الظهر، فتُلتفت الفتاة بعينن مذعورتين ورجاء يائس، ثم طعنة في الصدر، وقد إستدار القاتل وضمها إليه من عنف الطعنة، ثم طعنة في العتنى وينفر الدم دافقاً، ثم يبتعد القاتل قليلاً، ثم ويخت حوث بكاء الام، ويلتف حوله خاتفاً: بعينين دامعين، وإذ يلتفت أراه شاباً صغيراً لم ينبت شارباه بعد كالرجال، وبوجه شاحب ونحيل ومرتجف، ثم أراه يندفع نحو أبيه على باب الخيمة ويختيئ في صدوه، ويتخرط في بكاء عالى..

وإذا أغادر، أرى الدم على الآرض دافعاً ورطباً، وأرى الفتاة تنظر إليّ بعينيها المذعورتين اللتين يلتمخ فيهما رجاء يائس: إنهما تنظران إليّ منذ ذلك الوقت إلى الآن، فهل حدث ذلك حقاً أمام عيني، يا إلهي؟!!. 81

ولدت في نهاية عصر الأسطوانات، ولقد كان عصراً جميلاً رغم كل شيء.

خيام أهلي

تجلس النساء في الطرف القصيّ من الخيمة، بخفرٍ ينظرن من خلال ما يشبه الستائر إلى الرجل الذي ينحني ثم يرتفع، في رقص رتيب يكاد يكون مؤنشًا، ويكركرن بالضحك...

الدجاج ينقر القمح في ألخارج ألدجاج ينقر الشعير ويلاحق ظله مذعوراً من السواد الذي يسبقه، والشمس ساطعة كانها انفجرت في التو، والصبية الصغار يتفرقون ثم يتجمعون، فيما الرجل، الرجل وحدد، يتمايل مع الموسيقي، غافلاً عن النسوة اللواتي ينظرد إليه من شقوق الستائر، ويكركرن ضاحكات...

تقول الفتاة وهي تفطي فمها بيدها: يبدو أنه لا يسمعنا، وإذ تلمح العجوز ذلك البريق يلتمع في عينيها، تلكزها في خاصرتها فتفهم الفتاة وتصممت، ثم فجاة تبتعد إلى زاوية الخيمة الأخرى.. التي تعلل على تلك التي يرقص فيها الرجل، وإذ تفعل تسمع أصواتها الداخلية تدعوها إلى الرحيل:

استيقظت الليلة الماضية وهي

تشعر بعطش شديد، وإذ خرجت

إلى الخلاء الواسع لتشرب وتقضى حاجتها

غافلها الصوت من الخارج، وقال لها أن تقوم

وأن تحزم «صرّة» ثيابها وأن ترحل، وإذ

التفتت مذعورةً في الاتجاهات بحثاً عن الصوت لم تجد

إلا الغراغ الموحش يلف المشهد كله بعباءته السوداء، فاستيقظت.

قالت للمجوز في الصباح الباكر: حلمتُ فيما يحلم النائم باني خرجت أبحث عن الماء، وإذ فعلت ناداني صوت ملهوف، وطلب مني الرحيل عن البيت، وإذ صمتتُ نظرتُ إلى عينيّ المجوز، فرات الذعر يكاد يقفز من العينين، ورات الوجه باهناً وأصفر واللسنان معقوداً في الفم، فقامت إلى شؤونها وكآبة سوداء مُقبضة تعصر روحها العذراء.

" وها هو، الآن، الصوت يعود، كلا إنه ليس مؤنثاً أو مذكراً، إنه صوت وحسب، غير ان الذعر الذي يخلّفه في قلبها يزيدها بحيرةً، إنه ذعر مجزوج بحيرة عمياء، وهو ما يزيدها شعوراً بالخوف، فنضم ركبتيها إلى صدرها، وتشد بيديها النحيلتين على الركبتين خوف ان تهربا...

في الصباح التالي، تتجمع النسوة في الخيمة: خيمة الارملة وتلك التي فقدت الاب، وبنادين و المبروك، ويقدمن له الطعام، ويطلبن منه أن يفعلها ثانية ويسدلن الستائر المثقوبة، بينما الفتاة ساهمة ووحيدة وقد سقط ثقل كبير على صدرها الصغير: إنها الآن تبحث عما وراء التلال، عن المبوت الاخرى التي سمعت عنها وعن النسوة السافرات اللواتي يخرجن إلى الشوارع، وعن الطعام الكثير الذي يؤكل على المائدة لا على الارض، إنها الآن، ووبدأ.. رويداً، تغرق في النعاس، وترى نفسها عارية في غلالة زرقاء تحت شلال دافق، وحتى سعادة غامضة تجتاحها... تلكزها أمها في خاصرتها : إذهبي واحضري البيض، فتجز قدميها، فيما أحلامها تظل هناك في الركن.. وحيدةً مثلها، كدجاج ينفر القمح ويبحث عن النيء في السهل الفاحل.

تمشي الفتاة ، فترى الدجاج غير بعيد عن البيض الدافع فتتركه خلفها، تمرّ من بين الخيام الفقيرة التي نصبت على عجل لإيواء الفلسطينيين الذين فروا على عجل في الليالي البعيدة ... فتتركها خلفها، تمر من جوار الدكان الوحيد والرجل الملتحي الذي لا يكاد أحد يلمع وجهه من كثافة لحيته، فتتركهما وراءها، تمشي الفتاة الصغيرة وقد تركت أحلامها هناك، تمشي الفتاة وقد اجتازت السهل كله الذي أقاموا مخيمهم فيه، لتصل إلى الجبل الصغير الذي كانت السماء تلامسه عندما كانت تنظر إليه من البعيد، وإذ تصل تشعر بوحشة غامضة وثقيلة ورغبة في البكاء، فتقرر العودة إلى البيت وقد أمتيد بها ظما شديد وإرهاق في الساقين ...

الفتاة في طريق عودتها تجد نفسها كالبلهاء تنقّب في الارض، ومن الجبل إلى الخيم تجد مشط عظم مكسر في بعض المواضع، وكوب ماء حديدياً كذلك الذي يستخدمه الجنود، وقطعتي معدن قديمين، مكسر في بعض المواضع، وكوب ماء حديدياً كذلك الذي يستخدمه الجنود، وقطعتي معدن قديمين، وكذا ملابس مهترثة، تضمها الفتاة تحت إيطها في طريق عودتها إلى الخيم الذي أقيم في اكثر المواقع إنخفاضاً في جرش، حيث في المحموز في إنخفاضاً في جرش، حيث في المحموز في المحاد، والماء على الوجه وعبارات كأنها أغنية حزينة، ورشة خراب بيت وعمود خيمة في فم العجوز . . العجوز الذي إيقنت آنذاك أنها فقدت ابنتها إلى الاد.

100

وكانت حُمى شديدة...

مع الوقت أخذ الارتجاف يقل تدريجياً، ثم رويداً إنقشعت الغيمة وتثاءبت الفتاة وقد زايلتها الحُمر..

قال الرجل، وكان عرّق غزير يملاً جسده كله: أريد أن أنام، ورفع يده عن رأس الفتاة . وإذ ذلك أفسحوا له مجالاً، فخرج وارتمى أمام الحيمة كقتيل، ثم تفرّق الجمع وظلت الام تنظر إلى الفتاة في , قدتها:

أخذ الرجل يحلم، وأخذت الفتاة تنتفض: كان يحلم بالوجه المليح يشهق من اللذة، وكانت الفتاة تتاوه أمام ناظري أمها وهي تحلم يرجل ينحني ثم يرتفع في رقص رتيب، وإذ إستراح الجسد من إنتفاضته الكبرى أخذت الأم تصرخ: كان ثمة دم بين فخذي الفتاة، وكان ثمة خراب وعمود خيمة وقد الكسر...

الضيف

... إلى جميلة عمايرة

البيت ملىء بالفراشات...

ذات مرة جاءنا ضيف نحيل على نحو لافت، وقف مبهوراً وهو ينظر إلى الليل من شرفة البيت، وبينما كان يحتسي قهوته إسترعت إنتباهه فراشة سوداء ملتصقة بالستائر، فاجفل مذعوراً.

قالت الآم:

ـ لن يعود أصدقاؤك إلى زيارتك بعد اليوم.

فرفع الضيف رأسه ونظر إلى الام، وأرجع بأصابعه الطويلة بالغة الجمال خصلات شعره المتسدلة على جبينه إلى الوراء.

قالت الأم:

.إنه في انتظارك منذ زمن بعيد.

فطارت فراشة حائرة ثم حوّمت فوق فناجين القهوة.

قال الضيف بصوت خفيض:

. لقد سمعت نداءك.

ثم نظر يحذر إلى الفراشة الطائرة، وقال كانه يخاطب شخصاً آخر:

. لقد جئت من بلاد بعيدة إليك.

وبينما كان يحتسي قهوته؛ إنتبه إلى الفراشة السوداء الملتصفة بالستائر، فاجفل مذعوراً، ثم أطرق كأنه يفكر، وفجأة وقف بقامته النحيلة والفاتنة كقامات النساء النحيلات، وآزاح الستارة، فذخلت السماء إلى البيت صافية، بعتمة شفيفة ويقمر مكتمل يميل قليلاً إلى الأفق كأنه سيقع بعد قليل من الوقت ككرة برتقالية حمراء، وقال بتهذيب شديد:

ـ ارجو أن تغفر لي، لم اعتقد انك مستعجل إلى هذا الحد.

فحوّمت الفراشة دائخة ثم اندفعت لتصطدم بزجاج الشرفة، فالتقطها الضيف الذي كان يتابعها بعينيه، باطراف اصابعه، ثم فتح الزجاج ورماها إلى الخارج، وقال بصوت خفيض دون أن ينظر إليّ:

-الأمر بمثل هذه البساطة، إنه بحاجة إلى الصدفة أحياناً.

ثم أشعل سيجارته وأخذ ينفث دخانها في الفضاء المعتم.

الأم دخلت إلى الشرفة عدة مرات وخرجت..

قال الضيف وهو ينظر إلى السماء:

ـما أوحش الوحدة 11

ثم حدست انه سيبكي، وعندما نظرت إليه اخبرني بصوته الحفيض انني ما زلت صغيراً، ثم غرق في الصمت، وكذلك فعلت اتنا. ذات مساء، أقصد ذات مساء في الماضي، وجدت فراشة سوداء ملتصقة بالستائر، فقتحت لها النافذة لتخرج، فخرجت... آنذاك، كنت مسكوناً بالأصوات التي يتنادى أصحابها في الليل، والنرسائل الغامضة التي يبعثها الوحيدون مثلي إلى الله، واذكر أنني في تلك الليلة حلمت بي، مسلما أللنداءات البعيدة والمغوية، أحلّق في الفضاء بجناحين كبيرين، وبان شعوراً مدهشاً بالسمادة كان يجتاح عناصري كلها، واثني بجناحي الكبيرين، نظرت إليّ جالساً علي المقعد المتحرك، وحيداً في الحياة، فحزلت من مراحاً وقد بارحتي شعوري بالسعادة فجاة، مُخلياً مكانه للكآبة السوداء، وإنني استفقت عطشان وخائفاً وملياً بالعرق وقد دخلت خيوط الفجر غرفني الفارغة. طلبت الأم من الضيف أن يكون رفيقاً بي، فهزّ الضيف راسه بتهذيب شديد، ثم نظر إليّ فرايت عين الموت عيني الموت عيني الموت عيني الموت عيني الموت عيني الموت عيني الموت عيني الموت عيني الموت عينية الموت عيني الموت عيني الموت عيني الموت عينية الموت عينا الموت عينة الموت عينا الموت عينات الموت عينية الموت عينات الموت عينات الموت عينات الموت عينات الموت عينات الموت عينات الموت عينات الموت عينات الموت عينات الموت عينات الموت عينات الموت عينات الموت عينات الموت عينات الموت عينات الموت عينات الموت عينات الموت نال :

_سنڌھب

وأطفأ السيجارة في المنفضة على عجل وسبقني خطوات، فأغمضت عينيّ كي لا أراه:

كانت الطريق طويلة ومتعرجة وضيقة كفرج، وكان الكون كله يتسع، وكل شيء يتكور على نحو لا نهائي، وكانت الدوائر تدفعني إلى عمق الماء.

_ايها الضيف

قلت وقد إجتاحتني لذة كاسحة جعلت جسدي كله يرتجف، فيما كان الماء يحيط بي ويدعوني يه.

ـ ايها الضيف

صرخت وأنا أتبعه لاهثاً ومرتجفاً من الحب:

_أيها الضيف . . ابتعدنا

ودون أن ينظر خلفه، قال بصوته الخفيض:

ـبل نحن نقترب.

العشاء الأخير

لقد كنا مجموعة من الأصدقاء، وكنا نُسمّى عصابة الأربعة، إلى أن حدث حادثٌ جلل فرّقنا عن بعضنا البعض إلى الأيد، بعد ذلك جاء كتبة التقارير والرواة فحرّفوا حكايتنا كثيراً عن مسارها الأصلي، ولزيد من التشويق اخترع الرواة تفاصيل كثيرة لم تحدث أبداً، والنسوة على الأغلب أغرمن بهذه التفاصيل التي كانت تجعلهن يبكين من التأثر.

الآن، وبعد أن أصبحت في هذه السن الطاعتة في الياس، أستطيع أن اروي ما حدث، خاصة بعد أن تذكرت ذات مساء وأنا أمشي وحيداً في طرقات المدينة، وهذا ما أفعله غالباً ولا أفعل شيئاً سواه، كلمانه حين كنا في الثلاثينات من أعمارنا المتفاوتة، عندما قال إن كل شيء سيسجل، ثم نظر إلى السماء وقال لنا وقد أطرق بعد ذلك قليلاً، إن على أحدكم أن يفعل ذلك، إن على أحدكم أن يتمتع بفضيلة الاعتراف يفعل ذلك:

لقد التقينا في أحد السجون، وعندما اعتقلوه وادخلوه زنزانتنا الضيقة، عرفنا رجلاً صامتاً، كانت فضياته الكبرى أنه حوثنا من مساجين عاديين دخلوا السجن إحتجاجاً على ظلم طارئ إلى أشخاص آخرين لهم رسالة في الحياة، ومن حزيين بلهاء تحكمهم والمركزية الديقراطية ، إلى ما يشبه المريدين آخرين لهم رسالة في الحياة، ومن حزيين بلهاء تحكمهم والمركزية الديقراطية ، إلى ما يشبه المريدين القرار الذي اتخذناه ونحن في السجن، كلَّ على إنفراد، هو أننا سنخرج من السجن مولودين من جديد، وقد قطعنا حبلنا السري مع احزابنا، وهذا ما جعله محل نقمة سجانية قبل الخزيين الكبار، وهو ما جعل تأثيره يزداد علينا، حتى بتنا نناديه بالملم حتى قبل خروجنا من السجن.

بعد خروجها من السبجن نبدنا الجميع، فاقمنا في شقة مستاجرة وقد قررنا أن لا أهل لنا وأننا أخرة، وشكّلنا ما يشبه العائلة، وما كان عليه أن يعرف تلك الفتاة التي ما إن احضرها ذات يوم إلى شقتنا حتى استولت على قلوبنا جميعاً، وبعد أن كنا نحبه وحده أصبحنا نحبهما معاً.

كان يرافقها إلى السينما، ويذهب بها إلى الشوارع التي يُحب أن يمشي فيها، وكنا نجد أنفسنا دوماً نسير خلفهما: هو صامت فيما تتحدث هي عن الحب والاطفال، وكان إذا دخل مطعماً دخلنا معمه، وإذا ذهب إلى محل لبيع الثياب سرنا خلفه كظله، وفيما كان هو يختار الثياب كانت عيوننا تحوطهما من كا اتجاه.

هي لم تكن لتتضايق من تصرفاتنا هذه، كانت تعتبرنا اصدفاء ودودين يحبون صديقهم الصامت الله يه لم تكن لتتضايق من الطرفات، واحياناً حين كانت تحب ان ينفردا سوياً كانت تلتفت خلفها اللذي يحب المشي معها في الطرفات، واحياناً بعين على ظهرها كحصان اسود فاتن كانت تذهب به بعيداً عنا، وتتركنا في انتظاره، في المقهى، حيث اعتدنا أن ننتظره في اثناء جولاته هذه معها.

قال أحدثا مرة له وهو ينظر إلى الفتاة:

_إن الكون ظالم.

قال له الثاني وهو ينظر إلى الفتاة المحتبئة في معطفها الاسود كفضة تتلألاً في الرماد، إن فتاته تبدو داخل معطفها كعصفور خائف.

اما النالث، وهو آنا، فاخبره مازحاً ذات مرة انه لا يعرف لماذا تحب فتاة جميلة جداً كهده رجلاً ما النالث، وهو آنا، فاخبره مازحاً كهده رجلاً ما النالث في الحياة، وأن المرأة ضعيفة، ونظر إليّ وقال إن الفتاة تحبه لانه لا يحب الظلم في الحياة، ولانه بضعفه الشبيه بضعف المرأة سيقاوم ظلم الحياة، ولانه النا ذلك صياغة شعرية قديمة وملغزة زادتنا تعلقاً به وبفتاته، وذلك ما جعل الأمر يأخذ أبعاداً خطيرة لم تكن نقدرها حق درها، فذات مرة، إحتات الفتاة على احدنا لانه لا يفارق رجلها ابداً، فاضطر هذا إلى إخبارها أنه رجل يستحق الحب ودليل ذلك أن فتاة مثلك بمثل هذا الجمال تحبّه، فخرجت من الشقة غاضبة وكان وقع أقدامها على الدرجات يشبه بكاء فرس عذابت حتى الموت.

هذا وغيره جعل الفتاة ترغب في إنفصالنا عنهما إلى الأبد، خاصة أنها ضيطَت واحداً منا وهو يقبّل ثيابها الداخلية التي كانت غالباً ما تتركها على سريره في الصباحات الكثيرة التي كانا يتضاجعان فيها، وقد غضبت آنذاك غضباً شديداً وصار وجهها كجمرة متقدة، فما كان منه إلا ان قال لها إنه يحب ما يحبه صاحبه، فهو قدوته ومعلمه في الحياة.

وهذا ما جعله ذات ليلة سوداء، يجمعنا حوله كخراف ضالة، ويقول لنا دون أن يشير إلى حادثة بعينها، إنه لا يؤمن بالزواج الا يصلح له، غير أنه بعينها، إنه لا يؤمن بالزواج الا يصلح له، غير أنه سيتزوج الفتاة التي نعرفها، وأشار إليها بطرف عينه، ثم فتح النافذة ونظر إلى السماء طويلاً، وقال بعد أن استدار نحونا، إنه يود أن يشرب نخباً، فركض واحد منا إلى المطبخ واحضر خمس كؤوس بعد أن استدار نحونا، إنه يود أن يشرب نخباً، فركض واحد منا إلى اللطبخ واحضر خمس كؤوس وزجاجة نبيذ وفتحها وسكب خمراً، ورفعنا كؤوسنا إلى الاعلى فشرب نخب الصداقة التي لن تدوم.

فسالناه واجمين : لماذا لن تدوم صداقتنا؟

فاكتاب، وظل مكتمباً زمناً خيِّل لنا أنه دهر، حتى قال إنه سيتركنا لان حبل صداقتنا انقطع، فاصابنا هلع عظيم، وشعرنا بالحسارة الكبيرة ونحن نرى الفتاة تحتضنه بعد أن انهى جملته تلك كانه الابن.

قال لنا وقد من الطعام على المائدة :

ـ كلوا.

غير أن الطعام لم يدخل أفواهنا من الذهول، فقال لنا إن العشاء رمزي، وإنه ليس ثمة داع لطعام يؤكل، فالعبرة هنا في الدلالة، فهززنا رؤوسنا موافقين، فاشار إلى الكؤوس وقال:

ـ اشربوا . فلم نقو على منة أيدينا إلى كؤوسنا، فهز رأسه أسفاً، وقال لنا إن كل ما يحدث في هذه الليلة سيسجل، ثم أشار إلى الكؤوس وقال إن مجرد وجود الخمر فيها يعني السُكر، فالسكر حاصل سواء شربنا أم لا .

ثم قرّب إليه الفتاة التي احتضنته بقرة واخذ ينظر إلى السماء وإلى النجوم الكثيرة المتناثرة التي تضيء عتمتنا، وبدا لنا كأنه يعاتب أحداً ما . كانه يحادث آخر في الخارج، قبل أن يلتفت إلينا ويطلب منا أن نودعه بصمت قبل أن يخرج من حياتنا إلى الابد، فكان ذلك الحدث الذي اختلف فيه الرواة كثيراً:

فمن فرط حبنا له أمسكنا به وبأهدابه حتى تمزقت بين آيدينا، ولما حاولت الفتاة منعنا دفعناها إلى الحائط فوقعت وقد سال دم من جيهتها، وقلنا لها إنها هي السبب، وإنها هي من فرتعنا عن بعضنا البعض، فحاول إيمادنا فلم يستطع، وكان علينا في فروة غضبنا أن نلقنها درساً، واتفقنا على أن نقص شعرها الجميل، ولقد حدث ذلك بقسوة أمام عينيه. أحدنا انحنى عليها ومرّق ثيابها، فتلالا

بياضها بيننا كغواية لا تقاوم، وانهمر شعرها الطويل على ظهرها كنداء لا يُرد، فأحضر واحد آخر منا مقصاً وقص شعرها الطويل، وقال له : إذا كنت تحبه فها هو، ولست بحاجة لها .

فهزّ راسه غاضباً، وحاول أن يخلُصها من بين أيدينا، نما اضطرنا إلى توثيقه بحديد التافذة، يد في الشرق واخرى في الغرب، ثم اندفعنا إلى الفتاة وضاجعناها بعنف وسط بكاثها وأمام عينيه اللتين راينا فيهما اللموع لاول وآخر مرة في حياتِنا.

. وبعد أن فرغنا من النتاة قلنا له إِنَّ عاهرة كهذه لا تستحق أن يتركنا من أجلها، فصرخ بنا إنها طاهرة كالثلج وأنه سيلعننا إلى الابد حتى تصبح خطواتنا وحيدة ولا يقربنا أحد فنموت من الوحدة والنبذ.

فقلنا له، ما دام الأمر كذلك فليلعنا على شيء يستحق.

فأشار إليها وهي مرمية والدم يسيل منها وثيابها تمزقة، وقال:

- الا تستحق فعلتكم هذه لعنتي؟ ١

فقلنا له : كلا، سترى ما سيشيب له الولدان.

فرجانا بصوته الضميف أن لا نفعل، غير أننا فعلنا ذلك كاننا نلهو، وبثلاث سكاكين حادة أنهلنا على جسد الفتاة طعناً، ولما انتهينا من ذلك قلنا له إنه الآن لنا وحدنا، وإن أي فتاة لن تفرقنا بعد الآن، وأن احداً لن يقف في طريق محبتنا له، فلم يجينا بل أخذ يصرخ بالظلم أن يذهب، وقال معاتباً السحاء إن ذلك ما كان يجب أن يحدث، فيما بقينا صامتين إلى أن اقترب الصباح، فاستيقظنا على فعلننا النكراء.

احدنا قال: نقتله وندفنهما فلا يكون لهما ذكر.

اما الثاني فقال والدمع يترقرق في عينيه: لا بد من ذلك.

إما الثالث فنظر إليه وقال له: ما كان عليك أن تكون جميلاً إلى هذا الحد.

ثم انقضضنا عليه حتى وقع بين أيدينا ميتاً وسكاكيننا تلمع في الظلام وسط دموعنا التي لم تتوقف حزناً عليه.

بعد ذلك، انفقنا على ان نغادر كل في اتجاه، وفيما نحن ننزل الدرجات القليلة قابلنا رجل يسال عنه، فاخبره الأول انه لا يعرفه، وعندما صرنا في الخارج وجدنا مغلف بريد معنوناً باسمه، فنظر إليه الثاني وقال بصوت عال وهو يوجه كلامه لنا، إنه لا يعرف هذا الاسم، وبعد أن سرنا قليلاً وقبل أن نفترق كل في اتجاه أوقفنا رجل كان ذاهباً إلى الصلاة، وسالنا عن صديقنا الصامت، فأخبرته اننا لا نعرف احداً غيرنا، ثم وقفنا برهة في انتظار صياح الديك، ونحن ننظر في عيون بعضنا البعض كاننا نغراً في كتاب، حتى صاح الديك ثلاثاً، فافترقنا نضرب في اصقاع الارض: كلَّ وحيد، كلِّ خطواته منفردة.



خزيث اللامرئيات فؤاد التكرلپ

في ثنايا بعض النفوس، لا كلها، خزين من أحاسيس القناعة أو الرضاء يفيض فيحيل، مع الزمن، مرارة الحياة وضغوطها الشديدة إلى حال مقبولة وغير مؤذية . فمع هذا الفيضان يعمير العوز المادي اللمين عادةً لا ضرر منها كبيراً، والحرمان أمراً فابلاً للاستبدال والنسيان .

حين كان ابي حَيَّا، تمودنا – انا وأمي وشقيقاتي – على الميش بمستوى متوسط، يضمن لنا طماماً جيداً ولياساً لائمًّا وخدمة متواضعة. كنا من سلالة عائلة كريمة كما يقولون، خانها الدهر عدة مرات ففقدت ثروتها تدريجياً ونزلتُ درجات في سلم المجتمع، بقي لنا، وقد شاخ أبي، أن نقتات على رائب تفاعدة الغنهيا..

كنا اربعة اطفال؛ انا وثلاث بنات اصغر مني، رُزق بنا أبي من زوجته الثانية والدتي، وقد جاوز الخمسين. لم يكن ذلك ما كان يريده لنفسه او لزوجته او لابنائه؛ غير ان ما لا يمكن الرهان عليه حين الزواج، هو وقت ولادة الاولاد. وهكذا، بعد عشر سنوات من عقد قران والديُّ، فتح الله عليهما باب الرزق فجئنا نؤنس وحدتهما ونزيد من ثقل المسؤولية على كتفي أبي.

إلا أننا، أنا وشقيقاتي الثلاث، لم نشعر برطاة الموز علينا مطلّقاً، إلا حين توفي والدي فجأة بعد مرض لم يستطع مقاومته طويلاً. حينذاك، وكنتُ في السادسة عشرة من عمري، هبطتُ بنا الدنيا وجار علينا الزمان لغير سبب مفهوم.

كنتُ في الصف الثالث المتوسط، اتشوف بحماس لإنهاء دراستي الجامعية، غير أني لم اكن صلب الروح ولا قادراً على مقال الشركة في العالم؛ فحين جاء صاحب الدار التي كنا نسكنها في الروح ولا قادراً على مقال الشيخ» وطالبنا باجرة الشهرين الماضيين، لم استطح حتى أن اعتذر له بشكل ملائم، وسمحتُ له، لا أدري لماذا، بان يسمعني كلمات فظة وغليظة لم أرد عليها،

فؤاد التكرلي، روائي عراقي يقيم في تونس

واغرورقت عيناي باللدموع وأنا أروي لوالدتي ما جرى لي وكيف أن هذا المالك الوضيع الأصل لم يحترم ذكرى والدي ولا ممعة عائلتنا.

احتضنتني بحنان وقالت لي:

ليغفر الله له؛ ولكن، إسمّع يا ولدي، عائلتك كريمة . . هذا أمر صحيح؛ عائلتك لا تملك مالاً. . هذا أمر لا يصح ولا يقيله أحد. تعال ندبّر حالتا .

وتدبرنا حالناً بالفعل، فانتقلنا إلى دار آخرى اصغر وارخص أجراً، وتركتُ دراستي بعد أن وجد لي مكاناً في معهد صناعي ادرس فيه المكننة في مصافي النفط واتناول أجوراً اثناء الدراسة. لم تتذكر والدتي، الأمية المتزنة في تفكيرها، أيام المرَّ التي عاشتها مع والدي ولا تحسرتُ كثيراً على ما مضى، بل ركّرتُ اهتمامها بتلقائية محبّبة على ما نملك الآن. . هي وبناتها وابنها الذي يشتفل ويكسب نقوده بشرف. كانت تملك ذلك الخزين النادر من مشاعر القناعة، فعملتُ على جمعنا باوّل راتب استلمته وأنا ما أزال بين سنيّ المراهقة والشباب. جمعننا، في المساء، حول مائذة صغيرة وضعت عليها كعكة جميلة تعلوها شمعة واحدة ثم اطفاتُ الضوء الكوربائي وخاطبتنا:

- انظروا إلى انفسكم، انظروا ما اجملكم! ما احلى هذه الوجوه الشابة النضرة! لننس كل شيء، غير ما نملك من صحة وجمال.

كانت أمسية راثعة، رسخت في أذهاننا، أنا وشقيقاتي، طوال العمر.

ولا محيص بعد ذلك من أن تمشي الايام بنا وتجلب معها ما تجلب من منقصات ومسرّات ومتاعب. لم اتخرّج بسهولة من معهد المكننة البترولية ذاك، وقبلت، برحابة صدر، أن أعيد سنة دراسية أخرى؛ فقد كانت في الإعادة، حسب راي والدتي، فائدة كبيرة لا شك فيها.

تخرجتُ وتسبت مباشرة للممل في أحد المعامل للتصفية البترولية يقع في ضاحية غير بعيدة عن بغذاد. كنا نميش بتوازن مادي ونفسي نحسد عليه. لم ننتقل من دارنا المتواضعة ولم نفبل مساعدة من أحد؛ كما لم ينفره، مع الزمن، تألفنا ولا النمامنا حول تلك المرأة الفياضة بالمجبة والفهم؛ ولم أحسد أخواتي حين استمرن في دراستهن، بل غبطتهن، وكنت في الحامسة والعشرين من عمري حين خطبت احدى شقيقاتي وتزوجت، لم أفكر آنذاك بالزواج. ناقشتُ الفكرة، بهدوء، مع والدتي فانتهينا الى نتيجة مرحة ومشرقة هي أن القطار لم يفت بعد عليً.

كنتُ أصبحتُ، بعد الثورة، مسوولاً عن إدارة قسم التصليحات في منشآت والدورة النفطية، فزاد راتبي لكن طموحي لم يزد. كان لدي بعض الخزين من أحاسس القناعة الذي تملكه والدتي، وكنتُ مرتاحاً. لم اكن فيلسوفاً، غير أني وجدتُ الحياة أو، إذا اردنا الدقة، معروضاتها، لا تترصه للإنسان ولا تسمى إليه كي تغريه، بل الحقيقة الحفية هي أن الإنسان بذاته، هو بذاته، الذي يحرض نفسه على النمني والإشتهاء، وعلى حب التملك والسيطرة وارتكاب الجراثم باسم الطموح المشروع. هذه الحاطرة قلتها لوالدتي، الأمية التي لا تعرف القراءة ولا الكتابة، ففهمتها وأدركتُ أبحادها وتاثرتْ بها فقامت لتقبلني وتدعو الله ليحفظني. كنا لوحدنا في دارتنا الصغيرة، بعد أن تزوجت شقيقاتي الاخريان خلال العام الماضي، لكننا لم نكن نشعر بالوحشة، فقد كانت شنة المجتمع البشري ان تتزوج الشقيقات وأن يحضين الى ببوت أزواجهن ليعشن حياتهن الخاصة. ذلك النهار، بداية الحريف، كنتُ في الثامنة والعشرين من عمري وكنتُ منكباً على العمل، غير منشغل بشيء، حين طلبني الدكتور أحمد راغب المدير العام لمؤسسة معامل التصفية، فذهبت أغسل يديُّ وأبدل ثبابي استعداداً لمقابلته، دون أن أتساءل عن سبب هذه الدعوة الغربية بعض الغرابة. لم أكن قلقاً، هذا هو كل شيء. جلستُ منتظراً في غرفة السكرتيرة دقائق تقليلة، ادخلوني بعدها الى مكتبه الفخم. كان في حوالي الأربعين، جهم الطلعة، أنيق لللبس، حاد النظرات، تلقائي يترحيب متحفظ:

- تفضل سيد عبد الرحمن. تفضل اجلس.

ثم قام يصافحني .

كنتُ سمعت مرازاً عن استقامته وصلابته الإدارية، فخمنتُ أنه، ربماء يريد أن ينقلني الى معمل آخر برضاي . لم يهمني الأمر كثيراً ؛ الا أن طلبه كان أبسط من ذلك، رجاني، بسبب ما يعرفه عن خبرتي العملية بالمكانن وتصليحها ، أن القي نظرة على جهاز التدفئة النقطي في داره الحكومية قبل أن يبدأ بتشغيله ، فقد أصابه عطب في السنة للأضية ولم يتم تصليحه كما يجب . ثم أضاف بأن داره هذه من ممتلكات الدولة، وأنه يخشى أن يستقدم عاملاً جاهلاً فيفسد الجهاز بدل أن يصلحه . إيدته في أقواله مبتسماً وسائته بادب متى يفضّل أن أبدأ العمل فأجاب : حالاً إن أمكن؛ ثم كلم السكرتيرة ورجاها أن تخبر سائقه أن يُنقلني الى بيتهم ويعود بي بعد ذلك .

لم يكن مسكن السيد للدير العام بعيداً عن المعلى؛ إذ لم تمض إلا دقائق عشر حتى اشار السائق الى دار فخمة، بيضاء بطابقين، لاحت لنا في نهاية طريق مقيّر نظيف.

كانت محاطة بحديقة واسعة، بدت لي أشجارها الخضراء تتلامع تحت شمس أيلول؛ وكانوا على علم مجمعية على المنطقة مقابل المدخل علم يمجمعية، إذ رأيت البستاني ينتظر قرب الباب الخارجي والحادمة واقفة في الشرفة مقابل المدخل الرئيس. دلتني على قسم من الجهاز تُصب في الجهة الخلفية من الدار. كانت شابة مؤدبة بثياب نظيفة، تتفن الكلام باحتقار مم أمثالي.

قضيت بعض الوقت افعص بدقة الحرك الاساسي، فاكتشفت فيه خللاً بسيطاً ناتجاً عن عبث من قضيت بعض الوقت افعص بدقة الحرك الاسسات داخل البيت . قضيت بعض الملات المساحة و عندان البيت . في الداخل . ثم الامر خلال دقائق، فاندان على الخادمة وطلبت منها أن تخبر السيدة بذلك وترشدني الى الداخل . ثم الامر خلال دقائق، ولم اعفر على اي خلل في الآلات الداخلية، فخطر لي أن اشغل الجهاز باكمله لاتأكد بأنه يعمل بانتظام . اخبرت الخادم بفكرتي كي تعرضها على سيدتها . ترددت قليلاً ثم رجتني أن انتظر في الشرفة الخارجية ريشا تخبرها . كنت ملطخ البدين ببعض دهونات الجهاز السوداء، فاخذت أمسحها بميديل ورقي . بدت لي الحديقة من الشرفة ، شاسمة لا نهاية لحدودها، وأشجارها العالية المتمايلة تخفي خط الافق . سمعت الصوت الدافئ الأليف قبل أن التغت .

- العفو سيد، هل تجد ضرورة. .

كانت في بدلة خروج زرقاء فاتحة، تقف، مشعة بالوانها، في اطار الباب. راتني حين استدرت إليها . إليها . - آه. . عبد الرحمن! سيد عبد الرحمن؟ أنت؟ ورفعت يدها، المغطاة بالخواتم، الى فمها.

كان في ظني، طوال حياتي، أن الهدوء لا تعقبه عاصفة، وأن من الممكن أن يستمر النسيان والبطء والتراخي في الميشة حتى النهاية؛ ولم آكن مستمداً لتغيير رايي هذا، غير أن والدتي لم تقبل هذا الراي مني.

قالت:

- كيف استطعت آن تنسى 3 خديجة 9 واسمها ، ولم يمغي وقت طويل منذ تركتنا فجاة 9 ولكن... ما أغباني إ إنها عشر منوات، لا بل اثنتا عشرة سنة وربما أكثر . يا لله . . كانها ساعات! تقول إنها تريد بإلحاح ان تراني ؟

فهرزت لها راسي.

كانت تاتي الى دارنا برفقة والدتها بين الحين والآخر؛ صبية في الثالثة عشرة من عمرها. متالقة ، مساهدة مساعدة سوداء المينين والشعر، ناصعة بياض الوجه؛ وتتركها والدتها لدينا، لا آدري لماذا، فتاخذ بمساعدة امي وشقيقاتي في شؤون الدار؛ وكانت شغوفة بي بشكل مكشوف، لا تعصي لي آمراً أبداً، وتسعى لحدمتي بكل العلرق. إلا اتي لم آكن أعيرها اهتماماً، وكنتُ في عمري الموحش ذلك، الرابعة عشرة، منعزلاً خجولاً متكبراً على الفتيات الصغيرات؛ وكانت وخديجة و تتابعني بنظراتها الساطعة، وخدودها الوردية تزداد احمراراً كلما كلمتها أو خطر لي أن اطلب منها شيئاً. تابعني حديثها:

تقول من كانت؟ ولكنها.. الا تعلم؟ إينة رئيس العرفاء (علي اصغر) الذي كان تحت إمرة خالف ومرافقاً له؛ وامها المسكينة كانت ثاتي تزورني محبةً بي، و تبقيها عندنا كي تساعدني و تلعب مع البنات ريشما تكمل هي خدمتها في بيت خالك. يا للقدرا تقول إنها زوجة مديركم العام؟ يا للقدرا كان عليّ، بعد ذلك، أن أعيد التوازن اللامرئي لحياتي التي أردتها، دائساً، بسيطة ومسطحة. للقدرا كان عليّ، بعد ذلك، أن أنجح في هذه المهمة. كنا أحراراً كالطيور، في تلك العطلة الهيفية، أنا وشفيةاتي وخديجة، نمر و للعمب في بيتنا الكبير كما نشاء وتشاء البراءة والعبث واختلاط الامور. وكانت تلك اللعبة والحقيبة الجميلة والمراوغة، هي التي تجذبنا أكثر من الالعاب الاخرى. ومعها وبازدياد اختلاط الامور بيننا، صارة على التي تعلى المعنا حدو الجدار، خشية أن ترانا اختي وراء كومة من الافرشة في إحدى غرف البيت، التصقنا بمعمنا حدو الجدار، خشية أن ترانا اختي والمحرى، والتحمت حرارة أجسادنا الفتية على حين غفلة. كنتُ بجانبها؛ أحس بكنفي يمس صدرها والارتفاع الحجول لنهدها؛ وكانت عيناها برافتين تشعان بهجة، وخصلات الشعر الاسود تلتف حولهما، وكنت أرتجف. ودحتُ أضغطها بشدة وأتحسس جصدها ومنحنياته وكانت مستكينة الذيذ فضممتها الى صدري ورحتُ أضغطها بشدة وأتحسس جصدها ومنحنياته وكانت مستكينة إلى الذيذ

لا تختبئ الذكريات عن وعي الانسان دون سبب؛ فهي مصدر شقائه إن لم ياخذ حذره؛ وكنت، بعد أيام، في غمرة العمل، أحدّر نفسي وأدعوها الى اليقظة، حين أرسل السيد المدير العام بطلبي.

ــ شكراً سيد عبد الرحمن، الف شكر. شغلنا جهاز التدفقة امس وكان على احسن ما يرام، والفضل في ذلك يعود لك بالطبع. قل لي . .

ولم يرفع نظره، بل بقي منشغلاً بفتح درج في مكتبه:

- اكنتم جيران أهل زوجتي قبل سنوات؟

أجبته بالإيجاب؛ فرفع رأسه وهو يمسك بلفافة بين يديه. لم ترقني نظرته. قدم لي اللفافة:

- هذه هدية بسيطة لك تعبيراً عن عميق شكري. أرجو أن تقبلها مني عربون صداقة بيننا.

خجلتُ من تصرفه وتلجلجت في الكلام بشكل مزعج. أردف وهو يقُّف:

ــ اليوم سيعرد بك سائقي الى بيتكم ليستدل عليه، فزوجتي تروم أن تزور السيدة والدتك غداً، إذا سمحت بذلك.

حدثتني والدتي:

ــ ارتمت علي ملهوفة واخذت تقبلني قبلات لا تنتهي؛ في يدئ ووجنتي وكتفي وشعري، حتى خشيت أن يقم ابنها الصغير من بين ذراعها . سمته عبد الرحمن تيمناً باسمك . أترى؟ ابكتني الحال الصعبة التي مزوا بها وكيف ذاقوا الأمرين بعد تقاعد أبيها ووفاته وهم في قريتهم التركمانية بنواحي كركوك . تقول كم ارادت أمها ، يرحمها الله ، أن تعود الى بغداد . . إلينا ، إلا أن المرض أقعدها . ثم جاءها النصيب أخيراً فتزوجت منذ خمس سنوات واستقرت بها الحياة هنا . كانت تسأل عنا كل من له صلة بمحلة وباب الشيخ ، إلا أنها لم تصل الى نتيجة ما . تقول وهي على وشك البكاء . . وقع قلبها الى الارض حين رائك أمامها . . واقفاً ملطخ البدين بثياب العمال . فتاة أصيلة حقاًا لو ترى ما جلبت لى ولشقيقاتك من هدايا .

لم أجد ما أعمله مع الذكريات التي أخذت تحاصرني حيثما حللت، غير أن استعيدها واستعيدها على العلم المني آذاك، في أعادنا لعلى هذه الاستعادات المتكررة تستهلكها و تزيل آثارها من نفسي. كانت أعلم مني آنذاك، في أعادنا الصدفي، بما بين الانشى والذكر من صلات ولذاذات؛ فما أن وضعت شفتي على خدودها أقبلها بتردد، حتى شعرت بداعها تحيطان بي وبشفتيها الحارتين تنشدان فمي وتطبقان عليه. كانت قبلة ناعمة مشتعلة وقيقة؛ إخذت بلبي وذهبت بنا، نحن الاثنين، بعيداً عن العالم، ولم ننكشف و خرجنا، بعد لاي، راكضين نعاود اللعب بضوضاء مفتعلة؛ ولم تفتني صورة شفتيها الحمراوين المضيئتين من آثر قبلاتي وهي تم بلسانها عليهما.

لم أدر، بعد ذلك، ما الذي جدًا في هذا الكون، وجعلني عملوكاً لحالات ذهول مستديم، كانت تقلقني أكثر مما تقاق والدتي. لم يحصل أمر جديد بالتأكيد؛ فما سبب هذا التباطؤ في العمل والابتعاد اللامالوف عن عالم المكانن الحيط بي؟

كل شيء كان معروفاً منذ زمن، كان موضوعاً في مكانه من الزمن الازلي، سوى ان هذا القلب بين الضلوع لا يني يضطرب ويضمطرب.

دعتنا، كلنا، غبر زوجها للرموق المركز، لزيارتها في دارتها الفخمة ولتناول طعام العشاء؛ كلنا .. كلنا . الوالدة وأنا والشقيقات الثلاث وأزواجهن وأطفالهن. كلكم. . كلكم، تأتون إلينا . ولم يكن لنا، أمام هذا الحنين الجارف، غير أن نقبل شاكرين.

خلوتنا الاولى تلك وقبلتنا، التي خيل الي أنها انطبعت على جبيني وعلى صفحة السماء، تداخلت في ذهني وأعادت لي صور اللقاءات المجنونة الاخرى بيننا. تذكرتُ ذلك العطش إليها، عطشاً من نوع خاص، يمتلك الروح والجسد وما بينهما. لم أعد قادراً على فراتها الا هنيهات قليلة، كنتُ أعمل جهدي بعدها كي انفرد بها. لم يكن ذلك متاحاً طوال الوقت؛ وما أن تفارقني، حتى يعود العطش حاداً يحرق صدري وكياني كله.

كنا مضطربين بتعقل ونحن نتحدر سائرين عبر بمر الحديقة الى مدخل دارهم. كان الخريف هناك، يحيط بنا؛ والمساء والسماء ذات الزرقة المؤسية؛ وكنتُ أسير جنب والدتي، جاهداً أن أضبط إيقاع نفسي مع الجو العائلي المالوف.

كانت دعوة العشاء مهرجاناً من العواطف المتبادلة والذكريات الشجية والحنين الذي لم يحمد، والاضواء والصخب المرح وموسيقي الاطفال؛ وكانت مع زوجها وطفلها الجميل، تبدو على اعلى درجات الإنسجام. لم تكن توجه اليُّ الحديث إلا لماماً، غير انها كانت تقطع انشغالها بأي شيء لتصغي بانتباه لما أقول. ولمحتُها مرة؟ جمعتنا نحن الاثنين لمة هي لحننا. لم تدم إلا ثانية واحدة أو جزءاً منها. كانت واقفة أمام رفوف الزجاجيات في بدلة سوداء مطرزة باللَّالي المشعة، تنظر اليُّ نظرة متاملة، متلامعة، تشوبها مسحة من حزن لا يبين. ولم تبدع لي أن التقي معها بالنظر، وتحركت بخطوها المتزن الى جهة اخرى. تلك النظرة نفسها هي التي ما تزال تحملها في عينيها الجميلتين في سنوات العهد البعيد . عهدنا . في ذلك الضحى المتوثب بالضجة والمرح، حين الرقنا من الزمن لحظات لا تشمن؛ أم لعله القدر العجيب، هو الذي لوى ذراع الزمن فمنحنا، على غير عادته، تلك اللحظات الذهبية. صعدنا بسرعة الى الغرفة الخشبية الصغيرة التي كنا ندعوها «كفشكان»؛ لم نتكلم؛ لم نكن نتبادل الكلام، لا كثيراً ولا قليلاً، خاصة هي. انحشرنا بلهغة وعجلة، خلف دولاب للملابس، في زاوية ضيقة. كنتُ في قمة تعطشي لها، لهذه الصبية، لهذه الانثى المذهلة. اغرقتنا القبل في بحر من الغياب عن العالم، رايت نفسي فيه أتشبث بنزع ملابسها بأيد مرتجفة. كانت مستسلمة لكل بادرة مني؛ مستكينة، صامتة، تقبلني بشراهة وتغوص بنظرها في عينيٌّ. وخلال ثانية، وجسدانا عاريان، ونحن مقبلان، لا شك، على استكمال عملية الحلق العجيبة، هاجمني رعب لا مثيل له وأنا أهمُّ بها وأبادلها النظر وأرنى في عينيها معنيٌّ خفياً من الروع والحزن العميق... العميق. تلك كانت نظرتها نفسها التي رمتها على قبل حين وهي تقف على مبعدة، خلف الزجاجيات المتالقة مثلها. أية دلالة تجمع بين هاتين النظرتين المتباعدتين في الزمان؟ لم أعرف، ولا أزال.

إلا أن النكوص عنها بدأ آنذاك. . في تلك الوهلة الزمنية البالغة القصر. أتذكر جيداً . . آه . . كم آتذكر جيداً حرارة بطنها وصدرها ونعومتهما ، وتلاقى أعضائنا وإفخاذنا .

ومرت العاصفة بسلام، لكن أموري النفسية وغيرها، انتكست بي بعد ذلك كما يجب.

انتهى مهرجان العشاء كما تنتهي للهرجانات الكبرى.. بالهدايا والقبل وبالوعود بزيارات اخرى وتبادل ارقام التلفونات؛ وكنا سعداء ونحن عائدون الى بيوتنا. التكرلي: خزين اللامرئيات

كنتُ اريد ان أهمل كل ما حصل بهدوء، مصمماً على الاستعانة بخزيني من احاسيس القناعة لإنجاز هذه المهمة، لولا نظرة اخرى من عينيها.

كانت، بحماس، تسجل رقم تلفونها لوالدتي قبل أن نغادر حين توقفت عن الكتابة كانها نسيت أمراً ما، ورفعت عينيها، لحظة، وتطلعت إلى جانب حيث أقف. كان وجهها صقيلاً، وإثماً، وانعطافتها البسيطة نحوي توحي برغبة غامضة مستترة، استطعت رغم اضطرابي، أن افهمها.

قالت، عبر الهاتف، بصوتها الدافئ:

ــ أشكرك يا عبد الرحمن على مخابرتك هذه. أشكرك، كثيراً كنتُ أريد أن أحدثك، فسهّلت لي ذلك. لو تعلم كم سعدتُ برؤيتكم.

_ رؤيتنا؟

- انت لا تفهم معناكم عندي ومعزتكم. انت، انت اولاً وآخراً وبقية العائلة. لا تؤاخذني عبد الرحمن لاني لا استطيع رؤيتك، ولكني مدينة لك بكل شيء.

-- أنا؟ لا أفهم شيئاً مما تقولين.

... آه، كيف تفول هذا؟ الا تتذكر؟ انت لم تكسرني. كنت قادراً على ذلك. الا تتذكر؟ لقد حفظتني. حفظت لي حياتي، ولم آنس لك ذلك. لن أنساه مطلقاً. انت الذي منحتني حياتي هذه.. حياتي هذه. ولكن.. كيف انت؟ هل تعلم ما حصل لي وانا اراك.. رايتك.. ذلك اليوم.. وصعتــًا، وكانت تغالب نفسها، كما يبدو، كي تستمر في الكلام:

... قالت لي الوالدة إنك سعيد معها . أليس كذَّلك يا عبدَّ الرحمن؟ قل لي إنك سعيد . ألست سعيداً؟

- الى حد ما. أنا بالأحرى قانع بما أنا فيه. لدي خزين من هذه المشاعر.

- وهل تكفي هذه؟ هل تكفيك؟

_ وما العمل إذاً؟

سمعتها تتنهد:

- أأستطيع مساعدتك. . كصديقة؟

لم أجبها. مرت بيننا فترة صمت محرج. سألتني:

- ألا تزال. ألا تزال مريضاً؟ اعنى.. أنت تعلم.

- تقريباً. لا فائدة منى كبيرة.

- حقاً ! يا إلهي. لم تدم أوقاتنا السعيدة طويلاً.

استنجدت، في اليوم التالي، بذلك الخزين الذي حدثتها عنه بافتخار، فلم التي إلا العطش وسوء الفهم والاصداء الجوفاء. كان اسمها «خديجة».

تونس- ۲۰۰۹



الجحيم

الأنشودات الثماني الأولب

دانتب أليغييرب

ترجمة وتقديم: كاظم جمعاد

ما برح عمل ذانتي Dante الشعريّ الأصاميّ والكوميديا الإلهيّة ، La Divina Commedia يستنطل الحداثة الشعرية المالميّة ويثير في مختلف اللّفات ترجمات تلو الأخرى. كان الأديب المصريّ الرّاحل الدكتور حسن عثمان قد وضع قبل نصف قرن لكلَّ من جزئيه أو نشيديه الأولين دالجحيم، ودالمطهر، ترجمة عربيَّة م موقة وجديرة بالإجلال، لكنُّ ربِّما اعتور لفتها بعض العتق. وهي تمتاز خصوصاً بنثريِّتها، إذْ جمع المترجم الثلاثيّات (كما نقول ورباعيّات) التي تتوالى في كلّ أنشودة في مطر طُّويل واحد محولاً أبيات دانتي المعروفة بتسارعها وتكافلها الفعّال والمتوثر في آن معاً إلى ما يشبه متواليات سرديّة. في الترجمة التالية المتزأة من ترجمة كاملة للعمل بأناشيده الثّلاثة، حاولتُ الإفادة من تطور الترجمة والقصيدة العربيّتين وتقريب الملحمة من إطارها الشعريّ الأصليّ. وقد استأنستُ بقرب الإيطائيّة من كلّ من الفرنسيّة والإسبانيّة اللَّين اعتدتُ القراءة فيهما منذ سنوات عديدة. معروف أنَّ الإيطاليَّة لم تتغيّر كثيراً منذ عهد دانتي الذي ساهم في وخلقها، بابتعاده عن اللأتينيّة لصالح والعاميّة والتي صارت بذلك وفصحيء بلاده ، نوعاً ما كما فرض القرآن لهجة قريش على باقي اللهجات العربيّة. وإلى جانب النصّ الأصليّ الذي بقي يشكّل موجعي الأساس من ناحية الإيقاع وملاذي الأخير أمام كلّ إشكال أو إبهام، قابلتُ بين ترجمات فرنسيّة عديدة في أوّلها التّرجمة الأحدث التي وضعتها الشَّاعرة الفرنسيَّة الطليعيَّة والأستاذة في جامعة روما جاكلين ريسيه Jacqueline Risset . صدرت الترجمة في ثلاثة أجزاء في منشورات وفلاماريون، بباريس بين الأعوام ١٩٨٥ و ١٩٩٠ ، وأعربت فيها الشَّاعرة عن وفاء لنص دانتي في نظام كتابته الشعريّة وطبيعته التشكيليّة والإيقاعيّة والمثلاليّة من دون أن تسقط في الترجمة الحرفية.

لا يمكن بطبيعة اخال الإحاطة بالفعل الحقّ للكوميديا الإلهيّة ، وخصوصاً «الجحيم» ، من دون إحلالها في حياة مؤلّفها وفي سياق عصره . ولد دانتي البغييري في فلورنسة في ٢٦٥ و تروّقي في راقينا في ١٣٣١ ، فكان شاعراً وصياسيًا مخضرماً شهد أحداث النصف الأوّل من القرن القّالث عشر والنّصف الثّاني من القرن الرّابع عشر ، وعاني بنفسه من أعنف آثار عصر النّهضة المغطرة ذاك .

كتب دانتي في صباه و شبابه عدداً من القصائد الفنائية يتجلّى فيها أثر التروبادور البروقتسائين أفضلها منيث في كتابه النجري-الشعري والحياة الجديدة والذي يمبّر فيه عن أسفه لفقدان حبيته بباتريشي (إسمها الحقيقي بيشي بورتيتاري) الذي فرق عنها سوء تفاهم مبهم ثم اختطفها منه موت مبكّر. وبعد فترة من اللّهو كان ولا شك يترخي منها النّسيان، واح ير تلا بعض الحلقات العلمية واللاهوتية كان بعضها يتداول فكر ترماس الإكويتي والبعض الآخر يتدارس الأتر الرئشدي (نسبة إلى الفيلسوف الأندلسي إبن رشد). وإلى نصوصه المستوجه و ونم هانتي دراسات فلسفية وعلمية والاهوتية وأدبية من أهمها كتبه وفي فصاحة العامية ه ووفي الملكية ، وها لمادية ، وقد بقيت جميهاً مبتورة الأنه كان يتناهبه النّضال السياسيّ من جهة ودنداء عمله الإساسة والكوميانيا الإلهية، من جهة ثانية.

على عمق إيمانه المسيحي، تفجع دانتي للفساد الهيق بالكنيسة الرومانية والجوار رجالها بالتفوذ السياسي وصكوك الفلوان ورفات القديسين وضلومهم في مؤامرات مظلمة وعريصة. فآص بضرورة فصل الكنيسة عن الذولة، وعلى هذا الأصاس انخرط في حزب والفيلف، النتاعي إلى استقلال فلورنسة عن سلطة روما وإلى الحلة من ملطة البابوات، وراح يجابه الحزب المناويء للمورف بحزب والجيابين، ولكن سرعان ما انقسم حزبه نفسه من مناطة البابوات، وراح يجابه الحزب المناويء للمورف بحزب والجيابين، ولكن سرعان ما انقسم حزبه نفسه المناطق البيض، ووقيه بقي دانتي وهالفيلف، السترد، الذي صار أميل إلى البابا، وفي هذا المناط وقعت مجاز وحروب طاحتة وتحالفات مع والجيابين، أعداء الأمس، وتستم دانتي مسؤولتات مباسية وحكومة عالية، ولكنه فضل في إحلال روح الوقام والعدل بين رفاقه، ثمّ تلقى حكماً غيابياً بالإعدام بعد انهزام عزبه، فأختار المنفى وارحتى وفاته يتنقل بين مدن عديدة تقع خارج إقليمه الأصلي وبعيداً عن نقوذ أعدائه، في ضيافة بعض الأمراء والمعجبين الموسوين، وفي سنوات النفي والتشريد تلك أكمل أناشيد عمله الكبير الشلالة، ورفقتي القبول بالمفو للعروض عليه إذ كان مشروطاً بأناً يتقدم بالنماس للعفو أو طلب

تولي دانتي عن ست وخمسين سنة ، ضحيّة حتى أصابته من جراًه عبوره مستنفعات موبوءة لدى عودته من البندقيّة التي كان قصناها في مهمّة للتفاوض أرسله فيها صديقه ومُضيفه نوفيلُو دا پلوتينا ، وقد اضطرّ الشّاعر لانتهاج طريق بريّة لأن خصومه السياسيّن رفضوا أن يركب معهم على متن السّفينة . وعليه ، فحتّى رمقه الأخير دفع ذانتي ثمن حلم بالعدالة لم يحتمله عصره (وأيّ عصر يحتمله؟) ولم يتمكّن هو من تُققيقه.

كتب دانتي نفسه أن عمله قابل لقراءات متعددة، حرفيّة ورمزيّة، شعريّة ولاهوتيّة وأهوليّة وأموليّة. والقراءة الشعرية الفراءة الشعرية الفراءة الشعرية الفراءة الشعرية الفراءة الشعرية الفراءة الشعرية الفراءة الشعرية المداراء، في الشعرية المداراء، في المداراء، في المداراء، وهذا تعيد المداراء المداراة المدا

في هاوية الذات والبشرية هذه التي يتصاعد منها أدين المعانين وصراح الخاطئين. نزول يتصاعد منه بالتدريج إلى رؤية المطهر المسكون بنن هم في منزلة وسطى بين الخطيئة والبراءة، ثمّ إلى الفردوس حيث يقابل الأنبياء والملائكة والقديسين والطوباولين، ويستهم محبوبته بياتريشي التي توتخه حتى تبكيه على ضلاله الأول ثمّ تحل له المافاز المستماء وتكشف له، هي وسلف له يقابله هناك، عن مهيئته التي سيعود من أجملها إلى الأرض، مهمنة شعرية يقول فيها كلّ ما عاني وما شاهد، مشكّلاً وحزباً بمفرده، ووتاركاً الآخرين يحكّون أنفسهم حيثما أصابهم

حاول بعض الشراح، من المتاثرين في النهج الكسسيّ بخاصة، أن يحكمو اربط عمل دانتي بتصور مسيحيّ محموض للعدالة والكون وللمرجعيّة الفكريّة الناعمة للقصيدة. وكما صيلاحظ القاريء بنفسه، فلَشدُ ما يخطئون. فعلام يدلّ اختيار دانتي قرجيليو مرشداً له في الرّحلة عبر الجحيم والمطّهر إنّ لم يدلّ على اعتزازه بهذا الشّاعر الملاتينيّ الذي توقي في الم تشبّة قبل أن تظهر رصالة المسيح إلى العالميّ ؟ وهل بمقدور أحد أن يعمى أمام تضافر الأفكار الأرسطيّة والإكويتيّة والرّشديّة في الأجزاء الظّلاقة، وأمام هذا التجاوز النائم للأموت نحو رؤية صوفيّة- شمريّة ؟ ولو كان جوهر الغداء المانتيّ قائماً على المذهبيّة بدل أن يقوم على الانخطاف والجذل والإشراق والشّطح، أفكان سيفت انتياه قرزاء القوون التوالية وشعرائها بمثل هذا النّفاذ الذي به ما برح ابن فلورنسة ذاك يستيقنا ،

هذا عمل من شانه في اعتقادنا أن ينصش التجارب الشعرية الجديدة، شريطة أنَّ بفطن القاريه لتخددية عناصره و إلاَّ يشتط من عزمه هذا التراوح المتالم المقيم في صلب طبيعته كعمل ملحمي بين السرد البسيط والهدير الشمريّ والحوار الأساويّ والجحاج الفكريّ والاستنطاق الفلسفيّ والتناول التاريخيّ. ونلفت هنا نظر القاريء إلى ازدواج الكلام الدانيّ ازدواجاً فقالاً ومؤثراً: فعلى إعانه العميق بالعدالة الإلهيّة، تراه لا يفتا يتألم لما يضاهد من مناظر العذاب، ينفعل (بل يغمى عليه غير مرة) لمرأى الخطأة المنكّل بهم، ويبدو شبه محتجّ على ما يلحق بهم من هوان أليم.

آثرتُ في الملق التألي تقديم الأنشودات الثمان الأولى من والجمجيم، Inferno ليقف القاريء عليها في تسليلها وتناميها، فلقد بدا في هذا أفضل وأنجع من تقديم ثلاث أنشودات أو أربع من كل تشهد أو جزء. وإذا كان والجمعيم عن المنافق وكانفوا المنافق المنافق المنافق وكانفوا المنافق المنافق وكانفوا المنافق وكانفوا المنافق المنافق وكانفوا المنافق وكانفوا المنافق وكانفوا المنافق وكانفوا المنافق وكانفوا المنافق وكانفوا وكانفوا وكانفوا المنافق وكانفوا وكانفوا وكانفوا المنافق وكانفوا وكانفوا وكانفوا وكانفوا وكانفوا وكانفوا وكانفوا وكانفوا المنافق وكانفوا وكانفوا كانفوا وكانفوا كانفوا وكانفوا كانفوا أمّا من حيث الحواشي، فقد اعتمدت في الغالب حواشي ريسيه التي تفيد فيها من ثمار أبحاث أجيال كاملة من اختصّرن بالأثر الدانتي، مع إضافات آتية من حواشي توجمات أخرى ومن تنقيباتي الشخصيّة في بطون المعاجم والموصوعات.

وأخيراً، ارتأيتُ أن أكتب وقرجيليو ، بدل وقرجيل، المتأثّرة بالنّطق الفرنسيّ. فإضافة إلى حقيقة أنّك لو

دانتي: الجحيم، الأنشودات الثماني الأولى

سألت الطليان عن دقرجيل عقالوا لك ومن هو هذا؟ ه، فإن إيقاع المفردة وقرجيليو عبدالي أكثر ملاومة للصّياعة الشعرية . الشعرية . الشعرية . الشعرية . الشعرية . الشعرية . الشعرية . المقارئ الشعرية . المقارئ المستوية . الموارثة
المترجم

الأنشودة الأولى

(الغابة المظلمة. الكثيب المُشمس. ظهور الوحوش الثلاثة: دانتي يعود ادراجه إلى الغابة. ظهور فرجيليو. التنبّؤ بظهور السلوقيّ المخلص. في الطريق إلى العالم الآخر.)

> في منتصف طريق حياتنا (1) الفيتُني في غابة مظلمة (٢) لأنّ جادة الصّوابُ كانت مفقودة .

يصعب أن أقول ما كانتُهُ تلك الغابة القاسية ، الحريّف ، القويّة التي تبعثُ الخوفُ في الفكر!

مريرةً هيّ، لا يكاد يضارعها في مرارتها الموت؛ ولكنْ كي اتكلّمَ عمّا لقيتُ فيها من خيرٍ فانا أقدرُ أنْ أذكر أشياء أخرى رأيتُها هناك.

لن اعرفَ الْ أقول كيفُ تسنّى لي الْ أدخلها لفرط ما كان النعاس يكتنفني في ذلك الموضع الذي تنكبّتُ فيه الطريقُ الحقّ.

> ولكنْ عندما بلغتُ أسفل كثيبٍ ينتهي عنده ذلك الوادي

الذي غمر بالخوف قلبي،

نظرتُ إلى الأعلى ورأيتُ كلا منكّبيه مكسوّين من قبلُ بشعاع الكوكب (٣) الذي يقود كلّ واحد باستقامة في جميع الثروب.

> آنفذ هدات شيئاً ما سورة الخوف الذي كان قد عرّشُ في بحيرة فؤادي ليلةً كاملةً أمضيتها في الأحزان .

> > وكمثّل مَن يخرج من البحر إلى الشّاطيء مبهورّ الآنفاس فلتفت لتُحدّق بالماه الخطيرة،

فهكذا النفتتُ روحيَ الهاربةُ بَعث لتنظر إلى ذلك المرّ الذي لا يدع بين الاحياء أحداً.

وبمدّما أرحتُ قليلاً جسديَ المتعَب إستانفتُ مسيري على الشاطيء القفّر، والقدم الثّابتة (٤) ما تزال أدنى من القدم الأخرى .

> وإذا بي المُحُ في بداءة صعودي، فهْدةً (٥) رشيقةً واثبة كان يكسوها جلَّدُ أرقط؛

ما كانتُ لتريدَ أنَّ تخطوَ من أمامي، بل كانت تعيق تقدّمي حتَّى أنَّي إرتددتُ على عقبيَّ مراراً لأبتعد.

كان ذلك حينما يبدأ الصّباح (٦) وتسمّعُ الشّمس صحبة كافة النّجوم التي كانت في رفقتها عندما بعثّ الحبّ الإلهيّ

في تلك الأشياء الجميلة الحركة لا وّل مرّة؛ هكذا بحيث كان يمنحني أملاً بالفلبة على ذلك الوحش ذي الوبّر الفيّاحك،

> ساعةُ النهار والفصلُ الطيّب! لكنْ لا إلى حدّ انْ لم اشعرُ بالحوف عندما برزّ في للكان اسّلًا (٧)

وبَدَا لِي متقاتماً في اتّجاهي شامخ الرّاس يفسره جوعٌ مسعور ؟ فكانك تُبصر الهواء يرجُف حوله ؟

ثمّ تلتُهُ ذَبُهُ (A) كانتُ تبدو في ضمورها محمَّلةُ بجميع الشّهوات جاعلةُ الكثيرينَ يغطوّنُ في البؤس.

> ولقد أشعرتُني بذلك الدَّعر من العنف الماطر من نظرتها ، بحيث فقدتُ في الارتقاء كلِّ أمل.

وكمثُّل مَن يهوى المُغْنم وتَّعِينَ اللحظِّلَةِ التي يتحتِّم عليه فيها الْ يخسر؛ فيروح يبكي ويراوده الأسف.في كلِّ فكرة،

فهكذا كان ذلك الوحش الذي ليس يعرف السّلم أبداً، والذي باقترابه المتزايد منّي راح يدفعني إلى للوضع الذي تصمت فيه الشّمس.

> ثمّ عندما بلغتُ أسفلُ درك م تجلّى لنظري وجةً كان العدّمت الطويل (٩)

قد أبحُ صوته قليلاً.

عندما أبصرتُه في الصّحراء المترامية، صحتُ به: 3 – رُحماك!، أيّاً كنتَ، شبحاً أو إنساناً حقيقيًا! ٤ .

فاجاب: 9 – لم اعدٌ إنساناً؛ بل كنتُ كذلك. كان ابوايُ من لمبارديا ومانتوا هي موطنهما كليهما.

ولدتُ في عهد يوليوس قيصر، متأخّراً، وعشتُ في روما في عهد أغسطس الجبّار، في حقبة الآلهة المزيّفين الكتابين.

شاعراً كنتُّ، أغنَي مجد الملك العادل (١٠) إبن انكيسيس، الطّرواديّ الانحدار، عندما التهمتُ إيليومَ المُتكبّرةُ السنةُ النيران...

لكنُّ انتُّ ، ما اللي يُعيدكُ إلى هذه المسالك الضيَّقة ؟ ولتم لا تيمتم وجهك شطرً الجيل الطيِّب الذي هو بادئة كلُّ فرح والباعث له؟ »

> قاجبتُه والعارُ يكسو جبيني: 8- وعليه، فانتَ قرجيليو (١١)، النّبع الناشر نهرَ اللّسان هذا كلّه؟ ه

إيه يا نورٌ جميع الشّعراء ويا فخرهم كلّهم ألا فَلْيُعنّي الحبّ العارم والدّرس الطويل اللذان دفعاني للبحث في آثرك.

> إِنْكَ لاستاذي ومَرجعي؟ منكَ وحدكَ اقتبسُ

الأسلوب الرّفيع الذي زادني مجداً.

الا انظر الوحشّ الذي بسببه أرجع القهقرى واعتي عليه يا حكيماً موفور السّمعة ، إنّه الرّرجف شراييني ودمي . ١

فاجابَ وقد رآني مجهشاً بالبكاء: و ــ ينبغي أن تسلك طريقاً اخرى إن كنت تريد أن تفلت من هذا للكان الوحشيّ؛

> فهذا الحيوان الذي يجعلك تطلق الصراخ لا يسمح بالمرور في طريقه لاحد بل إله لكيداهمه ثمّ يدكّ عنقه؛

> > سيٌّ هوَ وفاسد الطّباع لا تهدا له شهرةً أبداً وكلما شبعَ ازداد جوعاً.

كثيرةً هي الوحوش التي يُجامعها ، وستظلّ تكثر حتّى اليوم الذي ياتي فيه ذلكُ السّلوقيّ (17) الذي سيّرديه قتيلاً في اوجاعه .

ذلك الذي لا يُغذيه لا المعدن (١٣) ولا الأرض بل الحكمة والفضيلة والحبّة، والذي ربّما كان منزله بين ليد وآخر (١٤) .

فيه سيكون خلاص إيطاليا البائسة هذه التي من اجلها ماتت العذراء كاميليا كما مات، صرعى جراحهم، أويريالوس وتورنوس وليزوس (١٥).

> لسوف يطارده في جميع المدائن، ليُعيده إلى قلب الجحيم

التي أخرجه منها الجشع في البدء.

ولذا، فلسلامتك أغرُّض أن تتبعني، وسأكون أنا دليلك، وساقتادك من هنا إلى محلّ أزليّ،

تسمع فيها صواخ صرعى الياس؛ وترى إلى الأرواح المتالة القديمة وهي تطالب جميعاً بموتها الثاني؛

> وسَترى كم هي مسرورة بالنّار ، إِذْ تامل الْ تُلحق بالطّوبارتِين (١٦) ذاتٌ يوم .

وإذا ما أردت أن ترقى إليها فيما بعد، فإنّ روحاً (١٧) أجدر منّي ستكون هناك: وإليها ساكلٌ بكّ عندما أُغادر؛

فالامبراطور الذي يحكم ثَمَّ في العُلى، لاَنْني كنتُ خارجاً على ناموسه ليس لِيُريد ان يبلغ مدينتَه بهائي مِنْي إنسان (١٨)).

> في كلّ مكان يحكم، وهناك يسود؛ هناك تقوم مدّينته وعرشه العالي. طوبى لمن يختاره هوّ هناك! ٩.

فاجبتُه: ٥- أيّها الشّاعرُ إِنِّي أستحلِفكَ بذلك الإله الذي لم تعرفه آن تاخذني إلى الموضع الذي عنه تتكلّم،

لا هرب من هذا الشرّ المحيق وممّا هو أشدٌ منه بطشاً ، فأبصرَ الطريق المُفضية الى باب القديس بطرس (19)

وأولئكَ الذين تصف مغمورين بالحزن. ٥

فشرع بالشير ومشيتُ أنا وراءه.

الأنشودة الثانية

(دانتي يشعر بالخوف. ڤرجيليو يهديء من روعه. نزول بياتريشي إلى اليّمابيس. دانتي يستميد , باطة جاشه.)

> كان التهار ينُصرم والأفق المظلم يُريح الحيوانات السّاعية على الأرض من عنائها؛ وأنا وحدي

كنتُ أتاطب لمواجهة رحب ذلك الشّوط الطّويل وتلك المشاهد المُحزنة التي ستَسردها التّآكرة بلا نقصان.

يا رئات الإلهام، يا روحاً عظيمةً (1)، أعينيني الآن، ويا ذاكرةً دوّنتُ ما رأيتُ، هوذا الموضع الذي يتجلّى فيه لُبلك.

> فبداتُ بالكلام: 3 – أبيًا الشّاعر، يا مُرشدي انظرُ إِنْ كانت قرّتي كافية، قبلَ ان تبعثني في هذا الشّوط المرير.

> > قلتَ إِنَّ آبا سيلڤيوس (٢) عندما كان ما يزال في هيكله الفاني ولجَ العالم السّرمديُّ جسديًاً.

لكنْ إِنْ كان عدوٌ جميع الشَّرور قد احتفى به، مفكِّراً بالاثر الآثي (٣) عبرُه، هو العظيم المزايا،

فما في هذا من مدهش لاصحاب الفكر. فهو كان قد اختير في السّماء أباً لروما المقدّسة وملكوتها،

وهذان اصطُفيا ليكونا ذلكَ الموضعَ البارَك الذي فيه يتربّع على عرشه بطرس العظيم.

وبذلك السّفر الذي وهيتّه انت مجدّه ادرك اشياء كثيرة كانت سبّباً في انتصاره وليله المعطف البابويّ.

وسيلهب هناك والإناء الختار» هو أيضاً (٤) ليدعم الإيمان اللي هوَ المخطوة الأولى في جادة الخلاص.

امًا أناء فلمّ أنا آت ومّن ذا الذي يُجيز ذلك؟ لستُ إِنْياس ولا أناً بولس؟ لا أحسبني، ولا أحدّ ليحسبني جديرًا بهذا.

وللدا فانا اخشى إنّ انا عقدتُ العزم على الجيء ان يكون ذلك جنوناً محضاً . إلك انت الحكيم، وستفهم بافضل مما اقدر ان اقول 4 .

> وكمفْل مَن لا يعود راغباً في ما كان راغباً فيه، فيُبدل أفكاره بسوانح اخرى متخلياً عمّا بدا به قبل ذلك،

> > فهكذا صرتٌ في ذلك المنحدر المظلم، وبتفكيري اتلفتُ مسعايَ كلّه الذي كان في بدئه شديد الصّعوبة .

فاجاب شبعُ الرّجل الماجد: 8- إِنْ كنتُ احطتُ بمرمى كلامك، فإِنْ روحك رازحةً تحت الخوف

الذي يكثِل المرء في أحيان كثيرة ويشرفه عن مسعى رائع كالزُّوية الكاذبة التي تقرض للحيوان فيلوذ بالظلِّ .

> ساقول لكُ، لأبعدُ عنك هذه الخافة، لمّ أتيتُ وما الذي سمعتُ في اللحظة التي تألّمتُ فيها من أجلك.

كنتُ بين المُعلَقة احوالُهم (٥) عندما لاحتُّ لي سيّدة فائنة وسعيدة (٦) فرجوتُها أن تُدلى بأوامرها .

> كانت عيناها أسطح من النّجم، فكلّمتني بهدوء ورقة، بصوت ملاك ولسانه:

8 – أيّهذا الرّجل المهارّب الآتي من مانتواء يا من لا يزال مجده في العالم حيّاً وسيدوم ما دامّ العالم،

إِنْ صديقيّ الحقّ، لا صديق الثّروة (٩) ؛ محاصَّرٌ هناكَ ، في الشّاطيء القفر ، الحرف يجعله يرتدّ على عقبَيه مراراً عديدة ،

وأنا أخشى الله يكون تاثهاً والني لم أفق لإسعافه إلا بعد فوات الأوان لفرط ما تناهي إلى في السّموات من شكواه.

فلتمض ولتُعنَّهُ بكلامك البالغ الفصاحة وبِما يمكن أن يخدم في إنقاذه، فيتعزَّى قلبي.

اتا بياتريشيّ، ابتهل إليك ان تهبّ؟ انا آتية من للوضع اللَّّب أرغب في العودة إليه . إله الحبّ يبعثني ويهبني انَّ اتْكُلُم .

> فإذا ما رجعتُ قربَ مولاي فسَّأُطنب في امتداحكُ آمامه . ع ثمّ لزمت السّكوتُ فبدأتُ :

9- أيّتها السيّدة، يا ربّة الفضائل التي وحدها تتيح
 للبشر النّفاذ إلى كلّ ما هو كاثن
 تحت تلك السّماء الصّفيرة الدّواثر (٨)،

إنّ أمرك ليُسرّني إلي هذا الحدُّ بحيثُ أواني متأخّراً في الطّاعة مهما بكرّتُ؟ لا داعى لانٌ تشرحى لى رغبتك.

لكنُّ أخبريني: ما الذي يُذهِب يا ترى عنكِ الحوف من أن تنزلي إلى هذا المركز من ذلك الموضع الشّاسع الذي ترغين في العودة إليه؟ ه

> فاجابت: ه – ما دمت تروم أن تعرف هذا السرّ، فساقول لك بإيجاز لمّ لمّ أخشَ من النّزول إلى هنا .

> > ينبغي الأنخاف إلاً من الأشياء التي يمكن ان تلحق بالآخرين ضرراً؟ لا من الاشياء الاخرى، فما هي بالكخيفة.

إلي صوّرني اللّه على هذه الشّاكلة بحيث ليس يقدرُ بوُسكم [انتم البشر] أن يمسّني بسوءِ ابداً، وبحيث لا تقدر السنة النيران هذه أن تبلغني.

في الشماء سئيدة نبيلة ملؤها شفقة على المسلك الوعر الذي أرسلك فيه ، وبهذه الشّفقة فهي إلّمنا تخرق الناموس الصّارم الذي يحكم الأعالي .

> والحال، هذه السيّدة نادت لوتشيا وقالت لها: ٩- إنّ صديقك الوفيّ هو الآن بحاجة إليك. به لوصيك . ٤

فشرعت لوتشيا (٩) ، هذه المناوقة لكلّ قسوة ، بالسّير وجاءت إلى حيثُ كنتُ جالسةً إلى جانب راحيل (١٠) العثيقة ،

وقالت: 9- يا بياتريشي، يا مَنْ انتِ المجلد الحقّ للّه، لمَ لا تُنجدين من احبّك كثيراً حتّى لقد هجرّ من اجلك الحشود البتللة؟

اوُ لا تسمعينه يبكي بلّوعة؟ اوُ ما ترينَ إلى المِت يتهدّده على شاطىء اللّهِر الفخم الذي لا يضارعه البحر؟؟

> لا أحد كان في فِعل الحير وتجتّب الاذى اسرَع بما كنتُ ما إنْ سسعتُ هذه الكلمات

واتيت إلى هنا من مقاميّ السعيد، واضعةً ثقتي في كلامكُ النّزيه الذي يُشرّفكَ ويُشرّف كلّ مَن يسمعونه. ٣

وبعدّما تكلّمت هكذا، صرّبتْ إِليّ باكيةً عينيها البارقتين، فجعلتني أسرع في الجيء اكثر.

واتيتٌ كما أرادتْ هيّ وأخذتُكَ من أمام ذلك الوحش الذي كان قد حرمَك من انتهاج أقصر الطرَّق إلى الجبل السّاحر.

> تعالَ: ما بكَ ؟ ولماذا تُبطيء؟ وما لكَ تُذَعَنُ لِخَوْر قلبك؟ لمَ تشجرٌد من الشَّجاعة ومن العزم،

ما دامت السيّدات المبارّكات الثلاث مهمومات بكّ في ساحة السّماء، وما دامتٌ كلماتي تعدك بالخير كلّه؟

وكمثّلما تضيء الشّمس زهرةً منكّسةً اطبق اوراقها الثلجُ المسائيّ، فتشرئت حول غضنها متفتّحة،

> كذلك انبثقت من خور قواي، وسرّت في شجاعة عظيمة، فجعلت اتكلم كإنسان متحرّر:

إيه أيّتها الرّحيمة التي أنجد تني!
 وأنت أيّها النبيل الذي سارع إلى الطّاعة
 لما فاهت به لك من كلمات!

إِنَّكَ بِخطابكَ هَيَّاتَ قلبي للرَّغِبَّ في الأنطلاق بهذه القرَّة حتّى لقد عدتُ واعتنقتُ مسعايَ الأرَّل.

فهيّا إلى السيّر؛ ستكون لنا مشيغة واحدة وستكون انتَ مُرشدي واستاذي وسيّدي . ٤ هكذا خاطبتُه، وما إن شرع هرّ بالسيّر

حتّى انتهجتُ أنا الطّريقَ القاسية الوعرة.

الأنشودة الثالثة

(دهاليز الجحيم. بوّابة مدينة الألم. الحشد الأوّل من المدّبين: أرواح محايدة وخرِعة، تطاردها الحشرات. سفينة والأكيرونتي و ومُعيّرها كارون. زلزال في الوادي: دانتي يُفمي عليه.)

> ه ــ غبري يلهب السّائرون إلى مدينة العذاب عبّري يذهبون إلى الألم الأبديّ عبّري يذهبون بين القوم الهالكين.

> > العدالة حرّكت صانعيّ الأسمى، القدرة الإلهيّة خلقتْني والحكمة العليا والحبّ الأوّل.

قبلي لم يُعفَلَق أيّ شيء إلاّ وكان ابديًا (1) . وأنا ابديّة أدوم. أيها الذاخلون اطرحوا عنكم كلّ أمل. •

هذه الكلمات التكناء رايتُها مكتوبة في أعلى بابٍ ! فقلتُ: و ـ يا أستاذي، إنَّ معنَّاها لَباهضٌّ عليٍّ. ٤

> فقال لي، وقد قرأ سوانخ افكاري: 3- ينبغي الْ تتخلّى هنا عن كلّ ريبة؟ وينبغي الْ يموت هنا كلّ خوّر.

> > هوذا الموضع الذي كلّمتُك عنه،

حيثٌ ستُبصرِ القوم العدَّبين الذين أضاعوا خيرات العقل. ٤

وبعدما وضع يده بيدي، وبوجه بَشوش أنتشني، راح يكشف لى عن أشياء خبيعة.

تنقِدٌ وبكاءٌ ونواعٌ عال راح يَتصادى هناكُ في جُوَّ بلا نجوم، فاسالٌ في البدء دموعي.

لغاتٌ غريبةٌ ورطاناتٌ فظيعة ، وصيحات الم وصرخاتُ غضب ، واصواتٌ قويةٌ وبحاء يرافقها لطمٌّ للآيدي .

> والكلّ يدوِّم صاخباً بلا انتهاء، في ذلك الأفق المظلم آبداً، كحلبة رمال تعصف بها زوبعة.

فقلتُ، ورأسي محاطُ بالظّلمات: 8- أستاذي، ما هذا الذي أسمع؟ ومن هم هؤلاء القوم الذين يَغليهم العذاب؟ 8

> فقال لي: 9 -- هذا الشّرط البائس هو شرط الارواح الخبيثة كمنْ عاشوا بلا عار وبلا مجد .

هم مختلطون بالمحفل السّيء محفل الملائكة الذين لم يتمرّدوا على اللّه ولا كانوا أوفياء له ، بل عاشوا لانفسهم (٢) .

السماء تطردهم كي لا تنقص بهم جمالاً،

والجحيم المتغوّرة تلفظهم حتّى لا يتفاخر عليهم الآثمون. ٤

فقلتُ: 9 – يا استاذي أيّ الم يحملهم يا ترى على هذا النّواح للتعالي؟ ٤ فاحاب: 9 - سأقول لك بإيجاز:

> هؤلاء لا يحدوهم الأمل بالموت، وحياتهم الكفيفة هيّ من التدكي بحيث يغبطون كلّ مصير آخر.

لا ينتاع لهم المألم من صيت والرّحمة والعدالة يزدريانهم: لا نتكلمنٌ عنهم، بل فلتنظرُ ولتمرّ. ٤

ثمّ حدّقتُ ورأيتُ علّماً يعدو ويدور بمثّل هذه السّرعة بحيث بُدا لي بالرّاحة غيرٌ جدير؟

> ووراءه قومٌ لهم من الكثرة بحيث لم أحسبُ أنَّ الموت اهلكُ بهذا القار بشراً.

وبعدما عرفتُ بعضاً منهم رأيتُ وتبيّنتُ شبحَ ذلك الذي اوتكب عن خوّرِ الرّفضَ الاكبر (٣) .

> ففهمتُ على الفور وتيقنتُ من أنَّ ذاك كان محفل السيّعين الذين يمقتهم الله وكذلك أعداؤه.

هؤلاء التّعساء الذين ما كانوا أحياءً قط،

كانوا عراةً تلسعهم أبداً أسرابُ الزّنابير وهوامّ الدّوابُ:

إِنَّها تَلطَّحْ بِاللَّم أُوجِهَهم فيختلط بالدمع ليسّاقط عند قدّمي الواحد منهم حيثُ تَتلقّفه ديدان كريهة .

> ثمّ إذْ نظرتُ ابعَد : رايتُ قوماً على ضفةٍ نهرٍ شاسع؛ فقلتُ: و- يا استاذي : هبُنى الآن

انْ أعرف مَن هُم هؤلاء، وأيَّ قانون يجعلهم متلهّفين هكذا للعبور كما يلوح لى في خافت الثّور هذا. ع

فأجاب: 3 - ستتضبح لك هذه الأشياء عندما سنتوقف عند ضفة اكيرونتي الحزينة. 3

فخفضتُ طرفي، ومختشياً ان اثقل عليه بكلامي، لزمتُ الشكوت حتى دنونا من التهر.

وهوذا شيخٌ أبيضٌ عتيقٌ الشَّعر (٤) يتقدم إلينا في قارب؛ صارخًا: ١ – الويل لكما يا نفسّين خبيئتين،

لا تأملا في رؤية السّماء يوماً، آتا آت لاقودكما إلى الضّفة الاخرى فى الظلّمات الابديّة، فى الصّيهود والبرد.

وأنتَ يا مَنْ تقف هنا، يا إنساناً حيّاً،

فلتناً عن هؤلاء؛ إنهم جيمعاً موتى. • ثمّ إذ رأى اثنى ما كنتُ لاتحرّك محضّ خطوة

صاحّ بي: 3 عبرّ مسالكَ آخرى، وموانيء آخرى (٥) ، لا من هنا ، تبلغ الشاطيء من آجل العبور ؛ ينبغى أن يحملك زورقٌ خفيف . 1

> فقال له مُرشدي: 3– يا كارون، لا تغضبَنْ: نريثَ ما نريد هكذا وبقدرما نستطيم، فلا تطلبنُّ اكثر. 1

> > فرايتُ الخدين الجلّلين بالشّعر للأح مستنقع الجحيم ينبسطان وحول عينيه دوائر من اللّهب.

لكنّ تلك الأشباح المتعبة والعريانة [كتستْ الواناً أخرى وجعلتٌ تصطكُّ اسنانها ما إن سمعت الكلمات القاسية هذه.

> وطفقت تجدّف بالله، بذويها، بالتّوع البشريّ، بمحلّ ولادتها، وبنطفتها وسلالتها.

ثمّ تحشّدت في كتلة واحدة باكيةً على الشّاطيء الرّجيم الذي ينتظر كلّ من ليسّ يخاف الله .

كارون، الشّيطان الذي عيناه من الجمر، يستقبلهم جميماً ويوجّههم، ضارباً بمجدافه كلّ مَن يتأخّر.

وكما تشاقط في الخريف الأوراق

واحدةً واحدةً حتّى يكون الغصن القي على الأرض بأحماله كلها،

فهكذا كانت الأنفس الخبيثة من نسل آدم ترتمي على الشاطيء واحدةً تلوّ الأخرى، كالأطيار ، مستجيبةً لنداء كارون، قابعةً رهنّ إشارته .

> كذلك تمضي الأرواح فوق الموج الداكن، وقبل ان تحطّ على الشّاطيء الآخر، يحتشد عند هذا الشّاطيء سربّ آخر (٦) .

> > فقال لي استاذي الكيّسُ: 9 - أيْ بُنيّ إِنْ مَنْ ماتوا في غضب اللّه يَغَدُونُ إِلَى هنا من سائر الجهات؟

> > > متحقزين لعبور النّهر، لانّ المدالة الإلهيّة تدفعهم، فينقلب خوفهم إلى رغبة .

لا تَمَّرُّ هنا نفسٌ طبّية أبداً، ولتن اشتكى منكَ كارون، فالآن صرتَ تدرك مذي خطابه. ¢

وما إِنْ فرغ من كلامه حتّى اهترّ الرّيف الأسوّد بهذه القوّة بحيث ما برحثْ ذكرى تلك اللجظة تغمر بالعرّق بدّنى .

> ثمّ اطلقت الأرض الباكية عواصفَ إنبثقَ منها نورٌ قرمزيّ غلب لدىً سائرَ افكاري.

فخررتُ على الأرض كمن يسقط في النّوم (٧).

الأنشودة الرابعة

(الحلقة الأولى: البمابيس: أرواح فاضلة لم تُعمّد، لا تتعرّض لعذاب آخر سوى الرّغبة غير المرضيّة في رؤية الله.

ي - ... دانتي يفيق من غيبوبته . البمابيس . نزول المسيح إلى الجحيم . الشّعراء القدامي . قصر الشّجعان والحكماء .)

> النُّومُ العميقُ بدّدهُ من رأسي دويُّ رعد، فاستفقتُ مُزِعاً كمثْل رجلٌ يوقظونُه عنوة؛

أجلتُ حولي عينيَّ المرتاحتين، بعدما استويتُ واقفاً، ثمّ نظرتُ بإمعان لا عرف المكان الذي تُقلتُ إليه .

كنتُ في الحقيقة على شفير وادي هاوية العذاب الذي يستقبل جلبة نواح غير متناهية .

كان أسوّد، عميقاً ومجلّلاً بالضباب؛ ومع اثني أمعنتُ النَظر إلى الغور فما كان في مقدوري أن أميّز هناك شيعًاً.

> وبدا الشاعر بوجه يعروه الشحوب 3- فلننزل الآن في الكون الاعمىء ساكون انا الآوّل؛ وستتبعني».

فاجبتُ، وقد لاحظتُ شحوبَ محيّاه: ٥- الّى لي الْ آتي إذا كنت تخشى، انتَ الذي اعتدت ألْ تُزيلَ كلّ ربية؟ ١

فقال: و ــ إِنَّ عنداب هذه الأشباح ليطبع على محيّاي هذه الرّافة التي تخالها أنتَ خوفاً.

هيًا: إِنَّ الطريق الطُّرِيلة لَتَدَّعُونَا. ﴾ هكذا دخلّ ومكّنني من اللَّ ادخل الحِلقة الأولى التي رَزِّر الهاوية.

وبخسب ما تناهى إلى سشعي فلم يكنَّ ثَمَّ من يكاء بل تنهِّكُ يُرجف ذلك الهواءَ الأزليَّ؟

كان ذلك آتياً من المربلا تعذيب تتلقاه افواجٌ متعاظمة من صغار ونساء ورجال .

فقال استاذي: 3 – أوّ لا تسالني من هي هذه الأرواح التي تراها؟ ينبغي أن تعرف قبل أن نوغل في الشير،

ألها لم تخطيء؛ ولئن كان لها من فضائل فليس بالقدر الكافي، إذّ لم يلمسها ماء العمادة الذي هو باب الإيمان الذي تحمله أنت؛

> ولئن عاشت قبلَ أنَّ يظهر المسيح، فهي لم تعبد الله كما يَجبُّ : وأنا نفسى واحدٌ من هؤلاء .

لهذه الشائبة لا لخطايا اخرى، صرّنا بين الهالكين، عذابنا الوحيد هو العيش في الرّغبة من دون أمل. ٤

فاعتراني وإذا أسمع كلماته أسى بالمَّ إِذَ عرفتُ أَنَّ عظماءَ كانوا معلِّقى النِّقوس في هذا اليّمبوس.

فسالتُ حتّى ازداد عِلماً بللك الإيمان الذي يفسل جميع الخطايا: و ـ يا استاذي، ويا سيّدي، الا اخبرئي

> أوّ لم يخرجُ من هنا أحدُّ بجدارته؛ أو بفضل غيره، ليلحقَ بالسّعداء؟ ۗ ه فادرك مرمايّ وأجاب:

هـ كنتُ على هذه الحال جديداً
 هندما رأيتُ كائناً قويًا (1) ياتي
 إلى هنا مكلًاً بعلامة الظّافرين،

ويجتذب شبخ أبيه الآوّل وشبخ ابنه قابيل وشبح نوح، قشبخ موسى للشّرع المطيع،

وابراهيم الخليل والملك داود، فاشباح إسرائيل ووالده وأولاده، وراحيل التي فعلّ من أجلها الكثير (٢) ٤

وكثيرين سواهم، ثمّ طازّ بهم إلى السّماء. وأريد انْ تعرف آله قبلَ مؤلاء لم تلقّ أرواحٌ بشريّة الخلاص قطّ، ٤

> كتًا نغلًا في السّير فيما يتكلّم، مواصلين اختراق الغابة، اقصد الغابة المزدحمة بالأرواح.

كنّا قطعنا شوطاً يسيراً منذ نوّمتي تلك عندما لحثُ ناراً تضيء مداراً من الظّلام.

كنًا ما نزال بعيدين عنها، لكنُ لا بحيثُ اعجز عن الْ أميّز الْ اشرافاً كانرا يسكنون ذلك الكان.

فقلتُ: 3 - إنه يا مَن تُمجُد العِلْم والفَنَّ، مَن هم هؤلاء الْعَظْيُونَ هنا بهذا اللَّجد الذي يَنيزهم عن غيرهم؟ 8

فاجاب: 8- إنّ سنعتهم التي ما فتفتُّ تتردّد في عالمكَّ هناكَ ، تُكسيهم في السّماء فضلًا به ينْفردون . 8

> وسمعتُ في تلك الأثناء صوتاً: 3 – لِتُمَجّدوا الشّاعرَ العاليّ مقامُه؟ هوذا شبحه عائلًا بعدَ رحيل. ٤

ثمّ بعدّما سكتَ الصّوت رايتُ اشباحُ عظماءُ أربعة تِتقدّم إلينا . ما كان على وجوههم كآبة ولا بشر.

فقال لي استاذي الطبيب: 3 – الا انظر ذلك الذي يخطو وبيده سيف والذي يتقدم الآخرينَ مثلَ ملك:

إنه هوميروس، الشّاعر المعقودة له السّيادة؟ يلبه هوراتيوس السّاخر؟ الثالث هو أوڤيديوس، والرّابع لوكانوس (٣).

وما دام كلُّ واحد يشاركني هذا اللَّقب الذي نطق به صوتُّ واحد منهم؛ فإلهم يُكرَّمونني وحسّناً يفُعلون . ٤

هكذا رأيتُ المدرسة الرّائعة مجتمعة مدرسة السيّد الباذخ الفناء الحكّق اعلى من الآخرين كالنَّسر.

> وبعدَما تحادثوا قليلاً ، التفتنوا إليَّ مُحيِّين، وابتسم استاذي لذلكَ التَّرحيب .

لكتّهم لم يزيدوا عليه شيئاً بل ادخلوني في صحبتهم فصرتُ آنا السّادسُ (٤) بين اولفك الحكماء.

هكذا مضينا حتّى المنطقة المنيرة نتكلّم عن أشياء يحسن السّكوت عنها كما حشرً، الكلام عنها ساعتُكُد.

ثمّ وصلنا أسفلَ قلعة نبيلة (0) تميطها سبعة أسوار سامقات ويحميها ، من حولها ، جدولٌ جميل

عبرناه كما تُعبّر البابسة؛ وعبرّ سبعة ابواب ولجتُّ صحبة أولئكَ الحكماء حتّى وصلنا مرعى خضرتُه تَضرة .

> كان هناك اناسٌ بعيون وقور متمهّلة وعليهم اماراتُ سلطانٌ مديد: نادرو الكلام هم، أصواتُهم رقيقة.

فمكثنا هناكَ في إحدى الجهات، في مكان مفتوح، مُضاء وسامق، نقدر منه أن نراهم جميعاً.

وهناك، في المواجهة، على زهو الحقل الأخضر، تجلّت لنا التّفوس الشّريفة التي كانتٌ ركيتها وحدها تحمّسني في صميم ذاتي.

> رأيتُ البكترا (٦) ورفاقها الكثار، اللّذين عرفتُ بينهم هكتور وإِينْياس، وقيصرَ المسلح بعن عنقاءَ مُغرب؛

> > ورأيتُ كاميلاً ويُنتسيليا (٧) وأبعد منهما لاتينوس الملك (٨) جالساً صحبة ابنته لاثينيا (٩) .

رایتُ پروتوس (۱۰)، ذلكَ اللّـي كانْ قد طرد تاركوپنوس، ورایتُ لوكریتزیا وجولیا ومارتزیا وكورنیلیا (۱۱)، وعلی مبعدة منهم ابصرتُ صلاح الدّین (۱۲) وحده.

> ثمّ إِذْ رفعتُ عينيّ قليلاً رأيتُ أستاذَ مَنْ يعلمون (١٣) جالساً بينَ أَسْرة فلاسفة،

والكلّ ينظر إليه ويُحيِّيه: رأيتُ أوَّلاً سقراط وأفلاطون (١٤) يتقدّمان الآخرين قريّه،

وديموقريطس الذي أخضع العالَّم للصَّدَّة ، وديوجينس وأناغزاغوراسَ وطاليس ، ورأيتُ أيمپيدوقليس وهيراقليطس وزينون ؛

وجامعَ خصائص النّباتات: عنيتُ ديوسكوريديس؛ ثمّ رأيتُ أورفيوس، وتوليوس ولينوس وسينيكا الأخلاقيّ؛

> وإقليدس العالم بالهندسة وبطليموس وهيبوقراطيس وابن سينا وجالينوس، وابن رشد واضع التّفسير الكبير،

لكنّي لا اقدر ان استيهم بكفاية ٍ كلّهم، لانّ قصيدتيّ الطويلة تهمزني حتّى ليقصرُ كلامي عن الوقائع.

ثمّ، بعدما كنّا ستّةً، هوذا نحن النان: مُرشدي الحكيم يقونني عبرّ طريق آخرى بعيداً عن الشكون، صوب ذلك الهواء الرّاجف.

فبلغتُ مكاناً ليس فيه بصيصٌ من التور.

الأنشودة الخامسة

(الحلقة الثانية: الفاسقون يجرفهم إعصار الجحيم. مينوس. فرجيليو يُري دانتي بعض للشاهير: سميراميس وديدوني وتريستان. ملاقاة فرانتشيسكا دا رئيني. دانتي يُغمى عليه.)

> هكذا نزلتُ من الحلقة الأولى إلى الثّانية الحيطة بفضاء أصغر، والزّاخرة بصراخ آكثرَ وعذّاب اقوى.

هناك يجلس مينوس (1) رهيباً مزمجراً: يَرِنُّ الْأَلْمُ عَنْدُ الْلَّحْلُ، ويُقضِى ويُدين بعدد لقّات ذئبه.

أعنى آنه عندما تُفِدُ الروح السيّعة الولادة (٢)

أمامه فهي تعترف بكلّ شيء: فيرى ذلك العارف بالآثام

أيّ محلّ من الجحيم يناسبها ويلفّ ذنبه بعدد الحلقات التي يقرّر الْ تنزلها تلك الرّوح.

تتدافع الارواح أمامه حشداً حشداً وتنال حُكمه الواحدة تلوّ الاخرى: تتكلّم وتسمع ثمّ تنقذف إلى أسفل.

عندما ابصرني مينوس قال لي، ناسياً ان ينصرف إلى عمله: و- إيها الآتي إلى دار الآلام،

انظرٌ كيف تُلجُ وإلى مَن تُسلم قيادٌ نفسك؛ ولا يخدعنُكُ اتساع المدخل! ٤. فقال له مرشدى: ١ – ما لكُ تصرح به؟

> لا تُعِنَّ سفره المحتومّ يا هذا: نريد ما نريد هكذا وبقدرما نستطيع، فلا تطلبنَّ اكثر. ٤

الآن تبدا الآهات الاليمة بالتعالي. الآن وصلتُ حيثُ يلفحني بكاء القوم.

بلغتُ مكاناً ارتدُّ عنه كلِّ ضياء، مزمجراً كيحرِ عاصف تلفحه رياحٌ متعاكسة.

دوّامة الجحيم التي ما لها من انقطاع؛

بسُمارها تقتاد أشباحَ المدَّبين؛ تُرهقها وتدور بها وتلاحقها.

وعندما تصل آمام الأنقاض (٣) يتعالى صراخها وعويلها ونواحها؟ وتجديفها بقدرة الله.

ففهمتُ أنَّ ذلك العذاب كان عقوبة خُطأة أجسادهم، الذين أخضعوا العقلُ للشهوات.

وكما تحمل الطّيرَ اجنحتُها، في خضمٌ الهواء البارد في أسراب غفيرة، فهذه العاصفة كانت تذرو هنا وهناك،

> ومن علر إلى سَقْلِ، الأرواعَ الرَّديعَةَ؟ لا املَ يربحها أبداً من عناء ولا من بعض عذاب .

وكما تُنشد الكراكي شكواها صائعةً في الهواء رفوفاً طويلة، فهكذا رأيتُ الأشباح تحملها تلك الرّيح العظيمة

> وهي تاتي مطلقةً صراحاً؟ فقلتُ: 9- يا استاذي، مَنْ هم هؤلاء الذين يعاقبهم هذا الطقس الكالح؟٤

> > فقال لي: 9 - الأولى بين هؤلاء الذين تستقصي اخبارهم، كانت امبراطورة لغات عديدة؟

وإلى هذا الحدّ انغمستْ في الشّهوات

بحيث شرّعتُها في دستورها: لتمحوّ ما لحقها من عار.

هيّ سميراميس (٤) التي تقرأ في بطون الكتب أنّها كانت زوجة نينو، منه ورثتُ الحكمّ: فسادتُ على الأرض التي كان يحكمها سلطان (٥) .

> الآخرى هي هذه التي انتحرت عشقاً (٦) حافقً بيمينها لرّفات سيكيو؛ تليها الفاجرة كليوباترة (٧).

> وترى بينهنّ هيلانة (٨) التي على يدها وقع رزءً عظيم؛ كما ترى اخيل الفخم (٩) الذي بارزً في خاتمة المطاف إله العشّق،

وانظرٌ پاريس (١٠) ، وتريستان (١١) ٤٤ وهكذا أرائي وأشارَ بإصبعه على آكثر من ألفٍ ثين أنزعهم من حياتنا المشقُّ جميعاً .

وبعدما سمعتُ هكذا استاذي الذي راح يُستي ليّ السيّدات القديمات وفرسان الأمس، غمرتني الشفقة وصرتُ كمفّل المغشيّ عليه .

> فبداتُ: 3 – آيها الشاعرُ، كم أودُ أن آتحدث إلى ذينكُ السّائرُين سويَةً واللذين يبدوان بمثل هذه الحقّة وسطّ الرّيحة (٢ ٢) .

> > قاجابني: 1- ستراهما عندما يدنوان منّا أكثرة آنفار نادهما واستحلقهما بالحبّ الذي يحدوهما وسياتيان. 2

ثمَّ ما إن مالت الرَّيح بهما نحو كَنا

حتّى هنفتُ بهما: و- يا نقْسَون معلَّبتُون، تعالا لتُكلّمانا، إنْ لم يمنعكما من ذلك أحدًّ. ٥

> وكما تشقّ حمامتان، يدفعهما الهُيام، الهولة باجنحة مستقيمة وراسخة، فهكذا ابتخد هذان، يحملهما الشّوق،

عن رفقة ديدوني (١٣) والجها إلينا وسطَّ ذلكَ الهواء الخبيث، مستجيبّين لندائيَ الجِّاشِ عطفاً .

و ا إنهذا المغلوق الرّقيق، يا نبيل النوايا
 الآتي لزيارتنا في هذا الجرّ الكامد
 نحن اللذين خضبُنا بدمنا الأرض،

لو كان مُلك الكون لنا صديقاً لابتهُلنا له الْ يُسعِدكُ، ما دمتَ على خطئنا المُفسد قد أشفقتَ .

منقول كلَّ ما يسرَّك ان تسمع ونسمع كلِّ ما يطيب لك ان تقول ما بقيت الرَّيح، مثلما هي الآن، عذبة.

> يقوم مسقط راسي أنا على حوافّ الشّاطيء الذي إليه ينحدر البو ليكون في وثام وروافته.

الحبّ؛ الذي سرعان ما يأخذ بجماع القلب الطيّب؛ تيّم هذا الفتى بالجسد السّاحر الذي انثّرع منّي بشاكلة ما فتثتٌ تؤلمني.

والحبّ، الذي يحمل كلّ محبوب

على الإجابة حُبّاً تيَّمني به بَمثُل هذه اللّذاذة ، بحيثُ ما عاد ، كما ترى ، ليَّقارقني .

الحبّ قادنا إلى ميتة واحدة؛ ودائرة قابيل (12) تنتظر مَن اغتالُنا معاً . ۽ هذه هي الكلمات التي از جياها إلينا .

عندما سمعتُ حديث هاتين النّفسَين الجريحتين، حنيتُ راسي واطرقتُ طويلاً حتّى هنفاَ بي الشّاعر: 3 -- فيمّ تفكّر؟ 3

> فبدأتُ بإجابته: 3 – وا أسفاه، آيّة افكار عذبة ٍ وأيّة رغبة قادت عذين إلى موتهما الأليم! 0

ثمّ التفتُّ إليهما وتكلّمتُ وبدأتُ: 8- يا فرانتشيسكا، إنّ عذابكِ لِيُحزنني وبالرّافة يغمرني إلى حدّ البكاء.

لكنْ اخبريني: في عهد التنهّدات العدّية كيف وبايّة علامة إتاح لكما الحبّ ان تعرفا رغباتكما التي ربّما كان يخالطها الشك؟؟

> فاجابت: 3 – إنّه لا الم اشا: من تذكّر عهود الهناءة في ايام البؤس؛ استاذك يعرف هذا.

لكنْ إِنْ كانتْ تحدوكَ كلّ هذه الرّغبة في معرفة أصل محبّننا، فسأفعل كمّن يبكى ويتكلّم في الأوان ذاته.

كنّا على سبيل التّروّح نقراً ذات يوم

عن لالسلو (١٥)، وكيف تليّسه العشق: كنّا وحيدين لا تخامرنا ريبة.

> مراراً جعلت القراءة اعينَنا تتلاقى، ومراراً اشحبتُ لون وجهينا؛ لكنّ ما غلبنا هو امرَّ واحد.

فعندما قرآنا عن الابتسامة للتشهّاة وهي يُقبّلها مثّلُ ذلك العشيق، قام هذا الذي لم يعدٌ لي منه فكاك،

وقبُلني على الفم مرتجفاً بكيانه كلّه. ذلك الكتاب ومؤلّفه كان لنا بمثابة خالهو (١٦)؟ وفي ذلك اليوم لم نمض في القراءة أبعد. ٤

وثينا كانت إحدى الرُوحين تُكلِّمنا هكذا طفقت الأخرى تبكي بمرارة بحيِّثُ غُشيَ عليِّ من الشُّفقة كالني أموت،

وخررت كما يخرّ جسمٌ ميت.

الأنشودة السادسة

(الحلقة التّالثة: الشّرهون ممتدون في الوحل؛ تحت مطر ثلجيّ اسوّد. سربروس. تشاكو. الشّكّهن باندلاع الفتّن في فلورنسة. نشور المعدّبين.)

> عنتما استمدتُ الوعي الذي أدَّهبه عنّي إشفاقي على ذينك الصنّوين (١)، وما غمرني به من كآبة ،

> > صرتُ أرى حولى، الني النفتُ

والي الجهتُ والى نظرتُ، عذاباً جديداً ومعدَّينَ جُدداً.

أنا الآنَّ في الحلقة الثالثة، حلقة المطر الأبديّ، اللمين، الثّقيل، البارد: التي لا يتغيّر ناموسها ولا طبيعتها.

بَرِدٌ عظيمٌ ومياة سوداءُ وثلوج تنهمر هناك في الجرّ الظلم؛ وتستقبلها الأرض باعثةً كرية روائحها .

مربروس، الوحش العجيب الكاسع (٢) يعوي بأشداقه الثلاثة كمثّل كلب على رؤوس الموتى المنطمرينَ هناك.

> عيناه حمراوان ولحيته سوداء كنَّة ، بطنه كبير، ويداه بالخالب عامرتان؛ ينهش الأرواح ويسلخها ويَتَرَقها ،

فيجعلها المطر ترافق في عوائها الكلاب؟ وتَتَمثّرس بطناً عن بطن؟ وما اكثر ما يتقلّب اولفك الآثمون التّعساء!

> عندما رآنا سربروس، الدودة الهائلة، ففرّ أشداقه الثلاثة وكشّر عن أنيابه، مرتَّجفاً بسائر جنّته الضّخمة.

فمانً مرشدي راحتَيه وحثا من التراب ملء قبضته ورماه على تلك الحُلوق الجشعة.

وكمثل كلب ينبح فيما يتشهى

ولا يهذا إذا لم تكن له مضغته تحت الأنياب، لائه لا يقاتل ويسعى إلاّ ليزدّرد،

فهكذا كانت الأوجه الثّلاثة البشعة، أوجه سربروس للارد الذي يرعد فوق الأرواح عالياً حتّى لتتمنّى لو أصابها الصّمم.

> هناكَ مشينا بين اشباح جنْدَلها المطر الثّقيل، وخطّونا على عبث شاسع يبدو اجساداً

إستلقت جميعها على الأرض، إلاّ واحداً منها سارع إلى النهوض ليجلس (٣) ما إلاّ ابصرّنا مارّينَ قربه .

قال لي: 3– انتَ يا مَن تُقاد عبر هذه الجمعيم تذكّر مَن انا إن استطعت؟ فلقد خُلفتَ قبلَ أن أموت . 3

فاجبتُه: 3- رئما كان العذاب الذي تلقى يمحوك من ذاكرتي حتى لا يبدو لى الني رأيتك قطّ.

ولكنَّ اخبرُني مَن انتَ، يا مَن أُلقيَ بكَ في هذا الموضع الكفيب تُسامُ عذاباً إِنْ وُجِدَ عَذَابً يعلوه فلنَّ يبرَّه في تنفيره. ٤

فاجاب: 3- إنَّ مدينتك (٤) التِّي هي بالحسد ملأى حتى لقد طفح منه الكيل، أمسكتُ بي طيلة الحياة الصّاحية هناك.

كنتم، يا مواطني، تدعونني تشاكو:

وبفعلٍ خطيئة القم المُفسدة ها أنذا أزداد، كما ترى، هزالاً تحت المطر.

لكنّي لستُ النفس الآثمة الوحيدة، فهذه الأرواح كلها تتجرّع العذاب ذاته بباعث من الجُرم نفسه. ٥ ثمّ صحتَ.

فاجبتُ: و - يا تشاكو، إنّ ياسك ليُنقِلُ عليّ حتّى ليُبكيني؛ لكنْ أخبرُني، إنْ كنتَ تعلم، إلى أينَ

يُسير سكّان مدينتنا المنقسمة؟ ابينّهم يا ترى إنسالٌ عادلٌ؟، وما الذي يجعلها نهبةً للخلاف دوماً؟»

فقالَ لي: 9- بعدَ طويل_ِ صراع ستُسفك الدماء (٥)، وسيَطرةُ حزبُ الرّيف (٢ **)** مناوتُهُ (٧) بقسوةِ مرعبة .

ولا بـ: الله يسقط من تِمدُّ هذا بدوره قبل ثلاث دورات للشّمس (A) ويغوز الأوّل بقوّة مَن يُداورُّ في هذه اللّحظة .

> طویلاً سیظلِّ شامخ الجبین ممسکاً بالآخر تحت نیره، لا یعبا ببکائه ولا بشعوره بالخزی.

في المدينة عادلان اثنان (9) لا أحد إليهما ليصغي: فالغطرسة والحسد والجشع هي الجندوات الثّلاث التي اشعلتُ هناك القلوب s.

هكذا أنهى خطابه الأليم.

فقلت له: و – أريد أن تغلمني أكثر، وأن تنفضّل على بمزيد من الكلام.

فاريناتا وتيفيايو (١٠)، وكانا فاضلين جثاً، وجاكويو روستيكوتشي وأريفو وموسكا (11)، والآخرون الذين اجتهاراً في فعل الخير،

اخيرتي أين هم الآن، هثني أن أيصرهم، ذلك أنّ رغبتي شديدةً في أنّ أعرف إنّ كانوا يُفاقون العسل في السّماء أم السمّ في الجحيم. «

> فاجاب: 9— إنهم لَبِينَ آشَدُ النفوس ظلمة؛ مآلم كثيرة تُبقي عليهم في قاع الجحيم: وإذا ما أوغلت في النّزول فستُبصرهم.

لكنْ عندما تعود إلى الأرض الطيّبة فانا أرجوك أن تبعثَ اسمي في ذاكرة الأحياء: لن أقول لكُ أكثر لا ولن أطيلْ فى الإجابة ٤.

> وإذا بنظره للستقيم يَزوَّرُ فحدجني بنظرة إثمّ خفضٌ رُّأسه: وسقط بين المُميان ثانيةً .

فقال لي مرشدي: ٥- لن يستيقظ قبلَ أن يُنفخ في صُور الملائكة، عندما ستجيء القرّة المناولة (١٢):

> فسيعودٌ كلُّ إلى قبره الكثيب ويستعيد صورته وجسده، ويسمع الدويُّ الأبديُّ . 1

مكذا، عبر ذلك الخليط المقرف

من المطر والأشياح، رحنا نسير يتؤدة، ونتحاث قليلاً عمّا بعد النشور؛

قلتُ له: 9 – يا استاذيء كلّ هذه العنابات اتراها ستتعاظم بعدً الحُكم الأخير ام تشقص، أم تطلّ على قسوتها هذه ؟ 9

فقال لي: 9 – ينبغي أن ترجع إلى علّمك (١٣) اللّـي يُريكَ إِنْه كلّما ازداد الكائن كمالاً زاد إحساسه بالألم وباللّذة .

> ومع أنَّ هؤلاءِ الموتى الملعونين لا يبلغون الكمال الحقَّ ابداً، فما ينتظرهم منه آكثر وليسَّ اقلَّ. •

ثمٌ دُرنا حولَ ثلك الطّريق ونحن تتكلّم باكثرَ عَا آقدر أنْ أُحيد قوله } ثمّ بَلِغنا موضع النّزول:

هناك وجاثنا پلوتون (١٤)، العدوّ الكبير.

الأنشودة الستابعة

(الحلقة الزابعة: البخلاء والمباترون يتدحرجون من صخرة إلى أخرى مُتَشائمين. الحلقة الخامسة: سريمو الغضب غاطسون في مياه مستنقع استيكس الموحلة. المارد پلوتون. نظريّة في الحظّ.)

«- پاپي ساتان؛ پاپي ساتان اليپي! » (١)
 هكذا بدا پلوتون بصوته الاجش؛
 فادرك الحكيم الطيب مرمى كلامه

وقال لي ليه: يءَ من روعي : ٩ – لا يُزعزعَنُكَ حَوفُك فكلَّ ما لديه من باس لن يمننا من هبوط هذه الصّخرة . ٩

> ثمّ التفتّ إلى ذلك الوجه المنورّم، وقال له : 3 – صة، أيّهذا النُّرُّب الرّجيم! والتّهمْ نفسَك بسُعارك .

لا بلا سبب جفتا إلى هذه الظّلمات: هكذا أريد في المُثلى حيث انتقمَ ميكائيل من تلكُ الزّمرة المتفطرسة. ٤

وكما تسقط الأشرعة المنفوخة بالرّيع متشابكةً عندما تنكسر الصّارية، فهكذا هوى على الأرض ذلك الوحش الفرّاس.

> وهبطنا نحن إلى الهوّة الرّابعة متقدّمين على ذلك الشاطيء الأليم الذي يتغمّد جميع آثام بنى الدّنيا .

يا عدالة اللّه! مَن ذا اللّـي يُحشُد كلُّ ما رأيتُ من عذاب والمرجدياتين؟ ولمَّ تُهلكنا خطايانا؟

وكما تتكسّر عنة خاريبيديس (٢) الأمواج ثملاقاتها الأمواج الأخرى، فهكذا ينبغى ان يرقص الأموات هنا رقصة والتقابّل 9 .

> رايتُ هنا بشراً اكثر ثما في ايَّ مكان آخر يجارون من جانب وآخرَ ويعالجون اثقالاً رازحةً على الصّدور.

يرتطم الواحد بسواه ومراراً يستدير ويرجع القهقرى صائحاً: ولمَ تبخلُ؟ ٥ وولمَ تبدّر؟ ٥

هكذا يدورون في الدائرة المشؤومة من كلّ جانب إلى الوجهة المقابلة، صارخين دوماً بكلامهم الشائن.

> ثمّ يستدير كلِّ ما إن يبلغ في نصف دائرته نقطة التلاقي. فقلتُ شبة منكسر القلب:

و ارني يا استاذي ايّ قوم هم هؤلاء!
 و حليقو الرؤوس إلى يسارنا هل كانوا
 يا ترى جميعاً قساوسة؟ و

ئاجاب: 9- بل كانوا جميعاً مكفوفي البصيرة طيلة حياتهم الأولى فما عرفوا في إنفاقهم اعتدالاً.

> بهذا تنبع أصواتهم بوضوح عندما يبلغون في الدائرة نقطتين حيث تفرّقهم آثام متعارضة .

وأولئك الذين ليسَ على أرؤسهم غطاءً من الشَّمر، كانوا قساوسةً وبابوات ٍوكرادلة ، تَجَلَى فيهم البُّخلُ حتَّى أقصاه (٣) . ٤

> فقلت له: 9 – يا استاذي، بينَ هؤلاء لابدُ الّي اعرف بعضاً جمن تلوّثوا بهذين الشرّين. 8

فاجاب: 3 – إنّ افكاركُ لبِلا معنى: ذلك أنّ الحياة الجاهلة لهؤلاء الأدنياء تحرم الآنّ واحدهم من أنّ يُعرّف.

أبداً سيّسعون إلى نقطتي التّلاقي هاتين: هؤلاء من قبورهم يُنشرون مغلقي القيضات، وأولاء محلوقي شعر الرّاس (٤).

> حرمتهم إساءة الحفظ وإساءة العطاء من المقام الجميل والقتهم في هذه المنازشة التي لا اصرّرها بمنشق الكلام.

> > تقدر الآن يائبنيّ ان ترى قصرَ الوهم في الخير الذي يُعزى إلى الحَظَّ والذي يتقائلُ من أجله بنو الإنسان .

فكلّ ما تحتّ القسر من ذهب، وكلّ ما كان قائماً من قبلُ هيهات يرُيح واحدةً من هذه التّفوس التّمبي. ع

فقلت له : 9 – يا استاذي، خبّرُني أيضاً : ما هو هذا الحظ (٥) الذي تسمّيه ، والذي يجمع بين أصابعه كلٌّ خيرات الأرض؟ ٥

فأجاب: 9 – يا غلوقات حمقاوات ويا للجهل الذي يُلحق بكُ أضرارًا كبيرة ا الآنُ اريد أن تستوعب خُكَمَى عليه .

إِلَّ مَن يسمو بحكمته على كلِّ شيء فد صوّر السّموات وهيًا لها ما يُهديها (1) بحيث يسطع كلِّ جزءِعلى الأجزاء الأخرى؛

ناشراً التّور عليها كلّها بالتّساوي. كذلك فعلَ بمباهيج الحياة التنيا فوضع لها دليلاً عقلاً يُتدبّرها

ويُحوّل في أوانها الفّروة الباطلة من قوم إلى آخر، ومن سلالة إلى أخرى، مهما كان من تُعارض إرادات البّشر.

هكذا يسيطر شعبً ويَحْمل شعبُ آخر، بمقتضى ما يراه ذلك العقل اللآبة كما تلّبد الأفعى في العشب.

ما لعلمنكم من طاقة لتُناهضوه: إنه يهّب ويقضي راعياً ملكه كما يرعى ملكهم سائر الأرباب (٧):

ما لتقلبّاته من هدنة: الضّرورة تمدّه بالسّرعة؛ ولذا فما اكثرٌ ما تتبدّل بكم الأحوال!

هو مَن يُصلُب مراراً على ايدي مَن كان عليهم أن يمتدحوه: والذين يَعزون له عن خطأ مسمعةً سيّعة ؛

لكنّه بينّ أهل النّميم وليس يسمع شيئاً: مبتهجاً بين المخلوقات الأولى، يُدير فلكنه ويستمريء في الحبور ذاتُه.

والآنَّ فلننزلُّ صوبَ اسىًّ اشدٌ؛ فهي ذي تخرُّ الأنجم التي كانت طالعةً (٨) عندما انطلقتُ؛ وليس مُباحاً للكثُ اطوَّل. ٥

فاجتزنا الحلقة إلى الشّاطيء الآخر فوق نبع (9) يغلي وينسكب في جرف متفرّع منه هوّ.

كانت المياه سوداء أكثر منها حمراء (١٠)، فتبغنا الأمواج العكرة ودلفنا أسفل عبرً مسلك عجيب.

كان ذلك الجدول الكفهرّ يذهب إلى مستنقع يُدعى استيكس (11)، بعدّما يهبط اسفلّ ألشاطين الاغترين الملعونين.

> · وقفتُ أنا لانظر بإمعان، فرايت في ذلك المستنقع قوماً مُغمورين بالطّين، جميعهم عراةً ولهم مراى متألّم.

يتضارب هؤلاء لا بالايدي وحدها بل بالرّاس كذلك وبالصّدر والقدّمين، ويَرْقون بالاسنان انفستهم.

> قال لي أستاذي الطيّب: 9 – هوذا تُبعس نفوسٌ عن غلبهم الغضب؛ وأريد أيضاً أن تعرف بكامل الثُقة

> > الّ تُعت المياه قوماً يتنهّدون ويملرُونها بالفقاقيم حتّى الشطح، كما تُنبوُكُ عيناكُ أتّى حدّقتَ. ٥

غائصين في الوحل كانوا يركدون: 3- كنّا تُعَساء في الجرّ الرّائق الذي تُسعده الشّمس، ودخان الكآبة كانْ يجول فينا: والآن أولاء نحرٌ نحزلٌ في هذا الوحل الاسوّد. ٥ كان هذا النّشيد في حناجرهم يتحشرج، إذّ لا يستطيعون قوله في الفاظر مكتملة . ٤

هكذا قطعنا حولَ تلك البرّك الطينيّة قوساً كبيرةً بين اليابسة والماء، بعيون مصوّبة إلى من يبتلعون الوحل ابتلاعاً.

ثمّ وصلنا اخيراً اسفلُ بُرج.

الأنشودة القامنة

(الحلقة الخامسة: سريمو الفضب. البرج العالي والإشارة. ظهور فليغياس. عبور استيكس. ڤيليبو ارجنتي. وادي ديس . معارضة الشّياطين.)

> استانفُ القولُ (١) إنه قبلَ ان نصلَ إلى اسفل البُرج العالي بمسافة طويلة، إلى حيثُ اعيننا منه إلى الدَّروة،

ذلك آلا أبصرنا فوقه شعلتين صغيرتين، وثالثةً تردّ عليهما من بعيد، لا تكاد المين أن تلمحها .

فالنفتُّ إلى بحر كلِّ علم وسالتُهُ: 3- ما تقول هذه النار، وثم يا ترى تُجيب تلك النَّارُ الاَّخرى؟ ومَن الذينَ يوقدون هذه النَيران؟

فاجابني: 3 – هناك فوق الأمواج للغمّسة بالطّين، تقدر أن تبصر مَن ينتظرنا، إِنْ لم يُخف ضِباب للستنقع».

لا قوس اطلقت سهماً

عبرَ الأجواء بأسرع من القارب الصّغير الذي رأيتُه

قادماً يشق الماء نحوّنا في تلك اللّحظة يُمسك بدئته ملاّح وحيد هاتفاً: 3– الآن أقبلت يا نفساً رجيمة! 8

فاجاب استاذي: و يا فليغياس، يا فليغياس (٢)، عبثاً تصرخ! فلن تنالنا هذه المرّة إلاّ لمبور هذه المركة للوحلة ».

> وكمّن يتبيّن النَّ فخاً كان منصوباً له فيكتمد منه: كذلك صارَ فليفياس في غضبه الكظيم.

نزلً مرشدي في القارب وجعلني آنزل فيه بُعده؛ آنفاكُ فحسبُ بداكى أله أفوطُ في تحميله (٣) .

ثمّ ما إنَّ صرنا انا واستاذي في داخله حتّى تقدّم القارب العربق وهو يشقّ الأمواج، باعمقّ ممّا يفعل عندما يحمل آخرين غيري.

وثينا تمخر السّفينة ذلَك الماء الميّت، إشرابَ أمامي هالكُّ يملؤه الوحل (2) وقالَ لي: 9 – مَن أنتَ أيّهذَا الآتي إلى هنا قبلَ الأوان؟ 9

> فاجيتُه: ﴿ ﴿ إِنْ كَنْتُ آتِيتُ فَلَا لَابَقِي؟ لَكُنْ مَن انْتَ يَا مَن تُبْحِثَ عَلَى هَذَهِ الشَّاكَلَةَ؟ ﴾ فأجاب: ﴿ — كما ترى: كَائِنٌّ يبكى ﴾ .

> > فقلتُ له: 3 - فلتبقّ إِذَانٌ في البكاء

والحِداد، يا ذا الرّوح الرّجيم؛ إنّني أعرفك، وإنْ يكنْ لطّخكُ الوحل كلّك. ٥

> فمات آنفاً، يده صوبَ القاربِ؟ فابعده استاذيَ اليقظُ قائلًا له : 3 - إمض من هنا صحية سائر الكلاب! ¢

> ثمّ أحاط عنقي بذراعيه وقبَل محيّايَ وقالَ لي: 3– يا نفساً "ابتّة ، بوركَ البطن الذي حملَك ا

كان هذا الرّجل في الثنيا متغطرساً وَ لم تزيّرن ذكراه فعلةٌ طيّبة: ولذا كان شيحه هنا دائم الغضب.

كم من اناس يحسبون انفسهم هناك ملوكاً جيّارين، ويكونون هنا كالحنازير في الزّبل، جالين لانفسهم أشنة الازدراء ! »

> فقلتُ: 9- يا استاذي، كم انا راغب في ان أراه وهو يغوص في هذه الرّغوة، قبل ان نغادر هذا المستنقع».

فاجاب: ٥- ستكون رغبتك مُرْضيّة قبلَ أن نبلغ الشّاطيء الآخر: ينبغي أنْ تستمريء هذه الرّغبة. ٥

وما هي إلاً برهة حتّى رأيتُ سكّان الوحل يُذيقون ذلك الرّجلَ من العذاب ما جعلني أشكر اللّه.

كانوا جيمعاً يهتفون: ١- إلى قيليبو أرجنتيا،

وكان شبع ذلك الفلورنسيّ الغضوب يرتد على نفسه بالأسنان نهشاً.

على هذه الحال تركناه ؟ لن أقول عنه المزيد ؟ بيت أنَّ عويلاً طرقَ سمعي ، فامعنتُ النَّطْر إلى الأمام .

قال لي استاذي العليّب: 3- الآنَ يا بُنيً تقترب الملدينة التي اسمها ديس (°) ، بسكّانها الحزاني وحشدها العرم. 8

فيداتُ: « ـ يا استاذي أيصرُ من الآنَ مساجدَها (٦) ترتسم في الوادي بنصاعة ، قرمزيّةُ فكاليا خارجة من النّار . »

> فاجاب: 9 – إنها النار الأبديّة تستعر في الثااخل فتجعلها تبدو حمراء كما ترى في البحيم الشفلي هذه. 2

> > ثمّ بلغنا الخنادق الغُميقة التي تحيط بتلك للدينة المُقفرة: وتَهِيًا لي انْ أسوارها من حديد.

كُرْنا في البدء دورةً كبيرة ووصلنا مكاناً صرخ بنا فيه النوتيً و-أخرُجا، هوَذا للدخل. 8

فرايتٌ على الأبواب الكثر من الف شيطان كانوا قد انهمروا من الشماء (٧) صارخينَ غضباً: 3 ـ مَن هو هذا السّائر في مملكة الأموات،

من قبل أنَّ ينال موتَّه ؟١٤

فأشار إليهم أستاذي الحكيم باله يريد محادثتهم سرًا،

فكظموا غيظهم بعضّ الشيء وأجابوه : هـ- تمالَ وحدكَ وليذهبَنّ هذا الذي جروً على ولوج هذا الملكوت .

فليرجعنُّ وحده في الذرب المُجنون: ليحاولُ إِن استطاع، لاَنَكَ هنا ستبقى النَّ يَا مَنَ صَحبتَه خللَ هذه المناطق المظلمة 8 .

فلتتصوّرٌ يا قارئي كم أحزنني ان اسمع هذه الكلمات اللعونة؛ إذْ لقد طننتُ الني لن أعود من هناكَ ابداً.

فقلتُ له: 3 – مرشدي العزيز، انتَ يا عن رددتَ لي اكثرَ من سبع مرّاتِ الأمانَ ويا من تجوّلني من مخاطرَ رهيبة إعرضَتْني،

> لا تدغني مغلوباً على هذا الوجه، وإذا كان كان يتعدّر الذهاب أبعد، فلنرتك على اعقابنا سويّةً بخطى حثيثة. ٤

فقال في هذا السيّد الذي جاء بي إلى هنا: و – لا تخشيقٌ شيئاً! فلا لأحد أن يمنمنا من المرور: إنْ مَن أوادَ انْ نُمَّ لاَعْظَم.

لكن انتظرني هنا مُسرًياً عن وهنِ نفسيك ولتُعَدَّما بطيّب الأمل، فانا لن اترككَ في المالم السّفليّ ابداً. ه

مكذا ابتعاد وخلاني

ذلك الأب الحنون، فلبثتُ في انتظار، يتصارع في رأسيَ القبول والرّفض.

ما استطعتُ أنَّ أسمع ما قاله لهم؟ لكنّه لم يُطلِ البقاء في صحبتهم، إذْ سرعانْ ما تراجعوا متبارين في العَجلة.

> أوصد: أعداؤنا أؤلاء الأبوابَ في وجه مولايّ، فبقيّ في الخارج ثمّ عاد إليّ بخطى وثيادة.

ومطرقاً إلى الأرض عينيه، عاريّ الجبين من كلَّ ثقة، طفيّ يهمس فيما يتنهّد: و ـ من ذا الذي يمنعني من ولوج منازل العذاب؟ ٤

> واتُجه إِلَىَّ وقالَ لي: 9 – لا تقلقَنْ من حنقي هذا، فساجتاز الاختبار بنجاح، مهما فعلوا في الداخل دفاعاً عن أنفسهم.

> > هذه الغطرسة ما هي مشهم بالجديدة ؛ سبق أن أبدوها أمام باب أقلَّ شغاءً وما برمَ إلى الآنُ بلا رِمَاجُ (٨).

هو ذلكَ الذي رايتَ اعلاهُ حروفَ الموت؛ ومن الآن ينزل منه ويعبر الهاوية مجتازاً الحلقات بلا حرّاس،

من ستُفتَح على يده ابواب المدينة (٩).

ترجمة وتقديم: كاظم جهاد باريس

حواشي دالجحيمه

الأنشودة الأولى:

١- إستخدم دانتي ضمير الجمع: DOSTR VITA (وحياتناء)، فاصداً غير الانسان بماتة. عمر كان معاصرو دانتي برون وسطه في سن الخاسة والثلاثين، وهي السنّ التي كانت للشاعر يوم شرع بكتابة عمله هذا. كان دانتي قد ولد في ٢٤١٥، ووبداً كتابة و الكوميديا الالهتية » في ٢٠٠٠، وهو عام سفره إلى روما الذي صادف احتفالات و اليوبيل » التي عبنا لها البابا بونيفاتشو القامن. ونوافق الشاعرة جاكلين ريسيه، واضعة إحدى احدث ترجمات والكوميديا الالهية » إلى الفرنسية والتي نوجز هنا أغلب حواشيها، الاعتقاد بان صيفة الجمع هذه التي تفتتح البيت الاتن من ناحية اخرى إلى اعتقاد دانتي أو إعانه بان عمله ستكون له دلالة شاملة تهم الانسانية جمعاء.
اللممل كلة تشير من ناحية اخرى إلى اعتقاد دانتي إلى صيفة المتكلم المفرد: والفيئني ففي هذا الجدل بين وانا » الخطاب وه مجموعية ه المرجع بتموقع نشيده .

٢- ترمز النابة المظلمة إلى الآثام والاخطاء . وهي تشيره في حياة الشّاعر او سيرته، إلى فترة ضلال اخلاقيّ وتختّط فكريّ بستميدها هنا ويحاسب نفسه عليها ويتجاوزها .

٣- المقصود بالكركب الشّمس؛ كانت تُعات كوكباً في منظومة بطليموس الفلكيّة التي يتبعها دانتي ومعاصروه.
٤- يرى الشرّاح، بالرّجوع إلى النصوص الفكريّة والروحيّة للعاصرة لدانتي (لدى بونافنتوره مثلاً) ان القدم النّابيتة،
يمنى الثقيلة والمسترة، هي القدم اليسرى، التي تُثقل على الانسان ونوازعه. وتذكّر ريسيه بهذا الصدد بتدرّج خطو
دانتي ووتائره عبر دالمنازل، الثلاثة. فلتن كان سيره في والجحيم ٤ بطبيئاً، فإنّه يتسارع في ١ للطهرة ويكون في
الشفروس، قريباً من الظّيران.

من الفرنسيّة القديمة lonce: حيوان بين النّمرة والفهدة. يرمز عموماً إلى الشّهوائيّة الفاجرة أو
 شهوة الجسد المتسلّطة.

٦- كان في العصر الوسيط يسود الاعتقاد بان العالم انشيء وفقعت الأرض إلى الحركة في مطلح الركيح ، وفي العام
 ١ ، ١٩٠٠ الذي يوقع فيه دائتي هذا اللّفاء في الجديم، صادف الالقلاب الربيعي الثاني عشر من آذار.

٧- كان الأسد يرمز عمومًا إلى الكبرياء والصّلف والعُجب.

٨- ترمز الذئبة إلى الستره والجشع. ويرى الشنزاح أن دانتي يمان من الآن، عبر ظهور الستباع الثلاثة، إلى اقسام
 المجمع الكبرى الثلاثة (ما يدعوه بـ والحالات الثلاث للمقونة في الستماء : الغلمة أوالأنقياد للشهوة والحداع والمعنى).

و- يطرح الشراح لهذا العسّمت تاويلين الشين، فإذا أن يشير الشاعر إلى أنّ العقل (وهو المعنى الرمزيّ لحضور الشري المرتميّ لحضور الشريح المسترح المسترح النظر كا قريبيو) يجد معمورة في إقهام مرماه بعدما ازم العسّمت طويلاً. أو أن يكون المقصود هو أنّ القادم لا يتضّع للنظر كا في الكنارة بسبب من العسّمت الطويل للشّمس بهاعث من ظلمة الكنان، وهناك أيضاً من يرى أنّ قرجيليو كان يلقه العسّمت قبل أنّ ياتي ذائني ويتيم لم موافقته وإرشاده عبر مناطق العائم الآخر الثّالث.

 ١ - المفصود هو إنياس، الذي كان فرجيليو غناه في ملحمته الخاملة اسمه عنواناً: والإنياذة و. أمّا وإيليوم التي يرد ذكرها في المقطم الثلاثي نفسه فهي طروادة، وقد استخدم دانتي اسمها الثّاني تفادياً للتّكرار.

۱ ۱ ــ يغرفه على الغور بالاستناد إلى ما يمكن دعوته بأسطورة قرجيليو الشائمة في العصر الوسيطا، التي تصوّره على الخصوص حكيماً وخييراً بفنون المتحر ومتمّماً بقوته النبوعة ومفتياً خيد الأموات. وهو يرمز لدى دانتي إلى العقل دانتي: الجحيم، الأنشودات الثماني الأولى

الإنسانيّ ويقل شاعر المتلطة الامبراطوريّة. وفي الانشودات الأولى من «الكوميديا» هو، خصوصاً، مملّم في الشّعر وحكيم كبير.

٧٢ - كلب صعيد قوي، يرمز هنا إلى مخلّص منتظر سيّحل في المدالة والستلام. (أى فيه بعض السّرّاح وجوماً تاريخيّة عديدة قد يكون دانتي قصداها، وبالاخص كان غرائده ديلاً سكالا، الذي استقبل دانتي المنفي في قبوونا، والذي سيهديه الشاعر كامل و الفردوس ٤ اعترافاً بفضله، أو الإمبراطور الإلمانيّ هنري السّابع، الذي كان دانتي يمحضه الإجهاب والذي كان سينم تكريسه في روما لولا اثّه توقي فبيل الوصول إليها في ١٣٦٣.

" ١- كتب دانتي: peltro، وهو معدن مزيج من الرّصاص والقصدير، المقصود به ١ المال ، بعامة.

١٤ - كتب دانتي: tra feltro e feltro; ويمكن إن نقرا فيها و اللبد ع، وهو نسيج رخيص، فيكون القصد أنه يقبم في منزل متواضع. وإلى هذا يذهب إيضاً الشاعر الإيطالي المروف أو نفاريتي، إذ كتب في مقالته و دانتي العادل عن مع الله و ١٩٦٩) العادل عن جدوعة مقالاته و الدائل عن العادل عن و المنافق العادل عن العادل عن العادل عن المعادل عن المعادل عن المعادل عن المعادل عن المعادل عن الأيمان عن المعادل على المعادل عن المعادل عن المعادل عن المعادل عن المعادل عن المعادل عن المعادل عن المعادل عن المعادل عن المعادل عن المعادل عن المعادل عن المعادل عن المعادل عن المعادل عن المعادل عن المعادل عن الم

١٥ - . شخوص من و إنباذة ، فرجيليو ، بعضهم كان في معسكر الطرواد تين والبعض الآخر في المحكسر العدق . بلشح
 دانتي إلى أن موقهم جميعاً كان ضرورياً لقيام الأميراطوريّة الزرمائيّة .

٦ - الطرباريّرن، المصرغة من كلمة وطوبى ٥، تدلّ في المصطلح الفتّي للتصوّف واللاّموت على السّمداء في المرباريّرن على السّمداء في الفروس، ولا علاقة لها في هذا المسل بالفلسفة والآدب المعروفين بالطوباويّين عمنى الأفكار والموالم المتفائلة التي تتراوح في خياليّتها و الوروبيا).

١٧ - المقصود بهذه الرّوح بياتريشي، محبوبة الشاعر، التي يشير إليها مطولاً في عمله الآول وڤينا نوڤا (والحياة الجديدة ٤)، والتي مستكون مرشدته في والفردوس ٤ حيث لا يقدر فرجهليو على الدّهاب معه بياعث من وثنيّته.

٨٨ - إنمارة إلى وتنيّة فرحيليو، الذي تركّى قبل مجيء السيّد للسيع بقسع عشرة سنة، مع آله ترك كلاماً شعريّاً عن قرب ظهرر مخلّهر عادل قهمة وكاله نبروة بظهور يسوخ.

رب سوري الله المردوس دالتي، ولمل المقصود هنا هو باب والطهرة، الملكوت الثّاني الذي سيزوره دانتي مهندياً بقرجيليو.

الأنشودة الثَّانية :

ا- يمكن فهم هذه والروح التي طرحها دانتي بالمفرد، باعتبارها روحاً جماعية لرئات الإلهام (وهذا هو راي پيزارPézard) مترجم دانتي في سلسلة لاپلاياد- غاليمار)، او على الها روح دانتي تفسه، مخاطباً ذاته وواعباً بملؤ

٢- والد سيلقيوس هو إينسياس، اللي كان قرجيليو قد وصف في النّشيد السّادس من والإنباذة، نزوله إلى الجحيم.

٣- يقصد بالاثر الآتي تاسيسه الامبراطورية الرومانية فيما بعد. وللقصود بـ ٤ عدو جميع الشرور ٥ هو الله.

£ - والإناء المحتار ، هو لقب القديس بولص في والكتاب المقدس ، وفي رسالت إلى أهل كورنشة ، يموقع بولص بنفسه زيارته للعالم الأخر في السّماء الثّالثة ، وهي اقصى سماء يمكن أنّ يزورها إنسان حيّ وإنّ يكن نبيّاً .

٥- أي بين تن هم في «التمايس» و أو «اللمبوع يحسب التعلق (لايطالي)، وهي للنطقة التي لا عذاب فيها، والشمتصة للاطفال الذين ماتوا قبل أن يتالوا التمميد، وللمادلين الذين ماتوا قبل أن يدركهم الإعان (كما هي حال والشمتصة للاطفال الذين ماتوا قبل أن يدركهم الإعان (كما هي حال يرجيلون فسمه). وسيصفها دانتي في الانشودة الزايمة من هذا الجزء (الابيات ٣١-٤٥).

٦ – يقصد بياتريشي .

٧ - أي هذا الذي يمحض محبّته بصورة منزّهة وبالا مقابل.

الدسماء هنا بالمعنى الفلكي، بالنباع التصور البطليموسي. هي سماء القمر، الادنى من جميع السنموات.
 وسلوتشيا، من سيراكوزا، قديسة كان دانتي يمحض ذكراها محبّة وإجلالاً كبيرين. استشهدت في القرن الرابع،
 وتُمتير شفيعة مرضى البعشر.

. ١- امرأة يعقوب الثّانية، امْ يوسف وبنيامين، وترمز في ووحانيّات القرون الوسطى إلى الحياة التأمليّة.

الأنشودة الثَّالثة:

١- نستشف من هذه الابيات الاعتقاد الذي كان سائداً بالا الجحيم نجمت عن سقوط لوسيفير (ملك بابل في المهد القديم ، وصار في القرون الوسطى يرمز إلى الشيطان) على الارض، ثميد خلق الملاككة الذين سيتمرّد بعضهم ويمصى الله. كلّ ما خُلق قبل الجحيم (الملائكة والشموات والمادة الخالصة) هو بحسب هذا الاعتقاد ابدئ. ٢ لم الملائكة الخالفية) هو بحسب هذا الاعتقاد ابدئ. ٢ لم الملائكة الخالدون لا وجود لهم في التراث اللاهوئيّ. ولملّ داني ينهل هنا من أساطير شعبيّة قروسطيّة، تلك للنسوجة حول رؤيا القديس بولهي مثلاً.

٣- لعل المقسود هو تشياستينو الخامس، الذي كُوس بابا في تحوّر ٢٩٢٩، وتبازل عن البابويّة في كانون الاوّل من العام نفسه لبونية انشر الثّامن الذي يحقته دانتي بشدة. ويرى فيه شرّاح آخرون عيسو او بولس ببلات او جوليان المرتد،

٤- هو كارّون، أخذته الميثولوجيا الرّومانيّة عن اليونانيّة، وهو فيهما معبّر الأرواح إلى العالم الآخر.

ما كا كان دانتي ما يزال على قيد الحياة، فهر لا يمكنه المرور حيث تم ارواح المعاقبين، وعليه ان يسلك طويتن
 الارواح الطيئية التي تجتمع عادةً عند منيع والتيبر، و ومن هناك يحسلها الملاكمة إلى جبل والمطهر، في وقارب خفيف،
 ٦- هذا النهر هو واكبرونتي، ع اكبر انهار الجحيم، ويتشكّل من دموع الآلمين المعلّمين.

 بحق الإغماء الذي يُصاب به دانتي العنصر ما فوق—الطبيعيّ الذي يتيح له عبور والأكبرونتي ع من دون العسّمود في سفينة كارون.

الأنشودة الرابعة:

١- هو يسوع للمديح، الذي لا يمكن في الجحوم تسميته باسمه، والذي يُعتقد بال نزل بين موته وانبعاثه إلى
 ملكوت للمثابين، ومن البحابيس انتشاراً قامه الاول (آدم) ويتوّة الانبياء والمتأخين.

٣- إشارة إلى اضطرار اسرائيل (يعقوب) إلى العمل في خدمة أبي محبوبته راحيل طيلة سبع سنوات حتّى يتمكّن من الزّواج منها. ٣- هؤلاء الشعراء أشهر من أن تعرّف بهم. نذكر مع ذلك بأن هوميروس؛ للنسوية له والإياذة و والأوذيسة و ما يرح موضع جدال: هل وجد مؤلف هذين العملين العظيمين، أم هما من صنع يرح موضع جدال: هل وجد: هذا الشاعر فعالم، وهل أو المنظمات المنظمات المنظمات المنظمات أنه كمية المنافزة المهارأ تهكمية وغنائية . وأوقيديوس (٤٣ ق.م.) هو الشاعر اللاتويني المعروف بعمليه وفن الهوى و والمسخ و (أو و كتاب التحولات ») ، يفيد منه دانني ويتخطأه في كرميدياه هذه . ولوكانوس (٢٩ - ٦٥ م.) ، ترك باللاتينية ايضاً ملحمة و فرسائيا والتي يصف فيها نضال يوميني في مواجهة يوليوس قيصر.

٤- باعتبار المهم يشكّلون خمسة بعد إضافة فرجيليو . ويلاحظ القارئيء كيف يُدرج دانتي نفسه في تتمّة الشعراء الكلاسيكتين ويقول إله صار سادسهم.

هـ.. ترمز هذه القلمة إلى الفلسفة ، التي تمثّل المقل الانسانيّ مجرّداً من الانوار الإلهيّة . جدرانها السّيمة هي أبواب الفلسفة السّيمة بحسب القّلمسيم الكلاسيكيّ (الجساليّات والاتيقا او علم الاخلاق وعلم المنطق والميتافينها أو الماوراء وآداب السّلوك morale – وهي أضيّق نطاقاً من الاتيقا – والاتطولوجيا أو علم الوجود واخيراً علم اللاّهوت) .

٣- من الشخصيّات اليونانيّة الاسطوريّة. هي الإدادانوس، مؤسس السّلالة الطرواديّة. وواقلها هم هنا خلّفها، وينبغي وينبغي محكور الذي حامى عن طروادة، وإلياس بطل فرجيليو، مخلص سلالته وأوّل مؤسّس للمجد الروماني. وينبغي الانتباه إلى أنّ أغلب من يلاقيهم دانتي في اليمابيس، منطقة المفو هذه، والتي تشكّل داخل الجحيم نوعاً من المطهر (سوى النهم لا يخرجون منه إلى الفردوس، نظراً لمرتهم في الوثنيّة، هم، واقعتين كانوا الم المطوريّون، ثن وساهموا» في الإعلاد من شان الامبراطوريّة الرومانيّة، التي كان دانتي يريد تخليصها من سطوة البابوات، وعملوا على ترسيخ دهاليها.

٧- كاميليا: عذراه محارِبة، من شخوص ڤرجيليو أيضاً. ويتنسيليا: مليكة والامازونات»، ساعدت الطروادتين وقهرتما الحيل.

٨- لاتينوس: ملك لاتزيوم وأبو لاڤينيا (أنظر الحاشية التّالية).

٩- لاڤينيا: زوَّجها أبوها من إلياس وقادت الثورة على تاركرينوس المعروف بالمتغطرس.

، ١ - هو لوسيوس يونيوس بروتوس، مؤمتس الجمهوريّة الرّومانيّة والذي انتقم من تاركوبنوس المتغطرس، لقتله لوكريسيوس.

۱۱ - لوكريتزيا: إغتصبها سيكستوس امن تاركوينوس، فانتحرت. جوليا: إينة يوليوس قيصر وزوجة بومبي. مارتيزيا: إمراة كانوني الثّانية . كورنيليا: أمّ والمراكيّين، ٤٠ امنة سيبيون . نكرّر القول إنّ جميع هذه الشخصيّات مرتبطة بالمبراحات الأولى من اجل تأسيس الأميراطوريّة الرّومائيّة والحاماة عنها .

٢ - عن عجب، تشير جاكلين ريسيه إلى أن صلاح الدين الآوري هو السلم الوحيد الذي و يقابله و دائتي في
 و اليمابيس، . فيمد إيهات قليلة، سيقابل القاريء الفيلسوفين ابن رشد وابن سينا .

١٣ - هو ارسطو، الذي عثل في نظر دانتي الفيلسوف بامتياز.

3 ا ـ سقراط وأفلاطون: كان دانتي يجد فيهما مؤسسين للفلسفة الاخلاقيّة . ويبدو الإ دانتي لم يقرأ من أعمال الفلاطون إلا محاورة والتيماوس؟ و ذلك في ترجمة لالينيّة . وتتوالى في الابيات التالية سلسلة من أسماء أهمّ قدامى الفلاسفة والأطبّاء والملماء، وهم جميماً أمثي المناسفة والأطبّاء والملماء، وهم جميماً أمث للفلاسفة والأطبّاء والملماء، وهم جميماً أمث الفلاسفة والأطبّاء والماما كن عند عنه من المناسفة والمناسفة والأطبّاء والمناسفة والمناسفة عن الاساطير البونائيّة : كان غناؤه بجذب وراءه

الجماد والحيوان، وليس عدم الدلالة في مياق والكوميديا الإلهيّة ، الأيكون هر الآخر هبط إلى العالم السفليّ بحثاً عن زوجته اوريديس التي كانت قد لقيت مصرعها بلدغة افعي.

الأنشودة الخامسة:

 ١- هو في الميثولوجيا الكلاسيكيّة ملك جزيرة (كويت) اليونائيّة. غرف بالصّرامة وحسّ العدالة. جعل منه هوميروس ومن بعده قرجيليو قاضياً للجحيم.

٢- أي ارواح من ولدوا للشقاء.

٣- هنا إضارة إلى التّغور الناجمة عن الانهيارات، والتي تمكّن من نزول الجرف الصّخريّ الشديد الانحدار الذي يفصل مختلف حلقات الجحيم.

٤ ملكة اسطورية لاكد وآشور في القرن الزابع عشر قبل ميلاد السيّد السيح. مشهورة بجمالها وشهوانيّتها ويُموانيّتها ويُمزى لها قانون يبيح ارتكاب سفاح المحارم. وقصلت في قوله في بيت سابق: «امبراطورة لغائر عديدة» النها كانت "تسود الواماً يتكلسون بلغائر عملادة، كتابة عن امتداد سلطانها.

ه المقصود هو سلطان مصر. ولملَّ دانتي يخلط بين بابيلونيا الرافدينيَّة وفسطاط مصر التي كان من أسمائها بابيلونيا ايضاً.

٣- هي ديدوني، ملكة قرطاجنة التي يروي فرجيليو في ملحمته إنها خانت عهد الوفاء الذي قطعته لزوجها المترقي سيكيو بإلا احبّت إنياس وانتحرت عندما هجرها هذا الاخير.

٧- ملكة مصر، خليلة يوليوس قيصر ثمّ انطونيوس، انموذج تقليديّ للفجور.

٨- ئسبب اختطاف هيلانة من قبل پاريس بحرب طروادة.

 إلا ساطير القروسطية المنسوجة حول حرب طروادة، يُقاد آخيل إلى فيغ بسبب من حبّه لبوليكسانا ويُقتَلَ غدراً.

. ١- إبن ملك طروادة، حكمَ لِعْينوس بتفوِّقها في الجمال على بقية الآلهات فساعدتُه في اختطاف هيلانة.

١ - هو يطل إحدى قصص العصور الوسطى الفرنسيّة، ذهب إلى إبرلندا ليحمل الشّابة إبزولت إلى عكه الملك مارك لينورّجها، فهام بها ولم يتمكّن من الوفاء لعنه الذي سيكتشف أمر العلاقة بين الشّابين ويجرح ابن أخبه جرحاً بميتاً. تصل إبنوت لتبدد عشيقها وهو يلفظ انفاسه الأخيرة فنموت على جشمانه كمداً.

١٧ - إنطلاقاً من هذا البيت يعالج دانتي حادثة فعليّة تحرّلت إلى اسطورة. فرانشيسكا دا ريميني، إينة غيدو دا يولينية الميدود دا المينية الميدود و المينية الميدود و المينية الميدود و المينية الميدود و المينية الميدود و المينية المينية و المينية و المينية المينية المينية المينية المينية المينية المينية المينية المينية و الميني

١٣ - أنظر الحاشية السادسة أعلاه.

3 احداثرة قابيل (والقابينا) : اولى للناطق الاربع التي تتشكّل منها حلقة الجحيم الاخيرة المدعوة وكوتشينا).
 وهي مخصصة لماقبة خالتي ذويهم.

٥ ١- تروى قصص ٤ المائدة المستديرة ٤ الفرنسية (القرن الثّالث عشر) غراميّاته مع جينيقر، زوجة آرتور ملك

البروتاني الفرنسيَّة الذي كان قد عيَّنه فارساً لها، أي لزوجته.

٦ - في الرّواية المذكورة ، كان الأسلو يستحيي من أنا يبوح لجينيفر بحثه، فذهب صديقه خالهو ورجاما بالأنجود على الأسلو بقبلة، وهذا ما حصل . وبذا تكون الرّواية لعبت بين فرانتشيسكا وحميها العاشق النتور نفسه الذي لعبه غالهو ذاك بين المشيقين الفرنسيّين في الرّواية .

الأنشودة السّادسة:

١- إستخدم دانتي حرفيّاً تعبير وإبني العمَّه، بمعنى القريبَين.

٢- سربروس : وحش ميشولوجيّ في هياة كلب له ثلاث رؤوس مفطّلة بالأفاعي وذنب أقعى. جعل منه فرجيليو وأو قيديوس حارس الجحيم . أمّا دانتي، فيجعل منه حارس هذه الحلقة الثّالة، وهو برمز للنّهم ولكلّ ما هو منشر.

"- القصود هو تشاكو (وتعني حُرفيًا \$ الخنزير \$)، لقب كان معطى لمهرّج فلورنسيّ من القرن الثالث عشر، يُدان هنا لنهمه ونزعته الطفياتية .

٤- هذه هي الزة الأولى التي تظهر فيها فلورنسة في النصّ.

صـ يحدث هذا اللقاء في الجُرجيم في ٢٠٠١، وفي مذا التاريخ كانت إيطالها قد شهدت فتناً سياسيّة عديدة. كان (8 الجيئين)، الاقطاعيّون للدعومون من قبل الامبراطور، قد خرموا منذ فترة طويلة. وه الغيثل، قد انقسموا إلى ٥ سود ٤ مؤيّد بن لطامح البابا بونيفاتشو الثّامن على توسكانيا، وه بيض ٤ يمثلون الجناح الديموقراطيّ ويدعون بحماسة إلى استقاطه للدكورة. كان دانتي ينتمي إلى و الغيثف البيض»، وسيعرضه انتماؤه هذا إلى النفي.

٦- المقصود في تعبير و حزب الركيف ٤ هو حزب والخيلف البيض ٤٥ برئاسة آل تشيرتشي، فكان أغلب أنصاره
 منحدر بدر من الأرياف القوسكانية.

٧- في ٢٠،١، استولى والبيض» على المتلطة وطرورا جميع القادة والستود». وقد مكّن هذا دانمي من أنّ بكون عضراً في حكومة جماعيّة لمدينة فلورنسة وإقليسها، ولكنّه عبداً حاول استفصال الفساد والمناورات السياسيّة في صفوف حربه.

٨- يقصد أنه قبل ثلاث سنوات ستحصل الإدانات وعمليّات الإيماد الذي يتعرّض لها و البيض و (وبضحنهم دانتي) على آيدي و المستفق (وبضحنهم دانتي) على آيدي و الستردة . وكما في صابق انتازه الكرميديا ٤، يطرح دانتي هنا في صبغة نبوءة احداثاً كان عاشها بنفسه قبل سنوات قليلة، كما يمنع لكلام اثراً أفوى ثما لو طرحها كذكريات أو عناصر من السيرة الذاتية. أنما هذا الذي ينفسه قبل سنوات قليب اللهودي فهو البايا بونيفائشو التأمن، المرتشي الشهير وعدرٌ دانتي اللهود، الذي أعمل أولاً بكلا المزين قبل أن يرى أن من مصلحته مساندة المسرد فدعتهم في ضرب البيض .

 إحـ عادلان النيان: رتما كان يقصد أن هذا قليل. وعلى أية حال، فلم يُشخص دانتي المعادلين المقصودين. أكان يفكّر بنفسه ويرفيقه الشّاعر غويدو كافالكانتي؟ أو رتما بنفسه وبرفيقه الآخر دينو كوم بانتي؟

١ - فاريناتا دكي أوبرتي : قائد مشهور للجبائي، سيلتقيه دانتي في حلقة الهواطقة (الانشودة العاشرة) . تاخيابو:
 قاضي القضاة في سان جيمينيانو في ١٢٣٨ ، وسيلتقيه دانتي في حلقة أهل سدوم (الانشودة الستادسة عشرة) .

اً ١- جاكويو روستيكوچي: وسيط للمسلام، سيلتقيه في حلقة اهل سدوم هو ايضاً. آريغو: غير مشخص. لعلمة آريغو دي كاشياء الذي صاهم إلى جانب تيفيايو وروستيكونشي في مفاوضات السلام مع فولنتيزا. موسكا: قاضي قضاة ربجيو في ٢٤٢. سيلتقبه دانشي في الحلقة التّامنة بين باذري الفتّن وصائحي الشّقاق.

١٢ ـ أي الله، عدو كلّ شرّ.

١٣- يقصد مذهب ارسطو (نصوصه وشروحها). ويضيف بعضهم إليه مذهب القلايس توماس الإكويشي، الاسكولائي، الذي تستلهمه والكرميديا الإلهية، هو أيضاً.

٤ ١- پلوتون هو إله الجحيم، كان في العصر الوسيط بُخلَط بينه وبين پلوتوس، إله الثروة.

الأنشودة الستابعة:

۱- ا Pape Satan, Pape Satan aleppe ا : : بيت غير مفهوم ولكنه غير مفتقر إلى المعنى، إذ يبدو من البيت النالث ال فرجيليو يفهمه. إله دعاء إلى الشيطان، يرى بوسكر Bosco إن «بابي» تدان فيه على هناف البيت النالث ال فرجيليو يفهمه. إله دعاء إلى الشيطان، يرى بوسكر Bosco ان «بالبي» تدان المنالث المنالث المنالث المنازع بتآويل لا تحصي لهذه العبارة. منها تاويل تشهيليني Cellini الذي يقول وفيها كلمات فرنسية: و Paix, paix, Satan, paix, paix, allez, paix : «السلام، المسلام، هيا، المسلام، هيا، المسلام، المسلام، هيا، المسلام، ا

٢- صخرة على البحر في صقلية، تقابل صخرة عائلة اسمها سيلاً. وفي مشهد مشهور من و الأوذيسة و لهوميروس، يستميده قرجيليو في و الإنباذة ، ينجو ملاّحو عوليس من الاصطدام يخاريبيديس فتلحق بهم سيلاً اشراراً شديدة. ولقد سارت العبارة مثلاً على من ينجو من خطر فيظل يتهناده خطر آخر آدهى: و نجا من خاريبيديس فاصطدم . له خود سارت العبارة مثلاً على من ينجو من خطر فيظل يتهناده خطر آخر آدهى: و نجا من خاريبيديس فاصطدم . له خود سارت العبارة مثلاً على من ينجو من خطر فيظل يتهناده خطر آخر آدهى: و نجا من خاريبيديس فاصطدم . له خود سارت العبارة مثلاً على من ينجو من خطر فيظل من خاريبيديس فاصطدم . له خود سارت العبارة مثلاً على من ينجو من خطر فيظل عنها من خاريبيديس فاصطدم .

٣- كانت الهشروة الشّائعة حتى عصر التَهضة عن رجال البلاط البابوع هي اتّهم نهمون بخلاه. ويلاحظ القاريء كيف يضع دانتي كلاً من البخلاء والمسرفين وجهاً لوجه، يرقصون في اتّجاهين متعاكسين ويعود كلّ فريق ادراجه ما إنّ يصطفم بالآخر، وهكذا دواليك.

٤ ـ ترمز القبضة المغلقة إلى البخل. والشُّعر المنتوف من جميع الجهات إلى التبدير والإسراف.

م. يصور دانتي المفظ، الذي سيتكلم عنه على لسان فرجيليو طوال الإبيات التالية، على هياة ملاك مكلف بندبير
 الماملات الإنسانيّة، وهو يفعل ذلك متاثراً بعذهب القانيس توماس الإكوينيّ.

٦- في اعتقاد دانتي، المتأثر بهذا العمدد بمصادر عديدة، إسكولاتيّة وصوفيّة، انْ اللّه خلق السموات تسماً وعيّن لكلّ منها عقلاً محرّكاً أو فاعلاً. كلّ واحد من هذه العقول يسلّط نوره الفكريّ على كلّ سماء ماديّة وعلى كلّ مدار سماويّ، موزّعاً بالعدل القرر الإلهيّ الضيّل هو يه.

٧- أي سائر العقول (الملائكة لدى العوام)، التي تدبرٌ مسيرة الستموات.

٨- هذا يعني الاّ اثنتي عشرة ساعة قد مرّت، ونحن الآن في منتصف ليلة الجمعة المقدّسة تقريباً.

٩- جميع انهار الجحيم وجداولها نابعة من منبع واحد هو ١٩كيرونتي٠.

، ١ - لون السبتاد الفارسيّ. وكما كتب دانتي في 8 المائعة ٥ (٤ , ٢ , ٢) فهو يقصد منه ولوناً مزيجاً من الأرجوان والأسود يهيمن فيه اللّون الاخير» .

١١ - هو في الينولوجيا القديمة نهر الجمحيمات (بالجمع). ويصنع منه دانتي، مقتفياً في ذلك اثر فرجيليو، بركة عَيط بمدينة ديس. بهن اكيرونني واستيكس يتلقى الآئمون بالإسراف مقويتهم. ووراء استيكس ترتفع اسوار ديس (مدينة الشَيطان) لللتهية، حيث يلقى عقوبتهم الآئمون بالغاس والعنف. دانتي: الجحيم، الأنشودات الثماني الأولى

الأنشودة الثَّامنة:

١- نلاحظ في الأنشودة الثامنة استمادة للسرد. يرى بوكاشيو أنّ الأنشودات السّبع الأولى كتبها دائتي في فؤرسة غلى منفاه. ثمّ يكون طراعلى عملة توقف ربّما دام سنوات عديدة. وقد استماد هذه الفرضيّة، مع تحويرات إن يمات كثيرة، شرّاح معاصرون عديدون.

٢- شخصية اسطورية: اغاضه اپولون بإغوائه ابنته كورونيس، فاشعل القار في معبد داغي، وبعث به الإله المذكور إلى الجحيم. برمز إلى سرعة الغضب، وعلى هذا الاساس جعل منه دانتي حارس الحلقة الخامسة هذه، التي يجتمع فيها من تهرتهم سرعة غضيهم.

٣- يقصد أن القارب از داد ثقلاً بوزن داتني نفسه لأنه كان إنساناً حيّاً. وهذا ما يوكّده قوله بعد ثلاثة أبيات إنّ القارب رام يسير باعمن من المعتاد، فيغوص في الله آكثر بدائع من الوزن.

٤- هو فيليبو آرجنتي، موسر فلورنسيّ من حزب الغيلف السّود»، كان عدوّاً لدوداً لدانتي، سبق ذكره في الانشردة الخاسمة من هذا الجزء.

هـ. ديس: من الاسم الآخر لبلوتون، إله الجحيم في المكتيئية. وتنطوي مدينة ديس على حلقات الجحيم الاربع
 خيرة.

١- كتب دانتي ٤ مساجدها ٤، قاصداً كنائس حُولت إلى جوامع.

٧- هم الملائكة المتاقطون، صاروا مردة وشياطين في الجحيم بعد سقوطهم من المتماء.

٨- عندما نزل المسيح ليتفقد الجحيم، حاول الشياطين منعه من اجتياز المدخل (الاقلّ خفاءً لكونه اكثر وبرّائية)،
 وكان علم, يسوع ان يقسر بابه.

٩- يقصد رسولاً من السماء.

نوبل ال

نايبوك: سولجنتسين العالم الثالث

للشاعر الكاريبي ديريك ولكوت، حامل نوبل الادب للعام ١٩٩٢، عبارة شهيرة، قديمة المهد ولكنها اليوم تكتسب أكثر من دلالة جديدة خاصة: ولو كان موقف نايبول من الزنوج، بكلّ ما ينظوي عليه من مفردات السخرية القذرة، منصباً علي اليهود مثلاً، فكم من الناس كانوا سيمتدحون صراحته ؟ هذا عن الزفوج فقط، فكيف إذا كانت سخرية الاديب الإنكليزي، الترينيدادي الاصل، السير ف. س. نايبول تشمل أبناء جلدته أيضاً، وأبناء المستعمرات السابقة، والآسيويين إجمالاً، وتسعة اعشار المسلمين أينما كانوا واتاً كان لون بشرتهم؟

عبارة ولكوت تذكّر، ايشاً، بالهرة الشاسعة التي تفصل للوقف النقدي من اعمال نايبول، بين عائرة: مديح واسع النطاق تغدقه عليه الاوساط الغربية (البريطانية والامريكية بصفة خاصة)، فتضعه في مصاف كبار كتاب عصرنا، وتطري شجاعته وصراحته واسلوبه ولغته الإنكليزية الرفيعة؛ وهجاء شديد واسع النطاق بدوره، يتردد في القارات الثلاث (آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية) ببلغ حدث اتهام بانفصام الهوية وكراهية الذات والنفاق والتزلف. اتهام بانفصام الهوية وكراهية الذات والنفاق والتزلف. العالم الاولى منحه كل جائزة رفيعة محكنة: جائزة البوكر (للعام ١٩٧١ ، وكان بين المحكمين صول بيلو، جون فاولز، والليدي انتونيا فريزر)، وجائزة و. هـ. سميث، وجائزة هوثورندين، وجائزة بينيت، على المبادىء الاختاق والتزلف على المبادىء الاختاق والمرتبعة على المبادىء الاختاق والمرتبعة على المبادىء الاختاق والمرتبعة على المبادىء الاختاق والمرتبعة على المبادىء الاختاق والمرتبعة على المبادىء الاختاق ورائزة بينيت، وجائزة المباهم، لا يكف المعاقب والم تكن تنقصه سوى جائزة نوبل التي حصل عليها مؤخراً. من جانبهم، لا يكف المعاقبون الامريكيون عن تكديس المبالم الثالث لقراء الإنكر موهبة، والاكثر صدقا، والاكثر موهبة، والاكثر صدقا، والاكثر موبا أنهي اته لغة المربعة بين المبالم المبالث المتابع جيله»، حسب جوزيف إيشتين؛ وهملاننا لفهم الحقيقة، نوع من سولجنتسين العالم شرفاً بين أبناء جيله»، حسب جوزيف إيشتين؛ وهملاننا لفهم الحقيقة، نوع من سولجنتسين العالم شرفاً بين أبناء جيله»، حسب جوزيف إيشتين؛ وهملاننا لفهم الحقيقة، نوع من سولجنتسين العالم شرفاً بين أبناء جيله»، حسب جون كورع، وهومعهد دلفي حقيقي ع، حسب فيليس روز. (١)

راي أبناء العالم الثاني، اي أبناء والعالم الثالث؛ من الآسيويين والعرب والافارقة والكاريسيين، مختلف تماماً ويذهب إلى التقيض مباشرة: وإنه الخادم الخسيس للإستعمار الجديد؛، حسب هـ. ب. سينغ؛ ووالمستعيد الشاطر للاساطير المريحة التي تستهوي العنصرية البيضاء؛، حسب شينوا اتشيبي؛ وه إنكليزي القرن التاسع عشر الاكثر شعبية في إنكلترا»، حسب باراتي موخيرجي؛ وه الرجل الذي يستحق السؤال الدائم: لماذا تكره لون بشرتك هكذا؟»، حسب سكوت وينوكر ٢)؛ والكاتب الذي 3 كانت كراهيته للإسلام قد دفعته إلى التوقف عن التفكير بمعنى ما، فأصبح عوضاً عن ذلك الماذا انتحار ذهني تجبره على تكرار الصيغة ذاتها مرّة بعد أخرى، وهذا ما أسمّيه مصيبة فكرية من الدرجة الاولى، » حسب إدوارد سعيد (٣).

الثير في الآمر الآ المواقف المؤيدة لنايبول، مثل تلك المناهضة له، لم تنهض على خلاف تقدي حول اعماله الادبية، بما في ذلك ما يسير على السنة أبطاله وشخصياته من أقوال استغزازية، بل انبشقت بهمة شبه حصرية من المواقف الصادرة خارج النص الادبي عملياً، سواء في مقابلاته الصحفية أو مقالاته أو كتب رحلاته. إنه، بالنسبة إلى أبناء العالم الاول، والخبيره الذي لا يُضاهى في شؤون المالم الثالث، ووصاحب القدرة على طرح المشكلات بأسرع واعمق مما يستطع فريق عمل من الإقتصاديين أو الخبراء العاملين في البنك الدولي ٤، كما كتب ناقد بريطاني على الغلاف الاخير لعمل المنيبول أشهير والهند: حضارة جريحة ٤، وخلال الأشهر التي سبقت حرب الخليج، ١٩٩٠، بات نايبول أشهرة بعنوان و حضارتنا الكوئية ، و ١٩٩٥، بات نايبول خبيراً لا يُشق له غبار في شؤون الإسلام والشرق الأوسط عموماً، وكتب في صحيفة و نيويورك نايبول خبيراً لا يُشق له غبار في شؤون الإسلام والشرق الأوسط عموماً، وكتب في صحيفة و نيويورك المؤرث التهدوي عمل التي على وجه الدقة، في مواجهة البربرية والتعصب والتخلف. وذات يوم سالم صحافي أن يمائي على نعى له، تعميمي ومعاد للمسلمين وعنصري عامائي بسير هكذا: والمسلمون اختلافاً من جميع أهل الأرض. لا نستطيع أن نثق فيهم، وعلينا أن نماملهم من فوق دائماً ٤٠ في كل حال، ليس في الأمر أي حقد عنصري ١٩

والإستمارة المفضلة لديه في وصف العالم الثالث هي « المتقل»، وهو يسجل أن رؤيته القائمة للمالم الثالث وجاءت من العيش في الدغل، جاءت من فزع أن يبتلعني الدغل، وهو الفزع الذي لم أتخلص منه تمامًا. إنهم [أبناء العالم الفلث] أعداء الحضارة التي أوفع رايتها (٤ ٤) ، هذا بالرغم من حقيقة أنه غادر و الدغل، مسقط رأسه ترينيداد، وهو في سنّ الثامنة عشرة. المفردات الاخرى التي يستخدمها في وصف العالم الثالث تشكّل لأتحة طويلة حقاً، بينها التالية: « بربرية »، وبدائية »، و قبلية »، و المقائدة »، و ساطفية »، و جاهلة »، و حمقاء »، و ساطفية »، و حمقاء »، و حمقاء »، و حمقاء »، و حمقاء »، و حمقاء »، و حمقاء »، و المفيلة »، و المفيلة »، و معقلة »، و عاطفية »، و حمقاء »، .

كيف حدث ، إذاً ، أن الاكاديمة السويدية منحت هذا الرجل _ الإشكالي تماماً بالمعنى الثقافي _ جائزة ادبية ثمت الارفع عالمياً ، وفي رام أغراضها توطيد الحوار الصحيّ السليم بين الحضارات؟ وكيف حدث أن نايبول فاز بالجائزة هذه السنة بالذات ، بعد أسابيع معدودات من هجمات ١١ أيلول (سبتمبر) على مانهاتن والبنتاغون ، هو الذي ظلّ على لوائح المرشحين للجائزة زمناً طويلاً ، وكانت مواقفه الإشكالية ـ الإستفزازية في رأس الاسباب التي جعلت الاكاديمية السويدية تحجم عن منحه

الجائزة ؟

ثمة ثلاثة تفسيرات.

الاول يقول إن الاكاديمية السويلاية منحت الجائزة إلى نايبول تقديراً لاعماله الروائية، الامر الذي الشارت إليه المبثيات: «نايبول وريث [جوزيف] كونراد بوصفه راوي اقدار الإمبراطوريات بالمعنى الاخلاقي: ما تفعله بالكائن البشري، وسلطته الادبية كسارد تناسس على ذاكرته التي تستعيد ما نسيه الآخرون، أي تاريخ المقهورة، وقد يكون هذا الكلام صحيحاً، وجزئياً تماماً في ما يخص ورائة كونراد، بصدد عملين روائين اثنين فقط: «بيت للسيد بيسواس» A House for Mr. Biswas ما مام المحمل المعائلة، والمزج بين الماساة والملهاة، والمرتب تنسج على منوال شارئز ديكنز، والبناء الملحمي للمائلة، والمزج بين الماساة والملهاة، واستعادة السيرة الذاتية؛ و«الرجال المقلدون» واستعادة السيوة الذاتية؛ وهو الرجال المقلدون» مسينغ، السياسي الكاريبي المهان الذي يعيش حياة نفي قاسية في لندن، ويندب وحشته في المراحيض العامة، وهي الرواية التي لا تشير إليها حيثيات الاكاديمية السويدية!

بقية اعماله الروائية لا تشكّل و كتلة ، ادب كافية لمنحه ارفع جوائز الادب في العالم، لا لشيء إلا لان نايبول ليس روائياً تماماً، باعترافه هو شخصياً وبصرف النظر عن كمية الحذلقة في مقولته الشهيرة التي نعى فيها الرواية كجنس ادبي، معتبراً انها ماتت منذ انبلاج فجر القرن العشرين، او انها لم تكن على قيد الحياة فعلياً إلا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وضمن هذا التبشير قرآنا له سلسة آراء سفيهة، وسطحية متهافتة استعراضية خفيفة، في هجاء كبار روائيي القرن المنصرم، من امثال إ. م. فورستر وجيمس جويس.

والحق أن الاكاديمية السويدية تلتح إلى شيء من هذا، حفاظاً على خط رجعة لا بدّ منه في الواقع، حين تقول في الحيثيات: ولفت نايبول الإنتباه إلى أن الرواية كشكل فقدت كونيّتها، وأنها تفترض مسبقاً عللاً إنسانياً غير منتهك من نوع تُحطم عند الشعوب التي خضعت للغزو، وتتوقف الاكاديمية عند المثال الاشهر، وذلك حين كان نايبول يعلا مسؤدات روايته القادمة وخسران الإلدورادو، في عام ١٩٦٩، ثمّ واكتشف أنّ عليه الإلتزام باصالة التفاصيل والاصوات، وأن يبتعد عن التخييل القصصي الحض دون التخلي عن معالجة المادة بشكل ادبي،

ونايبول نفسه يعترف بأنه لجا إلى الشكل غير القصصي في محاولة لعلاج ما راى أنه مرض الرواية وقمر نظرها في العصر الحاضر. « الرواية كشكل لم تعد تنطوي على الإقناع » كما كتب يقول » مضيفاً أنه وجد نفسه «عاجزاً عن حيازة صفة الروائي بالمعنى القديم. لقد أدركت أن استجابتي للعالم يمكن التعبير عنها في الكتابة غير القصصية وفي الصحافة ، بشكل لا يقل خيالاً . وإنني أحمل عملي الصحفي على محمل الجدة التام، لانني اعتقد أنه استجابة مناسبة لعالمي . إنه شيء لا يمكن هديه إلى القصة » . (ه)

وبالفعل، ففي السنوات اللاحقة شهد نتاج نايبول الكثير من أدب الرحلات والريبورتاج الصحفي، والقليل فقط من الاعمال الروائية : منذ مطلع الستينيات أصدر «الرحلة الوسطى: انظباعات عن خمس مجتمعات ٤، ١٩٦٢، عن جُزُر الهند الغربية وجنوب أمريكا؟ ومنطقة ظلام ٤، ١٩٦٢، وهو المعمل الاول في السلسلة الهندية؛ وخسران إلدورادو ٤، ١٩٦٩، طن ترينيداد؛ والمحجّر المزدحم ٤، ١٩٧٧، وهو سلسلة مقالات؛ والهند: حضارة جريحة ٤، ١٩٧٧، الذي يسجّل رحلاته في الهند اتمام أنديرا غاندي؛ وعودة إيفا بيرون ٤، ١٩٨٠، ويضم مقالاته عن موضوعات شتّى مثل الارجنتين وزائير وجوزيف كونراد؛ و دفتر ذكرات الكونغو، ٤، ١٩٨٠، وفي أوساط المؤمنين: رحلة إسلامية ٤، ١٩٨٠، عن رحلاته في إيران والباكستان وماليزيا وأندونيسا؛ والعثور على المركز: حكايتان ٤، ١٩٨٥، حيث يصف سيرة علاقته بالكتابة؛ ولفز الوصول ٤، ١٩٨٧، الملكرس لانطباعاته عن إنكلترا، والمعل الذي تصر الاكاديمية السويدية على اعتباره رواية؛ وسبيل في العالم ٤، ١٩٨٨، عن بدايات استقراره وما يأيكلترا؛ والمعل وو ماوراء الإيمان: نزمات إلى الشعوب المهتدية ٤، ١٩٨٨، التي تتابع الترحال في آسيا الإسلامية. كل وه الإعمال غير الروائية مقابل أربعة أعمال روائية صدرت منذ أواسط الستينيات، وبعد والرجال المتعابات ٤، ١٩٧٥؛ ومنعطف النهره، ١٩٧٩؛ ووضع حياة ٤، ١٩٧٩؛ ومنعطف النهره، ١٩٧٩؛ ووضع حياة ٤، ٢٠٠٩؛ ومنعطف النهره، ١٩٧٩؛

التفسير الثاني ان الاكادعية السويدية منحت نايبول جائزة الأدب لأن اعماله في الرحلات والريبورتاج الصحفي تدخل في باب والادب الادب الدي توحي به (على استحياء في الواقع) والريبورتاج الصحفي تدخل في باب والادب الادب المدر الذي توحي به (على استحياء في الواقع) الفقرة التالية من الحيثيات: ونايبول طواف آفاق، وليس له من مستفرّ حقيقي سوي نفسه، في صوته الذي لا يُحاكى. ولقد تميّز بعدم تاثّره بالموضة الادبية والنماذ ج، ولهذا فقد حوّل الاجتاس الادبية القائمة إلى اسلوب خاص به، حيث التمييزات المعتادة بين القصصي وغير القصصي ترتدي أهمية ثانوية ». وأيضاً ، تقول الاكادعية السويدية: والسرديات القصصية، والسيرة الذاتية، والمادة التوثيقية الدمجت جميعها في كتابة نايبول، دون أن يكون من للمكن الجزم حول تفوّق إحداها على الاخرى ». هذا بالطبع، خيار إشكالي تماماً لان تاريخ جائزة نوبل لا يذهب كلّ هذا المذهب الحماسيّ في إعلاء وادب الرحلة على والادب الحاليي، أو التسامح إلى هذا المؤذ في تكريم النصوص التي لا تحطّم وادب الادبية فحسب، بل تعتبر أنها باتت عاجزة أو قصيرة النظر.

الجانب الثاني في إشكالية هذا التفسير يتمثّل في أن نايبول ليس كاتب رحلات ايضاً، أو ليس تمامً إذا تحرى المرء بعض أخلاقيات أدب الرحلة، والتي في راسها أن لا يحمل الكاتب في متاعه حقداً شديداً على البلد الذي ينوي السفر إليه، مسبقاً وعن سابق قصد وتصميم، والترينيدادي الكاريبي ذو الأصول الهندية لا يكفئ عن هجاء أهل الشرق عموماً، حيث العناصر الاربعة: الغابة، والبدائية، والكل لحم البشر! وفي يقينه أن النور لن يعمّ اصقاع العالم الثالث المظلمة إلا إذا تعرى ابناء هذا العالم وعرضوا أجسادهم لشمس الإمبريالية الأوروبية. وفي إحدى فقرات محاضرة نوبل (انظر اكذه يحوال التغطية على انحيازه المسبق ضنة الشعوب، وعارس الكذب الصريح

حين يقول إنّ الاهمّ عنده، في كتاب الرحلة تحديداً، كان منح الشعوب حقّ تعريف نفسها لدى الكاتب الذي يسافر إليها.

إنّ نفي نايبول لاي جانب إيجابي في الثقافات خارج الغرب يكتسب دلالات اخرى اكثر خطورة حين يقترن بموقفه الرافض لا يت إدانة الإمبريالية وأياً كانت الأسباب: سياسية أو إقتصادية أو عسكرية أو ثقافية أو اخلاقية. وعلى نقيض من كتاب ومفكري وساسة العالم الثالث الذين كانت لهم عمليلات ناقدة لمفهوم « الإستقلال الوطني » الشكلي الذي حصلت عليه الشعوب بعد التحرّر من الإستعمار، من أمثال فرانز فانون وكوامي نكروما وجوليوس نيريري، يوفض نايبول أيّ ربط بين مشكلات الإستقلال المتقوص ومشكلات الإستعمار الجديد وعواقب التبعية. وهو لا يكتفي بإلقاء المسؤولية كاملة على عاتق شعوب المستعمرات السابقة، بل هو يغلق آقاق تحرّرها سلفاً، ويغلق تاريخها ذاته حين بعتبر أنها «شعوب بلا تاريخ».

هذه اعتبارات فكرية في نهاية الأمر، واعتبارات سياسية ـ اخلاقية آيضاً، وهي تذهب عكس إلحاح الفريد نوبل على منح الجائزة للشخص الذي و يقترم أوفع الحدمات الادبية للإنسانية جمعاء 8. ومن الفريد نوبل على منح الجائزة للشخص الذي و يقترم أوفع الجائزة أن الرحلة، لأن الأكاديمية السويدية تبدو وكانها خانت وصيّة نوبل حين افرطت في تسييس الجائزة لا كما فعلت في أيّة دورة سابقة، حتى في أوج الحرب الباردة، وكيف يمكن إقناع ملايين المسلمين بأن منح نوبل الآداب لهذا المطبّل للإمبريالية وللقريم المنابعة على حدة سواء، ولكيف يمكن الخابة بريقة ... بعد أيام معدودات من ١١ أيلول؟

ذلك يفضي إلى التفسير الثالث، غير والبريء وهذه المرّة، والذي يقول إن الأكاديمية السويدية شاءت أن تساهم على طريقتها في حملة والحرب على الإرهاب وهي الحسلة التي اتخذت سريماً صفة الواجب المقدّم الملقى على عاتق أوروبا الغربية بوصفها حليفة الولايات المتحدة. وهكذا كان منح نوبل الادب إلى رجل مثل نايبول بمثابة تكريم لذلك النوع من النقد والصريح والإسلام، والذي قد تكون الأكاديمية ظنّت أنه بات مطلوباً بإلحاج بعد ١١ أيلول، لأنه النقد الوحيد الذي يساعد المجتمعات الإسلامية على التحرّر والإنعتاق والحداثة. في عبارة أخرى، من هو الاجدر بحمل رأية النقد العميق لمقيدة دينية تحرّض على كلّ هذا العداء للغرب، سوى رجل مثل نايبول، جاء من العالم الثالث ولكنه لم يوقر جهداً في تأثيم الإسلام واتهامه بعرقلة تطوّر الشعوب شرقاً

أحد أعضاء الاكاديمية دافع عن نايبول بالقول إنه لم ينتقد المجتمعات الشرقية وحدها، بل انتقد المجتمعات الغهية أيضاً. والحال أن نايبول كتب آلاف الصفحات في الهزء والسخرية واحتقار مجتمعات الهند وترينيداد وجامايكا والمارتينيك وبيليز وغوايانا وسورينام وغرينادا وانغويلا وموريشيوس وساحل الماج وزائير والكونغو والارجنتين والاروغواي وإيراد والباكستان وماليزيا واندونيسيا ومصر. في المقابل، وطيلة ٣٧ سنة من الإقامة في الغرب، لم يتجاوز نقده لإنكلترا والولايات المتحدة اكثر من ٢٠ صفحة!

ولكي نستميد عبارة ديريك ولكوت مرّة ثانية، على نحو مختلف قليلاً: هل كانت الاكاديمية ستمنع نايبول جاثرة نوبل لو انه، مع كلّ هذا الفجور في تحقير العالم الثالث، كتب كلمة واحدة ضد: به د الهند مثلاً؟

ص ح

إشارات

(١) من اجل عرض مفصل لهذه الآراء، انظر:

Rob Nixon: "London Calling: V. S. Naipaul, Postcolonial Mandarin." Oxford University

Press, New York, 1992. P 4.

(٢) الرجع السابق، ص ٢.

- (3) Edward Said: "An Intellectual Catastrophe." Al-Ahram Weekly, 6-12 August, 1886.
- (4) Mel Gussow: "Writer Without Roots." The New York Times, December 11, 1911.
- (5) Ronald Bryden: "The Novelist V. S. Naipaul Talks about His Work." The Listner, 22 Mar., 1973. P ray.

سياسة نايبول الوضيعة

عند استلامه جائزة نوبل للادب ردف. س. نايبول بتوجيه التحية إلى إنكلترا، دوطنه ع، وإلى المتلامه جوالي المعادر، دوطنه ع، وإلى المتلادة و وطنه ع، والى الهيب أن ترينيداد لا تستحق الذكر في نظر نايبول، رغم أنه ولد وترعرع فيها، ورغم أنها موطن أعماله الاولي التي تستحق التقدير، مثل «بيت للسيد بيسواس» وه شارع ميغيل». ولكن لعل الامر ليس غريباً تماماً، حين تنذكّر أن نايبول كتب ذات يوم: « اعرف أن ترينيداد ليست مهمة، وليست إيداعية، مضحكة، وغير عابقة بشى، لا بالفضيلة ولا بالإثم».

لقد بات نايبول على مبعدة من جذوره. كذلك ابتعد عن العالم الطريف عميق الجذور الذي صنع اعمال الطريف عميق الجذور الذي صنع اعماله الأولى، و كانت رواياته وقصصه الأولى قد رسمت، لجيل كامل من الكتّاب غير الغربين، درياً يطرقونه في استخدمون موضوعات غير إنكليزية و والأهم من ذلك أنها رسمت درياً يتيح لهم أن يروا أنضمهم في أقدار ما بعد الإستعمار. وعمل نايبول المبكّر لم يتعقف عن تناول غرائب أو تناقضات هذه المجتمعات والشعوب التي تناضل من اجل خلق حكاية متجانسة قابلة للحياة، حول حياة هذه المجتمعات تحديداً.

لكنّ نايبول نفسه لم يمكث طويلاً بالقرب من جمهوره «الطبيعي،، وما أصدر بعدثة من «روايات»، فضلاً عن الكتلة الهائلة من النتاج غير القصصي، استهلك عينه الثاقبة وسيطرته المدرّية على الجسلة الانيقة والتفصيل الاخاذ، مكانه الجديد باهت، تميس، موحش، الظلام يحكم فيه. وإذا توفّر الضوء فلكي يكشف الجرح، العصيانات على قدم وساق (نعم، العصيانات والتمرد وليس الثورة وحركة التحرر). باختصار، هنالك العماء التام، لا شرارة ولا بصيص أمل، وأين تقع وانصاف الموالم » الفوضوية، هذه التي يترحّل نايبول في ارجائها ويكتب عنها بفزع وقرف؟ كلها تقع خارج عالم الفرب، ومعظمها ما يزال يحاول الإنمتاق من إرث الإستعمار الطويل، والعديد منها يصارع الحكام الشوفينيين أو الدكتاتوريات أو الاجهزة الإنتهازية العبيلة للسادة الإستعماريين. وناببول يضع نفسه خارج هذا العوالم المكافحة النامية، وهو يشرّحها بـ «الصراحة» التي بات يشتهر بها في الغرب، وتشخيصاته لا رجعة عنها، ولا رحمة في صياغاتها اللغوية أيضاً. ترينيداد غير الإبداعية، الخال، والإسلام الكارثي، بطبيعة

هذه المجتمعات المصوّرة على نحو كاريكاتوري، القذرة للغاية، الفوضوية تماماً، المزدحمة ببشر يتعرّضون للضياع فور خروجهم من مجتمعاتهم إلى «مجتمع آخر ذي معطيات اكثر تعقيداً»، لا تخذم سوى هدف واحد: إنها مناطق ظلام تخدم في إضاءة النموذج الاوروبي المنير المتقدّم.

وفي ازمنة سابقة كانت رواية جوزيف كونراد وقلب الظلام ع ... التي تحولت إلى عمل كلاسيكي حديث قد رسخت هذا التقليد في إدعاء وجود و ذلك العالم الآخر ، النقيض للمالم الاروبي. وضينوا اتشبيعي يعرف رؤية كونراد لافريقيا بانها و نقيض أوروبا ونقيض الحضارة بالتالي، المكان الذي تهزا فيه الوحشية الظافرة من ذكاء الإنسان وصفاء روحه ». في قلب الظلام النقيضي الذي يخلقه كونراد يقطن افارقة و على أرض حملت ملامح كوكب مجهول ». إنها مكان باتي إليه ممثل أوروبا ، وجوال الآفاق القادم إلى أرض ما قبل تاريخية »، لكي يصارع مشقة لا لشيء إلا ليجد نفسه أمام أخرى، مؤلفة غالباً من رجال ونساء سود ما قبل تاريخين. وإنهم يعوون، ويتقافزون، وينتفضون، ويرسمون ملامح وحشية، ولكن ما يثير شغفك هو فكرة إنسانيتهم بالضبط، وأنهم مثلك، فكرة قرابتك البعيدة بهذا الزئير الوحشي المشحون. فكرة البشاعة ».

لكنّ رؤيا كونراد ممقدة بما يكفّي للتلاؤم مع الوعي الذاتي الضروري لحلق المثال الأعلى اللازم للمشروع الإمبريالي . وتمثيله التخييلي للقاء الغرب مع العالم الآخر ينطوي على بعض الضمير، كما يتوجب القول . غير أنّ وريث إرث كونراد في القرن العشرين، وهو وريث أسمر البشرة ، يأخذ هيئة مفاوقة تاريخية فظيمة . وكما أنّ رحالة كونراد الأوروبيين و ينزلقون مثل أطياف ، في أفريقيا ، وغافلهن عماراً عن شمولية الأماكن التي يمرون بها ، كذلك فإنّ نابيول ينزلق مثل طيف عصبي تعبس، عابراً هذا العالم ما قبل التاريخي من الكونغو إلى بومباي، حيث و حرارة الجو تحتص الطاقة والإرادة » (. . .) من المنطقي إذاً _ وهذا أمر ينبغي أن لا يحرج أو يؤلم المعجبين بنابيول ، وهم كثر _ أنّ يسارع الرجل، في العام ١ ٠ ٠ ٠ وبعد الهجمات على نيويورك وواشنطن، إلى وصف الإسلام (وليس الإرهابيين في العام ١ ٠ ٠ ٠ وبعد الهجمات على نيويورك وواشنطن، إلى وصف الإسلام (وليس الإرهابيين في العام الكارثي ، الذي لا يقلّ أذى عن الإستممار . إنه ، بالطبع، لا يقول كلمة واحدة عن الإطارات ، التي واصلت وتواصل تكديس اسلحة الدمار الشامل، إذ لعلّ هذه اقلّ كارثية من

الملتحين الذين يصرخون على شاشة الـ CNN.

وحيثيات جائزة نوبل تمندح نايبول لانه ووخد السرد الإدراكي والتدقيق النزيه في اعمال تجبرنا على رؤية حضور التواريخ المقموعة ٤. وفي حدود ما نعلم، لم يزعم نايبول نفسه هذا الشرف (. . .) وينبغي ان لا نتردد طويلاً في التشديد على الحقائق:

أوّلاً، لقد مُنح نايبوا ، جائزة نوبل في هذا العام بالذات، ودون كلّ الاعوام . لقد مُنح الجائزة وسط . المرطانة العمقورية حول وصدام الحضارات ، والتعصّب المتزايد ضدّ الإسلام والمسلمين، وربما ضدة كلّ امرىء ذي سحنة شرق ـ أوسطية . ومُنح نايبول الجائزة بعد وقت قصير من تعليقه على ماساة ١١ أ إيلول، وتصريحه (الذي طبق الآفاق سريعاً) بان الإسلام ينطوي على آثار كارثية تطال الإنسانية

وثانياً، هنالك موضوعة تتكرر في رد الفعل على نوبل نايبول، وتحتاج إلى نظرة اعمق. بعض المحبين بنايبول اعترفوا انه اطلق تصريحات محرجة وخاطفة وجاهلة واستفزازية، حول موضوعات شكّى من افريقيا إلى الإسلام. واقروا الأموضوعاته جعلت الليبراليين، في الغرب وغير الغرب، وغير مرتاحين، تماماً. ولكنّ الموضوعة المتكررة تخلص إلى التالي: ألا ينبغي الحكم على الكاتب من خلال كتابته وحدها؟

لكننا لا نعرف كيف ننقذ هذا المطلب على وجه الدقة. فإذا قرآنا نايبول وهو يقول، مثلاً: والكرم _أي احترام المتساوي للمتساوي _لم يكن معروفاً لدئ. كان سمة عرفتها من الكتب وحدها، وعثرت عليها في إنكلترا وحدها، ؟ هل نحترم هذا القول عن الكرم، أو نعتنق تعريف الكرم هكذا، ونتخافل تماماً عن معانيه الاخري الضارة والعنصرية ربما ؟ وهل تنفصل رؤيا الكاتب، ونظرته الشاملة إلى العالم، عن الكتابة ذاتها ؟

غیثا هاریاران India's National Magazine ۲۰۰۱/۱۱/۲۳

ف. س. نايبول: عالمان

هذه برهة غير عادية بالنسبة إليّ. لقد أقمت الكثير من جلسات القراءة ولكن ليس المحاضرات. وكنت أقول للناس الذين يريدون محاضرات إنني لا أملك منها شيئاً. وهذا صحيح. قد يبدو غريباً أنّ رجلاً تعامل مع الكلمات والمشاعر والافكار طيلة خمسين سنة، ولا يملك حفنة منها موفرة، إذا جاز القول. غير أنّ كلِّ ما يحمل قيمة عنّي متوفّر في كتبي. وكلّ ما هو زائد فيّ، ويظهر في أيّة لحظة معطاة، ليس متشكلاً تماماً. وإنني بالكاد أدركه؛ إنه ينتظر الكتاب القادم. وهو، مع الحظ، سوف يراودني خلال الكتابة الفعلية، وسياخذني على حين غرّة. عنصر المفاجأة ذاك هو ما أبحث عنه حين آكتب. وهذا سببلي في الحكم على ما أفعل .. وهو ليس أمراً يسهل القيام به.

[مارسيل] بروست كتب بعمق عظيم حول الغارق بين الكاتب والكاتب ككينونة اجتماعية. وستجدون افكاره في بعض مقالات وضلة سانت ـ بوف، وهو كتاب جُمع من أوراقه المبكرة.

وكان الناقد الفرنسي سانت ـ بوف، من القرن التاسع عشر، قد آمن بانه لكي نفهم الكاثب من الفرروري أن نعرف ما في وسعنا معرفته عن الإنسان الخارجي، وعن تفاصيل حياته . وهذا منهج مضلل، يستخدم الإنسان لإضاءة العمل . وقد ببدو محكماً، ولكن بروست تمكن من تجزئته بشكل مقنع . لا منهج سانت ـ بوف هذا يتجاهل ما تُعلَمنا إياه أبسط درجات معرفة الذات : أنّ الكتاب نتاج مفنى حياتنا الإجتماعية، في آثامنا . ولو حاولنا أن نفهم تلك النفس بالذات ، فإننا لن بستطيع ذلك إلا إذا فتشنا داخل صدورنا، وحاولنا إعادة تكوين النفس هناك).

كلمات بروست هذه ينبغي ان تكون معنا كلما قرانا سيرة لكاتب .. أو سيرة لائ شخص يعتمد على ما يمكن أن نسميه الإيحاء . كلّ تفاصيل الحياة والإنمطافات والصداقات يمكن أن توضع امامنا، غير أن غموض الكتابة سوف يبقى . ما من توثيق، أيا كان مقداره وسحره، يمكن أن ياخذنا إلى هناك . وإن سيرة الكاتب، أو حتى سيرته الذاتية، سوف تنطوي دائماً على حالة عدم الإكتمال هذه . (. .)

القصة وشكل كتاب الرحلة اعطياني، معاً، سبيلي في الرؤية؛ ولسوف تفهمون السبب في أنْ جميع الاشكال الادبية متساوية القيمة عندي. راودتني على سبيل المثال، حين شرعت في كتابة عملي الثالث عن الهند بعد ٢٦ سنة على ظهور الاوّل فكرة مفادها أنْ الاهمّ في كتاب الرحلة هم الناس الذين رحل الكاتب إليهم. من حقّ الناس أن يعرّفوا أنفسهم. تلك كانت فكرة بسيطة كافية، لكنها احتاجت إلى نوع جدّيد من الكتب؛ استدعت نوعاً جديداً من السفر. ذلك كان المنهج ذاته الذي استخدمته بعدئذ حين سافرت، للمرّة الثانية، إلى العالم المسلم.

لقد تحرّكت على الدوام بالحدس وحده. ليس لدي نظام ادبي أو سياسي. ليست لدي فكرة سياسي. ليست لدي فكرة سياسية قائدة. واعتقد ان هذا يعود إلى اسلافي. الكاتب الهندي ر. ك. نارايان، الذي توفي هذا العام، لم تكن لديه فكرة سياسية. والدي، الذي كتب قصصه في زمن مظلم للغاية، ودون اي مقابل، لم تكن لديه فكرة سياسية. لعل السبب يعود إلى اننا كنّا بعيدين عن السلطة طيلة قرون عديدة. ذلك يعطينا وجهة نظر خاصة. وأشعر أننا آكثر ميلاً إلى رؤية السخرية والشفقة في الأشياء.

لقد اقتبست كلمات بروست في مناسبات سابقة. والسبب هو انها تعرّف كيفية مسيرتي في عملي. لقد وثقت بالحدس، فعلت ذلك في البدء، وافعله الآن ايضاً. لا اعرف كيف ستتخذ الاشياء مسارها، وإلى إلى حدسي بثقة العثور على مسارها، وإلى إلى حدسي بثقة العثور على الموضوعات، وكتبت حدسياً. لديَّ فكرة عن كيفية البدء؛ لديَّ فكرة عن الهيئة؛ ولكنيي لن افهم ما كتبته إلا بعد سنوات. قلت سابقاً إلاَّ كلَّ ما يحمل قيمة عني متوفّر في كتبي، وساذهب أبعد الآن.

سوف اقول إنّني حصيلة كتبي. (. . .)

انا ادنو الآن من نهاية عملي. وإنني سعيد لانني انجزت ما انجزته، وسعيد إيداعياً لانني دفعت نفسي إلى اقصى مدى ممكن. وكل كتاب جاء بثابة نعمة، بسبب الطريقة الحدسية التي كتبت بها، وإيضاً بسبب الطبيعة المربكة لماتني. كل كتاب ادهشني؛ وحتى لحظة الكتابة لم اكن أعرف الله قادم. ولكنّ المعجزة الكبرى بالنسبة إليّ كانت أن أبداً. وأشعر والهاجس ما يزال حيًّا في داخلي ...

سوف أنهي كلامي كحما بداته ، يمقطع من مقالات بروست الصخيرة الرائعة في و صنة سانت ـ بوف ع. يقول : والاشياء الجميلة التي سوف نكتبها إذا توقرت لدينا للوهبة ، مقيمة في داخلنا ، خافية ، مثل ذكرى نغم يبهجنا رغم أننا لا نستطيع التقاط خلاصته . واولئك المسوسون بهذه الذاكرة الزائفة عن الحقائق التي لم يعرفوها ابداً، هم الموهوبون حقاً . للوهبة مثل نوع من الذاكرة التي تتبح لهم في النهاية استحضار تلك الموسيقى الخافية وتقريبها ، لسماعها بوضوح، ولتدوينها الموهبة ، يقول بروست . واقول الحظ، والكثير من الجهد .

ف. س. نايبول فقرات من محاضرة نوبل

أقواس

التلاعب بالعديد من ذرات الغبار

كنا نجلس حول طاولة مطبخ في رام الله ، نصتع كمك العيد . كيلو قر واحد لما تبقى من أ – مل – ملل ناه .

يد يخفة ساحرة كتلك التي تصنع الكمك، كانت تتلاعب بالحياة اليومية جاعلة كل تغيير تدريجي، وأكن إبدأ ليس جذرياً.

بينما أنا عائدة من رام الله إلى القدس في تلك الليلة ، وإذا فجأة مكمبات هائلة من الإسمنت تحلق في الهواء ، موقمة في القلب رهبة كأنما ألواح توراة تنزلها الملائكة هي .

وقف. حاجز أمامك، الوصية الأولى والأخيرة.

تدريجياً، لساعات، رحت أكون شاهدة على مراحل صنع حاجز جديد سيدعى وقلندياء، هو الغالث على الطريق، غير أنه يمكن اعتباره الثاني لأنه سيتم تجويد الذي في سمير اميس من أغلب صلاحياته وسيتحول إلى شكلي فقط، مثل مطحنة اللحم البدوية التي تبقي عليها زرجة أبي خالات الطوارئ.

والحواجز عادة هي موقع الأحداث، فكلها كنت قرب حاجز شعرت بأنني أشد مقربة كي أصنع شيئاً. ولا أصنع. في البداية خجلت من أن أقف قرب الأولاد وأضرب الحجارة، فانا لا أعرف كيف أصوب جيداً ولا أن أقذف بعيداً، وبالنسبة لإطلاق الرصاص فلا أستطيع تصويب مسدس باتجاه أحد دون أدنى شك. أدنى من هذا الشك فقط هو أنه لو أجبرت على تصويب هذا المسدس، فسيكون أولاً إلى رأسي.

على أية حال في حاجز سميراميس لم تحدث أشياء خاصة، عدا أن ولداً في السادسة من عمره كان يلعب يوماً لوحده قرب نبتة خضراء شائكة ومغبرة بسبب حركة السيارات الكثيفة في المنطقة، وإندي بكيت مرة آخرى خلال سفري في إحدى سيارات الأجرة بعد أن سادها صمت ما كان ليسمح لي بالاقلاع بعيداً عن البؤس، ولو حتى عبر مخيلة يباشر بها فاصل إعلاني، إذ أن الملياع كان مطفاً. أول ما يلحظه المرء خلال المكوث عند الحاجز هو السيارة التي إلى جانبه: هل تسبقك أم أنت تسبقها ؟ وعلم تعلق المناسبة عند إلى يومك كله: إنني محظوظ / ة اليوم تعلق أمانيك وحسرتك ، فإن كنت أسرع ، تشعر بغيظة قد تمتد إلى يومك كله: إنني محظوظ / ة اليوم ، منذ بدايته . وإن مسبقتك ، يبدأ انهيارك السري ؟ ماذا ، هل تؤخر إلى الجهة الثانية حتى تعبع تملك السيارة في الصف الأصرع أم أن صفك سيتحرك قريباً وأنت متصبح أصرع ! وما للانهيار من الآن فصاعداً إلا يشتد ولن تستطيع تخبته أكثر . لا أحد يستطيع . لا أحد يعبر حاجز قلنديا بدون انهيار ولو صغير . وتنتظر

وتنظر .

النظر هو أسهل ما يكون . بل لك اخرية في أن تنظر إلى جميع الإنجاهات ، ستعرف جميع أنواع السيارات في البلد ، أيها أكثر انتشاراً ، أيها أقل ، هل تحمل رمز أ أم لا ، هل رقم اللافتة أصفر أم أخضر ، هل القائد أمرأة أم رجل ، إن كانت امرأة هل هي محجبة أم لا ، وعمرها وجمالها ، وإن كان رجلاً هل يضع نظارات شمسية ، هل هو لطيف ، هل بهده محبس ، هل ينظر ، ثم تنساه مع أقل مؤشر بأن صف السيارات الذي تشارك ليه قد تمرك ، ولو عبر اختفاء ضوء الفرامل من السيارة أمامك .

أنا تنازلت عن فكرة عبور أطاجز بسيارة. أساساً لا أملك واحدة. مرة أو مرتين استمرت سيارة صديق : لي وبعدها حدث سوء تفاهم بيننا ولم نعد صديقين، فأعير مع متات الآخرين في مسلك جانبي ترابي. في المسيف يكون هذا المبور حاراً جداً. كل شيء يصبح ذا دلالة تزيد الحرارة، خاصة أكياس البلاستيك المرمية على الأرض والمندثرة تحت غيار رمادية آلتها إلى كآبة أشد نما كان لأحدهم أن يتوقع، حتى فكرة أن هذه الأكياس كانت تحري في للاحى حلوى أو مواد مسلية تعود مستحيلة.

ما يمكن ملاحظته أيضاً خلال النظر المستمر إلى الأوض هو أن لا أحد يرتدي أحلية صيفية. الكعب العالي أو الخذاء المفوف، والأغلبية تفضل العالي أو الحذاء المفوف، والأغلبية تفضل الأحدية الرياضية، إذ قد تنظس القدم كلها في طبقة من غبار تشرك على الجسم أثراً بيشهه الهبوط فوق القصان، وإن حاولت الصملص منها ولم تمثن في هذا المسلك، ستسمع بالإضافة إلى صراخ الشاب الذي يقف في وسط الطريق يبيع عشرة جربان بعشرة شيكل، جندي يصرخ باتجاهك.

على الخاجز يقف عادة ثلاثة أو أربعة جنود، وبالرغم من ألهم لا يعتبرون أنفسهم مخطب على خشبة مسرح وقلنديا، إلا أنهم كذلك، فالحضور كبير وقائم بشكل عفوي وطبيعي. الذي فوق إلى البمين يتحدث عبر الهاتف النقال ربما مع صاحبت، أما الذي يفحص الأوراق فيغمل ذلك ببطء شديد على الأغلب يتحدث عبر الهاتف اللهمة، وهنالك آخر يجلس قربه يحرسه بشرود. الرابع إلى يسار الشارع أدار ظهره فجأة وبدأ يبول، وقد استغرقه ذلك بعض الوقت، كما لو أنه كان يبول في حمامه الخاص في ببته، في أقصى مناعات الظهيرة مللاً، بعدها، استدار إلى الجمهور وأخذ يزرر بنطاله؛ زرره حتى النصف فقط، شم جاء الجندى الذي كان يفحص الأوراق وغنح السيارات الإذن بالمبور، وأعطاه ماء للشرب.

ثم حلت نهاية الصيف وعاد الخريف بهوائه الذي تشتهر به المنطقة.

من بعيد رأيته لخريف ؛ كُنت أبَّك باكثر أشكال ألشي حيادية إلى نقطة التقتيش، ورأيتها تلك الربح التي هبت كزويعة تصحب غبرة الطريق واكياس البلاستيك. توقفت. لم أعد أعرف ماذا أفعل. ماذا أفعل؟ هل أمشي أسرع، هل أمستمر بالوقوف، هل أمشي كعادتي، هل أذهب يسماراً أم يميناً، هل يمكنني العبور بين ذرات الفبار دون أن تمسسني؟ أقف عاجزة أمامها وأمامي وأمام كل الاتجاهات ولا منفذ، لكنها لم تمهلني وقتاً أكثر ودخلت فمي، ولفتني.

الغبار . هكذا استطاعت المُاساة أن تلف الجميع ، حتى أولتك الذين يَشُون بأشد الطرق حيادية . شعري ووجهي ويداي وملابسي كلها مثقلة بالغبار واليأس .

هنالك قرار ذاتي يقضي بأن أقطع منطقة الحاجز مشياً على الأقدام حتى نهاية صف السيارات ولو كان سينتهي في رام الله. نست قادرة على رؤية سيارات تنتظر ، لذلك أمشي بشبات كأن لي هدفاً ، في هذه الحالة ، هو معرفة نرع آخر سيارة تقف في الصف .

سوبارو ببضاء طويلة يركبها رجل في الأربعينات وزوجته إلى يُعِنه. بين مقعديهما تقف فتاة صغيرة كعادة الأطفال، تنظر إلى صف السيارات أمامها . قربهم أقف أنتظر سيارة أجرة .

سأوقف السيارة التي لا تزمر لمي ، أو لا أثان ذلك يعني أن السائق غير لحوح ولن يزعزع هدولي الداخلي مع التزمير إثر رؤيته لأي شيء متحرك وممكن أن يدفع أجرة راكب . ثم أن أصدقائي دائماً متاخرون، ولماذا أنا التي دائماً تصل في الوقت، فأعاني الانتظار والشك حول الساعة والمكان واليوم والوضوح .

لن آخذ كذلك سيارة لون الاقتنها أصفر الأنها من القدس وأهل منطقة زام الله بمحاجة ماسة أكشر الأي دخل، ولن آخذ سيارة من نوع غير مرسيدس مسعة ركاب لأن نوع سيارات الأجرة هذه قديم وقائديها رجال مسنون، أما السيارات الحديثة فأصحابها شباب زعران.

كل هذه الأيديولوجيا تستغرق خمس عشرة دقيقة ، وكم من زوابح الغبار التي لاخيار أمامها إلا التراكم فوقي .

. جاء السائق المثالي ودفعت له ؛ لكنني قذرة وأكاد أمزق نفسي لشدة ما لا أطبق ملمسي.

وصلت، ولاحظت صديقتي مدى قذارتي فعرضت عليّ أن أستحم، قلت رعا شعري فقط. أخذت ابنما الصغب الراجعاء لساعدت على غسلق ذلك أن الأمر السريالالد ف لديم، الدر

أخذني ابنها الصغير إلى الحمام ليساعدني على غسله ، ذلك أن الأمر ليس بالمالوف لديه ، لدرجة اعتيره فيها لعبة أطفال . وضعت رأسي تحت الماء ، ثم أخذ هو يسكب صابون الشعر على يده وسكب نصف العلبة فصرخت .

كدت أصفعه؛ أغرب عن وجهي، هل أنت أهبل! قلت له باقصى قواى:

- حبيبي، لا يجوز وضع الصابون هكذا.

وكانت هذه الجملة كافية لأن يخاف ويتركني وحيدة تحت الماء. على الأقل لا تزال أخته في الخارج تنتظرني لتمشط شعري.

كم من الوقت لم يمشط أحدهم شعرى.

لا وقت لنقرأ قصة لأنه يجب أن أزور أصدقاء آخرين.

بقي لي ثلاثة أصدقاء على الأكثر ، بعدما أدخلت بعض التقليصات على القائمة ، أزورهبهرة في الأسبوع في ذات المشوار لكي أعبر الحاجز أقل ما يمكن من المرات ، وهكذا تحولت زياراتي إلى سباق مع الزمن . صرت أقطع أحاديثهم في النصف ، لم اعد أستمع حتى نهاية الجمل ، ولا موضوع حتى النهاية ، وؤوس أقلام فقط ، منها رؤوس أقلام مكسرة . بعد كل ساعة ونصف يجب أن أتحرك . ساعة ؛ على الأقل ساعة . نصف ساعة للطرية بين كل بيت وآخر .

في كل مرة أغادر بيت صديق يعود إلي تساؤلي لماذا مجئت. أصبحت هذه الزيارات في إطار إسقاط واجب وتمثّ للحواجز. ماذا أتحدى بعد، إن كانت هذه الحواجز قد نزلت داخلي !

لم اعد ادري حتى إن كان أصدقائي يرغبون بهله الزيارات أو ما زالوا يحبونسي. أنا لم أعد أشعر. لكنني سأشعر . مأعود الأسبوع القادم . خصوصاً صغيري الذي أوشكت على صفعه، إن وصلت المرة القادمة قبل الغروب، صنذهب معاً ونشاهد الغروب .

-

ربما استطيع تحمل العذاب لكنني لا أريد تحمل الغبار فوقه . قرار ذاتي جديد : من الآن فصاعداً سأدور مع قيمة تفادياً له .

بالبداية خجلت من وضمها هذه القبعة، لكنني قورت تخطي حاجز الخبجل هذا فوضعتها في حقيبتي؛ سأخرجها عند الحاجز.

في الطريق عرجت إلى مكتب البريد وبحوزتي صندوق أود إرساله إلى خارج البلاد، كما عليّ دفع فاتورة الهاتف، مع الوقت، صار حساب الهاتف أقل ورناته أقل.

في البريد رحت أقف في صف قصير . لم يعد يهمني كم من الوقت سأقف ، الانتظار أصبح أسلوب ماة

للائة أمامي وأنا ألوذ بصمتي، أقرأ كل الإعلانات في المكان، هناك فتاة صغيرة تتعلق بجلباب أمها الكلائة أمامي وأنا ألوذ بصمتي، أقرأ كل الإعلانات في المكان، هناك فتح أن يتودد أغنية ارجّعلتها للشو ولكمني ، تنظر إلي وإلى المبندوق. أمها تهمس في أذن أمرأة أخرى بجانبها، ولا أفري إن كانت هي في إلله أن عندها ميكون أربعة أمامي، أمامهما رجل وابنته، هي تروح وتجيء في المكان، ثم تعود وتهمس له.

لاحقاً انضمت إلينا امرأة أخرى.

أغلب الواقفين في الصف فلسطينون. الإسرائيلي الوحيد هو في أول الصف، وصوته لوحده علاً الفضاء بعبرية مثقلة بلكنة أمريكية، بينما البقية يهمسون.

ينظرون حولهم ويعلقون على الأشياء بهمس.

وأنا إن تحدثت عندما أصل إلى الوظفة كيف ميخرج صوتي ا أحاول تخيل صوتي ، أعيد موسيقاه في رأمي .

سَأَعُدت بالإنجليزية . هل سأقول مرحباً أم سأباشر بالموضوع ؟

الطفاتان تنظران إليّ ولا أدري لماذا ، لا أريد أن أبتسم إليهما . تستمران بالنظر إليّ خصوصاً تلك التي أمامي ، أعيد النظر إليها مطوّلاً وكمن أرى قليلاً من الخوف في عينيها ، فتغرورق عيناي باللموع . أعيد عينيّ إلى الأسفل وتسقط من أنفي نقطة على الأرض بين قدميّ. الصغيرة تستمر بالنظر إليّ. يترك الإسرائيلي. يتقدم الرجل مع الطفلة ويقول بصوت متردد وهادئ بالمبرية والعربية وكل ما

أمكن، أنه يريد سحب كل ما في حسايه. الموظفة تقول بعبرية واضحة وحيادية إنه لا يوجد عندها كفاية من النقود في الصندوق. هو لا يفهم وهي تعيد نفس الجملة، يبقى واقفاً صامتاً. يسأل الامراتين أمامي عما تقول، وتقولان أنهما لا تعرفان العبرية، تقول إحداهما ربما المرأة تلك، مشيرة إلى المرأة خلفي، وتلك ترد أنها تعرف قليلاً وتنقدم. ويجهد ويبطء ويهمس تحاول أن تسأل الموظفة ما الذي قالته.

لم يتوجهوا إلىّ. أنا لا أساعدهم لأنهم لم يتوجهوا إلىّ. أنا أعرف المبرية جيداً لكنني لا أساعدهم. صامته، أسمع جهودهم جميعاً وأبقى صامته. أنكوهم.

أنا لست متأكدة ماثة بالمائة ان الموظفة عنصرية ولكنني خالفة ، أخاف على صندوقي ألاً يصل الى هدفه المرجو في الوقت اغدد لأنني عربية ، صنهمله ، وسننساه لأسابيع ، لن يحظى بالعناية التي يحظى بها كل صندوق آخر غير عربي . استمر بالصمت .

إنني أخبئ عروبتي من أجل صندوق. وإن كنت افريقية أين كنت سأخبئ بشرتي؟

الآنَّا احْتِيئَ خَلَفَ صَّمِتِي، لا أفتح فَمِي. أبرر ذلك بأنَّ أحداً لم يترجه إلي؛ بينما لا أستطيع صرف عينيَّ بعيداً عن للشهد. أتابعه، أتابع جهودهم، أتابع كلماتهم المترددة الهاصية، أثابع خيانتي.

كيف لي أن أعود وأستخدم العربية بعدما خنتها الآن !

ليتني لا أقمدت اكثر . ليتني تحدثت قبل ثوان . لكنني صامتة ، أشعر بأسناني وبفكي جيداً . لم أعد أستطح .

كان الحاجز قد سكن فجأة، تنبهت انه لم يعد هناك مارة في المسلك، الكل واقف بعيداً. هذا سيكون اطلاق نار، لكنني أنامع قبعتي الواقية من الفبار، فمشيت. كان الأولاد يختبئون خلف السيارات يحملون بأيديهم الحجارة، وأنا أعبرهم.

واحد همس لي: وأنظري أنظري». قلت له: ولا اتركني». كان يشير باتجاه الجدود. الى ماذا أرادني أن أنظر، إلى جندي يصوب إلى!

وضعت يدي على أذني، خفت أن أسمع صوت الرصاصة التي قد تقتلني، قلت ربما أستطيع أن أسشي بين الرصاص، وإن لم أستطع، أقصى ما مسحدث لي هو الموت.

مشيت، زهرت لي بعض السيارات ولكني لا أصعد صيارة تزمر لي. أحد السائقين يؤشر لي بحركة من يده أنني قد أهوت، وأنا أقول في داخلي دوأنت تزمري.

مشيَّت ومشيَّت ، إلى أنْ عاد الصمتُ الحُنون إليّ. لقد انتهى صف السيارات. كان طويلاً. آخر سيارة فيه (القا سود - بيضاء).

وقفت أنتظر، ولا يزأل صوت اطلاق الرصاص يثقل الجو من بعيد. إلى جانبي وقف ولد يسمرن على ضرب الحجارة وكاد أن يصيبني، فاعتلر بعش الأولاد قاتلين إنه أحول.

أخيراً ظهرت من بعيد سيارة أجرة قذيمة الأقتمها من رام الله ، تجر خُلفها صمتاً مشوباً بعودة تدريجية إلى الحياة. اشرت الى السائق قبل أن يفكر حتى بان يزمر . كان عجوزاً. قاد السيارة ببطء. بعد وقت توقف، صعد شاب.

عرج على مصلة الوقود وعباً مولار . سيارة أخرى جاءت أمامنا وأخرى خلفنا ، لم تعد نستطيع التحرك . الراكب من الأمام يحاول الحديث معي ولا أدري لماذا ، هل لأنتي كنت أضع قبعة؟ هل لو كنت فتاة محجبة كان سيتحدث إلى؟

أجيبه بخشونة .

يحاول الاستمرار بالحديث حول مضار استنشاق البنزين وأنا لا أجيب. ماذا يعتقدني ليتحدث معي ! سالني عن الحاجز وقلت كان إطلاق نار. قال شيئاً ، ولشدة عدائي حتى لم أسمعه .

في الخطة ينظر الى الذي يعبي الوقود . ماذا ، هل هناك دماء تسيل من وجهي ، ماذا هناك ؟

أحَّاول أن أنظر الى الكتابات على الحائط. كم خطه جميل ذلك الذي كتبها.

عاد السائق بعد أن غادرت السيارة التي من اخلف ، فعدنا إلى الطريق . بعد وقت توقف . نظرت حولي ولا أفهم السبب ، لا أحد في الشارع .

لا أحد أبدأ.

بعد تلفت شديد رأيت امراتين بعيداً، تمشيان ببطء بانجاهنا. لست متأكدة أننا ننتظرهما هما، هما لا - تسرعان وغير معقول أننا ننتظرهما.

هل هو مجون هذا السائق؟ أبحث عن اسمه. إسمه احمد محمود حمد الله.

هل هذه مزحة !!

تمشي الهويسى هاتان المراتان ، وأخيراً تصلان ، تدفعان الكرسي فيطرب بظهري . يحكنني أن أقتلكم معهماً .

تعود تمشي بيطو.

إلعب، إلعب يا أحمد، إلعب بحياة الناس. ماذا لديك تجاههم بعد أن دفعوا لك الأجرة.

مرة إخرى يتوقف. لا أحد في الشارع. لا بل أرى رجلاً يخرج من حانوت، ولكنه يمشي باتجاه سيارة خاصة، يفتحها، يشغل اخرك، ثم يفادر.

ونحن ما زلنا ننتظر. ولكن من ا

امرأة بعد وقت تخرج من زقاق. كيف رآها؟

إن أحمد محمود حمد الله ، إن حدث وجنت ، ميكون أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى جنوني .

في طريق العودة أركب صيارة ذات الفتة صفراء مع $oldsymbol{L}$ جديدة سائقها أزعر، هذا الأعلن أنني أكره نفسى.

ميارة الأجرة هله تخالف كل قوانين السير والأخلاق حتى تتجاوز صفوف السيارات الطويلة، وأنا داخلها، أقول من ألى: وأنا لا أشعره.

فجاة طفلة معنا في السيارة ، بينما نحن واقفين على الحاجز ، تسأل بصوت دلع : ولماذا تحن واقفين هنا ؟ ه

تخيلت نفسي أشرح لها، ولكن بتفكير ثان شعرت بالغيرة لأنها لم تعبر طريق المعرفة ذاك، بعد.

كل ما بقي لي أن أفعل هو الترجمة، فأقف صامتة بينما المراسل الذي أقوم بمرافقته أحياناً، يتعثر بعلية كولا مرمية على الأرض. كنا نتأهب لدخول مبنى إحدى اغاكم لتغطية محاكمة متهم بالعمالة.

قبل بدء الجلسة، مرت فجاة برأسي فكرة أنهم قد يتهمونني أنا أيضاً بالعمالة، لكن بعض الصحافين حضروا وصافحوني فصافحتهم بحرارة من ثمّت تبرثته، وعلت أشعر بالطمأنينة.

أقف في المقدمة مُا يصفة باخانط ، أبحث عن شبه بين أفر اد عائلة الشهيد ، الذي ينسب إلى المتهم الإدلاء بمعلومات إلى اظاهرات الاسر البلية أدت إلى اغتياله . هنالك شبه بين الشهيد كما يظهر في الصورة وبين أخر الد ، أكثر من الشبه بينه وبين أمه .

أنتظر بفارغ الصبر أن يطلقوا سراحي.

إعدام. يسألني المراسل عن مصداقية الحاكمة، أرد عليه والمعايير مختلفة،

بعدها انتقانا ألى بيت المتهم بالعمالة لإجراء مقابلة مع بعض من أفراد عائلته. جلست مرة أخرى أبحث عن شبه بين الولد ووالده المتهم كما أذكره من مجرى الماكمة، لأن هذا هو كل ما استطعت أن أفعله على أثر رؤية دموع الولد، خلال إجابته على سؤال وجهه إليه المراسل بموضوعية من يرغب بالحصول على لقطة جيدة، قال الإين البالغ إثنى عشر عاماً إن ابتعاد والله عن البيت صعب جداً. إن والده مظلوم.

لقد أصبح موت الآخرين أليضاً ولا أعرف كيف أكترث أكثر . لم يعد يكلفني العيش شيئاً عدا الدمار نفسي .

أعود إلى البيت، وكل ما لي هو انتظار مكالمة من حبيبي.

وخلال هذا الانتظار يصبح صوت انسياب المياه في المصرف مثل رنين الهاتف.

كل حركة ولو بسيطة صارت تثير غباراً مروعاً في البيت، فبدأت بحملة تنظيف كاملة.

بعدها حملت كل ما لمس جسمي ولو للحظة ، وضعته في حقيبة كبيرة وأخذته إلى رام الله للخسيل ، وحددت موعداً مع طبيب الجلد .

أشعر أن طبيب الجلد ، وهو صديق قديم ، لا يحدثني بآزائه السياسية بشكل مفتوح . هل يشك بي؟ أطالب عرضم رغم اعتراضه ، يقول إنه لا ترجد مشكلة عندي . استسلم ، ونتحدث عن أمور الأدب . أخرج ، أمني بثبات في الشارع ، أنظاري فوقه ولا أستطيع منعها من رؤية آتار بصقات العابرين ؛ أشعر بلعابي في فعي ، سأتفيا ، أولع رأسي قدر استطاعتي ، أميله قليلاً ، أرى رسماً كبيراً معلقاً في دكان لطائرة قذفت صاور خاصع ثقباً في صدر طفل .

في طريق العودة تقوح رائحة الغسيل في سيارة الأجرة وتجعلني أشعر بنقاء.

أُمُّود وأمنعيدُ ما قالتُهُ لِي للتر صديقة أصَّلها من نابلس، بأنها مُشتاقة لأهلها هناك ولا تستطيع السفر لرؤيتهم بسبب الحواجز، فلا تسمح لنفسها بالاشتياق بشدة إليهم.

لكن لماذا أنا متأثرة من كل هذا 1 يمكن النبي أفكر أكثر من اللازم، أشعر أكثر من اللازم، الكثير من أكثر

من اللازم .

متى سأعود إلى اللازم، أم أنني أضعته إلى الأبد؟

عشرة جربان بعشرة شيكل، لا يزال العالم كما هو.

عبرت الحاجز فغرقت في غبار المسلك؛ لقد وصل عمقه هذه الفترة الى عشرة ستيمترات، مخملي ناعم تحت القدمين.

لم أكن هذه المرة لأبالي بالغبار، بل كنت أدعوه ، لأنني عائدة الى البيت وسوف أستحم. لكن ماذا عن المؤس؟ ا

فكرت ان أتجاهله بأن أعبر الحاجز باعتيادية ، ومن أجل تحقيق ذلك ما عليّ إلاّ أن أجمد كل أحاسيسي ؛ أنفيها لبعض الوقت فقط .

ثم خفت. خفت النبي بعد أن أعبره ، بعد بضعة أمتار لن أستطيع استرجاع قدرتي على الإحساس ثائية . ماذا لو فقدت ما تبقى لديّ من أحاصيس !

بقي لديَّ ما يكفي لأن أحفر نفسي وأشجعها كل يوم على عيش اليوم الذي قد بدأته، من أول اليوم الى آخره، هذا أقصى ما أستطيعه من رغبة في الوجود .

أودت أن أكتب شيئاً ما خلال سفري في سيارة الأجرة ، لكنني امتنعت خوفاً من أن يعتقد الركاب بأنني أكتب معلومات ثقي بهم، ورجعت أنظر إلى حذائي.

أرى أن حذائي قذر . مغير . أويد العودة الى البيت في أسرع وقت تمكن كي أنظفه . كل شيء قذر ، وبشدة ، لكن دون مفاجأة . للغيرة أسباب بل كل الأسباب ، إنها الدليل على عبوري الحاجز مثل الجميع ، يجب إن أتحملها قدر الإمكان ، هي أقصى ما أستطيع أن أفعله .

وروى البهيقي قال: وخرجت السمراء بنت قيس، أخت أبي حازم، وقد أصيب ابناها، فعزاها النبي صلى الله عليه وآله بهما، فقالت: كل مصيبة بعدك جلل، والله لهذا النقع الذي أرى على وجهك أشد من مصابهما.

والنقع هو الغبار كما ورد في الصحاح.

عدت وآخر جت كتيباً حتى أبعد أنظاري عن موضعها السابق وما حط عليه من غبار . يسرد الكتيب الفعاليات الثقافية في البلد ، قلبته عدة مرات ثم أعدته الى حقيبتي لاحتمال أنني قد أحتاج يوماً ما الى رقم هاتف مطحنة قهوة جاء في اعلان على إحدى صفحاته .

أشعر كأنني بعد بكاء، غير أنني لم أبك.

من السيارة الى بيتي، وكالعادة، هو أبعد البيوت.

أعبر السوق. كأنما أكثر من اللازم، عيون تنظر الي. ألمح مجموعة من الشبان، فجأة ينهص أحدهم بعد إشارة من يد الآخر، أعتقد انه سيطلق النار عليّ.

ولكنه يعبرني. شاب آخر ينهض، يمترض طريقي، فألتفت مستنكرة. لم يقتلني.

أتوقف لشراء ربع كيلو قهوة ، ثلثين شقرة ثلث محروقة مع زيادة هال ، وأشعر أن هنالك ابتسامة غريبة على وجه البائع ، وعندما يعيد لي الباقي يرفع يده في الهواء ولا يسمح لها بلمس يدي . هل هو بقصد لا يرد الاقتراب من يدي كأن مرضاً قد علق بي ! كأنه مشمئز !

أكمل طريقي مشيعً، والطريق بعيدة الى البيت. لا يجب انه أركض، يجب أن أحافظ على رصانتي. عيناي لا تفارقان الأرخبية، أقلب في نفسي العكاسات شظايا الزجاج المتثررة فوقها، من شظية الى أخرى أنقل عينيّ.

عليّ ألا أمر في السوق مرة أخرى. يجب أن أغير طريقي.

حتى نهاية الطريق، أحسب المرات الباقية التي سأضطر فيها للخروج من البيت، ولا أدري ولا أعرف كيف سأخرج أكفر.

أحاول أن أستمر بالمشي بحيادية ، كأنني لست عميلة.

أنا عميلة هذا هو .

أجلس في فراشي أراقب أرضية الغرفة، لا أستطيع النظر أكثر إلى السقف.

يعبر الوقت والثلاجة فارغة. لا شيء للأكل في البيت، يجب ان أنزل الى السوق. أحاول أن أجد بمضاً من صفاتي القديمة التي كانت تدفعني للنزول يومياً إلى السوق وأجد فقط قليلاً من الحيادية، فأضع حذائي وأخرج.

ألتقي بمعض الجارات، يقلن إنهن لم يعدن يرينني، يسألني أين اختفيت ولكنني لا أريد الحديث معهن، أجد أنني لم أعد أطبقهن.

لا أعرف ماذا أشتري، لا رغبة عندي لتناول أي شيء. أمرّ في سوق اللحامين، لا أجد الشجاعة الكافية من أجل رفع عينيّ ورؤية البضائع. أحاول أن لا أفقد توازني، أن أسير كفتاة محتشمة، كانني لست غريبة عن المكان، أحاول أن أمثل نوعاً من الأللة ولذلك أذهب الى نفس اللحام.

اللحوم تحيط بي. فخذ عجل أحمر ، حوافر ، ألسنة ، عيون جامدة في رؤُوس خراف مقطعة . لن أستطيع . لا قوة لدي لأن أقطع اللحم ، ذلك فوق طاقتى ، أعبر السوق وأعود الى الهيت .

وبينما أنا أمشي، إذا بصبي عربي ويطلق النار على بأصبعه، ولا أدري ماذا فعلت له.

أعود والعرق يتصبب من على وجهي . هنالك خبر تركته صديقة على آلة التسجيل ، تسألني متى سأتى الى رام الله .

مرة أخرى أعبر السوق، أحدهم ينادي اسمي، يسبني، التفت، ولا أرى أحداً. أعود الى البيت.

أتر دد في الخروج من بيتي. إنني مليئة بالفزع حتى أكاد أختنق، إنه يتمركز في جبيني على عيننيّ. وانفي، والاختناق في حلقي. الإمكالية الوحيدة، أفكر، لزوال هذا الفزع هو قطع راسي.

الوقت ليل. يوقفني بعض الجنود. يسألني أحدهم لماذا أحمل جواز السفر بدل بطاقة الهوية، أقرل لأنبى حرة . يعيد مؤالى، فأرد:

- لأننى حرة لأننى حرة لأننى حرة لأننى حرة لأننى حرة. هكذا. لأننى حرة.

يطلب مني إن أقف جانباً. أنا أصرخ وأصرخ وأصرح. هكذا. لا شيء أعمله عدا الصراخ. أصرخ مثل الهنونة، أصرح لأنني لست عميلة. ياتي الضابط ويعيد لي الجواز بعدما لا يجد سبباً لإيقافي، ولكنني لا أزال أصرخ ويطلب مني المفادرة بأدب.

ولا أدري لماذا يتحدث معي بأدب، ماذا لو مر أحدهم ورأى الطبابط يتحدث معي بأدب، وماذا لو عاد هذا الطبابط وتحدث معي بأدب في للرة القادمة، وماذا لو حفظ اسمي الشخصي وناداني به بيشما أعبر وسط المُنات، أن يصالني كيف حالي اليوم!

ماذا سأقول للعابرين ! سأصرخ مرة أخرى وبدل ان يقولوا إنني عميلة، سيقولون إنني مجنونة.

صحوت على صوت جرو يبكي.

تحركت من فراشي بمسهولة غير معهودة، وأخذت أدور بحثاً عنه، لأهب الى نجدته هذا الجرو الباكي. لكنني لم المح بموفة الاتجاه الذي يأتي منه.

صَعَدت الى السطوح ورحت أدور بعينيّ وأذنيّ بحثاً عنه ، وهو لا يزال يبكي ويبكي، كما لو كان يبكي

فجأة رأيت امرأة تخرج الى مطح أحد البيوت البادية من حارة اليهود. لوّحت باتجاهها وسألتها بالانكليزية إن كانت تسمع ذلك العبوت، لكنها تجاهلتني. و شعرت بعزن.

أنا لم آكن أطاّلهما بدولة مستقلة عاصمتها القلمي، كنت فقط أحاول معوفة مكان الكلب الباكي. عدت الى فراشي، وبينما كان عويله المستمر يعود ويغلف رأسي ويحرقه بملوحة بكائه، كنت اُلقي بعينيً على أرضية الفرفة، أفتح واحدة أغلق الثالية، الإعب أقدام الكرسي والطاولة.

عدنية شبلي كاتبة فلسطينية تقيم في القدس كانون الأول، ٢٠٠١

أقواس

جان جونيه مستعادأ

[شهدت الايّام من ١٤ إلى ١٧ من شهر كانون الأوّل الجاري احتفالاً واسعاً باعمال الكاتب الفرنسيّ صديق الفلسطينيّين جان جونيه JEAN GENET (او ٥ جينيه ٥ كما في كتابة اخرى، او ٥ جولي ٥ كما في كتابة ثالثة، أو ٩ جُنّيه ٤ في رابعة، إدَّ يلي حرف الجيم في الواقع صوت لغويّ لا تعرفه العربيّة يتراوح بين الواؤ والياء، وما تزال كتابة بعض الأسماء الاجنبيّة تثير إشكالاً في العربيّة وتتمخّض عن تعدديّة للكتابات بحسب هوي المترجمين واختلاف الاقطار). عملت على تنظيم الاحتفال في مدينتي النار البيضاء والرّباط إدارة الكتاب الفرنسيّ في الرّ باط التي تشرف عليها حاليّاً الروائيّة الفرنسيّة المعروفة ماري رودونيه MARIE REDONNET (وهي نفسها صاحبة كتاب مرموق في دراسة جونيه ٤، بالتِّماون مم والمركز الجامعيّ للبحث العلميّ، في الرَّباط الذي يرأسه الكاتب المغربي عبد الكبير الخطيبي. وإلى جانب معرض فني وقراءات مسرحية وعروض سينمائية مرتبطة جميعاً بعالم جونيه، تضمَّن الاحتفال طاولات مستديرة متمادة اقيمت في الدار البيضاء والرَّماط، قدَّم بعض المساهمين فيها شهادات وذكريات حيّة عن الكاتب، وتناول بعض آخر جوانب عديدة من عمل جونيه الروائي، والمسرحيّ. وإلى رودونيه والخطيبيّ، كان بين المساهمين ليلي شهيد وإلياس صنبر ومحمّد برادة وإدمون المليح وأنيس بلفرج وخوان غويتيسولو وروبير ابي راشد وكاظم جهاد وعبد الوهاب المؤدّب والبير ديشي. وقد تمّ التركيز على كتاب جونيه وأسير عاشق، الذي صدرت في المنامبة طبعة جديدة منقحة لترجمته العربيّة التي كان كاظم جهاد قد وضِّعها في ١٩٩٥ وصدرت بعد ذلك بعام في منشورات وشرقيّات وفي القاهرة، في حين صدرت الطبعة الجديدة المنقحة في منشورات وتوبقال ، في النار البيضاء. هنا نصّ التراسة التي قدّم بها المترجم للطبعة الجديدة، وقد حذف منها هنا فقرة أخيرة مكرَّسة لبعض الجوانب التقنيَّة المتعلَّقة بترجمة الكتاب.] . كتبَ جان جونيه وأسير عاشق، بين العامين ١٩٨٤ و ١٩٨٦ ، أي في الفاصل الأخير من حياته، لاستعادة الشّهور الطويلة (ما يقرب من عامين) التي كانَ أمضاها في ضيافة الفدائيّين الفلسطينيّين، في مطلع العقد السّبعينيّ من القرن المنصرم. فيه يستعيد معيشه بينهم في وعجلون، (الأردن) بخاصّة، والجولات التي كان قام بها أو سيقوم بها في أقطار المغرب الكبير وفي لبنان وموريًا. ومواء أني إقامته تلك بين الفدائيين، في الخيّم أو تحت النّجم السّاهر (حيث منحه الفلسطينيّون اسما حركيّاً: ١ المُلازم على، وتصريح مرور يغول له التنقل بين جميع فصائل المقاومة وحركاتها) ، أو في جو لاته في المدن العربيّة ، لم يكن جونيه ، وقد هرم ولم يضح ، مضغو لا إلا بالقضيّة الفلسطينيّة وغرّد الفلسطينيّين ، جاهداً في أن يقرآ معنى هذه القضيّة وأن يتنبّج صبرورة هذا التمرّد . هي محاولة لفهم هذه الدورة في ذاتها تارةً ، وعقارتها ، طوراً ، بانتفاضة والفهود السّوده في أمريكا وسواها من ثورات العصر ، وبالرّجوع ، داتماً ، إلى مجمل تاريخ المنطقة والعالم، تاريخ بيدو جونيه شديد الإحاطة به ، يفعل محاوراته العديدة التي أجراها مع أشخاص من مختلف الفتات الاجتماعية والفكريّة أو بفضل قراءاته الواسعة .

ومع أن أحداثاً عديدة قد أسجعت في السنوات الأخيرة، وعلى ابتعاد الذاكرة، العربية والعالمية، نرعاً ما، عن الأحداث المخروية التي يستأسس عليها ويتحدث عنها مجسل هذا الكتاب، فلا أحسب أن سحر أسلوب جونيه وقوة كتابه هذا يمكن أن يكون أدركهما الشعوب فيرد مرور بضع سنوات هي الفاصل بيننا أسلوب جونيه وقوة كتابه هذا يمكن أن يكون أدركهما الشعوب فيرد مرور بضع سنوات هي الفاصل بيننا وبين صدورة. ولتن غير هذا الكتاب في بعض صفحاته بالنقد الحالا، الذي لا يوقر حتى القيادة الفلسطينية، إلا إن ثبتة فرحاً، قوباً أيضاً، بعصف بالكتاب ويكاد يكتنف جميع فقراته. هذا كله ثما من شانه أن يسلط إضاءات حادة على الفررة الفلسطينية في فعر لها الإهرة السابة وراهنها اللاهبيا المفرد بيوانق كثيرة. وكما يلاهب عن المورة إلى المفرد المؤرد أن المناسبة والمؤرد بي المناسبة والمؤرد بي هذا الكتاب الشأسع والمعارة عمادً متعاند الأصوات أي والرفونيّاء. عمل لا يفرض فيه الروائيّ السافر صوته وحده وأفكاره عني الإعادة الفيّة أو شبة الممعرة، وتشابك أفعالهم، حتى في الإعادة الفيّة أو شبة الممعرة، وتسمع كلامهم، المنفير أو المؤرشوش والمامت، والذي يظل مع حتى في الإعادة الفيّة أو شبة الممعرة، وتسمع كلامهم، المنفير أو المؤرشوش والمامت، والذي يظل مع حتى في الإعادة الفيّة أو شبة الممعرة، وتسمع كلامهم، المنفير أو المؤرشوش والمامت، والذي يظل مع متى الإيدام الفيرة المناسبة على المرابعة الإعادة المناسبة، والذي يظل مع مني الإعادة المناسبة على المنابة المنهاء المناسبة المناسب

ولادة الكتاب:

وضع جوليه كتاب مذكراته هذا بعد مرور أربع عشرة سنة على تجريته هذه في الإقامة بين الفدائيّين الفلسطينيّين. كتبه بعد انقطاع عن الأدب دام آكثر من عشرين سنة ، وبعد فترة يسمّيها هو نفسه وحضانة طويلة ، وإذا كانت إقامته هذه بين الفلسطينيّين قد عزلته عن أورتا تماماً ، بحيث يصرّح في هذا الكتاب بأنّ أرباً بكاملها صارت لا تؤن لديه أكثر من خنصر أصغر فدائيّ، فإنّ كتابة وأسير عاشق مستشكّل له هي ومذكراته هذه التي تأميّاً : وكلّ ما لم يكن هذا الكتاب صار بعيداً أرعيّ] حتى ما عاد لبرى ه . ومذكراته هذه التي تشكّل استبطاناً حميميّاً ونقديًا لتجربة الفلسطينيّين ومحيطهم العربيّ والعالميّ، وإعادة خلق شعريّة للفنسطينيّة التي كان هو وإعادة خلق شعرية للفنسطينيّة التي كان هو وإعادة خلق شعرية للفنسطينيّة التي كان هو الماحد في العمر ، أنها مستكون معطته الكبرى الأخيرة، عده الذكرات يدعونا هو بالحرف الواحد إلى أن نقراها كتحقيق صحفيّ أو وربورتاج ، وفي ما وواء ما تشي به هذه الذعوة من تواضع كبير، فلملمًا للمّخو بدل الملاحد ومن أويا ويا ويا ما يقي عالوية عنت الريخاً يحتم الكلام للآخر بدلل للمنظم على ناويله بإفراط أو مصادونه .

معروف أنّ جوليه بدأ منذ صياه يشرّ على الجتمع ، وبالذات على ما يدعوه هو بالجتمع الأبيّض، حرباً لا هوادة فيها مبعثها ما يؤكّد هو أله تلقّاه من إهانات عميقة بدأت منذ أن كان طفلًا لقيطاً حجرته أمّه وتعهدت بتربيته إحدى الأسر المتعاونة مع الرّعاية الاجتماعية في أحد الأرياف الفرنسيّة، وتواصلتْ في السَّجن الذي مينساق إليه غير مرَّة بسبب من سرقات قام بها في صباه. إختار، أوَّلاً، الجنوح للخروج على الأخلاقيَّة السائدة، ثمَّ، عندما صار كاتباً وهو في السَّجن، راح يعمل على تفكيك هذه الأخلاقيَّة ويخطّ عِفردات المحد والقداسة والتكريس صور عدد من الجانحين الذين قابلهم في تسكِّعاته في العالَم كله أو في هذا أو ذاك من السَّجون الفرنسيَّة. ومع تضجه ككاتب، ومع ذيوع صيته عالميًّا، واح يقترب من حركات ثوريّة متعندة، تشاركه هيّه في تفكيك الغرب، ويلبّي نداءها للمساندة. وعليه، فهو مسار تصاعديّ ومنسجيه، سيقوده من تلك العلاقات الهامشيّة، المشبوهة في عرف المجتمع القارّ والأعراف السّاكنة، إلى وفقة الثوار والمحتجين من أمريكان سود وفلسطينيّين وعمّال مهاجرين: من دون حاجة إلى تمهيدات أو تبريرات أو تفسيرات، الدفع جونيه من تمرّد أوّل، فرديّ واحتجاجيّ إلى تمرّد ثان أقوى تمارسةً وأرفع مقاماً وأكثر نجوعاً وحدة. وفي قلب هذا الانخراط الفقال، ومن صميمه، يقيم وينبثق وأسير عاشق. وإذا كان هذا الكتاب قد جاء ليمة مؤلّفه بالفرصة للتعبير عن هذه التواصليّة الثوريّة التي جمعتُه بأكثر من حركة في العالم، فهو يشكّل في الأوان ذاته، وفي ما وراء الانقطاع عن الكتابة المشار إليه، وكذلك في ما وراء فرادته التشكيليَّة والتأليفيَّة، أقول يشكّل امتداداً لمسرحيّات جونيه ورواياته، التي تصدر جميعاً عن احتجاج أخلاقيّ وإرادة تجديد فنيّ. وعليه، فلن يشعر بالاغتراب البَّة لدى قراءة هذا الكتاب كلِّ من عرف أعمال جونيه الستابقة وتابع اختراقه لعوالم الستجناء والثورات الإسبانيّة والجزائريّة والزنجيّة وكلُّ ما يعتمل في عوالم الظلِّ والتهميش الأقصى. هذا كلَّه الذي شكَّل عالماً خاصًا تنهض به بلاغة أو كتابة بالغة التميّز تنصشر في والمحكوم بالإعدام، وقصائد أخرى، وفي يوميّات جونيه ويوميّات لصّ، ورواياته ومعجزة الوردة، ودسيَّدة الأزهار، و دموكب جنائزيَّ، ودكيريل البريستيّ، (باسم بطل الرواية، لا دمعركة بريست، كما ترجمتها الصحافة العربيّة يوم حوّل الخرج الألمانيّ فاسبندر الرواية إلى فيلم) ، ومسرحيّاته ، الخادمتين، ودالستوده ودالسواتره ودالشرفة.

طوال هذه المسيرة التماطقية، التي دامت سنوات عديدة، والتي بعلت جونيه، كما كتب هو نفسه هنا، يهيم، طوراً فطوراً وعلى دهوى الأحداث التاريخيّة، بنصال البونانين ضنة ديكتاتوريّة الكولونيلات، وبنصال البساريّين المطرّة وبناني المحرّكة الكولونيلات، وبنصال البساريّين المطرّكة بالكان والمبانيّين، يقي جونيه مناهباً الألياع ومنطق، الحدث، عاوفًا تدمين ما يقيم وراء المدفقة من ضرورة في أحيان كليرة. وعنوان كتابه هذا نفسه يقف شاهداً على منحاه هذا: كان ذهب المدفقة من ضرورة في أحيان كيرة وراء المدفقة من ضرورة في أحيان كليرة وعنوان كتابه هذا نفسه يقف شاهداً على منحاه هذا: كان ذهب المنسونيّ وحركيّة الفدائيّين وصكّان الخيّمات لسنوات عديدة. وحتى بعد مفادرة هذا الفضاء على إلر الأسود، فسرطّل ما عاشه بينهم يعتمل في داخله، وطوال المئتين المتابقتين لوفاته فرض هذا كله نفسه نزيعًا للذاكرة لدندير، بهذا الكتاب.

وينبغي أن نفهم التعبير عن «العشق» هنا في مرماه الصحيح . إنّ صحفياً فلسطينياً قد تساءل ، في معرض «قراءته » لترجمتنا السّابقة لـ «أسير عاشق» ، لماذا يظلّ المصدر الأساسي لقارية جونيه وأمثاله من الكتّاب الغربيّين (وكأنّ جوليه كاتب غربيّ كسواه ا) ، متصفّلاً في نوع من الأبحذاب إلى جمال الفدائيّ الفلسطيني ! ينبغي أن تتلقى مفردتي «الأنجذاب» و«الجمال» هنا في محمولهما النتّهين . فكلا المفردتين لا

علاقة لهما بمثليّة جونيه الجنسيّة. إنّ الكاتب نفسه يصرّح بأنّه وصل إلى الفلسطينيين شيخاً تجاه زحياته الجنسيّة وصار مجرّد ونظرة». وفي غير موضع في هذا الكتاب، يؤكّد على أنّ أدني إعراب عن الجذاب إيروسي كان مينثير غضب أدنى فدائي، لأنه سيعنى الإيحاء لهذا الفدائي بأنه وجاء ليمثل الثورة مجرد تمثيل، أي كأيّ دور يتقمّصه المرء من دون انخراط كليّ يشمل الجسد والرّوح. وحتى الفهود الموّد في أمريكا، قبل ذلك بسنوات، يصرّح جونيه في وأسير عاشق، بأنّه كان راغباً فيهم، ويضيف: وكانت رغبتي مُشبَعة بكون هذه المجموعة فاتمة، كما يوضّح بالله لم يكن لديه ومن وقت، ليحلم بالفدائين. وهي ذي أخيراً مبطور مقتطفة من فقرة طويلة يجيب فيها جونيه بنفسه على سؤال الرَّغبة هذا، كما لو كان يت قع أنا قارئاً متعجلاً للكتاب (أي ولا قاريء) سيطرحه: وكان أوّل فدائين [رأيتهما] من الومسامة بحيث ادهش أنا نفسي كيف لم أشعر تجاههما بأيّة رغبة، وهذا ما سيتأكّد هبقدرما رحتُ أعرف المقاتلين الفلسطينين المسلحين، الذين يزينهم الستلاح، ويرتدون بزة الفهود وبيريات حمراء نازلة حتى العين...، وما كان الفدائيون ليمتثلوا إلى، كلاً، ما كانوا يظهرون ولا يختفون كما أريد، وإن ما كنت ، لزمن طويل، اعتبرتُه ضرباً من العنفاء والغياب الكامل للايروسية، ربّما كان فرضه استقلال كلّ مقاتل... كانت الذعارة غائبة، وكذلك كلّ رغبة. الغواية الوحيدة التي كنت أشعر بها: أنَّ هذا الفياب للرَّغبة كان ينسجم و يُحسيدَ عرضاتي العشقيَّة ، إلاَّ إذا كان وذلك الواقع ، كما أسفلت في القول ، يطبع بانجانيَّة وواقعُ ه الاستيهامات على داخلي، وهذا هو ما كان عليه الأمر بإزاء الفهود السّود في الولايات المتّحدة ع و . . . إن نوعاً من الرقابة الذاتية لا يفتأ يراقبني ما إن أكتب عن الفلسطينين، ووإنّ الظهور المفاجيء غاربين مشاة، ضاحكين، حيويّين، مستقلّين، قد أبقاني على شفير النّقاه: هبوط ملائكة، صة من الملائكة يستوقفني على شفا هاوية: هاوية سأعرف على الفور أنَّها سعادة كوني ذاهباً للعيش في تُكنة ضخمة.

أمّا الجمال الذي يتحدث عنه جونيه في مواضع عديدة، فهو يتخطّى الجمال الجمسدي ويتحاوزه، من بعيد، إلى جمالية كيانية تشمل الإياءات وشاكلة خاصّة في سكنى الجمسد والفضاء والعالم والوقت. وكما يؤكّد عليه غواتاري في دراسة سأعود إليها، فقد الثنّ جونيه بهذه القدرة لدى الفلسطينين والسّرد الأمريكان في اجتراح صور باقية وعميقة، صور شائقة وشبه أسطورية بها يتحدون بؤسهم وشظف العالم، من لفة الفهود السرو السروة المرابقة المؤنة وتسريحة شعرهم النفوش كالزير كات (والنعت لجونيه) وعنايتهم الفائقة بزيّهم، إلى أناقة فلسطينتي الخيّمات بها يسبغون قدراً من الجمالية عالياً على قطع أثاث عاديً ما ملقطة في موابل عملان.

وعليه، فينبغي أن يتخلص الكثير من المنقفين العرب من هذا الشّعور بالتدئي الذي يدفعهم، لأن كثيرين
منهم عجزوا عن قراءة قضاياهم الأساسيّة، إلى رفض شهادة صادقة آتية من كاتب كبير، بدعوى آلها
تمليها ونظرة استشرافيّة، أو يحرّكها ومنطق رغبة، وذلك خصوصاً وأنّ جونيه، وكما سيلاحظ الفاري،
في مواضع عديدة من هذا الكتاب، يتشكّك هو نفسه بمشروعيّة كتابته هذه. يتسامل إذا لم يكن الحالم
الذي جاء ليزعج الشررات بما يأتيها به من أحلام ركتب حوفيّاً، ووجوالفتي على الذهاب والفهوذ السّود،
ثمّ في صحبة الفلسطينيّن، حاملاً وظيفتي كحالم داخل الحلم، أفحا كنت أشكّل عنصراً يُعيق الحركات
من أن تقرم؟ أما كنت الأوربي الآبي ليقول للحلم: وإنّك حلم، فخصوصاً لا توقطنُ الناتم؟ ﴾ . ينعت
نفسه بوالمتثبة العفويّن، أي هذا الذي بقي طيلة حياته يتصنّع رلا يفعل، ويقارن ممارسته بمعارسة الفدائين

اللاعبين بالورق الكاذب، بلا ورق في الأيلدي، أو بمرقص العرائس الذي يُنطق الأخيرة كلاماً من عنده. ومرازاً يوحي لنا بان الأشباء، شانها شان حياته بكاملها، تتلاشى أمامه بسرعة، كما تتلاشى البخرة أو عبيات المستباب على زجاج النافذة في نهار شتاب أو إذا كان، من جهة، يقرّ للأحلام بوزنها في الواقع، خبيبات العبباب عمية ثانية، بأن والرقع أكثر ابتكاراً من كوابيسي وذكرياتي، وأخيراً، فإن إحجامه الطويل عن وضع هذا الكتاب يؤكد بحث ذاته هذا التشكيك النبيل في حقه في الناريخ للورة كان هو الطويل عن وضع هذا الكتاب يؤكد بحث ذاته هذا التشكيك النبيل في حقه في الناريخ للورة كان هو منخرطاً فيها، كما يقول هو نفسه، تارة بعقله وطوراً بقلبه، لكن ليس بكامل كيانه، وذلك لا عن أنانية أو تساعده، لكن ليس بكامل كيانه، وذلك لا عن أنانية أو لا تكان تناصره أو تساعده، لكن الم يولد في غمار غارجاتها لا أن تكون فلسطينية، ولن تناصره أو تساعده، لكن لم يولد في غمار غارجاتها لم عدة من الم يولد في غمار غارجاتها لم عدة مناه الدسه.

سوء فهم آخر ينبغي تبديده. تساءل البعض عن بواعث هذه النبرة القائمة التي بها يوحي جونيه بأنَّ الثورة الفدائيَّة كانِت، حتَّى في عزَّ التماعها، تبين عن علامات على لهالها وتعبها وعلى كونها آيلة للزوال كمثل برق جميل خاطف. فكأن جونيه أسقط على الفدائيين إحساسه هو نفسه بقرب نهايته ودنو الموت. يكمن الرد على هذا من تواح عديدة. أولاً، كان الفدائيّون يمارسون بالفعل أمامه أفعالاً خاطفة، بالمعنى القويّ والفقال لمفردة والخطف، كان الفدائيّ يذهب تحت جنح الظلام لإلقاء قدابل أو زراعة ألغام في إسرائيل. رحلة قد يعود منها، فيكون كمن عاود الصعود من الجحيم، أو لا يعود. الفدائي نفسه كان مسكوناً بزواله وكان يعرف ذلك ويعيه ويطوعه بنضال نفسي ووجودي أقرب ما يكون إلى الكشف الصوفي. هكذا كان الفدائيون يمرقون أمام جونيه كالأطياف، «بوارق خاطفة في عالم غليظ الأناقة». وقانياً، وباكثر إيجابيّة أيضاً، فإنّ الفهود السود والفدائيين الفلسطينيّين كانوا أنموذجين أساسيّين لحركات ثوريّة بارقة بالضرورة وتستمد نجوعها من سرعة أفعالها. تنتصر، وتكون بلغت المرمي، أو تختفي (إذا كان يمكن القول حقاً باختفاء أنموذج الفدائي في أيّامنا ١)، نقول أو تختفي لكنَّ لا بدون أن تخلُّفُ أثراً وتكون حققت نصف انتصار: للفهود الستوديدين الستود الأمريكان بمنظوريتهم وصعودهم إلى الستطح في عالَم كان حتى وقت قريب يتسلَّى بإخفائهم عن النظر؛ وللفدائيِّين ندين بسماع العالَم مفردة وفلسطين، من جديد، وكان قبل عقود يجد عسراً في تذكّرها. وثالثاً، لاحظ جونيه ويساعدنا في أن نلاحظ كيف أنّ العالم كله، بما فيه بعض الأنظمة العربيّة، كانت تُضافر جهودها لتتسبّب باختفاء الفعل الفدائي. وأخيراً، وكما ذكِّر به فيليكس غواتاري، فإنَّ جونيه نفسه كان في بعض اللحظات يبحث عن تبرير تهذيبيٌّ لـ و (واليَّدَة الفدائيِّين وطبيعتهم البرقيَّة هذه ، كما عندما كتب : وإنَّ كونهم كذلك ، أي أطيافاً تظهر وتختفي ، ليهبهم هذه القوّة المُقبِعة لوجود هو أقوى من الأشياء التي تمكث صورتها ، لا تتبخر أبداً ؛ أو بالأحرى فإنّ وجود القدائيّين كان إلى هذا الحدّ قوياً بحيث يسمح لنفسه باختفاءات مباشرة، شبه مهذّبة حتى لا يُرهقني بحضور ملحاح. ۽

وجونيه مستعاداً» (قراءة غواتاري):

تحتّ عنوان وجونيه مستعادًا Genet retrouvé ، وضع للفكّر واغلّل النفسيّ اللونسيّ الرّاحل فيليكس غواتاري Félix Guattari حراسة في وأمير عاشق، ظهرت، فورّ صدور الكتاب، في ومجلّه الدراسات الفسطينية و (الطبعة الفرنسية، عدد أيلول/ سبتمبر ١٩٨٦ ، وأعيد نشر الدراسة في عدد خاص اصدرته الملاقة جونيه بالفلسطينيين، حمل المجلة في ابريل/ نيسان ١٩٩٧ ، وأعيد نشر در المواسق ١٩٩٧ ، ما المجلة في ابريل/ نيسان ١٩٩٧ ، المجان وفلسطينين، حمل عنوان وجان جونيه وفلسطين فلا المجان المجان النص من دون أن يهدو عليه المام نش الكاتب المترجم، انتحاء فقالاً يستحر فيه المترجم كامل طاقته لإيسال النص من دون أن يهدو عليه الدول فلا المقدير في النص من دون أن يهدو عليه الدول من المام نشا المقديم أمام تراسة غواتاري هذه ، مقتما الدول المقارية على الموسيخ خلاصة أجدها ضرورية، الموطى خلاصة أجدها ضرورية، الموطى خلاصة أجدها ضرورية، الموطى المناسق المتماسة عنها المقديم المام المناسق، وفي وأسير عاشق، كتب المام نسبة عن هذا الكتب المجلد الماكنو عمقاً المناسق، وفي ما تبين عنه من ناحية، وفي ما تبين عنه من حركيات بلاخية أو بوراءات أسلوبية من ناحية أمولية من ناحية أو في ما تبين عنه من حركيات بلاخية أو بوراءات أسلوبية من ناحية أم نوى ما تبين عنه من

باديء ذي بدء، يذكّر فيليكس غواتاري ببطلان ما توقعه سارتر أو قرّره من استقرار جونيه في الكتابة الأدبية وجلّه جميع صراعاته بتحويله نفسه إلى وشخصية خياليّة، أي الادعاء بأنّه عهد للأدب نهاليّا بنفسه، فكانّه استراح منها وذوب صراعاته في مادته الابداعيّة. إنّ انقطاع جونيه عن الكتابة، الروائيّة أماره المسرحيّة، طيلة عشرين عاماً، انقطاعاً لم يخرج منه إلا لكتابة وأسير عاشق الذي لم يمهله الموت لتصحيح بجرنيه وتوطنه في منزل وحياة يوميّة مطوّعة، يلقى تكذيبه في حقيقة أنّ جونيه قم يركن إلى منزل وعنوان ثابت البقة. والمرات القليلة التي يعلم فيها، في وأسير عاشق، بمنزل، نرى فيها إلى عنوال وعنوان تأتي على الغور لتطوّح بأركان ذلك الحقم، ففي أكثر من فقرة، يسرد حلمه بمنزل على البحر يواقب منه جزيرة قبرص وهي ترتسم في المبد، ويتفرّج منه على معركة بحريّة ندور أمامه: حلم مهند بالقلمور بواقب منه بدءًا وفي إحدى المبدئ بواقبه المنه ينها أن هناك في الرقعة التي يسطر عليها الفدائيّون، فيقول له المسؤول إن بقدور ومنظمة التحرير الفلسطينيّة ان نوازه، فيصبح يسبطر عليها الفدائون ، فيقول له المسؤول إن بقدور ومنطمة التحرير الفلسطينيّة ان نواز الرقعة التي يسيطر عليها الفدائون ، فيها ورسخاً على الفور ومنظمة التحرير الفلسطينيّة وان نوازه، فيصبح للمنول في نظر لهي المنور ومنها على الغرور . حتى نهاية حياته، بقي جونيه هو الرخال الفدادي المنادان

كما يذكّر غواتاري بأنّ جونيه لم ينقطع عن عالم عصياناته الأولى، بل بقي يخالط الجانحين والهامشين. وحتى مع ناشريه بقي يمالط الجانحين والهامشين. بهد وحتى مع ناشريه بقي يمال ضحمة مقابل كتب يعد بها وفي الغالب لا يكتبها ، متقدّماً لهم كلّ مرة بعناوين وهميّة . ويمكن أن نضيف إلى ما ذكره الفقيد غواتاري هذا القذكير بما مارسه جونيه ، صحبة نبيلة النشاشيبي والنكتور الفريدو والفدائي شيران ، من صطور ، يصفه في هذا الكتاب ، على محتويات مستشفى عواقي القمويل في والزرقاء واثر وابغضله مستودعات الأدوية في الخيمات والقواعد ، علاوةً على توزيعهم ما يقرب من أربعمالة غطاء ومئات علب السرّدين صادروها من مستودعا وصادروها من مستودع إحدى القواعد لصالح مجموعة من الفجر كانت ترود حول المكان .

يلفت غواتاري انتباهدا أيضاً إلى هذه القيقة الأساسيّة: أن جونيه لم يستطع أن يحقق ما يحققه، غالباً، الإنسان المدعر بوالطبيعيّة، من تكيف والمجتمع يتع في شهور الرضاعة وأولى سنوات البلوغ. لكنْ بدل أن يعيش جونيه عدم تكيفه هذا بصورة آثمة وتبكيتيّة، شاعراً بالعار كما يفعل كثيرون، حواله هو إلى شاكلة في الكينونة وغذي به شعريّة تمرّد واحتجاج. لم يتنازل جونيه عن أيّ من وانحرافاته، الطفوليّة المنشأ ولا عن أيّ من هواجسه المستحوذة ولم يسمع إلى تصحيح متخيّله، بوتقة أحلامه ودهذياناته، ودوساوسه، ليجبره على الانطباق والواقع. بل جعل من الواقع-و-المتخيّل بنية ديناميّة سمحت له، كما ستعود إليه، باكتشاف أنماط من الواقع آخرى، ومسارات للمتخيّل أخرى، أي ملاقاة ضروب للحسّاسيّة حددة.

في دراسته هذه ، يحلل غواتاري بلاغة جونيه أو شحريته في هذا الكتاب . وهو يعزل ثلاثة إجراءات قوليّة أو إنشائيّة تعمل مما في سائر فقرات الكتاب وقمتح كتابته ثلاثة مستويات أدائيّة أو ثلاث درجات من الحدة التعبيريّة تظلّ متكاملة ومتكافلة ، نوجزها كما يأتي وبالتعويل ، كما فعل غواتاري نفسه ، على أمثلة مشخصة من دأسير عاشق »:

المستوى الأزل هو مستوى العناصر الذرية أو التبلّرات القولية البسيطة modulaires. فيه يتعلّق الأمر بالمستوى الأزل هو مستوى العناصر الذرية أو التبلّرات القولية البسيطة modulaires فيه يتعلّق الأمر منها . هي، يبلغة غواتاري التي ساتيعها في كامل هذه الخلاصة ، إعادة بلّرة أزليّة للمعنى غازمة على إدراك العامل و المنها و إدراك منها . وبلا تفريق . تاوة غير كز العمل على الدال وحده ، وتاوة على المدال ، توسلا لكتبلة لفوية و المستوية هيء منها أنه مكتفية بلداتها . يمسك ، مثلاً ، بالجلر الثلاثي الذي تصدر عنه مفردة وفتح و العربية في معاولة للغرية ، مئه المستوية في ومنظمة التحرير الفلسطين بهدة لله ترتيبها (الفاء من والمسطين و التاء من وعري و والحاء من وعركة الأساسية في ومنظمة للسطين بهدة لله ترتيبها (الفاء من والسطين) و التاء من وعري و إطاء من وعركة إلى العربي الإسلامي ومن تصدر المستوية المنها عن المربية الإستوية ، يحدد جونيه الأقانيم الدلالة الرية (الفتح بعض الغزو المندرة) وإمرومية (الفتح أو الافتضاض) ودينية (هو فتح أو نصر مشتيء من المالك ، هكذا لتصافر الإهوبي ولا عني على المنافئة التي طاطا غني بها جونيه في كل غرد وكل أو المساورية والمنافق على هذه الكفات عن الأورية والفت عن المنودات يقرئه غواتاري من المنافق متعالما على هذه الفتة من المفردات يقرئه غواتاري من المتعال فرويد على عناصر الحليد والمؤرق أو الطبال المعل على هذه الفتة من المفردات يقرئه غواتاري من المتعال فرويد على عناصر الحليد والمؤرف أو كلمات التحاية .

مثال آخر: الظلّ الذي يرى هو إليه وهو برافق دالماً الفدائي، خصوصاً الفدائي المنطلق في رحلة ليليّة لوضع الألغام في إسرائيل عبر غور الأردن قد لا يمود منها. ظلّ يرتسم في شكل حفيرة أو قبر يرافقه ويشكّل علامة على فرادته وضمائة لوضوح بصيرته الكامل أمام الموت، أو مضودة الترحيب البابائيّة وسابوناراه رفلطة ومايونياه عنها في مشافرة في طائرة كانت تحمل جونيه إلى طوكيو، فيُحسن، بجرته سماع هذه المفردة في وقعها الغويب، يكامل الأخلاقية اليهودية—المسيحيّة التي يقول إنّه أطبق علها طيلة أكثر من أربعين سنة حصاراً مهيناً، يُحسن بها وهي تنقشع، كائما من على جلده، دفعة واحدة، ددودة أكثر من أربعين سنة حصاراً مهيناً، يُحسن بها وهي تنقشع، كائما من على جلده، ذفعة واحدة، ددودة الكتاب. ويري غواتاري، بالرجوع إلى لغة أعماله المتابقة التي أجراها مع الفيلسوف جيل دولوز Eleis الكتاب. ويرى غواتاري، بالرجوع إلى لغة أعماله المتابقة التي أجراها مع الفيلسوف جيل دولوز Eleis الكتاب. ويرى في هذه الصور و للماينات وليموتيفات وترانيم وعناص مُخصمة تنواتر في العمل و قنعته لعنياً وضعة. أي كما يعدل لدى مارسيل بروست Eleuze، مرى الأجونيه لا يظلّ تحديدة المقادة المتياقة التي أعاط المالذاكرة، بل لا يفتا المتياق ينفتح لديه على أغاط المواقع مختلفة وجديدة.

المستوى الثاني يدفع إلى العمل كتلاً جُزيئيّة moléculaires تحتمل درجة من التعقيد أكبر من سابقتها. يعمل الكاتب هنا على اقتناص صور شاثقة أو عجيبة تعمل متضافرة وليس بصورة أحادية كما في المستوى الأول. إنه يجهد في مزاوجة أصوات متنافرة أو متغايرة سعياً إلى توسيع حقل الامكان والافتراض وإتاحة انبثاق عوالم جديدة وكيفيّات قول جديدة . هو إنتاجٌ لواقع آخر متعالق (داخل في علاقة) مع أغاط للواقع و نماذج للذاتية أخرى. أي ما يدعوه الناقد ومنظر الشعرية الرّوسيّ ميخائيل باختين Mikhaïl Bakhtine بالحم ارية dialogisme و تعاند الأصوات أو البوليفونيةpolyphonie . مىلسلة أمثلة مترابطة: يتحدّث جونيه في مواقع عديدة من كتابه عن لعبة الورق الكاذب (الورق بلا ورق) التي يمارسها أمامه الفدائيّون في المساء على سبيل الترويح، لأنّ أحد المسؤولين منعهم من اللعب بالورق الفعليّ. لعب زائف أو متشبّه باللَّمب، يعدّه جونيه نوعاً من والاستمناء النّاشف، ويرى فيه خطر الاقتياد إلى الشيز وفرينيّة. هذا يحيل جونيه، أو يحيله جونيه، إلى عيد «الأوبون» الياباني الذي يقلِّد فيه الأحياء حركات الموتى وإيماءاتهم، مانحين الموتى، عبر التشابيه، فرصة الجيء ثانيةً إلى عالم الأحياء ثلاثة أيّام في السّنة. هذا بدوره يحيله إلى الرّقص الذي يمارسه مدرّب الفدائيين السّودانيّ الملازم مبارك فيما يعزف شخص آخر كان معه على قيشار ... وهميّ. 12 يحيل أيضاً إلى التفكير بمبِّئيّة تدريب الأشبال (الفدائيّين صغار السنّ) على حمل السّلاح، لِالهم يمكن في نظره أن يتعلُّموا كلُّ شيء خلا تطويع غير المتوقع الذي يمكن أن ينبثق من مجابهة عدوٍّ مترتص ومدخج باصلحة تدمير شامل. ثما يحيل أخيراً إلى تفكير طويل حول عمل مرقص النمي أو العرائس الذي يجعل الأخيرة تتكلّم بصوت هو في الواقع صوته، صوت طالع من بطنه. والكلّ يقود إلى تفكير بالكتابة بعامة والتساؤل عما إذا لم تكن عَقل ضرباً من والخداع البصري، أو التمويه ، وإلى استنطاق يمارسه جونيه على كتابته نفسها ، التي تبدو له شبيهة بعمل موقص العرائس، يُنطق فيها أشخاصاً ، بعضهم صاروا في عداد المقتولين، بكلام هو كلامهم ولكنُّ بعدما مرّ عليه أسلوب جونيه نفسه. هكذا تتداعي مخيّلة الكاتب، وتخترق قواصل الفضاءات والأزمنة والأنواع، فيحبل نصّه بدلالات متلاحقة ومتلاقحة نكون معها بعيدين عن ذاتيَّة الكاتب، أيِّ كاتب، المعنودة بالطِّرورة، وعن خطر الانحباس في إسقاطات حلمه الخاص.

أحياناً، يتكنف هذا المستوى في شخصية بذاتها. شخصية مبارك مثلاً، المدرب السوداني الذكور الذي يجرّ جوليه من عالم الفدائين إلى عوالم السّود، صود أفريقها وكلّ ما عانوه تحت الاستعمار الفرنسيّ وما لا يورّ الون يميشونه من انتشار متضافر شخلف السّود، صود أفريقها وكلّ ما عانوه تحت الاستعمار الفرنسيّ وما لا يورّ الون يميشونه من انتشار والمتعافر اليق فسطو جداب ونشاط والفهود السّودة و ما عملوا على مجابهة أمريكا البيضاء به من بالاغة أستغفر إليّة ومظهر جداب ووقع في آن مماً، فالملكنة البارسيّة القديمة، لكنه المدينة المعرف موريس شوفالييه من فلله المستفرة والمقابلة ومظهر جداب التي كان بعدان تحصينات الفدائيين ويتوجه لهم بالتقادات الافدائيين ويتوجه لهم بالتقادات الافدائيين ويتوجه لهم بالتقادات الافدائيين ويتوجه لهناه منافرة على المتحادة المعرف على المتحادة المعرفة على المتحادة المعرفة على المتحادة المعرفة على المتحادة المعرفة على المتحادة المعرفة المعرفة المعرفة على الانشراخ والانسارة والانسراخ في يوريه والإن لفسه يويناه جونيه متعرضاً لمثل المذا الانشراخ في لوحة طبهميّة إذ يواه ذات يوماً مشطوراً إلى نصفين، واحد معتم والآخر مضيء، لأله كان يسبر تحت

الشّمس الغاوبة. إنشطار يرى فيه جونيه كناية عن انشطار العالَم بأسره : وفوجئت برؤية العالَم منشطراً إلى نصفين ... ، وهذا ما يستدعى المرور إلى مستوى بلاغيّ أو شعريّ أو تركيبيّ آخر .

في المستوى الثالث ، الأكثر اكتمالاً والأقوى أثراً ، نرى إلى انتشار معالجات إجرائية أو سياقية ، أي خالقة لسياقات ، ينحتها غواتاري ، بلغة مستعارة من القاموس الطبيّ ، بالتماسية synaptiques (من قاس خالقة لسياقات ، ينحتها غراقات ، لهذا المستوى المناقب وجودية في آن معاً . كان الكاتب ، في المستوين الستاية بن أو عامة المستوين السابقين ، إمّا مناقلاً سلبياً للصور النادرة والذالة ، أو مجرّقاً للصرّو الثانية والأموات ، يجعلها تتجاور وتتحاور . الآن ، تكون شاكلة القول نفسها مستهنفة من قبله ، والأمر يتعلق لديه بعمل منظمّ على إنتاج ذاتية متحولة.

 الفلسطينيين) وعلى أحداث العالم (كانت إطلاقات المدافع الرشاشة تُسمَع في الجوار). هذه المُفصلَة التماسيّة تجمع جونيه، من جهة، بحمزة وأمّه، ومن جهة ثانية، بالمذراء وابنها الصلوب. ومهما يكن من غواية التفسير الأوديبيّ لهذه العلاقة (جونيه إبناً آخر لأمّ حمزة)، فلهذه الصّورة مفعول إجراثيّ يتجاوز الانبعاثات الدّلاليّة البسيطة ليحقق أثراً فعليّاً وعدّ بنوع من فائض الوجود (كما نقول فائض قيسة). العلاقات هنا أقلَّ فرديَّة وأقلَّ ماهويَّة وأقلَّ شخصانيَّة من ذي قبل، ولعلَّ هذا الإحساس بولادة ثانية هو ما مكّن جو نيه من أن يكتب: وإنني لأزداد كلّ يوم اعتقاداً بأثني أعيش لأكون، بين آخرين، الذعامة والبرهان على أنَّ الانفعالات غير النقطعة التي تجتاز الخليقة هي وحدها التي تحيا. ستعرف يد أخرى سعادة يدي إذَّ تداعب شعر صبيّ، بل هي تعرفها من قبل، وإذا ما متّ فإنّ هذه السّعادة ستدوم. أقدر وأناء أن أموت، وإنّ ما جعل وأناء هذه مُكنة ، وكذلك سعادة الكينونة ، سَيُديم سعادة الكينونة يدوني . ، ويرينا غواتاري كيف أنَّ اكتشاف كون حمزة ما يزال حيًّا يرزق في ألمانيا، مع زوجة وابن له، ومحادثة جونيه له بالهاتف، و اكتشافه أنْ لأمُ الفدائيّ أبناء آخرين هم أشقاء حمزة، لم يُبطل صفة التكريس هذه التي اكتسبتها العلاقة. ذلك أنَّ نجاعة هذا الزَّوج، حمزة وأمَّه، لم تعد تتمثَّل في نوابضه المرئيَّة أو إحداثيَّاته وارتباطاته المباشرة، بقدرما تحيل إلى دماكنة أو تركيبة تجريدية ، تجمع ، بصورة بالغة التجديد ، عوالم المتعة والشعر والحرية والموث القادم. لقد ولد جونيه آخر . لا يهمّ أنْ يكون هذا حدث في منتهى العمر ومع دنو الموت الزّاحف، بل المهمّ والأساسيّ هو أنّ شرخاً قد التأم وتمزّقاً قد انتفى. هو إعصار كاشف وعاصف يعدّل حتى العلاقة بالماضي والحاضر والمستقبل، وعلاقة الماضي والحاضر والمستقبل بعضهم بالبعض الآخر، بصورة تسمح لجونيه بأن يكتب أنَّ الثورة الفلسطينيَّة صارتْ تبدو له وهي تشكِّل جزءاً لا يتجزَّأ من وأقدم ذكرياته، في هذا كلَّه يصّحح جونيه الذّات بالواقع ويفكّك الواقع انطلاقاً من أحلامه الشخصيّة (والأحلام واقع هي أيضاً ، يصرّ حجو نيه للصحفيّ الألمانيّ رو ديغر قيشنبارت Ridiger Wischenbart ، في حوار تُشرتُ ترجمته الفرنسيّة في العدد الخاصّ المذكور من ومجلّة النّراسات الفلسطينيّة، ويذكره غواتاري أيضاً). كان جونيه يعي تماماً تأثير الفلسطينين عليه، فما هذه يعلاقة تضامن بسيط بل مناسبة لتفاعل حيوي قد يمكن القول إله عصف بكيانه كله. وهو يصرّح بأنه أحبّ الفهود السّود والفلسطينيّن، بالرّغم من كلُّ انتقاداته لبلاغة أولئك ولبعض ممارسات هؤلاء، أحبُّهم بباعث من ونضالاتهم المتافيزيقيّة، أي المتمتّعة بقرّة ميتافيزيقا تضع تحت طائلة السّرّال سلماً للقيّم بأكمله بل العالم بُاسره. وهو نفسه، وكما يذكّر به غواتاري، يجمع في الصَّفحات الأخيرة من هذا الكتاب بين هذه النَّضالات المتافيزيقيّة ووتسكمات عُمره كلُّه؛. ومن ناحية أخرى، فهو يمي توقره هو نفسه على استعداد بدئيّ لملاقاة الفهود السّود والفلسطينيّين. هكذا صرّح لروديفر ڤيشنبارت الذي جاء يسأله عمّا حدا به إلى كتابة نصّه المعروف عن مجزرة صبرا وشاتيلا: ﴿وإِنَّمَا بِفَصْلِ التَّاهِبِيَّة التي كانت لي، والتي أحللتُ نفسي فيها وأحلَّتني فيها الحياة لوضع كتب قبل ثلاثين سنة، استطعتُ أنَّ أكتبَ في العام الماضي النصِّ الموجز الذِّي تتكلُّم عنه...، (الحوار المذكور). ولا يفصل جونيه بين الفير والواقع، بل يتعلَّق الأمر لديه على كلا الصعيدين، الإبداع الفنيَّ والإبتكار الثوريّ، بخلق جماليّة جديدة ورؤية للواقع مختلفة، بل تحويليّة. هكذا لا يتودّد عن التّصويح: وأخشى أنْ أكون مفرط الأدبيّة، لكنّ الفلسطينيّين صار لهم وزن لوحات سيزان، (الحوار المذكور، يذكره غواتاري أيضاً). في هذا كله، يرتفع جونيه، في نظر غواتاري، إلى مكتشف لأنماط من الواقع جديدة وأشكال للحسّاسيّة جديدة بها يقف إلى جانب كافكا وآرتو وبازوليني.

وعليه، وكما نامل أن تكون هذه الخلاصة لقراءة غواتاري قد أباتت عنه، فنحن هنا أمام كتاب بوليفوني، أو كتاب جامع. كتاب وملموم، خصوصاً على نفسه، بالرّغم من حركته والاجتياحيّة والذّاهبة في كلُّ أجاه. نقف هنا بإزاء مسرح أو كُون محادد الأبعاد بدقة: مخيِّمات اللاَّجدين الفلسطينيِّين وقواعد فداتيِّيهم من جهة ، والمدن الأردنيَّة ، بما فيها مدن الصَّفيح ، وحارات عمَّان المسورة من جهة أخرى . وفي البعيد فلسطين والمدّولة العبريّة. وأبعد منهما العالم الذي يسمح الكاتب لنفسه ولنا بطلعات إليه متوالية. (وعلى ذكر القراءات العجلي، فينبغي ألا يخلط أحد ترتيب هذه الأبعاد، كما فعل ناقد بيروتي تكلُّم عمَّا يدعوه وصف جونيه لماخور في مدينة صفيح فلسطينيّة!، مع أنّ جونيه يؤكّد في غير موقع أنّه لم يرّ مواخير فلسطينية لا في الأردن ولا في لبنان. عبر هذا كله ، يسر دجونيه ، في نوع من المساهمة المتضامنة والانخراط الفغال، طقوس الحياة اليوميّة للفدائيّين، وعلاقتهم الوجوديّة بالموت ورحلة الألغام وتصوّرهم للصداقة في ظلَّ الخطر، وتفنَّنهم في تحقيق نوع من الدّعابة والضحك في أقصى لحظاتهم حرجاً وعدم تيقن. يستنطق خصوصيّة الفلسطينيّن ويزجّهم في كليّة التمرّد العالميّ. يفكّك منطق الغرب وإسرائيل وبغض الأنظمة العربيّة، ويضع الإصبع على تناقضات القيادة الغدائيّة ويتظلّم لشيوع نوع من البيروقراطيّة والقسوة والممارسات الارتجاليّة. يقدّم بورتريهات أو صوراً شخصيّة شديدة الإيحاء للعشرات من الشخصيّات، ويدرس تاريخ المنطقة من حيث أثره على المأساة الفلسطينيّة. يصف مصير الفلسطينيّين وه عزلتهم الرّائعة ٤٠ ويرتد صعُداً إلى فصول حياته الشخصيّة. يقدّم تحليلاً بالغ النفاذ والسّخرية لجسارة الإسرائيليّين وكلبيّتهم على ما يقرّ به لهم من مهارة فنيّة، فرّح الطيّار مشلاً بعد إلقائه بيوضه (قنابله) على بيروت و ما يبدو متقجعاً عليه من وكآبة القنابل المطمورة في العنابر والتي لن تُستخدم أبداً ٤. يقيم شعريّة للفضاء، ويرسم بسيكولوجيّة أعماق، ويجترح أركيولوجيّة أو أثريّة للعديد من القناعات والتصورات والمارسات. يفجّر دعابة قوية ويُقيم، بلا فجالعية نافلة، ركائز عالم تراجيديّ. كتاب متعند، أي بالتالي فريد.

کاظم جهاد باریس

أقواس

إستثمار اليومب في ننتعر صلاح عبد الصبور

يقتر ب شعر صلاح عبد المبيور ، منذ مجموعاته الشعريّة الأولى : دالنّاس في بلادي، و واقول لكم، و واحلام القارس القدم ء ، تا يسمّه النّقد العربي في اللحظة الراهنة بدوالقصيدة اليوميّة ، أي تلك القصيدة التي تُعنى باليومي والبسيط والعادي ، فتجعله مدار بحثها الشعري لتقرم بتصعيده والعثور فيه على ما هو شعري ولافت و مثير للدهشة .

ومع أن عبد الصّبور يعد واحداً من رواد القصيدة العربية اخليقة الذين جندوا دم الشعر العربي من خلال إستثمار عدد وافر من العناصر، ومن ضمتها إستخدام الأصطورة والأسطوري واستثمار القناع لقول إستجاوزه، فإله، على خلاف السيّاب والبياتي وأدونيس، أدخل الشعر العربي خلال خمسينات القرن الماني عالم القصيدة الخفيضة الصوت، التي تستثمر المفردات البسيطة والأحداث اليوميّة، وكل ما ينتسب الماني والمالون والمؤلّف والمؤقّت والزائل، وكما يقول أدونيس في مقالة كتبها عن صلاح عبد العنبور، بعد ولمانه، فإنا عبد العنبور ومن سلالة شعرية، وتؤرّ والمؤسّخ على الصواح»، كما أن لغنه وتلتمي بعملدة والمؤاّة، وكل ما ينتسب عبد الصبور ومن سلالة شعرية، وتؤرّ ويواصل أدونيس في موضع آخر من مقالته، منتقداً شعر عبد المسارة ومن المؤلّف أنه المانية، المألثة، منتقداً شعر وجوهره، قائلاً إنّ والعابر، اليومي، التضميلي، عبد الصبور ومنظهراً ما يبنها من اختلاف في فهم الشعر وجوهره، قائلاً إنّ والعابر، اليومي التضميلي، المانية من أغاط التعبير في الشعر العربي، وأن نسمية، مؤقّتاً، بدشمر الأشياء، الحميدة أو المؤمّدي وابن محرة وابن المحري أي العابر والشائح في تراث شعرنا العربي، لا ينفي ريادة عبد المصبور لهذا المعابي أن العبير الشعري في المكتابة العربية في خصيات القرن الماني، لا ينفي ريادة عبد المصبور لهذا المعابي أن الماني، لا تأهمية عبد المصبور لهذا المعابي أن المعبير المعابر على المعبور المقاب الشعري لأن العمية عبد الصبور فيذا السابق تعمّل في كونه بشق المعابي، وفي قدرة مبكرة نسبياً، طريقاً جديدة صوف يسلكها في ميانات القرن الماني مديراً ظهره للنبرة العالية التي مادت في الخفسينات والستينات وجزء من

يمكن أن نعثر على الرؤية النظرية لعبد الصبور، فيما يتعلق بقصيدة التفاصيل أو قصيدة اليومي والعابر،

كما تُسمى في نقدنا الراهن، في مواضع عديدة من كتاباته النفرية وتأملاته حول الشعر العربي، وكذلك حول تجربته الشعرية. فهو يفصل الحديث في كتابه وحياتي في الشعره عن إكتشافه لـت. س. إليوت في مطلع شبابه، منوِّها أنَّ ما استوقفه في شعر إليوت هو جسارته اللغوية، لا الأفكار المبثوثة في شعره. يقول عبد الصبور وكنا نحن - ناشئة الشعراء - نحرص على أن تكون لغتنا منتقاة منضدة، تخلو من أيّ كلمة فيها شبهة العامية أو الإستعمال الدارج. كنّا قد خرجنا من عباءة المدرسة الرومانتيكية العربية، بمع سيقاها الرقيقة، وقام سها اللغوي المنتقى، الذي تتناثر فيه الألفاظ ذات الدلالات الجنحة، والإيقاع الناعم. وكنّا قبل ذلك كله أسرى للتقليد الشعرى العربي الذي يؤثر أن تكون للشّعر لفته الخاصة، المجاوزة للغة الحياة، والبعيدة عنها في بعض الأحيان، (؟). ثم يعرض عبد الصبور القطع الخاص بالفتاة الطابعة في قصيدة والأرض الخراب؛ لإليوت التي يقول إلها تستخدم من الألفاظ الدارجة والعامية واليومية ما لم يعتد الشاعر العربي، في حينه، استخدامه في الشعر . ويشدّد في تعليقه على ذلك القطع من قصيدة إليوت أن الألفاظ التي يستخدمها الشاعر الإنجليزي، على رغم عاميتها وشيوعها وانتسابها إلى اليومي، هي الألفاظ الوحيدة القادرة على ونقل الصورة التي هَدف إليها الشاعر ، (3). ومن هنا ، فإنْ عبد الصبور يؤمن أنْ والشعر لا قاموس له، وأن الشعر في العالم كله قد تجاوز منطقة القاموس الشعري منذ أمد ليس بقريب، (*) وهو يضرب أمثلة من شعره الذي تحرّر من اللغة الشعرية التقليدية وضغط القاموس الشعري المُنتقى، الذي ينتسب إلى الرومانتيكية، كما في قصائده وشنق زهران، ووالحزن؛ التي أثارت الكثير من التندّر والسخرية على مشهد وشرب الشايء ووالنعل المرتوقء (١٠).

يرى عبد الصبور في تأمله للمسألة اللغوية في الشعر العربي المعاصر أنّ اللغة الشعرية تعققت وعن إستعمال أي لفظ جرى استعماله في الحياة العادية رغم عربيته الأولى، إيشاراً للزينة والصدق، وظناً أنّ اللغظ يفقد جماله حين تنداوله الألسن، وهو يعتقد أنّ ذلك وكان إنعكاساً لملامح التقليدية والتكلف التي اكتسبها شعرنا العربي خلال قرونه الأخيرة، (٧٠ كما أنّه ينتقل للعديث عن الدارج من الكلام قائلاً إننا وعلى حقّ عين نلتقط الكلمة من أقواه السابلة ما دمنا نستطيع أن ندخل بها في سياق شعري، هذا مع علمنا أنّ محك جودة السياق الشعري هو قدرته على التعبير وجلاء الصورة و ٥٠٪ ويقترب عبد المسور، في كلامه عن موجودات غرفته وأسماء الأشياء التي يمكن استعمالها في الكتابة الشعرية عن الحياة اليومية الني يحياها المرء، كثيراً كا نعنيه الآن بـ وقصية النفاصيل، :

وأنا أكتفي بيأن أحدثق في مكتبي ، وفي الرخ الذي أمامي ، لأحدثك عن علية السجائر والقدّاحة أو الولاعة ، والصررة (الفوتوغرافية) وإطار الصورة ، والمطفأة ، والمزهرية والمروحة والقاموس ونوتة التلفونات وعلية الأقراص المبهة والمهدثة وغثال فينوس وعشرات من تفاصيل هذه الأشياء : (*) .

يقوم عبد الصبور في مقالة كتبها عن وشاعريّة المقاده بتوسيع المُهوم السابق، مركّزاً الضوء على هذا الإنجاه في الشه الإنجاه في الشعر العربي، قائلاً: وإن العقاد في ديوانه وعابر سبيل و كان يريد تحريل موضوعات الحياة النثرية إلى شعر، متأثّراً في ذلك بنغمة عرفها الشعر الأوروبي، وبخاصة الإنجليزي في أربعينات القرن الماضيء (١٠٠، ويعلق على رغبة العقاد تلك بأنَّ : دالشعر ليس مقصوراً على غرض دون غرض، ولكنه شائع في كل أمور الحياة، فالسياق هو الذي يخلق الشعر، لا اللفظة أو الموضوع (١٠٠، وحين يضرب مثال قصيدة المقاد وعسكري المروره يقول: وإنّ الشاعر يربد أن يخلع الشاعرية على فتات الحياة الشرية، (11) وهي عهارة بالفتر و عهارة بالفة الدلالة وشديدة الأهمية، تسلّط ضوءاً ساطعاً على شعر عبد الصبور نفسه، كما تفتح، على الصعيد النظري على الأقل، الأفل أمام القصيدة العربية لاستثمار التفاصيل ونشر الحياة اليومية في كتابة شعر تختلف عن السائد في حينه.

سنعرض الآن بعض شعر عبد الصبور على هذه المقدمات النظرية لدرى إلى أيّ حاة استطاع الشاعر أن يطوّر هذا الإنجاه في الكتابة الشعرية العربية .

في قصيدته وشنق زهران، يستخدم صلاح عبد الصهور الكلام السائر بين الناس في القرية (العبارات العامية المنداولة في صورتها القصيحة، وموجودات القرية وعناصرها) والصور الغالة على البيئة الريفية، وما يدو تفصيلياً جزئياً في حياة شاب قروي ذاكراً الوشم على صدخ زهران وزنده:

> کان زهران غلاماً اقد به سمراء والاب مولد وبعینیه وسامة وعلی المبدغ حمامة وعلی الزّند أبو زید سالامة (۲۳)

وفي موضع آخر من القصيدة يصف الشاعو ظهور زهران في السوق بعبارات تلوح فيها البساطة واستعادة المتداول واليومي :

> مرّ زهران بظهر السوق يوماً واشترى شالاً منمنم ومشى يختال عجباً ، مثل تركي معمم ويجيل الطرف . . . ما أحلى الشباب (¹¹⁾

يساعد قصيدة وشنق زهران و في تنمية لغة التفاصيل، كونها تستند إلى سرد حكايتها المركزية ، مستخدمة تقنية الفلاش باك ، وأسلوب التقطيع السينمائي ، وجعل مشهد الشنق يفتح القصيدة ويختنمها . لكن الملافت في القصيدة لا يتمثّل في استخدام السرد وسياقاته ، بل في تطعيم بنيتها بالبومي السائر في حياة أهل القرية ، وفي تفصيح العاميّ ، وما يبدو مبتدلاً مهملاً لا تلحظه العين. إنّ عبد العمبور ينزل بالشعر العربي، في مرحلة مبكرة من ثورة الشعر العربي اخديث ، من عليائه ويدخل إلى القاموس الشعري . الفاظاً و تعبيرات كان المدوق السائد ينكر شعريّتها وينسبها إلى عالم النثر والحياة الميوميّة للعامّة . لكن الشاعر بقتنص هذه العبارات وغير الشعرية وليصنع منها قعيدة تحكي عن البطولي والوطني بلغة أقرب ما
تكون إلى لفة البسطاء غير المتقفين الذين ينتمي إليهم زهران . وبهذا المعنى تبدأ لفة الشعر ، التي أرهقها
الكلام المكرور والصور المستمادة من القاموس الشعري الموروث ، في التحرّر من النمطي والميت والمهجور
وغير الميش لتعبد الإتصال بالتقصيلي والحي وتعمل على دخلع الشاعرية، على دفتات الحياة النثرية ، وعدر الميش المتعربة على دفتات الحياة النثرية ، وعدلها في سياق التعبير الشعري ، في قصيدة
والمناس في بلادي، حيث اللغة أقرب إلى الركاكة ، في صيفها النحوية والتركيبيّة ، لأن الشاعر يربد أن
يكون ناقلاً محايداً خكاية الموت والحياة . إن اللغة في القصيدة هي أقرب ما تكون إلى مستوى اللغة
الإخبارية ، التي تصف وتلخص وتستعيد المشهد وتنقل ما يدور بين الناس العادين من كلام :

وعند باب قريتي يجلس صتيء مصطفى و وهو يحضي المصطفى وهو يقضي ساعة بين الاصيل والمساء وحوله الرجال واجحور يحكي لهم محكاية ... تجرية الحياة حكاية تثير في النفوس لوعة العدم تجمل الرجال ينشجون ويطرفون

يرغب صلاح عبد الصبور، كما هو واضح في قصيدتي دشنق زهران، ودالناس في بلادي، أن يقترب من تفاصيل الحياة البومية للناس، وإضفاء الشعرية على هذه الحياة التي لا يلتفت إليها الشعر، ويعدها موضوعاً غير شعري ويلحقه بعالم النشر. وفي صبيل تحقيق هذه الإصتراتيجية يعقن الشاعر قصيدته بما يتفرّه به الناس، وما يجري على ألستهم من أمثال وتعبيرات ضعينة وكلام مكرور وصستماد وصفات تمثيلة، ويلجأ إلى التعبير المباشر، بحيث تعلو القعيدة من المعرر والإستعارات، ويكتفي الشاعر بالتشبيه تمثيلة أو اضطر إلى لفة التصوير والتعبير الشعري المألوف، إن عبد الصور يفعل ذلك واعباً بغاياته لتقليل منسوب الشعرية، بمناها المتداول والشائع في صياق تطور الشعر العربي في خمسيات القرن للناضي، والوصول بالقصيدة إلى لفة اليومي والدارج والعادي والتفصيلي والتثري والركيك، الذي يتنكب المباشؤ ويعزف عن الفصاحة ويستعين بالتعبير التقريري المباشر عن تراجيديا الحياة اليومية للناس في بالادة:

> الناس في بلادي جارحون كالصقور غناؤهم كرجفة الشتاء في دُوَّابة المطر

وضحكهم يئز كاللهيب في الحطب خفاهمو تريد أن تسوخ في التراب ويقتلون، يسرقون، يشربون، يجشاون لكنهم بشر وطيبون حين يملكون قبضتي نقود ومؤمنون بالقدر (۱۲)

يبلغ عبد الصبور ذروة مشروعه في حقن قصيدته بلغة الحياة اليوميّة في قصيدته والحزنء، التي أثارت الكثير من اللغط في النقد العربي المعاصر واستخدمت دليل اتهام ضد القصيدة العربية الحديثة، وسخر منها بوصفها تمثّل إنحدار الشعريّة العربية. لكن هذه القصيدة تمثّل، من وجهة نظري، واحدة من أفضل قصائد عبد الصبور التي تجدل ببراعة التعبير عن السعى اليومي للبشر ، يكل ما يصادفهم من مصاعب وما يعركهم من رغائب، والرسالة التي تعمل القصيدة على صياغتها في النهاية. إنَّ السطور الأولى من القصيدة تبدو صادمة للذائفة الشعرية السائدة، لا في خمسينات القرن الماضي فقط، بل في اللحظة الراهنة كذلك. لكن غاية الشاعر الجسور، الراغب في تغيير الذائقة وفتح مبل جديدة للكتابة الشعرية، هي توجيه ضربات متراصلة للوعى الشعري المتبلِّد، الذي أصبح التكرار ديدنه والنقل طريقته في الكتابة. وبغض النظر عن تهمة الركاكة، وتنكب صيغ البلاغة والشعرية السائدتين، فإنَّ كتابة عبد الصبور في تلك الفترة تحقد لوعي شعري مختلف بتأثير الإصطدام بالحياة اليوميّة ، وقراءات عبد الصبور وجيله في آداب الأمم الغربية واطَّلاعهم على إنهدام الفاصل بين ما هو شعري ونثري في أشعار تلك الأغ. وكما يلحظ عبد الصبور استخدام إليوت مفردات الحياة اليوميّة وتعبيرات الرجل والمرأة العاديّين في شعره، فإنّه يتجزأ في قصيدة والحزنه، وغيرها من قصائد ديوانه والداس في بلادي، على النزول بلغة الشعر العربي إلى الشارع، إلى ما يتُصل بالعيش اليومي والحاجات الإنسانيّة الأرضيّة الأساسيّة. وهو بهذا المعنى يخلع على الشّعر طابعاً أرضياً، ويدنّس الشعر بما كان يظنّ أنه ليس من وأصله و: فالشّعر صماويّ النشأة، معنى بما يتسامى من حاجات الإنسان الروحية، تعذب قائله طبيعته الأرضية التي يحاول التخلُّص منها عبر الكتابة الشعرية [لا تقتصر الرؤية السابقة على الشعراء الرومانسيين، من الجيل الذي مبق عبد الصبور، بل إنها تبدو أكثر وضوحاً وحدة في الوعي النظري، وفي الممارسة الشعرية كذلك، لشعراء مجايلين له. لكن تصورات عبد الصبور النظرية عن دور الشعر ووظيفته، التي تكلمنا عليها سابقاً، تتحقق في أرض قصيدته بدرجة أو أخرى، خصوصاً في مجموعاته الشعرية الأولى التي تحتفل باليومي والعادي، وتنزع إلى تقليل منسوب الشعريّة، بمعناها السائد، وخفوت البلاغة وتغليب الركيك على الفصيح في الكتابة الشعرية. وتُمثّل قصيدة والحزن، هذا التوجه في الكتابة الشعرية تمثيلاً صارخاً وصادماً بالفعل بحديثها عن وشرب الشاي في الطريق» ودرتق النعل» :

يا صاحبي؛ إني حزين

طلع الصباح فما ابتسمت، ولم ينر وجهي العساح وخرجتُ من جوف المدينة اطلب الرزق المتاح وغمستُ في ماء القناعة خيز آيامي الكفاف ورجمت بمد الظهر في حيبي قروش فشريتُ شاياً في الطريق ورقت نعلي ولمت بالذرد الموزع بين كفي والمساديق ولمبت بالذرد الموزع بين كفي والمساديق قل ساعة أو ساعة أو ساعة أو ساعة أو صاعرةن

من الراضح أن عبد الصبور كان يسمى في قصائده الأولى إلى التوصل إلى أسلوب يتنكب من خلاله
الدوب المطروقة للآخرين. وقد وجد ضائته، كما رأينا، في النزول بشعره إلى الأرض وتطعيم لفته الشعرية
بالمهردات والأفاط المأخرذة من أقواه الناس، وجعل الإنسان العادي بطل عالمه الشعري. لكن الإيغال في
استخدام هذه الألفاظ والمفردات، الذي يلغ فروته في قصيدة داخرت، د لم يتواصل في تجربة عبد الصبور
المتعربة. وإذا كانت قصائد الشاعر جميعها لا تخلو من هذا العبوت اخافت، الذي يهما البطولي لصالح
المادي والهاملمي، فإن عبد الصبور يقيم توازناً في مجموعاته الشعرية التالية بين القاموس الجديد الذي
اخطة إلى تملكة النعو، بكل ما فيه من عامي اللفظ رشائعه وأصماء الأشهاء التي كنانت مطرودة من
قاموس الشعر، وبلاقة التمبير الشعري والمصرو والإستحازات الحلقة التي يحفل بها شعره. ويمكن أن
نضرب لذلك مثالاً قصيدة دموت فلاح؛ من مجموعته الشعرية وأقول لكم، التي تحاول إقامة هذا التوازن
المسعب بين لفة اليومي ولخة الخيال الجنح، التي تعمل على تصعيد حادثة موت الفلاح، وتسمى إلى
التميهمة بين لفة اليوم ولخة الخيال المحتود الصاعد بها نعو فروة الجبل.

ير صم الشاعر تضاداً حاداً بين موقفي المقف والفلاح من الموت ليجعل من الفلاح سيزيفاً جديداً يكرّس مفهوم السعي الدائب إلى تحقيق الوجود . ويعمل عبد الصبور ، من أجل نقل محور التحبير من الشرط الفلسفي المقف الأسطورة سيزيف ، على نفي أيّة إيحاءات ذات نزوع يبجل الثقافة والمثقفين :

> لم يك يوماً مثلنا يستمجل للوثا لائد به كل صباح كان يصنع الحياة في التراب ولم يكن كدابنا يلفط بالفلسفة لليّئة لائد لم يجد الوقتا (۱۸)

بللعني السابق، فإنّ الشاعر ينزل بأسطورة سيزيف من عليائها ، ويعمل على نقلها من محور التجريد إلى عالم اللموس واليومي والقريب من اللّحم اخيّ للواقع، وذلك من خلال تبسيط اللغة المستخدمة في وصف موت الفلاح ، ومن خلال جعل الفلاح ثمثلاً لسيزيق بصخوته السمراء التي تستقرّ بين كتفيه ثابتة لا تتحرّك :

> والصخرة الشمراء ظلّت بين منكبيه ثابتة كانت له عمامة عريضة تعلوه وقامة مديدة كاليها وثن وطبية، الملح والفلفل، لوناها ووجهه مثل أدي الأرض مجدور لكذ، والموت مقدور، قضى ظهيرة الذيهار، والتراب في يده والماء يجري بين اقدامه (١١)

المثال الآخر، لكوفية العمل على تصعيد اليومي وتحويله من وجود متكرر إلى رمز للوجود واعتصار للعبل في جميع الأزمنة والأمكنة، هو قصيدة والبحث عن رردة الصقوع»، التي تصنيها مجموعة عبد الصبور الشعوية في الإستفادة من الصبور الشعوية في الإستفادة من المسبور الشعوي على الإستفادة من المسبور الشعوي على الإستفادة من قامرس اليومي، دو أن يسف الشاعر في تكابته ويدلع بقصيات إلى مجرى الركاكة اللبي يبدو أن الشاعر كان يسير معه، قبل أن يعفر على خيط آريان ويحقق الدوازه بين والشعوي وغير والشعري» في قصيدته. كان يسير معه، قبل أن يعفر على خيط آريان ويحقق الدوازه بين والشعري وغير والشعري» في قصيدته. ففي هدا القصيدة نعفر على مغرات الدومي وغير والساهرة والباشرة والمنافذة المامية الدارجة وأسماء الأشياء الحميدة القريمة، التي نستخدمها بصورة مستمرة (من مقاعد ومواليه ومامي ومحالي)، وكل ما يحوثل المماني المؤدة إلى كينونات ملموسة. لكن هذه المشاعيل والشجون والأشياء اليومية تذوب في الكيان المكين للفصيدة، وتصبح عناصر تغني الكتالة الشعرية، وتصعد بلماني الجردة أبي للفعيني إلى عن صبح بن حيو ية المعاصر والأساء الملتونية.

ثمّة في والبحث عن وروة الصقيع، حكم هارب يفكت من حساحيه، ولذلك تكون الفلة مؤلفة من عناصر الحلم وعين الخيال، البيرية متسامية لا حضور فيها لمادة الحياة اليوميّة والأشياء المتعيّنة، بحيث تكون لفظة والشباك، في السطور الأولى من القصيارة تعبيراً استعاريًا عن حلم الشاعر لا وجوداً فعليًا متعيّناً :

> ايحث عنك في ملاوة المساء اراك كالتجوم عارية نائمة مبعثرة مشوقة للوصل والمسامرة ولاقتراح الخمر والغناء .

وحيدما تهتز أجفاني وتفلتين من شباك رؤيتي المنحسرة تذوين بين الأرض والسماء (٢٠)

على هشيم نفسى الذابلة المتكسرة

ويسقط الإعياء منهماً كالمطرة

لكن الشاعر في المقاطع التالية يعود لاستخدام لغة التفاصيل والتعبيرات القريبة من اللغة الدارجة :

في الكتب الصفراء والبيضاء والمحابر (***)

ومن الواضح أن هذا التردد بين الحضور والغياب في القصيدة، بين الجرد والمتعين، بين البومي والأليري، يعدو إلى طبيعة الكينونة التي يتعاطل يعدد إلى طبيعة الكينونة التي يتعاطل المنظورة وذكرى الأشياء العابرة شبحياً الحقيقة ولا تعادلها في الآن نفسه، كا يجعل حضور التفاصيل السغورة وذكرى الأشياء العابرة شبحياً غائماً، ويجري مجرى التعبير بالجاز لا الحقيقة أو الدلالة المباشرة. ولحل ذلك يقصل بمسار تطورة تجربة صلاح عبد الشعبور الشعرية التهيم بالجازة المورد الشعبورة والمائر، في بداياتها ذا تقل صاغط على قصيدت، فيما أصبح حضور هذا اليومي أشرياً، وجزءاً من نبية شعرية أوصع تعتمد اللغة التصويرية وتعتني بالإستعارة اكتر، وتحيل ما هو ملموس على الماني الجرد، في تجربته الشعرية فيما بعد. لكن التطور في هذا الإنجاد لا يعلى ان عبد المعبور يظل واحداً من ملهمي شعراء السبعينات والشعائينات، في مصرء والوطن العربي، ثمن يظاهون على أنفسهم، أو يطلق عليهم، شعراء السبعينات والشعائينات،

فخري صالح كاثب فلسطيني يقيم في عمان

الهوامش:

- (١) أدونيس، مسياسة الشعر، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٥، ص : ١٣٦. وقد نُشرت القالة لأول مرّة في مجلة الكرمل، عدد ٤، خريف ١٩٨٨.
 - (۲) المرجع السابق، ص: ۱۳۳.
- ٢٠٠٠ عبد الصبور ، ديران صلاح عبد الصبور ، الجلد الثالث ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص : ١٩٥٠ .
 - (٤) المدر السابق، ص : ١٦٧ .
 - ر ه) الصدر السابق، ص : ١٦٨٠ -
 - (٢) المصادر السابق، ص: ١٧٣.
 - (٧) للصادر السابق، ص: ١٧٥٠
 - (٨) المصار السابق: ص: ١٧٦.
 - ر ٩) الصدر السابق، ص: ١٧٧.
- (۱۰) صلاح عبد الصدور، وتبقى الكلمة: دراسات نقدية، دار الآداب، بيروت، ۱۹۷۰، ص: ۲۱. و المقصود
 - بدوالقرن الماضيء القرن الناسع عشر.
 - (١١) المعدر السابق، ص: ١١٠.
 - (۱۲) المعدر السابق، ص: ۹۲.
 - ر ۱۳) ديوان صلاح عبد الصبور، الجّزء الأول، ص : ١٨٠.
 - (۱۴) ليوان طبرح حيث السيوردد. (۱۶) المعادر السابق، ص : ۲۰.
 - (۱۵) المسراسين، ص: ۲۹. (۱۵) للمسرالسابق، ص: ۲۹.
 - ر ۱۹) المعادر السابق، ص: ۲۹ . (۱۹) المعادر السابق، ص: ۲۹ .

 - (١٧) المصدر السابق، ص: ٣٦.
 - (۱۸) للصدر السابق، ص : ۱۱۳.
 (۱۹) المصدر السابق، ص : ۱۱۳.
 - (۲۰) ديران صلاح عبد الصبور، البرءالثالث، ص : ٤٥٧.
 - ر ۲۱) المعدر السابق، ص : ۴۵۸ ۴٦٠.



- بسام حجّار، وسوف تحيا من بعدي، شعر، المركز الثقافيّ العربيّ، بيروت.

يجمع هذا الكتاب التصوص الكاملة لثلاث مجموعات للشاعر اللبنائي بستام حجّار، ويضيف إليها مختارات من مجموعتين أخريين. الجموعات الكاملة الثلاث هي ولاروي كمن يخاف أن يرى ه (١٩٨٥) و فقط لو يدك ه (١٩٩٠) و مين القسوة » (١٩٩٣). وفقط لو يدك ه (١٩٩٠) و مين القسوة » (١٩٩٣). لان يجد القاريء المربي، يهن يديه من جديد هذه الجموعات شبه النافذة أو المتمائر العثور عليها في متأهات أسواق الكتاب المربية الحالية، وتما يسبغ على صدور هذا الكتاب صفة الاحتفال للتنظر كونه يشكل إضمامة واسمة المواق الكتاب منة الاحتفال للتنظر كونه يشكل إضمامة واسمة المنابدا عام شره يدلا للغة، صنع وما يرح يصنع إلى جانب بضحة قلائل، من أبرزهم يول شاؤول نوعيده وازن، بهاء القصيدة وعلى المنابئة في آخر تجاياتها الناضية واكثرها عمداً.

فصائد متسارعة الايقاع هي في الغالب قصائد حجار. تسارع ينم عن درية فنية عالية وعن قدرة على التكثيف غير متوقرة لكثيرين. في عبارات شمية موجزة، وفي أبيات بالغة الاقتصاد، يرسم فضاء محتدماً بمشاغل ساكنيه أو بانعدام المشاغل لديهم أحياتاً بل رقما غالباً. لا شك أن اجهامة الحروب الاهلية وزنها في تشكيل هذا المفضاء المضغوط والذي يكاد يضيق حتى لينطبق على سكانه. وفكتنا منظلم شاعرنا إذا ما نحن ارتحنا نهائياً إلى هذه الماينة الاولى. فالحصار الذي يمتر هو عنه، هذا المصار اللازب الذي يظل مجرد الاقتدار على مواصلة التنشس فيه ضرباً من للمجزة، والذي يظل مشعرة الاقتدار على مواصلة التنشس فيه ضرباً من للمجزة، والذي يظل مشعرة الاقتدار على مواصلة

يوثية للحياة لا تحتها حدود، هذا الحصار يخترق في الواقع الحروب ويتجاوزها إلى ما قد يقدم في أساسها جميماً: محدودة الوجود وضيق مسارب الكائن في عالم يظلّ في النهائة عاجزاً عن الإفساح في المجال واسعاً لعمل الرقية والاستشراف والحلماء. والشاعر، الذي حدق طويلاً الكائن بوسائل الاستبطان (هذا الفضاء الإضافي) والماطفة والبوح والسخرية المبطنة غير المزدية ووسائل شمرية اخرى عديدة. هذه الشعرية، يمكن أن نجد بياناً عنها في القصيدة الموجزة وفي الخطأ والصواب، من مجموعة والروي كمن يخاف أن يرى».

إن ثلاث حركات تتورّع هذه القصيدة. في الأولى، يرتسم الفنيق عبر وقسات متواقية، محايدة وتكتفي بالتسمية مغنية بها عن التفاصيل: «الانقاس الفشقة / جلسين في الغرف بالآقيية الطويلة / لنظرات واكتة / حيث الارواح القلفة / لماقيق وعجالطرية / حيث هذا الزّاس / المؤتّث بالمتمة / والنفتالين». شم تتدخل حركات وعيي فخ الانا المكتفية بلدوعيها، المختفلة باسبابها)؛ وعي مسائل يرصد للشهد للرصوف ويحيله إلى لوحة داخلية: و للمرات الطويلة / وانت تمشي / هل تخطيء عمرك / كلما اقتربت / كلما نظرت إلى القافدة التي تبتد / التي تبتعد / وانت تمشي / المعرات الطويلة. ... ، ثمّ تاتي ربنا إلى منطقة من الحنان بُلوع إليها باعتبارها هي ربنا إلى منطقة من الحنان بُلوع إليها باعتبارها هي ربنا إلى منطقة من الحنان بُلوع إليها باعتبارها هي

الشُّعر ١ الميلو درامي ع النائم المبالغة في لوعته أو الذي لا يعرف سوى اللّوعة: ولكنّ الحنان الذي كالأشخاص/ في الخطا والصواب / لكن القلوب / التي في العراء / أرومة بشر وأعمار وبيوت. ٥.

لتطويع الفراغ والخراب الممدين، ولتطويقهما، يعمد الشَّاعر إلى مخاطبة كاثنات اليفة (ابنته مثلاً)، متآمراً معها عبر الأحلام، مائاً الجسور لتواصل فوق-واقعيّ هو وحده قادر على الإفصاح عن قصور تواصلاتنا اليوميّة ومحدودية عداها: ولا الستحابة تمطر/ ولا اسمى يجعل العالم جميلاً / لذلك نامي يا ابنتي، انت / وحين اغفو قليلاً/ اعدك أن أحلم بك/ أن أفرغ راسي من خردته الشَّقيلة / وآفكُّر في السَّحاية الزرقاء / في البيت / في العتبة / في الثِّمار التي تشبه الفراشات / والفراشات التي تشبه الثِّمار/ فقط حين ترصمينها، وكما كان الحلم يمة بفرصة لتواصل من تمط آخر، فالفراشات لا تحقق شبهها المامول بالثمار إلا عبر رسوم ابنته الصغيرة: طريقة أخرى في التأكيد على أساسيّة هذا التدخّل الباطنيّ الذي به يغدو العالم لاعالماً فحسب بل ريّما اكثر جاهو: ٥ اسالك إذلاً/ لماذا لا ترسمين العالم كله / لكي يُتاح له أن يشبه شيئاً ، ويحضرنا في هذا الإطار قول هنري ميشو : وكنت فيما مضى اتكبّد الطبيعة سلبيّاً. ولقد قرّرتُ اليوم ان اتدخل. ٤ لهذا التدخل، خصوصاً عندما يقوم به طفل، طبيعة معجزة ومقمول صحري: وضعى عصفوراً ووحيا: قرن/ في قفص واحد/ وصنقي/ الهما سيتحابان/ الالك تريدين ذلك. ٥

إلى هذا المحور الأساسي، محور الألفة المحترّعة بوسائل شقّافة وبريئة وإبداعيّة، يرتسم محور آخر يقابله من دون انْ يتضاد وإيّاه، ولعله الاكثر تمثيلاً على شعريّة حجّار. محور يتمثّل في الإبانة عن اغتراب شبه مبرم، يتقدّم الشَّاعر عبره لا شاكياً ولا برماً، بل إنه ليصادق عليه في نوع من السّيادة يذكّرنا به قارثاً مواظياً ليسوا وريلكه

وبيكيت. اغتراب عن الكلام وفي الأوان ذاته ضرورة قصوى للكلام، يشير إليهما، بادىء ذي بدء، هذا الاقتباس الدال من وسقر اتوب 0: إنَّ كلمتُ لم تمنيع كآيتي/ وإذ سكت فماذا يذهب عتى؟ ١٠ السافر هنا ﴿ وَالْكَائِنَ الْمُرْبِ الذِّي نُواجِهِ فِي هَذَّهِ القصائد هو على الدوام كيان في حركة) مفصول حتى عن ظلَّه، مسبوق به، ويعاين إلى حقيقة انفصاله هذه حتى في الشركة: د جاء ظلّه الغريب / هو / ياتي فيما بعد / جميل / لاتك تحتين بدوه . ٥

تجد شعرية الغياب هذه مدى واسعاً لانعقادها في مناداة الأحبّة الفائيين. في مرثيّة للأحّت الرّاحلة (من قصائد ١ مهن القسوة ١)، عنوانها ١٤ تذهبي إلى الجوار الخيف، عود المتكلم في القصيدة لو تعلم اسرار العالم الآخر ليواصل مرافقة هذه التي تسم بغيابها عالم الأحياء كله: ونادي على لكي استيقظ / أو اسمع صوتاً / قولي كيف المباحات هناك/ أود أن أذهب / لكن لا أعرف من ياخذني . ٤ وببساطة آسرة، يطالب بدليل له في تلك التّخوم، عائداً باللغة إلى مستواها اليوميّ الذي كان وسيلة تفاهم والرّاحلة وأداة التقاء وإيّاها: ﴿ وحين تعتادين العتم اخبريني/ إذا سيّارات الأجرة تمرّ بجوار/ نومك/ أو إذا كان الطريق سهالاً / لكي لا أضيم. ٥

قصائد متمرّدة على الرّتابة، على النهارات التي وتكرج، والصّحبة التي تغدو اعتباداً. محو الأثر، في ومهن القسوة ، أيضاً: وشفيت من حتى لكم، وشفيت من اليوم الذي يعود كلّ يوم. لم أترك أثراً، لذلك لن تهتدوا إلىّ. محوتُ، وإنا أمشى، الطريق، تتقدّم من أمامي وتتلاشى من وراثى، وخطواتي ليست أيقى من نزوة عابرة. لم أترك أثراً. • وثاتي الجزيرة (ليماسول/ قبرص)، لتهبه مسرحاً آخر لهذا الانجراف غير الحشكل وراء الجغرافية والوقت: 3ولا تعرف ماذا تفعل بالآحاد الطويلة / غير المير باتجاه المغيب ، النوم مرة أخرى،

حيث أنهلال الأحلام، والتفكير بيدي امرأة: وكنت عسب / إن أطلس النوم ياخذك معه / إلى بلد تعرفه / فيناثة الحرافات / وكنت تخاف إذ تصديق الحرافات / وكنت تمنة بدأ وحيدة / لكي تأخذ يدها الرّقيقة / إلى المرافق من أجل / يديها الرّقيقة را إلى تتحلم آلك احببت امرأة من أجل / يديها الرّقيقية ر. ويلا عدوائية، بل بشيء من الدعابة الوديّة، يفسح الشاعر عن اتحاء الجسور بينه ويين مشهد الحشد، علم المتعيّن، الهلاميّ وغير المصديق، والذي هو، منذ بردليي آفة المدن الحديثة وخطيتها الأصلية: والذين يقبون في المباحة / أو يعبرون / بين مقهى داندرياء / واوراك المتالحات / بالتجاه الكنيسة / لا اعرفهم / ذوو واوراك المتالحات / بالتجاه الكنيسة / لا اعرفهم / ذوو باس وجسارة / كالهم يطلون من بطاقات البريد. و

في قصائد متتالية تحمل جميعاً عنوان والألمو، يقتم الشاعر دراسة للالم يستهلها ببيتين لآنا أخماتوفا بعيدي الدلالة، من ترجمته: ولا ليس اتا، إنه غيري من يتألم/ مثل هذا الألم ما كان في طاقتي واحتمالي ، نعرف كم تعلَّبت الشَّاعرة الرُّوسيَّة. وقد لا نخطىء الظنِّ أنَّ الآخر الذى تشير إليه وتعزو له قدرة احتمال الالم الإستثنائي هذه، إنما هو، لديها كما لدى حجّار، آخر داخليّ. أنا الشَّاعر الآخري التي تتكبَّد وتصارع، في حين تستغرب الأنا الأخرى وتستحسن أو تمتدح. هي شاكلة في تغريب الألم تتيح لا تطويعه فحسب، بل معرفته وتسميته. وقديماً تحسر ريلكه الشاب: وآه، لم أصبح بعد معلماً في الالم ع. يفصح الألم هنا عن نفسه عبر إعاءات صغيرة، شبه غير مرئيّة ومتاخِمة للأحقول: وما لا يُقال/ الالم حين تنظر/ الألم حين تصمت / وثناى / وثنرك نظرةً عندنا / نظرةً علينا/ كاثك تمسك بايدينا/ باطراف الثياب الملقة هناك . . . ، ، والآلم حين يجف الحلق/ ولا عطش/ حين يرف جفن/ ولا يزول الغبش في صورتنا. ٥

ولقد أحسن الشّاعر في نظرنا صنعاً إذ ادرج في هذا الكتاب مختارات من «مجرّد تعب»، الذي يضمّ نصوصاً

من النثر الشعريّ البالغ العناية والذي يرتفع في صفحات عديدة منه، وبكامل الجدارة، إلى مصاف قصيدة النثر. في ٥ مَا قاله أبي عن الشَّجرة والكناري والسُّعال ٤، يستعيدُ عالم أبيه الصدور واقترابه من الرّحيل بصورة موغلة في المتيادة تجعل من للوت تحريناً في الاختفاء: ﴿ كَانَ أَبِي على مشارف السبعين وقد اهترات رئتاه من الرّطؤبة والرحشة والقدخين والخدمة العسكرية ومن القجوال منفرداً بين الغرف؛ كان أبئ يقول وقد اهترات رثتاه إذاً لسبب أو دون سبب، إنه لا يتألُّم إلاَّ حين يتنقس، لم يقل في الأمر ما يدعو إلى التوقف عن التنقس. إذ دائماً يحين الوقت الذي تعتاد فيه الألم، حتى إذا زال الألم أوجمك غيابه. ولم يقل إنه اعتاد الألم بل قال شيئاً عن وحشة الاماكن الشاغرة. (. . .) وقال شيعاً عن الوردة التي تشبه الفتاة وعن الفتاة التي أصبحت بعيدة وقال شيئاً عن المكان البعيد الذي يناديه ويراه في النَّوم ثمّ يراه في اليقظة وقال إله في عينيه. وعن أشياء أخرى لم يقل إنها في عينيه لكنّها كانت هناك. ،

وفي الجموعة الأخيرة وبضعة أشياء ه، يستعيد في قصيدة ويضعة أشياء اعرفها وحدي ه سيرة الأب نفسها، منوعاً على الجهد نفسه في تحويل الانفاس المتعاترة إلى اصحاب وصوارتين: وقال إله متعب / ولا ينام / فالليل موحش وقفر ومخيف / دقالق أو ساحات قد تكون الأخيرة / فينهض ويمشي في الرواق / ياكل خبراً جالاً / يشرب جرعة ماء / وتؤنسه جلبة انفاسه الثقيلة / كان انفاسه تحتثه / كاتها الابناء والجبران وصحبة الكاس / والترهات. ٤

وفي المجوعة ذاتها، يستميد تمارينه الستابقة في اجتراح الألفة بوسائل بسيطة وعزيزة، تتطلب، في كلّ مرّة، القلاباً ولو بسيطاً في الوعي وتحوياً معيّناً للرؤية: 9 كانت تداعب ابنها / حين قالت له: إذا أمسكت الفراشة / اعطتك الفراشة الا تطيره.

جاك دريدا ، أليز ابيث رودينسكو ، وما سيكون عليه الغد. . . » محاورة ، منشورات فابار-غاليلة ، باريس ، ١ • • ٢

Jacques Derrida, Elisabeth Roudinesco, De quoi demain..., Dialogue, éd. Favard-Galilée, 2001.

> ينقسم هذا الكتاب الذي يقع في ٢٢٠ صفحة من القطع الكبير إلى تسعة فعبول طويلة يجيب فيها الفيلسوف جاك دريدا على أسئلة مؤرخة التحليل النفسى الفرنسيّة إيليزابيث رودينسكو، ويراجع فيها يضع معالم أساسيّة من مساره الفكريّ ويسلّط الضوء على يعض اهتمامه الحالية. بتكتمه المهود، يعيد دريدا فتح بعض صفحات طفولته الجزائريّة وماضيه كتلميذ يافع. نعرف أهميّة السّيرة الذاتية في كتابة دريدا. كنّا نخسّ من قبل ولكننا تمرف اليوم ممرفة اقضال ويقضله هو بالذَّات، أنْ فيلسوفاً يظلُّ هو الآخر ومشتغلاً ، بتاريخه الشخصي، وإنَّ تأتي هو الإقرار بذلك أو حجب على تفسه معرفته. فالفيلسوف هو أيضاً، وعلى شاكلته الخاصة ، وبحسب تعبير لدريدا ، وحيوان أوتوبيوغرافي ، » ، اي مرتهن بآثار سيرته الذائية ونتائجها، كما نقول عن الإنسان إنه وحيوان عاقل. ٥.

> إنَّ معيشاً عائِليّاً وشخصيّاً، حتَّى لا نقول ذاتيّاً، وشاكلة معينة في سكني القضاء الحيط والعالم الجاور وجسد الكاثن المعنى نفسه، وتشكيلة معيّنة من الصّور وكوكية من الوقائع والأحداث، هذا كلَّه لَممًا يعسر بل قد يتمذَّر المنَّمت عنه وإسكاته في كتابة، وإنَّ تكن فكريَّة أو فلسفيَّة، مَن جهلَ هذا حكمَ على نفسه في أغلب الأحوال (كما هي حالة كلود ليڤي-ستروس في كتابه الشّهير (المداران البائسانة) بأنّ يجعل عناصر سيرته الذّاتيَّة توجّهه (وقد تسيء توجيهه أحياناً، أي تُضِلِّه)، من حيث لا يتوقع ولا يعلم. فحيثما كان

يحسب نفسه محمياً بحيّل الفلسفة وموانعها وواقياتهاء هوذا يتعرّض للسريان اللسريّ لذاكرته. فهل أفضل والجعر في هذه الحالة من الإمساك بهذه القارقة ووعيها وعياً كاملاً، بل إنعاش عملها في الكتابة الفكريّة وإن اصطدم المرء احياناً بما هو شائك وعلى القول معمار ؟ هكذا وتتجسد و الفكرة، اي تنزل من البريتها التخميبيّة أو الحالة وتنحفر في الجسند نفسه، كما يدلُّنا عليه اشتقاق الكلمات الذي نادراً ما نعيره إنصاناً كافياً.

والى هذا، ومن ناحية اخرى، فإنَّ بدايات جرح وبدور ماساة لتتهدد الكائن أيّا كان، في منعطف كلُّ شارع، وفي يعض الاحيان عند عتبة ولادته. هي شركة الألم الجارحة والقديمة التي تشكّل القاسم المشترك للصيرورة الإنسانية المؤرَّقة أبدأً. يبقى الرد أو الخرج الذي يجده الإنسان او لا يجده لبدايات ماساته ود تباشير، جرحه. وإنَّ الردِّ الذي استطاع دريدا أن يجترحه لمَّاساته البدئيَّة لكامل الشّجاعة ومكتنز بالف وعد : وعود وجدت تحقيقها الفريد واتت اكلها الطاعمة التي نعرفها جميعاً. فقى صياه، تعرّض للطرد من المدرسة لكونه يهوديّاً، في الجزائر المستعمرة يومذاك من قبل فرنسا التي كانت تحاكى حتّى في سياستها التعليميّة شروط العدوّ النازيّ. وطوال عام كامل، رفض الصبيّ دريدا أن يضع قدميه في المدرسة الخصَّصة للطلبة اليهود وحدهم، التي أنشاها معلَّمون يهود طردوا من العمل هم أيضاً. هو اضطراب أو ارتجاف للهويّة سرعان ما تجاوزه إلى رفض صارم لكلّ انخلاق أو تشتيع للهويّة. وطويلاً سياسف دريدا لأنه كان يرى والده

مضطراً لانْ يشكّر ربّ عمله الفرنسيّ الذي وافق على الاحتفاظ به في فترة كان أرباب عمل آخرون يطردون مستخائميهم اليهود، وكالا من غير الطبيعي أو من الاستثنائي الاحتفاظ بموظف نزيه ومثابر في عمله. إنّ فترات الاضطراب والظلم لتعرب عن جورها الكبير بهذه الشَّاكلة التي تدفع فيها الفقير والمطارِّد إلى ألاَّ يرى معجزة في ما يُفترض أنَّ يكون هو البداهة بالذات. وفي هذه الوضميّة المجمعة، التي يعيشها اليوم كثيرون، من فلسطينين وغير فلسطينين ابصر دريدا منذ البداية جرحاً إنسانياً سيحوله دريدا الفيلسوف إلى ماساة شاملة تنطلق من ولادته في بيئة يهوديّة وتتخطاها في آن معاً. على هذا النّحو صار دريدا، يتصريحه هو نفسه، كارهاً لكلِّ الحباس داخل حدود الطَّائفة اليهوديَّة وفي الأوان ذاته خبيراً في قراءة أدنى علامات التمييز العنصري وكره الاجانب لدى الآخرين. في حركة متزامنة لا علاقة لها باي حساب ماكر ونفعي، ينسلخ المره هنا من طائفته لبحقق ذاته المبدعة وينفتح على الإنساني وإنا يكن غير كاني الإنسانيّة، ويتذكّر طائفته في لحظات تعرّضها إلى الحطر والتّهديد. وفي هذه الحالة كما في تلك، تظل سيادة للمارسة النقدية حاضرة ابداً ومعقودةً لها الأولوية. هكذا لم يمنع دريدا ولا يمنعه كونه وقد في أسرة بهودية وكون الآخرون يعدونه يهوديّاً من ان يمارس النقد بإزاء مجموعات ضغط يهوديّة معيّنة، وأنَّ يساند فرانكشتاين وسواه في فضح 8 صناعة الهولوكست ، أي إدانة الاتجار بذكرى المحرقة النّازيّة لليهود لغايات سياسيّة أو ماليّة. وكما يذكّر به دريدا في هذا الكتاب، فهو لم ينقطغ يوماً عن 3 توجيه اسثلة نقديّة وجذريّة التفكيك أحياناً بخصوص اليهودية كدين وثقافة، وبخصوص المجتمع اليهو دئ وفكرة الاختيار (مقولة اشعب الله الختارة) وتأسيس دولة إسرائيل بخاصة أو سياستها منذ خمسين عاماً » (ص ١٨١). وامام خطر التعرّض إلى الأتهام

باللا المنه حتى بالنسبة إلى يهودي، كتب دريدا: وإثنا لمحساصرون، وإن المصار لفخ حقيقي ٥، ويضيف: ولا ولا كان المفردة الشجاعة، الفكرية أو سواها، من معنى، فبالدات المام هذه الوضعية الملغومة وبإزاء محاولات التجعل الآتية من كلّ جانب ٥ (ص ١٩٨). وقويلها إلى اداة: وإنّ من الممكن والضروري، ومن دون النبي الاستراتيجية أمن ندين هذا الاستخدام، مثلاً هذا المستخدام، مثلاً هذا المستخدام، مثلاً هذا المستخدام، مثلاً هذا المستخدام، عثلاً هذا المستخدام، عثلاً هذا المستخدام، عثلاً هذا المتوافقة وعلى الاستراتيجية المحض، في ميدان السياسة وصواها، نسكم على هذه الغاية باللاشرعية، وعلى الاستراتيجية المناقبة باللاشرعية، وعلى الاستراتيجية المناقبة المائية اللاشرعية، وعلى الاستراتيجية المناقبة المناق

إلى هذا، يتناول دريدا في كتاب الهاورات هذا مسائل هائة عديدة منها علاقته بجيل سهمينات القرن العشوين الفلسفي، ونظرته إلى التطوّرات الجديدة في ميدان الوراثة والأشكال الجديدة للاسرة، ويقدم مديحاً للتحليل النفسي، ويتوقف طويلاً أمام العنف المعارض على الحيوان وأمام المعنف المعارض على الحيوان دريدا الطويل والمستمرّ في الولايات المتحدة الامريكيّة للإناب المتحدة الامريكيّة للإناب المتحدة الامريكيّة عن العمد في تالهم مائلة من وانقام في دهاليز الموت في من القررة وإمكانات وحربة غير قابلة للتوقع وفي زمن أشورة وإمكانات وحربة غير قابلة للتوقع وفي زمن من المقررة وإمكانات وحربة غير قابلة للتوقع وفي زمن أسوا الحلول. من هذه الموضوعات والاستلة الشريّة المؤهنيّة، نتوقف في هذه المجالة عند ثلاث مسائل تبدو لنا اساسيّة.

فاؤلاً، يذكر دريدا بارتباطه بجيل الفلاسفة الذين بزغ نجمهم في سبعينات القرن المنصرم، وعلى راسهم جيل

دولوز وميشيل فوكو وجان فرانسوا ليوتار وجاك لاكان. وهو يؤكّد على تميّز كلّ واحد منهم بمعالجته الخاصة رغم الالتقاء في فكر اختلافي عميق ومتشّعب، ويعيب عليهم الهم كانوا وفرنسيّين، بصورة ملحوظة، إذ كانوا ويكتبون في فرنسيّة معيّنة ۽ وه يصدرون عن احترام معيّن لا لموقف أكاديمي أو تقليدي بل لنزعة كلاسيكية معينة (ص . ٣) . بمقابل هذا يجهر هو بالانتماء إلى شغف قبل باللُّغة ويقول اله تقاسم مع الفيلسوف والمألل النفسي جاك لاكان، وحده بين الآخرين، والتباها دائماً خركة معينة للعبارة، ولعمل ممارس لا على الدال بل على نظام الكتابة، على البلاغة والقاليف والخاطبة والإرسال والتوظيب المشهديّ ع (ص ٣١). لا يصعب بالفعل الإقرار مع دريدا ان كتابة فيلسوف كميشيل فوكو تظلُّ، في التماعها الباهر، وبنتاً شرعية ، لتراث فرنسي معين، لكننا نعتقد من ناحيتنا أنَّ دولوز كان هو الآخر يقلت من الحدود المتوارثة للفرنسيّة، وذلك بابتكاره الدائم لمفهومات جديدة وتعامله (الماكرة مع للفردات والإيقاعات، وإدخاله، خصوصاً في فترة تعاونه مع الحلل النفسيّ فيليكس غواتاري، عدداً من المفردات العاميّة وقرضه لها على و جدارة و الفرنسيّة الفلسفيّة.

ويشر دريدا قضية عاصفة او ساخنة ما ترال تعتسل في فرنسا بحداثه، تلك هي قضية المهاجرين الجدد إلى من المناسب والقوائين الحددة إلى يساريته، ناضل دريدا في العامين المنصرمين ونزل أن الشارع لمناصفة المساسة الإشتراكية (سياسة الوزير شوقست اللهي ونشسة إلمان القوائين المذكورة التي كانت من صبح اليمين في ظل حكومته السائمة الاخيرة، ويطور دريدا هنا مفهومين فلسفين للضيافة، الاخيرة، ويطور والشعالمة الي المكرشروطة ، كوجبها تستقبل القام او الؤزماج، الإلك ايأ كان ومهما كان من إمكان قدرته على والإزماج، إزعاج بنبغي معالجته في حينه، ضمن على والإذا يتقبل على والإذا يتقبل على والإزماج، إزعاج بنبغي معالجته في حينه، ضمن ضمن

عدالة والحالة بحالتها ، إنها ضيافة تقوم على والسماح للزائر أو الوافد غير المنتظر بالجيء، من دون مطالبته بحسابات، حتى إذا كان يشكّل دخيلاً أو متسلّلاً خطيراً ، (ص ٢٠٢). فالضيافة العادلة لا يمكن الا تستبق إلى الهام الوافد الذي يُفترض أن يكون بريداً حتى يثبت المكسر والمفهوم الثَّاني هو مفهوم والضيافة المشروطة ، التي تقضي بان يمتثل الوافد أو الزّائر إلى أعراف مستقبليه ويحترمها. لا شك أن دولة أو مجتمعاً أو حتى أمثرة حريصة على صون أعراقها وقوانينها ومجالها لا تقدر الأ تعمل دائماً بمقتضى مفهوم والضيافة الخالصة ، ومع ذَلِكَ، فَقِي نَظْرَ دَرِيدًا يَتَجَفَّى أَنَّ يَظُلُّ حَلَّمَ مَثَّلُ هَلْهُ الضّيافة يوجّهنا في ما نضطرٌ إلى ممارسته من ضيافة محدودة، مقننة ومشروطة . أي توسيع المال وإغناء العدالة بحيث يدتعان اكبر مكان ممكن للوافدين: 3 الرّجوع الدّالم إلى ضيافة تحتفظ بحلمها واحياتاً برغبتها القلقة، ضيافة تقدم على التعرّض إلى ما يأتي أو إلى من يأتي ؟ (ص ١٠٢). وذلك ولا سيّما والا ثبّة (يقصد في فرنسا) لاستقبال المزيد من الاجانب أماكن اكبر من هذه التي يتحدثون عنها، وكذلك لا سيّما والا عدد المهاجرين لم يرتفع كما زعموا بصدد مفهوم اعتبة الاحتمال 66 (ص ٤ ، ١)، أي قدرة البلد على استقبال عدد من الوافدين دون غيره. في للسالة الثَّاليَّة يندهش دريدا من ردود الفعل

في للسالة الفائلة يندهش دريدا من رود المعالم والأخلاقية والتي تصدر عن بعض الفقات الاجماعية والفكريّة في مواجهة الاشكال الاسريّة الجديدة وما تتيحه تقنيات الطبّ الروائيّ المتنامية من واستنتسامُ والمجنن ومن تقمّ للطفل باب وراثيّ وآخر اجتماعيّ، ربامٌ حاضية واخرى مربيّة وربّما ثالثة اجتماعيّة. كتب دريدا أنْ «المتعدد القائم من قبلُ في الملاقات الاسريّة في المجتمعات الفريّة لُورِدُ لنا فكرة اولى عن التحقد القادم (ص ٧٠).

والتي تبدو مسخيّة وغير قابلة للتطويع، المرافقة للقدرات التَكنولوجيّة الوراثيّة الجديدة ٤٥ ينسون آلاه وحيثما كان ثبتة تكرار وإعادة إنتاج، بل حيثما كان ثبتة شيّه، كان ثبتة استنساخ، اي في جميع وجوه الطبيعة ووجوه الثقافة التي لا تعذو إبدأ من غط من الاستنساخ او آخره (ص ١٠-٧١). يرى دريدا آله لن يكون هناك من واسرة ٤ بل اشكال اسريّة متعادة ومتهاينة. وبالتاتي فلا يتمثّل السؤال في القول و لا ٤ أو قامم ٤ لمثل هذه التقنيات الجديدة، بل في كيفيّة معالمية ما سيتممني عنه هذا من آثار على تصرر انتا القدية والجديدة لعماسك الكائر البشريّ

والملاقات الاجتماعيّة وللاستيلاد في كاقة أشكاله ولتنظيم بقاء النّوع واشتراطات الحقّ أو القانون.

هذه الاستلة وسواها، والشّجاعة التي بها يواجه دريدا يعش اسخر قضايا الستاعة، تظلّ في اعتقادنا كافية لإبعاد تهمة و اللزّتاريخيّة التي وجّهها لدريدا بعض منتعي النّضال الفلسفيّ، ناسئ أنْ فيلسوفاً حقيقيّاً يظلّ حتى لدى نزوله إلى والشّارع و وانخراطه في معترك الحياة الموميّة، حريصاً غاية الحرص على الاستفاظ بعمق تناولاته وصراحته تماليله وشاكلته في معالجة الملسفة وتشوير مفهر ماتها والجراءاتها ولفتها.

ك. ج.

عن فلسطين ومفارقة الهوية إدوارد سعيد في كتاب جديد يقرأ أفكاره الأساسية في النقد والسياسة

عادة ما تركز الدراسات المكتوبة عن إنجاز إدوار دسعيد الفكري والنقدي على إسهامه الفلا في تعرية الحطاب الامتشرات العرقية ، والمركزية الخطاب الشهية ، والمركزية الفياب ونسله من حقول البحث التي تتحكم في هذا الخطاب ونسله من حقول البحث التي تتحكم المن المشرق والمالم الثالث، ولم تلتفت معظم الكتب التي صدرت عن إدوارد سعيد إلى إسهامه الاساسي في حقل النظرية الادبية ، أو كتاباته المنزية في الصحافة حول فلسطين ومركزيتها في تجمرته المنفية ومنجزه المعرفي .

كتاب المباحثين الآستراليين بمبل آشكروفت وبال الممروات وبال (Edward هه الموروات وبال (Edward هه الموروات) Said : the Paradox of Identity, يعد (1999) يماذ الفراغ الذي تركته الأمراخ الذي تركته الأمراخ الذي تركته الأمراث والدراسات التي تناولت سيرة سميد وفكره النقدي، لانتأ الانتباء إلى مسالة تشكيل الهوية، وتأثيراتها

الشديدة الاهمية على عمل إدوارد سعيد. ويربط الباحثان كفاح سعيد العنيد لتعريف هويته وتركيز أبحاثه ودراساته حول اخطاب الكولونيائي والقوى الاستعمارية، وشجب الدائم لاشكال الاضطهاد السياسي والثقافي، واهتمامه بالشروط المادية لعمليتي التفكير والكتابة، وعدم وضاه عن النماذج السائدة في حقل النظرية الادبية والثقافية الم يربطان ذلك كله بقلمطينية سميد والمعناصر التي المهمت في تشكيل هويته السياسية والثقافية المركبة. تشكل طلسطين محوراً يدور حوله معظم إغاز إدوارد

سميد للمرقي، وكما يشير آشكروفت والملوواليا فإن إحساس للفكر الفلسطيني بالفقدان الذي يولده النفى، يصنع تلك المسافة الحلاقة الذي يفترض أن توجد بين للثقف الجماهيري وموضوع بحثه، إن الاقتلاع يجعل الصوت اكثر صفاة وحانة ويحرره كذلك (ص : ١١٤). لقد المجز سعيد عدداً كبيراً من الدراسات والابحاث

والمقالات حول فلسطين (والمسالة الفلسطينية ع (۱۹۷۹)، وبعد السساء الأخيرة و (۱۹۸۱)، والوم الشحاياء (۱۹۸۸)، وسياسات السلب و (۱۹۹۵)، إلغ). لكن فلسطين ليست مجرد موضوع في قائسة الهتمامات معيد المعرفية، فهي متخلل اساسي لكل كتبه حول والاستشراق، تهي القلفية من مشروعه الكبير حول والاستشراق، تلهمه وتدفعه إلى الكشف عن اشكال تحيل الفرب والإسلام، وما يصدق على العرب والمسلمين في الفكر الغربي يصدق تماماً على القلسطينين لكونهم جزواً من هذين العالمين، ولان سعيد مؤمن ان وتحيلات الإسلام هي جزء مهم من للسالة القلسطينية، إذ ان هذه التمثيلات تستخدم لإسكات الفلسطينيون، الذين يدين معظمهم بالإسلام، ومن وجهة نظر سعيد وفإن على العالم أن يسمع للقلسطينيون، بالكلام، و (ص

إن و الاستشراق و وكذلك والشفافة والإمبريالية م مصممان للكشف عن أشكال التنطية الغربية للشرق والعالم الثالث والعرب والإسلام، ومن ثمّ الفلسطينيين. يقول سعيد في تقديمه لطيمة بنخوين من كتاب والاستشراق »: وإن شبكة للشاعر المرقية، والمصور النمطية والإمبريالية السهامية والايديولوجيا التي تحط من قدر الآخرين، التي تجيط بالعربي أو المسلم شديدة الإحكام والسيطرة. وين حيال هذه الشبكة يعابن كل فلسطيدي قدره المتقرد وعقابه المتوم (...) إن علاقة فلسطيدي قدره المتقرد وعقابه المتوم (...) إن علاقة حجبه ككائن بشري ليست، من ثمّ مجرد مسالة اكارتية خالصة بالنسية لهي، و (الاستشراق، طبحة اكارتية خالصة بالنسية لهي، و (الاستشراق، طبحة

يملق آشكروفت واهلوواليا على كلام سعيد قاتلين: وإن والاستشراق، (. .) هو شهرة قدر متقرد وعقاب معتوم خاص بسعيد . ففي هذا الكتاب يقوم عربي فلسطهني يميش في امريكا باستخدام الاساليب

والتقنيات التي يوفرها له موقعه للهني ليتفحص الطرق التي تسلكها الهيمنة للثقافية للحفاظ على استمرارها. ، • (ص : ٦١)

من هنا يبدو عمل إدوارد سعيد، للتعدد المنشغل بقراية حقول معرفية متباعدة، ملتماً حول بؤرة محددة هي فلسطين التي تدفعه إلى الكشف عن التمثيلات السلبية للآخر السائدة في الغرب، لكي يستطيع في النابية تحرير الصوت الفلسطيني من صعته والحصول على وإذن بالكلام عكما يشروني عنوان مقالة نشرها في لندن ربغي واف بوكس عام ١٩٨٤.

إضافة إلى اهتمام سعيد بالكشف عن أتجاهات تمثيل الآخر في الثقافة الفرية فإن إحساسه المنيش بالأقتلاع، ومعرفته بما يولده المنفى من طاقة خلاقة فاعلة، وربطه المدالم بين النصية والمالم، تمثل اتجاهات أساسية في فكره النظرى وتشرح الطبيعة الفشدية التي تتخذها علاقة منجوه المتدى بتيارات ما بعد البنيوية. فعلى الرغم من كونه اول من قائم للجمهور الأكاديمي الأمريكي تياوات ما بعد البنيوية الفرنسية في بداية السبحينات، في عدد من المثالات التي نشرها في ذلك الحين، وفي كتابه وبدايات ا المثالات الذي نشرها في ذلك الحين، وفي كتابه وبدايات في الفعل السياسي، في فكر ما بعد البنيويين جعلت صعيد يقف موقفاً ضدياً من تلك الغيارات.

يشير آشكروف واهلوواليا إلى أن الأسباب الفعلية التي تقل وراء موقف سعيد من تيارات النظرية الأدبية الماصرة السائدة متصلة بمركزية فلسطين في حمله، فهي و تدفعه (. . .) إلى إعادة التفكير بنظريته الأدبية، وراهنية هذه النظرية، وواقعها لللدي والسياسي، وموضعها من العالم، وقدرتها على تشكيل (. . .) هويته بحيث تكون فلسطين على الدوام تذكيراً بموضع النصوص من العالم، !! (من : ه) ويرد الباحثان على الأصوات التي تشكك في هوية سعيد أن التزام الفكر الفلسطيني تجاه قضية شعبه، هوية سعيد أن التزام الفكر الفلسطيني تجاه قضية شعبه، مو نوع من الاختيار الذاتي بغض النظر عن موقع سعيد

في المؤسسة الأكاديمية الأمريكية، أو كونه يحمل الجنسية الأمريكية، أو حضروره البارز في المسحافة والإعلام الفربين، ولعل تشديده على أن إحساسه بالمنفى واقعي، اكثر من كونه مجازياً، نابع من شعوره الفعلي بالاقتلاع من المقرافيا، عما ولد لديه نوعاً من الإيمان بان المنفى يجعل المرء قادراً على تطوير موقفه السياسي والثقافي للمارش. وهو ما يقوده إلى اختيار وظيفة المنقف العام، الراغب في الوصول إلى أوسع شريحة من القراء والمشاهدين، عبر تبد العلام التخصصي للممل الثقافي والتصرف كها قادر على إعلان ورفضه الآراء المتصافية، ورطانة المثقفين للتخصصون 6 ص : ٢٧)، ومن ثم الإقدام على تمزيق الملاقة الشريرة بين للمرفة والسلطة.

ثمة فكرة مركزية في عمل إدوارد سعيد تتصل بعلاقة النصوص بشروطها المكانية والزمانية، وهي متصلة في الآن نفسه بتصوره لعمل للثقف ووظيفة النقد نفسه. ويصك صاحب والاستشراق، اصطلاحاً يقترحه لوصف هذه العلاقة وهو والدنيوية و Worldiness وحسب سعيد فإن على الناقد أن يحرر نفسه من مصيدة التخصص، ويركز في نقده على رؤية حركة النص ضمن شروطه الزمانية وشبكة علاقاته السياسية ـ الاجتماعية المقدة، وهو يرى أن المنجز الأساسي لدراسات ما بعد الاستعمار يتمثل في تشديدها على المناصر والحلية، والإقليمية، والعارض غير المتوقع؛ معاً، أي على الحلى والكوني في آن (ص: ٣٢). ويمكن ربط هذا الالتفات إلى حقل من الدراسات كان صعيد واحداً من اللهمين الأساسيين له بطبيعة تصوره لمعنى القراءة النقدية، إذ أن ترداده الوسواسي لهذه الكلمة (الدنيوية) يقوده على الدوام إلى التمييز بين ما يسميه والنقد الدنيوي، وو النقد الديني، وهما تمطان من القراءة النقدية، يركز الأول منهما على الواقع السياسي للمجتمع الذي تنتج فيه النصوص، وعلى علاقة النقد بالعالم، بكل ما يتضمنه هذا العالم من عناصر انتساب غير ادبية تتجاوز التقاليد

والنصوص الادبية للكرسة، فيما يرهن النمط الثاني من القرابة نفسه للآفاق الضيقة للتخصص واليقين الفرط والرؤية التقليدية المتصلبة.

يستنتج آشكروقت وأهلوواليا، في ضوء ماسبق، أن وعمل سعيد يمثل بصورة مفارقة عمل الناقد الهاوي، إذ أن مجال عمله النقدي يضم كل شيء: النظرية الادبية والنقد النصى، والتاريخ، وتحليل الخطاب، وعلم الاجتماع، ونقد الموسيقي، والأنثروبولوجيا. ، (ص: ٤٨) لكن الشيء المستغرب هو أن ينجز ناقد هاو عملاً يحثياً مؤثراً بضخامة والاستشراق». لقد وصف المستشرق الشهير برنارد لويس اطروحة كتاب والاستشراق ، بانها وزائفة ،، وأن زيفها يصل خدود والعبث ،، وقال إن كتاب سعيد ويفتقد اي شكل من أشكال المعرفة التي يقدمها الياحثون والمتخصصون في عملهم، (ص: ٧٦). إذ ما يفصل عمل سعيد عما يقترحه برنارد لويس، وغيره من الباحثين الأكاديمين الغارقين في تخصصاتهم وتقاليد هذه التخصصات، هو، كما يشير الكاتبان، رغبة سعيد في الانعتاق من أسوار التخصص، والانطلاق في مهمات بحثية يحقق من خلالها انتسابه للعالم وشروطه الدنيوية الملموسة. وهو ما يعكس انشغاله العميق بدور المثقف ووظيفته في المجتمع، وينسجم تماماً مع ما يقدمه من تحليل ثقافي للظواهر التي يدرسهاء والتي تشمل علاقة المعرفة بالسلطة، والنص وعلاقته بسياقه، والتاريخين الثقافي والسياسيء وعلاقة الطاقة الخلاقة للأفراد بالأنماط الثقافية التي تؤثر في عملهم، إلخ تلك الحقول البحثية التي يغزوها عقل إدوارد سعيد ومعرفته العابرة للتخصصات.

يشكل عمل سعيد إذاً رداً على اتهامات برنارد لويس، ومحاولته الحط من قيمة سعيد الفكرية والاكاديمية، كما تكشف اجتهاداته في حقول عديدة من البحث والدراسة اختلاف نظرته إلى المثقف وادواره الاجتماعية والسياسية عن تلك النظرة التقليدية الجامدة التي تسجنه في حقل التخصص الدقيق وتمامله كدة خيوره وو تقني، يبيح

معرفته لمن يدفع آكثر، وقد هاجم صعيد هذا النوع من اتواع والمُقفيني في الكثير نما كتبه، وخصص فصلاً من كتابه وصور المثقف، (؟ ٩٩ ٩) للتمبيز بين المنقف التقني والمثقف المعمومي الذي يبخدم قضية ويعمل على قول والمثقبة للسلطة ؟ مهما كلفه ذلك من شمن، وينبغي إن نشير في هذا السباق إلى أن سعيد نفسه هو نموذج بارز وعمل وطهم لذلك النوع من المنقفين المعوميين الذين يقددهم ويلهج بذكرهم في كتاباته، من امثال فرائز فاتون وإيمبه صويار.

لكن ما هي وظيفة المثقف، كما يراها إدوارد سعيد في عمله؟ تتمثل وظيفة المثقف في ضرورة إنتاج نوع من المرفة لا يتخذ طابع الإكراه والقسر (ص: ١٣١) ، معرفة متحررة من تلك العلاقة للريضة بين السلطة والمعرفة. كما ان على المثقفين أن يتحذوا من الهامش مكاتاً لانطلاقهم، ويتماهوا مع دور المتفيين، ما يسمح لهم يتحدى مجتمعاتهم وإعادة تشكيلها (ص: ١٤٥). ويدعو سعيد المُثقفين، الطّلاقاً من النظرة السابقة، إلى أن يتوجهوا إلى العموم، إلى الجماهير العامة، فليس هناك ما ويدعى بالمثقف التصوصيء، فلقب ومثقف ولا يطلق إلا على الأفراد الذين ٥ يضطلعون بمهمة في فن تحثيل الآخرين، كما يقول سعيد في وصور المثقف، في السياق نفسه يورد آشكروفت واهلوواليا تمييز سعيد، في مقالة نشرها عام ١٩٩١ في عنوان والهوية، السلطة، الحرية: صاحب السلطان والرحالة و، بين ذلك السموذج من المُتقفين التقليديين الذين يدافعون عن الأرض والحدود، ونموذج المثقفين الرتحلين العابرين للحدود والقادرين على نبذ المواقع والمواقف الثابتة على الدوام (ص: ١٣٦).

بالمعنى السابق فإن إدوارد صحيد يقترب كثيراً من النموذج الغرامشي للمثقف العضوي، رغم أنه يشير بإعجاب في 9 صور المثقف إلى توذج للثقف الذي يقده جوليان بندا في كتابه 8 خيانة للشقفين 6ء حيث يشدد للفكر الفرنسي على دور المثقف الرفض القادر على قول

المقبقة للسلطة. يقول سعيد، متمثلاً بعض افكار بندا:
إن على المتقلف أن ويطرح على الناس الاسعلة المريكة
المتفدة، وإن يواجه الافكار التقليدية والمقائدية الجامدة
(لا ان ينتج هذه الافكار ويمارس تلك المقائدي، الي يكون
شخصاً لا تستطيع الحكومات او الشركات اختياره
والتعاون معه بسهولة، شخصاً تكون علة وجوده هي
تمثيل الناس للنسيين والقضايا التي تم إهمالها بمسورة
يقوم بهذا الدور استناداً إلى مبادئ كلية شاملة: إذ اسن
متكررة أو أنها كنست وخبعت تحت البساط. إن المتقف
يقوم بهذا الدور استناداً إلى مبادئ كلية شاملة: إذ اسن
وأل مبادئ المعامرة، فهما يتعلق بالحرية والعدل؛ استناداً
إلى معايير سلوكية لاكفة من قبل القوى العالمية أو القومية،
وأنبات الانتهاكات، المتحمدة أو غير للتعمدة،
الهذه المعايير ومحاربتها بشجاعة. ع (صور المثقف، ص:

إن سعيد لا يؤيد تحليل بندا المتافيزيقي لدور المثقفين اللين يمدهم المفكر الفرنسي اجماعة صغيرة جداً من اللوك القلامقة الموهويين المتقوقين الذين يتمتعون بالأخلاق العالية ويمثلون، من ثم، ضمير البشرية ، لكنه رغم ذلك ماخوذ بالصورة الجذابة للمثقف الراقض لأية سلطة دنيوية، المثقف الشجاع بصورة مدهشة والقادر على قول الحقيقة للسلطة. في ضوء هذا الانسحار بالشجاعة الأخلاقية العالية لجوليان بنداء يبدو تحليل سعيد لواقع المثقف في العالم المعاصر عودة إلى المفهوم السارتري للمثقف الملتزمء خصوصاً أن الحضارة المعاصرة تشجع للثقف على التحول إلى مجرد متخصص يسجن نفسه داخل حقل تخصصه مبتعداً تمام الابتعاد عما يجرى حوله من احداث وما يرتكب من جرائم وفظائع بحق البشر افراداً وجماعات، إن وحش التخصص والاحتراف، والتكسب من المهنة، هو ما ينبه سعيد إلى خطره الذي يتهدد للثقفين في العالم للعاصر. وهو الأمر الذي يجعله ينادي يتحول المثقف إلى شخص هاو في حقل الثقافة لاتجتذبه إغراءات السلطة السياسية

والشركات الكيرى التي تدعوه للعمل لمملحتها، ورهن نتائج عمله برغباتها واهدافها التي قد تمثل أضراراً كبيرة تلحق بالافراد أو بمجموعات معينة من البشر.

ف. ص

ه صدر الكتاب نفسه بطبعة ثانية في آذار ٢٠٠١، في عنوان وإدوارد سعيد، وذلك ضمن سلسلة Routledge Critical Thinkers.

عصر النهضة: مقدمات ليبرالية للحداثة

شربل داغر، موسى وهبة، نديم نعيمة، عزيز العظمة، تنس هنسن، خالد زيادة، شربل نحاس، كمال حمدان، أمينة غصن، عبد الله العروي. الناشر: مؤسسة رينيه معوض – المركز الثقافي العربي – مؤسسة فريديريش ناومان، بيبوت ٥٠٠٠.

يتضمن هذا الكتاب دراسات المؤتمر الذي نظمته كلية الآداب في الجامعة الأميركية في بيروت يومي ١٢ و ١٣ تشرين الثاني عام ١٩٩٨، بالتعاون مع مؤسسة رينيه معوض ومؤسسة فريديريش ناوسان والمعهد الألماني للابحداث الشرقية، وشارك فيه الباحثون الدكاترة: موسى وهبة ونديم نعيمة وخالد زيادة، وشربل نحاس وكمال حمدان وامينة غصن وشربل داغر من لبنان، وعزيز المظمة من سوريا، وتنس هانسن من المانيا وعبد الله العروي من للغرب.

وتنطلق دراسات الكتاب من قرابة نقدية خطابات عصر النهضة واحداثه، بدءاً من اعتبار حملة تابليون بونابرت على مصر وبلاد الشام (١٧٩٨) كبداية لمصر النهضة، وصولاً الى مسارات ومآلات النهضة في البلاد المهية، وعلاقات المفاهم التي اقترنت بمفهوم النهضة كالليمرالية والحداثة، ومراجعة مسار التثاقف والنظر الى النهضة باعتبارها ولوجاً في للثاقفة وما تنضمته من معالم التفضة باعتبارها ولوجاً في للثاقفة وما تنضمته من معالم التفاعل والتاثر بين الثقافتين العربية والاوروبية.

الخرن التاسع عنهماء وكان قد نتج عنهما جدال امتنا من أواخر القرن المشرين، أو ذاك الذي المترين، أو ذاك الذي استمر مع إسماعيل مظهر حتى عشرينات القرن العشرين حول ابن رخد ومكانته، ويرى أنه كان جدالاً بين معاصر ورصيفه (= ورصيفه (= ورصله) ، أي لم يكن جدالاً بين الحداثة والإصالة أو بين محدث وسلفي، ليتبين من ذلك أن كلا المجلين لم يقفز أحدهما خارج عصره، وإن الالتبام لليتافيزيقي الذي كان يلف المصر لمد طرفي الجدال. قبل المجلين لم يقفز أحدهما خارج عصره، وإن الالتبام وقدراته الكبيرية، وحرف باشكال مختلفة. وفي مساق يمتد على مفهومي: الصدالة والتصميب كمدخل لتناول ما يسميه و أزمة اليونيقرسال ه، فعندما تتداخل الصداقة ما يسميه مع التحصيب ويتناقران تاخذ الحمية باطراف الحديث مع التحصيب ويتناقران تاخذ الحمية باطراف الحديث مع التحصيب ويتناقران تاخذ الحمية باطراف الحديث

العروفة والرد على الدهريين، وكتاب فرح انطون وفي

ابن رشد وفلسفته، محاولاً إزالة الالتباس الظاهري

ويرجع وهبة بالصداقة الى 3 ارسطو ، ، صاحب نظرية الصداقة (فيليا) التي تفيد معنى الحبّ والحبة، لكن هذا الالتباس المتافيزيقي: الصداقة والحمية يلجأ موسى وهبة الى قراءة رسالة جمال الدين الافغاني

الحب ليس حب الهوى، بل الفرح بوجود الخبوب، والحية المبدافة، ايم الصداقة، وعيز أرسطو بين ثلاثة أتوام من الصداقة تبماً لقيامها على النفعة أو اللذة أو الفضيلة، وينحاز للصداقة القائمة على الفضيلة، بوصفها الاكمل والامن، لائها تقوم على الحير والعدل، وتقوم بين متساوين وترهم في الديمة واطبة، ورجل الخير يعمل لنفسه، لائه يعمله للمعلل الذي هو فيه والذي هو خلاصة الإنسان الذي في كل واحد منا. ويرى أوسطو أن الفيلسوف محب للمحكمة، وهو عاشق كما يقول و دولوزه، إذن المونان معنى اليونيفرسال (الكلي) عثلاً في المقل الذي عو خلاصة كل إنسان.

وفي باريس يؤسس جمال الدين الأفغاني والمروة الوثقي ٤، وسينتج نظرية في التعصب في مواجهة أوروبا، فيدافع جمال الدين عن التعصب ويؤسس له في الاجتماع والأخلاق والسياسة، ويعتبره من الحصال الحضارية المطلوبة لحياة الأمة، فالقيام بالعصبية تصدر عنه نهضة وتتشكل وحدة تدفع عن الآمة كل اعتداء اجنبي. أما الإقراط في التعصب فهو مذمة تبعث على الجور والاعتداد والدفاع عن المصية بحق وبغير حق، وخروج عن جادة العدل، وكل قوة لا تخضع للعدل مصيرها الزوال. أما التوافق الذي يجعل شهادة التاريخ موافقة لما يرشد اليه العقل الصحيح، ويسمح بالتوسع بمنى التعصب فيسميه ووهبة و الحميّة تمييزاً له عن أشكال التعصب الأخرى: وتقاطع الحمية الصداقة وتختلف عنها، لأن الحمية تنقل المنافسة من بين الافراد إلى منافسة بين الأم، وتبدو الحمية مذهب لحياة للجماعة، إرادة اقتدار وفق قول «نيتشة»، وهي فوق قرمية وفوق عرقية، لكنها ليست مطلقة، وإن نزعت إلى الكليّ واليونيفرسال، فإن نزوعها غير مباشر، ولم يكتف الأفغاني باجتراح نظرية التعصب بل كتب رسائل تطبيقية ليجعلها محكنة، منها والردعلي الدهريين،

التي املتها وحمية جاشت في النفس ٥٥ يسبب غيّ حكومة الإنكليز وإغراء جماعة من البلاد بنبذ الاديان وحل عقود الإيمان, ويخلص وهبة إلى أن قول الحمية ليس قول الحقيقة المنزهة عن الفرض، بل قول المنفعة.

إشكالية الفكر الإسلامي في عصر النهضة:

يتتبع نديم نعيمة في بحثه مسار الفكر النهضوي، من خلال التوقف عند ردة الفعل العكسية، العفوية والشعورية الفكرية ، للمادلة عند أهل العربية أنا استحدثته الهجمة الأوروبية منذ مطلع القرن التاسع عشر على للشرق العثماتي بشكل عام، وعلى عالم العربية بشكل خاص، واوضح ما يرمز إليها اسم كتاب الجيرتي ومظهر التقديس في زوال دولة الفرنسيس»، فالفرنسيون غزاة غرباء في أرض الخلافة ودهريون ونقض للإسلام ولحياة المسلمين، ما يعني أن الحدث الفرنسي الغربي عنى بالنسبة إليه ليس مجرد ظاهرة عسكرية مثل سائر الظاهرات التي عرفها الشرق الإسلامي، بل تعدى ذلك إلى ميادين الإيمان والفكر وطرق العيش، قوصف دولة الفرنسيس بأنها دهرية إلحادية ومارقة، وزوالها يعني عودة الحياة إلى ما كانت عليه مررطرق الميش القائمة على الإيمان والقداسة، وعليه فإن ذهابها مظهر تقديس تماماً كما كان مجيعها إلى والطبوع الذي هو دنيا الإسلام انعكاساً له، وإلى والموضوع؛ انقلاباً عليه. وارتسمت مع جيل الجبرتي معالم الجدلية الحضارية الدنحن، والدهم، فأخذ الغرب الحديث أحد طرفيها والشرق الاسلامي طرفها الآخر، لكن هذه الجدلية ظلَّت سكونية بالنسبة اليهم، وعليه رفض النقيض وحل الاطمئنان إلى ذهابه. ومع حركة التحديث وظهور جيل جديد بدأ طرفا الجدلية يتقاربان، فالطهطاوي الذي عاش فترة في باريس، تعرف على اليادئ والمقومات الفكرية للحضارة الغربية؛ فالحضارة الغربية بخلاف الحياة الإسلامية تطورية دينامية، قائمة على مبدأ التغيير

والتجدد، وتمنح في الشان للعرفي العقل سلطة عليا، وتركز على الإنسان كقيمة مطلقة، وهمها خيره ورفاهه، وتقدس الحرية وتعتبر الشعب في أمته مصدر السلطة، وتجمل الولاء فلوطن مقدساً. وقد انجر الطهطاوي وجيله إلى طرف الغرب في الجداية الحضارية، بعد أن لمس الحداثة ومنجزاتها ونجاحاتها التي استغاض في وصفها في وتخليص الإبريز ٤، ودخل في انتقائية إزائية بين الأسلام والحداثة، أي الانتقاء من واقع الغرب الحديث المتحرك والتاثربه، وانتقاء لواقع إسلامي جامد بغية تحريكه والتأثير فيه، مع الحفاظ على هوية وخصوصية كلا الجانبين واستقلاليته الحضارية ، فظلت هذه الانتقائية على السعاح بلا جذور وأقرب إلى الإصلاحية. ويرى و نعيمة ٥ أنه إذا كان الإسلام 8 كل 8 يقابله 8 كل 9 آخر هو الغرب الحديث، نمن غير المكن جدلياً تحريك شيء في الكل أو إدخال شيء إليه، من غير نقد في الحرك والمتحرك والمؤثر والمتاثر يتناول الكيانين في كل منهما حتى الجذور، ومن المحف توقع مثل هذا النقد من جيل حديث المهد كجيل الطهطاوي، لكنه مطلوب من جيل آخر، جيل محمد عبده واستاذه الافغاني، حيث التقى في تكوينه مادة وروحاً موروثه الإسلامي المقيم وجديده الغربي الوافد. وقد واجهت عبده وجيله مشكلة التخلص من الإزائية

والانتقائية عن طريق الجمع بين طرفي الجدلية المتباعدين، والانتهاء بهما إلى وصدة تصالحية وسطية، أي إيجاد معادلة فكرية يتصالح فيها العقل والإيمان، فالأخذ بمبادئ الحداثة القائمة على العقل لا يعني الابتعاد عن الاسلام او صلوك غير طريقه، بالمقابل فإن الأخذ بمبادئ الشرع لا يعني التنكر لاسباب الحداثة، وتجسد التصالح الوسطي في مقولة محمد عبده التي نظمت تفكيره وهي أن الاسلام دين العقل والعلم والمدنية، وسلك سبلاً متعددة، بعضها قديم سلكه المعتزلة والفلاسفة العقلانيون في ماضي بعضها قديم سلكه المعتزلة والفلاسفة العقلانيون في ماضي

وحديث استوجبته الظروف المستجدة القائمة, وانطوى ذلك على مغالطات وإشكالات انعكست سلباً على مسار الفكر الاسلامي، نظراً للدور الهام للإمام فيه، فالاسلام لم يطور جسماً عقائدياً ناجزاً كي يقوم التمييز بين عقل تاويلي هو المعتبر اسلامياً عقلاً حقيقياً، فتاويله تاويل حقيقي معتمد، وبين عقل آخر يجب أن يسقط نهائياً من هذا الاعتبار، كما لا يمكن اعتماد أن ما يثبت عقلاتية الاسلام، كونه قد تسبب في ماضيه بواحدة من أشد المضارات احتفاء بالعلوم العقلية، وأن هذه العلوم لم تخب إلا نتيجة الانحراف عن تعاليمه، وأن العودة إلى هذه التعاليم كفيلة بعؤدة المسلمين، إسوة بالغرب الحديث، إلى حياة العقل والعلم والحضارة. إن الإشكال الفكري في ما طرحه عيده وبعض مجايليه يكسن في التحول بالإسلام، من باب الحرص على المصالحة بينه كدين ثابت ناجز، وبين مدنية علمية متحركة دوماً من نقض إلى اكتمال، إلى نوع من رؤيا افلاطونية ميتافيزيقية إلى الكون والحياة، فمن جهة هنالك الثوابت الميتافيزيقة الطلقة المتمثلة في العبادات، وهنالك من جهة أخرى عالم للتحركات المتمثل بالمعاملات المتحركة، والمتكيفة بمرونة مع حركية المجتمع البشري ومستلزمات نموه وحياته ومدنيته، بذلك يتكرر السؤال السقراطي عن مبدا الحركة الفاعلة والثابت المطلق لا يتحرك ابدأه واعتبار الاسلام دين المدنية يفضى إما الى تحريك الاسلام بمقتضى حركية المدينة المستمرة، أو تجميد المدينة إلزاما بثبات الأسلام. وهكذا يعتبر نعيمة الامشكلة الفكر النهضوى الاسلامي تكمن في عدم القدرة على التمييز بين الاسلام الثابت المطلق من جهة، وبين المدينة الاسلامية من جهة اخرى، بحيث يحافظ على مطلقية الإسلام وثباته، وتسبب هذا لاحقاً في عرقلة مسيرة ذلك الفكر وحرمانه من التجذر، فكون الاسلام كدين لا الاسلام كمدينة هو المحك الاخير

الشريعة والحكمة، ويعضها مستحدث أو مزيج من قديم

لكل رفض أو قبول؛ أضحى على الفكر الاسلامي اللاحق في مختلف شؤود المعرفة، لا أن يؤصل في للدينة الاسلامية وحدها بناء على تاريخها وظروفها القائمة، بل إن يجترح تخريجاً دينياً مقبولاً، وقد تمثل هذا الوضع في اقطاب الجيل اللاحق لجيل محمد عبده. فعلى عبد الرازق، في كتابه والإسلام واصول الحكم، نقض الخلافة دينياً، وجاء الرد على نقضه للخلافة دينياً أيضاً، ليس في الإدانة التي أصدرها بحقه علماء الأزهر، بل من رشيد رضا وآخرين. وظل موضوع الخلافة، التي ربط أمرها بالإسلام المقيدة، شاناً يتعاطاه الثبتون والناقضون من غير أن يعرف يقيناً على ضوء مسارها في تاريخ للدينة الاسلامية ذاتهاء ولم تُقوم بناء على أوضاع الحاضر وظروفه رفضاً أو قبولاً، وكان لطه حسين في حرصه على الفصل بين الأدب والعقيدة، مثلما كان لعلى عبد الرازق من قبل في موضوع الخلافة، ولم يسعفه استخدام الشك الديكارتي الذي لا يُعتمد أصلاً في التحقق من سيدنا إراهيم ومن بنائه للكعية. وحين اعتبر محمد حسين هيكل الاديان ظاهرة اجتماعية اقتضتها ظروف التاريخ رافضاً أن تكون وحياً، تحول إلى دين جديد هو مصر الفرعونية ولم يتحول إلى المدنية، وحين ارتد إلى الاسلام كان ارتداده الى الدين اكثر منه ارتداداً إلى مدينة، وتمثل الناصرية ، أوضع نموذج ، على المستوى العملي ، لإشكالية الفكر الاسلامي النهضوي، فلم يستطع عبد الناصر، وقد سلم بالمادية العلمية كفلسفة لتفسير حركية التاريخ وللتعامل مع التحولات في الجتمعات؛ إلا أنه يربطها بالإيمان الثابت المطلق، فأقام جسراً بين العقل للاركسي والديني، متذرعاً بالمقولية المموهة التي تجمع الاشتراكية بالدين، والمادية مع الروحية. ويخلهن نعيمة إلى الجدلية بطبیعتها بین ثابت ومتحرك، بل بین متحركین، فلیس

الطلوب الفصل بين الإسلام والمدنية، ولا المواجهة بين

شرق وغرب. فالمتحرك هو الأسلام التاريخ والحضارة

والدنية، لذلك فإن الاصطخاب الجدني يفهم على ضوء متحركين: المدنية الحديثة والاسلام كمدنية، وأي نتاج عن ذلك سيكون اصبلاً.

ته ترات السياسة والتكاس فكر الحداثة:

يقصد عزيز العظمة بالسياسة مفهوماً يتناول علاقة المثقف الحداثي بوطنه ويفعات الوطن الأخرى، وبعلاقاتها وتصوراتها المشكّلة للشان العام، ويقصد بالانتكاس التحولات التي تصيب مبنى الفكر عبر مسيرته، وبالتو ترات الأمور للتعلقة باجتماعيات السياسة والثقافة. ويحدد البداثة بالواقع التاريخي الذي داهمنا في القرن التاسع عشر بوصفه ثياراً تاريخياً موضوعياً، ويستند هذا الواقع بجملة تحولات بنيوية اصابت الاقتصاد والجثمع والثقافة والسياسة وغيرها. ويمكن تلمس آثار الحداثة بالقوانين التي ازالت نظماً قديمة، وباعتمادنا حياة عقلية تستند إلى جملة من معارف العلم الطبيعي والتاريخ والمغرافيا، يدلاً من الركون إلى المعرفة بالجن والعفاريت والخرافات، وفي تحول الكتّاب والدير إلى مدرسة باشكال متفاوتة ، والانتقال من المرفة الشفوية إلى المرفة الكتوبة القائمة على النص المطبوع، وجرت عملية إزاحة رجال الدين عن موقع الصدارة في الحياة الأهلية، وانتقل ذلك الدور إلى الدولة، التي تولت إرسال الطلبة إلى البلدان الاوروبية، وهكذا يخلص العظمة إلى أن الحداثة العربية حملت معها العلمانية ضمناً، وعليه ازيحت المؤسسة الدينية عن موقع الصدارة في الحياة الدينية والفكر، فساد التعليم ودخلت للراة ميدان العمل والانتاج، لذلك فالحداثة لم تكن شاتاً سطحياً، بل اخترقتنا عبر علاقات السيطرة التي الحقت تاريخنا بتاريخ أوروبا، ودمجته بشكل غير متكافئ في مسيرة التاريخ المالي. ويعتبر العظمة أن ذلك شكّل حالة انقطاع تاريخي ماثل، فلسنا في الماضي ولسنا كلياً في معاصرة مع غيرها. لكن ذلك 343

لا ينسحب على كل تاريخ العرب منذ منتصف القرن التاميع عشر، فليس هناك تاريخ عربي متجانس ولا تاريخ أوروبي واحد.

ويركز عزيز العظمة على لحظة نكوص يعتبرها نمو ذجية، وهي تراجع الفكر الحداثي في مصر في عشرينات وثلاثينات القرن العشرين، ممثلة بطه حسين ومحمد حسين هيكل، فقد أدرج طه حسين القصص الاسلامية في إطار تاريخ الاساطير، واستنتج أن الحبر عن أبوة إسماعيل للعرب كان رواية سياسية، القصد منها إيجاد صلة بين العرب واليهود، وقبل القرشيون أسطورة إنشاء إبراهيم للكعبة، مثلما قبل الرومان أسطورة مشابهة تنسبهم إلى اليونان، لكن شكّية طه حسين العقلية والتاريخية لم تذهب إلى مداها المكن، ولم يكن طه حسين وحيداً في هذا التوجه إلى أمور التاريخ. غير أن اللجم الذاتي للعقل الذي مارسه على نفسه وغيره، أدى إلى إذعانه، وجعل من قراءته للتاريخ استدراراً للعبر والعظات والأعاجيب، كما في قراءته التاريخ الطبري أو في تعدويره للفتنة الكبري، حيث جعل علياً صفاء تاماً، ومعاوية رجلاً يؤثر الدنيا على الدين، ويصور العظمة ذلك على أنه تعطيل متعمد للعقل التاريخي على تلك الشؤون، وأن ثمة نظرية عأمة في الثقافة تثوي خلف هذه المواقف، مؤداها أن الثقافة نصاب متعال غير مشوب بالدنيا، متحرر من التاريخ، آيل بصاحب الثقافة إلى مصاف النور الصرف، وعليه يكون التمرب اللغوى لديار الاسلام، مشلاً، أمراً لا يتصل بالعوامل السياسية والاجتماعية للثقافة ولنغة، إلها شاناً راجعاً إلى سحر خاص يسيطر عَثْي المقول وينفذ إلى القلوب، وقد اقترن التراجع عند طه حسين وغيره على التشديد على اللا عقل في التاريخ، وعلى ما اعتبروه وحداناً لاعقلباً قاراً للحمهور، وعلى الانتصار لروحية للشرق هي على تضاد مع مادية ويهيمية الغرب.

اما دراسة محمد حسين هيكل لحياة محمد، فيعيرها المظهمة متقدمة يكثير منهجاً وانضباطاً واحكاماً على دراسات طه حسين التراثية، غير آنه جعل من العلم مفهوماً وحرارة يقتقر التى الممارسة، وغدا هاجس النقد النصي عنده وسيلة لتثبيت الفهم الإيماني للنص، وقد رمى هيكل إلى إنقاذ النقليد واهله من البرنامج اللاعقلاني المجهض عند طه حسين، ومن الحس التاريخي لعلى عبد الرازق، لكنه لم يفصح عن ذلك، وكان منطلقه يرمي إلى القطع دون تحصى، فاتمي بجرات قلم قليلة في موقفه الواسع الا لرعميار عمل التفكير التاريخي في صدر الإسلام، واعاد الاعتبار عمل مرجعية التغليد والماثور.

ويطالب العظمة، في دراسته النقدية هذه، بحكف الكلام عن طه حسين، وبالتالي عن غيره من مفكري عصر الذي نعيشه، أو بعبارة ادف النهية الذي نعيشه، أو بعبارة ادف الله يمائل موانا، تجاوزت علمه منهجاً ومضموناً، وكان المنترض اننا تجاوزت مداوراته، و كفانا تمجيد للعقبة الليبرالية المصرية ومفكريها، والحري بنا الالتفاف إلى وفصامية واكثر إحكاماً: من جميل صليبا إلى رئيش خوري إلى قسطنطين زريق ومحمد كامل عباد ومحمد جميل بهجم، وصولاً إلى زمن معاصينا، ففي نهضتنا لمشرقية عناصر استموار مع الحاضر. وعلينا، بدلاً من توسل طه حسين ومجايلية امثولات مناقبيه لنا، منزوعة تومانياه التساؤل عما ثبقي من طه حسين، وعمان المقل. عن زمانها، التساؤل عما ثبقي من طه حسين، وعمان المقل.

نشأة السوق: علاقات وعلامات

في مقالته: بيروت مدينة التنظيمات، يتناول تدسن هانسن افكاراً عن كيفية تحلول نمو مدينة بيروت الممراتي خلال القرن التاسع عشر، وخاصة اواخره، ويعالج ثلاثة بُمانِج لدراسة للدينة، هي: المدينة الإسلامية او الشرقية،

وللدينة المستعمرة، ومدينة البحر الأبيض المتوسط، ويحاول وهانسن، وبط مفهوم النهضة بالمدينة من خلال الحركة الثقافية والأدبية.

وينطلق هانسن من دراسة ماكس فيبر التي اعتبرت

المدينة الشرقية ميداناً للسلطة غير الشرعية، مقارنة بنموذج المدينة الأوروبية، ويعزو ذلك إلى عدم وجود حقوق مواطنة او مؤسسات تكسب المدينة هويتها، لكن مصطلح المدينة الاسلامية الحالي من الوحدة السياسية استخدم ذريعة للتدخل السياسي والمسكري الاورومي باسم التحديث والترقى، وكما أن بطش الحكام في الدينة الاسلامية منع استقلاليتها وتطورها، كذلك فإن الجيوش الاستعمارية والشركات والبنوك منعت اية مبادرة أهلية، وبقيت المدن ميادين للسلطة غير الشرعية، ودخل نموذج مدينة المتوسط كنموذج المدينة المستعمرة، فقد فصل نظام الراسمالية العالمية الدور التجاري للمدن الساحلية، نظراً لاهمية مرافعها عن للدن الداخلية، ونشأت علاقات تجارية عائلية في معظم مدن البحر الأبيض المتوسط، فكانت العلاقات الاقتصادية بين أهل بيروت وأهل دمشق قوية، وكان نجاح بيروت يستند إلى علاقات التبادل الحر مع أوروبا في بداية القرن التاسع عشر، ويتم خارج نطاق تدخل الدولة العثمانية، وكانت مدينة عكا للركز التجاري الأهم، كونها شكلت مخازن للقمح والقطن وزيت الزيتون الوارد من جبال الجليل ونابلس وسهول دمشق، بينما نمت بيروت عندما أصبحت عاصمة ولاية الدولة العثمانية في العام ١٨٨٨، وتحولت إلى مركز سياسي إقليمي عثماني، وحدد التجار البيروتيون الدور الجديد لدينتهم، حيث حافظت المدينة على استقلالها النسبى

ودورها كمركز تجارى، وجددت الأسواق القديمة: سوق

الجميل وسوق الطويلة بمد الانتهاء من ورش الإعمار،

تحولت هذه الاسواق الى محال فخمة برجوازية لبيم

المعلورات والأثاث والجوهرات، حتى نهوض منطقة الحمراء في الخمسينات والستينات من القرن العشرين، واستقطبت ساحة البرج مخيلة البيروتيين، كل ذلك جمل بيروت مكاناً للتسوق والاستهلاك والترفيه عن النفس، فتكاثرت الفنادق والابنية الفخمة والاندية وللسارح والحدائق وغيرها من الاماكن.

ويتناول خالد زيادة في دراسته علاقة النهضة باللدينة عسر يحدد بداية النهضة بمحدليات التحديث في معبر مع محمد علي باشا (۱۸۰۵ – ۱۸۶۸)، وفي تونس في عهدى الباي احمد (۱۸۳۷ – ۱۸۶۵)، ولياي محمد الصادق (۱۸۵۵ – ۱۸۸۱)، وفي بلاد الشام مع إطلاق التنظيمات في الدولة المضائية بمد العام ۱۸۲۹ ، ويقسم النهضة الى وجهين: عملي تجلى بالإصلاحات القانونية والمسكرية وللمائية والتربوية ووجه أديني ولنوي وفكري الحكرية ولياء اللغة العربية وترويج الإفكار وللفاهيم الجديدة.

ولم تكن المدن بعيدة عن الإنجازات المحدودة مقبة النهضة والتنظيمات، فقد شهدت القاهرة ودمشق وحلب ومدن الساحل حركة نشيطة جلبت معها عناصر الإدارة من كتاب ومحاسبين، بالإضافة إلى التجار، وجرى شق الطرق وهدم الأحياء القديمة، وتضاعفت المساحات للبنية، ما ادى إلى إفقار هجرة الريف إلى للدينة، لكن الجراف الذي شهدته هذه المدن كان يصب في الالساق التقليدية، فحدثت القسمة بين القديم والحديث في مختلف المجالات.

ويتتبع شهل نحاس عمليات تشكيل الشبكات الاقتصادية والبشرية في عصر النهضة، محاولاً الإحاطة بالمعليات للادية والفكرية التي حكمت النهضة، وبذلك يتناول النهضة كحدث تاريخي له امتدادات اجتماعية وفكرية وسياسية. وباعتبار ان جبل لبنان تحول في أواسط

القرن الناسع عشر تدريجياً إلى منطقة لإنتاج وتصدير الحرير، فإن هذا جعله يرتبط بالسوق الأوروبية، لكنه تحول ايضاً إلى خزان هجرة. اما مدن بلاد الشام لا سيما دمشق وبيروت فقد شهدت نزوحاً مفاجئاً وانتقالاً تدريجياً، فانشات سكة الحديد، وتم تحديث مرفا بدوت وتأسيس الوكالات البحرية والتجارية والمؤسسات المصرفية والصحافية والطباعية وشركات التأمين، وإقامة الفنادق والمستشفيات وفتح المحلات التجارية الحديثة. وهي كلها مؤسسات استقطبت شبابأ محليين تدربوا فيها واكتسبوا مهارات جديدة، فشكلوا خميرة برجوازية مدينية بقيت سماتها العائلية ظاهرة حتى اليوم، وكان للميشريين الإنجيليين دور هام في تسريع تطور الجتمع، ولا شك أن ليونة بيروت وسهولة تقبلها الجديد كان سيبه محدودية مجالها البشري الأصلى، فلم يشكل عاتمة تجاه التطور المتسارع، ويفضل تضافر مجموعة عوامل خارجية وداخلية كانت نهضة بيروت، ويخلص شريل نحاس إلى أن عصر التهضة وفر مقدمات وشروط لتراكمات مادية وفكرية عديدة، شكلت ذخراً وإرثاً لما تلاها.

ويبحث كمال حمدان في علاقات اقتصاد السوق وتموضعها بين داخل وخارج لبنان، بفية فهم المعالم الاعم والأحمل فتشكيلة الاقتصاد اللبنائي، وذلك سمياً منه لفهم افعال الإنجاب عصر النهضة وانمكاساتها وتماملاتها، ويرصد التحولات التي كانت تعيشها السلطنة العثمائية في أواسط القرن التاسع عشر واثر ذلك على مناطق الممترق العربي، ثم دور الانتداب القرنسي في تأكيد نظام الامتيازات الاجتباء، وتطوير المؤسسات التعليمية والثقافية والرعائية المستخدمة في توسيع نفوذ المناسح الفرنسية السياسية والاقتصادية، وقد يدات معالم اقتصاد السوق تظهر تعريجياً في تقسيم العصل التنايد في الأرتباح الحرق والبضائي، الامراتاء المرقي والبضائي، الامراتاء المرقي والبضائعي، الامراتاحتص المتزايد في الإنتاج الحرقي والبضائعي، الامراتاحتص المتزايد في الإنتاج الحرقي والبضائعي، الامراتاحتص المتزايد في الإنتاج الحرقي والبضائعي، الامراتاحتص المتزايد في الإنتاج الحرق والبضائعي، الامراتاحتص المتزايد في الإنتاج الحرق والبضائعي، الامراتاحتص المتزايد في الإنتاج الحرق والبضائعي، الامراتاح المتحدد المتحدد في الامراتاحد في الإمراتاح المتحدد في الامراتاحد في الإمراتاحد في الوسطناح والتخصص المتزايد في الإنتاج الحرق والبضائعي، الامراتاحد في الإمراتاحد في الإمراتاحد في الإمراتاحد في الإمراتاحد في الإمراتاح والتخصص المتزايد في الإنتاج الحرق والبضائع في الامراتاحد في الإمراتاحد في الإمراتاحد في الإمراتاح والتخصص المتزايد في الإنتاج الحرق والبضائع في الامراتاحد في الإمراتاحد في الأمراتاحد في الأمراتاحد في الإمراتاحد في الأمراتاحد في الإمراتاحد في الإمراتاحد في الإمراتاحد في الأمراتاحد في الأمراتاحد في الإمراتاحد في الأمراتاحد في الأمراتاحد في الأمراتاحد في الإمراتاحد في الأمراتاحد في المراتاحد في الأمراتاحد في المراتاحد في الأمراتاحد في الأمراتاحد في الأمراتاحد في الأمراتاحد في الأمراتاحد في الأمراتاحد في المراتاحد
الذي ادى إلى بروز نواة بورجوازية تجارية في مناطق جبل لهنان وبلاد الشام، وقد ارتبطت معظم النشاطات بممليات التبادل بين مناطق وولايات السلطنة، وشجع بمليات التبادل بين مناطق وولايات السلطنة، وشجع ذلك تنوع الانتاج، وأتجهت بعض للدن والبلدات نحو التخصيص في انشطة متكاملة، ثم نشات حلقة مبناعية بالتدخل الاستعماري، الآن هذه الآلية ارتطمت بالتدخل الاستعماري، ما أدى الى تشويه سيرورتها المامل الداخلية لهذا النسق من أقتصاد السوق مع تقسيم وتبمات الثورة المساعية الورويية فكرست موارد وثروات المبلاد كامواق استهلاك وتصريف، ولم يتطور فيها إلا ما ينخره دول المتربول، اي بعض البن المتعمورة وفي الإدمام محصورة وفي احيان كثيرة مضومة.

المثقافة والتجديد :

في الجانب الثقافي للنهضة ترى أمينة همين ان ثقافتنا المربية ما بين القرنين التاسع عشر والعشرين هي ثقافة ازمة، ومن هذا المنطلق تبحث الكاتبة في مسيرة وفرح انعطون و السوسيوسياسية، حيث عمل وانطون و في مجلة انعطون و السوسيوسياسية، حيث عمل وانطون و في مجلة والاجتماع والاقتصاد والادب، وقد بين في مقدمة العدد وخدمة الوطن العثمانية والمعثمانية و اعتدمة الوطن العثمانية والمعثمانية و اعتدمة الوطن العثمانية عدل مهم المجلة فاصبح و خدمة الوطن العثمانية عدل المحلة فاصبح و مجلة الجامعة ى وكان هدف الكتابة عنده اصلاحياً و وتربياً. وقد اعترى كتاباته افتقاره للمنهج، فلم ينطلق و ترميع محدد وصارم خلال طرحه لا فكاره الفلسفية من منهج محدد وصارم خلال طرحه لا فكاره الفلسفية المستعية، وأما انعطاق من طريقة في الكتابة اتسمت من منهج محدد وصارم خلال طرحه لا فكاره الفلسفية والاجتماعية، إنما العلم من طريقة في الكتابة اتسمت

واجهوا الشؤون الاجتماعية وعالجوها على كثير من الجراة والتقدم، واقره انطون الماثار باوغست كونت إن الدولة شكل عقلي — مادي نابع من حاجات البشر العملية ، ومن هنا جاءت مناقشته لنظرية القاتلين بالوحدة للذهبية او الجامعة الذينية ، المتقدين أن اصلاح العمران متوقف على الأصلاح الديني كالانفائي وصحمد عبده ، وبعد توقفها مطولاً عند المداورات التي جرت بهنه وبين محمد عبده والافغائي، ترى غصن أن انطون و مويرمان و عصر النهضة ، معلقاً في حال من الدوارين المملهمية والاوروبية ، المثالية منها والإلحادية ، إلى أن مات ولم يقل الكلمة الغصل.

الكتاب والأفق:

إن البحث في المعلومات والمعطيات عن سبل اكتساب العربية وتعلمها في العهد العثماني في الولايات المتلقة، تعتريه صعوبة تفرق المعلومات المستقاة من كتب والاعيان، و والتراجم، ومن كتب الرحالة، لذلك يلجأ الباحث الى تلمس العلاقة بين العلم والعمل في الحلقات الدينية ومراكز العلم والمدارس وسواها، وهو ما فعله شريل داغر في سياق قراءته (المنتخبات؛ من كتاب والجواب على اقتراح الاحباب؛ لميخاثيل مشاقة، فالكتاب يمزج بين الترجمة بمعناها الأسلامي القديم، والسيرة الشخصية وسرد التاريخ، وينفتح على النقل الشفوي، والكتابي، وعلى التحقق العياتي. ويستنطق داغر التاريخ الفيزياثي لمواقع التعليم اللبنانية في عدد من تماذجها، فيجد المدرسة، بداية، لصيقة الجامع، وهذا ينطبق أيضاً علني مبانى التعليم المسيحية ، بعد انفكاكها عن العهد الديني المنغلق في الأديار، إذ غالباً ما كان يتم استئجار مواقع للتعليم مثل دور البيوت أو أديرة مهجورة أو تحويل خلوات معروفة للتدريس، وإلى جاتب صور متناثرة، كاجتماع

طالب أو أكثر حول معلم أو شيخ. وكانت « النظامنامه » العثمانية التي أقرها مجلس الإدارة الكبير في المتصرفية تمول مدارس من أوقاف الطوائف، وأسست متصرفية جيل لبنان مدارس عديدة. وقامت انظمة ترتيبية للمدرسة، ونشطت للدارس في بيروت، ونحت بعد أن أصبحت اللدينة - الحور على شاطئ التوسط في عهد ابراهيم باشاء ثم انشأت للدارس العالية أو الجامعات والجمعيات العلمية والأدبية. وهكذا حدث فك التلازم بين العلم والدين، سواء في مباني التعليم أو في مواده، وهذا ما تشير إليه شهادات ميخاثيل مشاقة أو أحمد فارس الشدياق وغيرهماء غيران العلم له إهداف مهنية مرتبطة بمثالات تطور وتمدن واقعة خارج الحاجات الحلية، وهذا ما تؤكده مبادرات بعض الإرساليات والمبشرين وإغراءاتهاء وبشكل عام كان للتعليم اللبناني في العهد العثماني سُبُرا مختلفة، متباينة الدواقع، بين دينية وتثقيفية ومهنية، وأدت الى إنتاج مدرس ووسيط لغوي.

ويرى دافر أن مشاعر متياينة كانت تخالط و مشاقة و في كتابه، ترفوح بين البلية والفرح، بين ضبيق ثقافة الاهل وانفتاح الكون آمام ناظريه، وكان توق للتعلمين الأوائل إلى العلم يمكس اندفاعهم إلى الترقي بشروطه المصرية، وفيه كذلك تخلص بعضهم من عالم التوجسات التي عُكم منظور الطوافف والجماعات بعضها إلى بعض، لكن امتلاك المنظور الجديد، والتحامات بعضها إلى بعض، لكن كما يسميها ومشاقة ى، تملك اطلاعي يفيد 1 التسايد نلمارف، ويبقها خارج التجربة المردية أو التاريخية، وقد ظن و مشاقة ى أنه حين يفتح كتب العلم يبسط افن المالم على هشاشة الصلة، لكنه خط التوق الذي يصدر عن خات يكفلها ميلان النفس.

إرث النهضة وأزمة الراهن:

إن تاويل النهضة، ينيني على تاويلات خاضمة بدورها للتأثيل، وهو ما يدركه عبد الله المروي في تاويله لحدث النهضة، فالنهضة تشير إلى وضعية معينة رزمان معين وموقع معين، كذلك تشير إلى مثال قائم في الذهن، ولا يرى المروي ضرورة إثبات أن رجال النهضة قد عرفوا كل شيء عنها ولا حتى أنهم هلى وعي بمضمونها، لذلك، يبحث عن محددات النهضة والفوارق التي تفصلها عن غيرها، قصد الاستفادة من إرتها.

لقد حدثت النهضة العربية في قلب السلطنة العثمانية وليس في اطرافها، في منطقة قريبة من أوروبا وذات مغزى عاطفي وديني بالنسبة إليها، في مجتمع له خصائص بنيوية معينة. على هذا المستوى لا يجدي استحضار أفكار النهضة، بل تجاوزها وإظهار خلفياتها ومؤهلاتها. وتكون النهضة نهضة حين ترحب يكل فكرة قابلة للتطبيق، تؤول الماضي، ماضي الإنسانية جمعاء، بهدف الاستفادة منه، لكنها لا تؤول ذاتها، ويعتبر العروى أن فكر النهضة اختفى مع الاحتلال الاجنبي، بمعنى انه لو نجم إصلاح النهضة لما حصل الاحتلال الأجنبي، وتختلف آثار الاستعمار باختلاف وسائله واهدافه، لكنه يمثل نظاماً تاريخياً شاملاً، يؤثر على الجتمعات التي يتحكم بمصيرها بنقس القدر، فهو يغير وجود الجو الثقافي والنفساني المحيط بظهوراي مشروع إصلاحي نهضوي، وعليه يرى العروي ضرورة التمييز المنهجي بين فكر النهضة السابق للاحتلال والفكر الوطني اللاحق. ويمكن المقارنة على مستوى الوطن العربي وفي حالة كل قطر على حدة بين ثلاثة أنماط من تطور الفكر الاجتماعي الإصلاحي: الأول فكر النهضة، والثاني فكر المقاومة الوطنية، والثالث فكر

الاستقلال السياسي، وما يميز فكر النهضة هو الجراة على الاجتهاد واعتباره واجباً دينياً وطنياً أخلاقياً. غمد هذه المجتهاد واعتباره واجباً دينياً وطنياً أخلاقياً. غمد هذه والمحاوكي ومؤرخي تونس والمغرب، ويقدم المروي مثالاً غير عربي هو كتاب الزعيم الهندي المسلم محمد إقبال، وإعادة تركيب الفكر الاسلامي ٤٠ فإقبال يركز في بداية ونهاية مؤلفه على مفهوم الاجتهاد صبدياً تجرؤاً نادراً على المستوى العملي، وقد طالب رجال النهضة بالحرية المستوى العملي، وقد طالب رجال النهضة بالحرية السياسية والمدنية، وكان ذلك مطلباً لتجرية حياتية جماعة، ونحن نحر"إلى عهد النهضة الاننا نقارن انفسنا

ويتتقل العروي في بحثه إلى تناول حالة الأزمة التي تتمدد صورها في البلاد المربية، والتي تحمل طابعاً تاريخياً مقارفاً، وتشير إلى علاقة نسبة بين الاقطار العربية كصجموعة مرسومة على واجهة الممكن المتوقع، وبين مجموعات اخرى واقعة أو متوقعة كذلك. وفي المرحلة الاستعمارية عزز الاستعمار جهاز الدولة بوجهيه: إلاحماري والقمعي، ثم جاء عهد الاستقلال السياسي ولم يعرف أي قطرعربي حالة تسبيق المجتمع على الدولة، إذ وصل الجيش إلى الحكم بعد تجمرة برائلية قصيرة اخفقت لاسياب عديدة، ولم يغادر الجيش الحكم إلى يومنا هذا، فتسلط الفرد على الدولة بعدما تسلطت الدولة على المجتمع، ومع مرور الايام توالت الهزائم، وانتفت فكرة الإصلاح. لذلك يرى العروي أننا في صاحة إلى استمادة ورح رجال النهضة وما غيزوابه من جراة وصدق وتفاؤل، كي نتصدى لمشكلاتنا.

اسماعيل وتمام شمّوط: جداريات السيرة والمسيرة

الوطنية الفلسطينية.

الفلسطيني تحريفاً هو الإنسان الذي اغتصبت وحية ، وأعطي عوضاً عنها وضرورة ، قبل بها كحرية وحيدة متاحة ، وفي حدود هذه الحرية، التي لاحرية فها ، كتب غسان كنفاني رواباته الناقصة ، وتستك جبرا امراهيم معمود درويش مشروعاً شعرياً فيهذاً وطليقاً . . . وإلى معمود درويش مشروعاً شعرياً فيهذاً وطليقاً . . . وإلى معلما الخلافة لهذا الفليقاً والى أوانه كلها بدعاً من صبي تههره صور الشهداء ويمضي شهيداً ، وسولاً إلى فانا نجيب ، يرسم فلسطين والشهيداً ، وسولاً إلى فانا نجيب ، يرسم فلسطين والشهيداً ، وسولاً إلى فانا نجيب ، يرسم فلسطين والشهيد

ة جداريات السيرة والمسيرة الفلسطينية B، وقد استقرات في شكل كتاب، قوامه إبداع اسماعيل وتمام شموط ومسيرتهما، صورة عن الإبداع الفلسطيني الغريب، الذي يفرض على المبدع الموضوع وقراءة الموضوع ايضاً. في علاقة اسماعيل بتمام، كفردين، ما هو مطابق لعلاقتهما، كفدانين، بفلسطين واقدارها الختلفة. والتكافل القائم بينهما كإنسائين يعيد ترجمة ذاته في تكافل الوطن – الموضوع واللوحات الفنية المتجاددة، التي تحكى ساعات الضياع الاولى وخفقات الرغبة الطويلة في عودة اللفقود. ولن تكون حياتهما، أي حياة عملهما الفني، إلا صورة عن حياة فلسطين، التي فقدت شعبها وتنتظر شعبها في آن. ولوحات اسماعيل، كما لوحات تمام، مفردات واضحة لتلك الحياة الغريبة، التي تختلط فيها الأزمنة، إذ الخيمة المنسوجة من للهانة تستدعى حقلاً فلسطينياً احمره وإذ احزان الغربة للتدفقة تحاور عرساً جليلاً ووضيئاً مضى، وإذ رغيف الغربة المخلوط بالذل يوسى ببندقية وقامة منتصبة. ولعل هذا الفن، الذي أراد أن يكون ذاكرة جماعية واضحة الحروف، هو الذي وزع لوحات اسماعيل وتمام على جدران فلسطينية مختلفة، ولعل هذا الفن، الذي آثر التذكير والتحريض والتربية، هو الذي جعل من لوحاتهما جزءاً حميماً من الثقافة

ومثلما أن للنص سياقه في الأزمنة السعيدة، فالنص هو البداية والمبتداء فإن لكل سياق نعبُه في الأزمنة التي نُهبّت سعادتها، إذ السياق حاكمٌ ومرجعٌ وصاحب قول وحيد. وكما يكون السياق، وهو فلسطيني، يكون قرله المضطرب الألوان، الذي عليه أن يرسم ابتسامة لا تُرى على وجه لاجئة خاصمها الابتسام منذ زمن طويل. وكان على والشموطين، أن يطاردا، ولمدة خمسين عاماً، تلك الابتسامة الصعبة، وأن يقبضا عليها وأن يروضاها بلغة الألوان الختلفة، كي تستقر على وجه فلسطينية مكلومة، هي مرآة لا كثر من فلسطينية في أكثر من مكان . العرس الغلسطيني، اللاجئ الفلسطيني، المجوز الفلسطيني، الربيع القلسطيتي والخيمة والمضافة، إلى الشعب الفلسطيتي علم هي المفردات، وما شابهها، التي رسم بها إسماعيل وتمام وجوه الفلسطيني المتعددة والمتنوعة والمتغيرة. لا وجه، صدمته الدكبة أو أصطدم بها، إلا ومرّت عليه ريشة هذين الفنانين الصادقين ; الشيخ والكهل والشاب واليافع والصيى والطفل ومافي الأرحام، والمتذكر والشارد والمتاستي والمتفائل ومن قوضه نكد الحياة ومن أيقظه الأمل لحظة فابتسم إنها ٥ ميثولوجيا للضطهدين؛ في مغارقتها للؤسية؛ التي تمزج المتخيّل بالحياة وتلفى الحدود بين الازمنة الختلفة، إذ الماضي قائم في جمال لم تره عين، والحاضر موزع على خيمة ومخيم وقدم حافية وانتظار متمرده وإذ المستقبل امرأة باسقة تحمل علماً منتصراً، أو علماً جميل الألوان استقرّ في شكل امرأة تحقب والميثولوجيا الفلسطينية ، كما جاءت على , يشة تمام واسماعيل، التراجيديا الخالصة، فلسطينيُّ يقوده الدهر إلى أرض لم يتوققها، والدراما الموجعة، قحركة الفلسطيني لا تحمله إلى حيث أراد، والملحمة التي تجمع الأجداد والأحفاد وما بينهما. وبسبب هذا الحال، ولم يكن غريباً عن الراحل ناجي العلي، فإن القارئ

النزيه لن يكتفي بمعيار ه اكاديمية الفنوذه، وهو معيار الازمنة السعيدة، بل يرى في اعمال اسساعيل شموط وتمام الاكحل موقعاً متميّزاً من مواقع فاكرة فلسطينية جماعية، تنتظ ارضاً مفقودة وسعادة مؤجّلة معاً.

على تمام واسماعيل، إلى ثلاثة عناصر متداخلة ومتكاملة: على تمام واسماعيل، إلى ثلاثة عناصر متداخلة ومتكاملة: سيرة الإنسان اللذي قاسم شعبه الاقتلاع والترحال والمكايدة، وهو ما ذكره الفتانان في سيرة ذاتية مقتضبة، وسيرة الفنان – الإنسان، وهو يبحث عن أدواته وتصوراته اللفنية وهو يبحث عن معنى فلسطين، وسيرة فلسطين، التي تبدأ به الربيع المديمات والانتهام به الحام اللغه، التي تتطلع إلى ها الربيع فلستماده ، ولان العناصر هام تظل موتدة، رغم تمايزها، يكون العنصر الثاني جامعاً لها وممتراً عنها، ويكون تطور المعاصر الثاني جامعاً لها ذلكبري التي يقرأ فيها والسيرة والمسيرة 8 ، ولذلك لسار طويل قوامه المصل والابتكار والاجتهاد.

يبدأ اسماعيل شموط الـ (جداريات) بـ (سيرة ذاتية مجازية ٥، عنوانها والربيع الذي كان، تقابلها، وفي الصفحة اللاحقة، لوحة تحمل الأسم ذاته. تبرز اللوحة، ووفقاً لتصور قوامه الحنين والأمل، ربيع الأرض والإنسان الفلسطينيين. وإذا كان ربيع الارض يتكشف في سيمفونية من الالوان، فإن ربيع الإنسان هو تلك الآصرة الإنسانية الدافئة، التي تحقّب والعائلة ؛ في اعمارها الختلفة . غير أن اللون المتجانس في توزّعه يخبر، وبغنائية كبرى، عن وحدة الأرض والإنسان، كما لو كان الفلسطيني نبث من ارضه ولا يقف عليها. ولهذا فإن اللون الأبيض الذي يميل الى الزرقة ينسج الأفق والملابس، مثلما أن الوان الأرض تسري في لباس وملامح الفلاحات والمزروعات ؛ في الأرض. ولعل تلك الغنائية الجميلة التي تخفق بها اللوحة، والمعبّر عنها في ايقاع لوني، أثر لوحدة الأرض والإنسان؛ التي تصيّرهما كياناً واحداً. وكما فعل اسماعيل وتمام في الكتاب كله، فإن اللوحة الاساسية، من حيث هي كلِّ فنيّ متناغم، تكشف عن تفاصيلها

في سفحات الاحقة. ففي والربيع الذي كان وحيث الكلّ اللون المتنافع يستفرق التفاصيل، تمود التفاصيل في اللوحات الفرعة»، إذ الفلاحة مزيج من البياض وأطياف منزاء، والمحبوز حول و كانونه و يروي حكاياته لوجوه عداراء، والعجوز حول و كانونه و يروي حكاياته لوجوه هي استداد لوجهه، وبعد اللوحة التصهيدية، التي ستنفتح على و شبتاه فلسطيني طويل »، تاتي و السيوة اللمسطينية » في حقيها المختلفة، مرزعة على تسع طيق التهدية التهديدية به في حقيها المختلفة، مرزعة على تسع من اللهد والرملة العطش ... على تسلم المنافعة من أجل البقاء واردة الحياة اتوى، عرس المقاومة والحلم، من أجل البقاء واردة الحياة اتوى، عرس المقاومة والحلام، من أجل البقاء واردة الحياة اتوى، عرس المقاومة من أجل البقاء واردة الحياة الوعن، ين المحد من وزمن الاصراء الملاول، إلى زمن المستقبل الذي يستعيد و الالوان الأولى، إلى زمن المستقبل الذي

وراء «التحقيب الرمني» ، الواصل بين الائتلاع والوطن المستعاد، يقف تصوّر فكري واضع للفنان اسماعيل شموط، ترجمه بلغة فنية مطابقة. شيء موافق لـ « تصوّر المحدداً المحالم» عند الروائي المبدع، الذي يخلق علمًا محدداً بخصيات وبلغات تنتمي إليه. عناصر ارمة اساسية تيز هذا التصور المعقري للمب الفلسطيني، الذي يجعل منه التصور المعقري للمب الفلسطيني، الذي يجعل منه كلاً طبيعياً واحداً، أو معطى طبيعياً موحداً لا شروع فيه ولا تقسام. ولهذا تتداخل الوجوه والقامات والايدي ولا تقسام. ولهذا تتداخل الوجوه والقامات والايدي متشابهة تسري فيهم روح واحدة. تظهر الوجوه وتغيب متشابهة تسري فيهم روح واحدة. تظهر الوجوه وتغيب مندة واحدة، تظهر الوجوه وتغيب اللاحدة بروح وحدة.

والعنصر الثاني هو: العنصر الملحمي، للشتق من الأول بالضرورة. فإذا كان الفلسطينيون، وقد وخدهم شقاء المنفى وأمل العودة، يشكّلون كلاً طبيعياً، هو إلى الشجرة

الهائلة آقرب، فإن هذا الكلّ يتسم، بالضرورة، بغياب التناقض والمراتب واختلاف الزمن، فالكل بسير إلى حيث يربد الكلّ، والكلّ مرباح إلى الهدف الذي شاء الكلّ، عرباء الخيم المناقبة الكلّ، عبد التناقبة الكلّ، عبد التناقبة الكلّ، عبد التناقبة وعن هذا، كله ياتي الانسجام والمتنافب ولمل لوحة ه من أجل البقاءة هي التعبير الاجمل، كما يقلل موخداً وعم المالفات، وهيم مترابطاً رغم المهرة يقبل المؤخذاً رغم المسافات، وهيمة مترابطاً رغم المهرة الإنبية الفرصات، عن هذا للمحمي المتمثل في جمد هائل، ولمناقبة للوحات، عن هذا للمحمي المتمثل في جمد هائل، والمناقبة بن عجوز محتضر وطفل لم يات بعد. الزمنية الفاصلة بن عجوز المحموي، على للمستوى التعلق المستوى التعلق المستوى التعلق المستوى على المستوى التعلق المستوى على المستوى المناسطيني المستور موطنا المغين المستوى على المستوى على المستوى على المستوى التطبيقي، النظرى، كان تصور شموط، في بعديه، وعي الإشكال الفطري، كان تصور شموط، في بعديه، وعي الإشكال الفلسطيني المستور واقتراح فيلي له في آن.

يغضى العضوي والملحمي إلى العنصر الثالث، الذي يُدعى، وبلغة غير تقنية : مركز اللوحة. فإذا كانت العناصر في العضوي، كما الملحمي، متطابقة ومتناظرة، فإن كل عنصر منها قادر على تمثيل العناصر الأخرى والنيابة عنها. وهذا ما أتاح لشموط أن ينثر فوق لوحته مجاميع من الوجود المتناظرة، كي يعود إلى توضيحها وتكثيفها في وجه... مركز, وينطبق هذا على اللوحات جميعاً، باستثناء والربيع الذي كان، التي تحيل إلى زمن غنائي نفي قبل أي شيء آخر. ففي لوحة والاقتلاع، تمتد الوجوه المساظرة في الاتجاهات جميعاً، إلى أن 3 تتمركز 3 في يسار اللوحة، مجسّدة في خمسة وجوه واضحة. وا تشمركزا لوحة «العطش» في وجوه قليلة لأجسام مصلوبة، أو تبدو كذلك، رافعة بدأ متشنجة إلى الفراغ، كما لو كانت اليد التي ترفض السقوط تعبيراً عن الفلسطينيين جميعاً. كل لوحة لها مركزها الذي تتجمع فيه والروح الكلية ٥، التي تجمع البشر جميعاً وتفيض عنهم في آن. وإذا كانت الروح - المركز، التي اقترحها تصور فني نجيب، تبدو مجلَّلة بالضباب، أو ما هو قريب منه، في أزمنة التيه والتداعي، فإن المركز يتجلَّى واضحاً، في الملامح واللوث، في أزمنة الصعود والارتقاء. ففي (إرادة الحياة أقوى)

تبدو الجماهير الغفورة مزهرة في كيان امرأة جميلة تحمل باقة من الورود الحمراء. وبدامة أن يظهر اللون ساطماً وإن تختزل الوجوه كلها في وجه واحد متعدد الجهات في لوحة جليلة عنوانها: وتحية للشهداء». ولن تكون لوحة وأحلام الخده ، وقد اختصرت الأجساد جميعاً في جسد رمزي هالل، إلا التعميير الأجساد جميعاً في جسد المقدس ، حيث الكل في الواحد والواحد في الكلر ز

ويكون على اللون، وهو العنصر الرابع، ان يكون تجلّياً للتصور النظري الذي أخذ به اسماعيل شموط. ففي لوحة تكتّف تصورها في مركز منها، يكون على الأخير أن يوزع الوانه على الأطراف التي تنتمي إليه. والوان شموط توافق الحالة التي يخلقها، التي تقترح الزرقة الكامدة والبياض الشاحب واطياف الاحمر المطفأ المتعدد. ولن تتكاثر الالوان وتتميّز، أو تنتقل من المتعند الكابي إلى الاحادي الواضع، إلا في أزمنة التحدي وللواجهة، كما هو الحال في لوحتى وأحلام الغد، واتحية للشهداء، وبداهة، فإن اللون في اعمال اسماعيل موضوع وإشارة معاً، موضوع يخلق به الأشياء، وإشارة إلى أحوال البشر. مع ذلك؛ فإن هذا الفنان الفلسطيني المقاتل، لا يستماد الدلالة من اللون فقط، بل من أجزاء اللوحة الختلفة: الوجوه للرفوعة، السواعد المتوترة، العيون المتسائلة وأصابع الايدى التي تشير إلى أكثر من اتجاه. وعلى هذا، فإن للوحة مركزها على مستوى المضمون، دون أن يكون لها م كز على مستوى المعنى الشامل، الذي يرد إلى بنية اللوحة الغنية في علاقاتها كلها.

يبني اسماعيل اعماله على تموذج فكري - فني محدث الموترالذي انفضى محدث اله والالاته والوانه والجهد الفني الموترالذي انفضى الهمة الذي الممتوالدي المعالم الالموترالذي المعالم المعالم المعالم المعالم المعالم المعالم المعالم المعالم المعالم المعالم المعالم المعالم المعالم المعالم ومرجمها المحدد المعالم ومركزاً له، كما لو كانت فلسطين قد اخترات إلى زرقة مشبعة بالمضياء، ويقف فلسطين قد اخترات إلى زرقة مشبعة بالمضياء، ويقف

راسماً لها.

تاتي فلسطين في لوحة تمام كما يريدها الحلم ان تكون، والحلم، ولو حاول، يرى تغاصيل الاشياء لا اكثر، وياتي بالتفاصيل واضحة، نقبّة وعذراء، كانه يستولد الاشياء ويسترجعها في آن، ولهذا تتجلّى فلسطين في إشارات لونية متناضعة، بل تتحوّل إلى مجاز لوني متعدد الاطياف، وهذا ما تكشف عنه بجلاء كبير لوحة باذخة في جمالها عنوائها: إ كالسخر صامدون ٥، حيث يحمل اللون وحده كل ما تريد اللوحة أن تقول. فلا مكان للجموع البشرية، التي يسوترها اسماعيل، فلك أن للوقع كله لإنسان مجاز، أو للون – مجاز اخذ شكل رجل لا يشابه غيره، واللون هو الأزرق، الذي يفترش اللوحة ويضاغف ابعادها، أو الذي يفترش اللوحة وينتلق باسمها ايضاً.

وعلى خلاف لوحة اسماعيل، إذ الالوان متداخلة ومشتقة من المكابدة اليومية الحقيقية، تأتى الوان تمام التي فرضها الحلم، أو الماضي المستعاد، نقية، صافية، مغسولة، وشفافة، خالقة عالماً غنائياً مسكوناً بالأرواح. كل لون في مكانه واضح الحدود، يخلق التفاصيل ويعيد بناء الواقع، بل لا يخلق الواقع إلا إذا اضاف إليه واقعاً آخر يضيئه ويحجبه معاً. ولعل هذا الشيء المضاف إلى والواقع للرئي وهو ما يعين اعمال تمام فنا مبدعاً وأصيلاً. وإذا كان اسماعيل، وعلى مستوى معين، يخلق اللوحة المضوية ، وهو يبدع كياناً إنسانياً مترامياً، فإن تمام تستولد وعضوية اللوحة ، إن صحّ القول، من حوار الألوان المتكاملة. وآية ذلك لوحة (يافا عروس البحر)، حيث لكل لون حيّزه ولكل حيّز لونه، وحيث الالوان جميعاً تبدع فضاء خاصاً يرضى العين ولا تستنفذه العين أيضاً. وبداهة، فإن منطق الذاكرة، وكما يفرض عليه الاقتلاع ان يكون، لا يرسم الاشياء كما كانت فقط بل كما شاءها / الوعى المغترب ان تكون: نقيَّة وبالغة النقاء وجميلة ولا متناهية الجمال. ولعل ذلك اللضاف اللوني ٥، الذي يحاور الأشياء ويخلقها، هو التعبير المالوف عن معنى الأسياء في محيّلة الإنسان الذي ابتعد عنها . بل إن اصالة تمام شموط تكمن في البحث عن دلالة العالم البعيد

المفقود، وتكمن أولاً في البحث عن المعادل الفعي له، معادل لوني بالضرورة، يرسم الأسياء ويضيف إليها أبعاداً جديدة، كي تظل جميلة كما كانت. كان الغن، في ذاكرة الإنسان المغترب، لا يستوي إلا إذا فصل بين الاشياء وسطوة الزمن.

وإذا كانت تمام الأكحل تعود من جديد، كحال اسماعيل، إلى وميثولوجيا المضطهدين وعن طريق المساعيل، إلى وميثولوجيا المضطهدين وعن طريق اللون المبدع الذي يحاكي الشيء الذي كان، ويخلقه من جديد، فإنها لا تلبث، وفي اللوحات الأخيرة، أن تقيّت هذه الميثولوجيا وعن طريق الرموز التي لازمت التفافة الوطنية الفلسطينية. طيق المروس والتي تنظر من ياخذ بيدها إلى والطرف الآخرو، المروس الجميلة الههية في نيابها البيضاء والمحاصرة الآخرة، ناصع في بياضه ووهيف في قوامه، ينتظر من يخذره، ناصع في بياضه ووهيف في قوامه، ينتظر من يحذورة المن الفيرة والمسائلة وهي جديرة به، وهناك و فلسطين الخيره، التي لو كان الحير الطيرة.

وجداريات و تشهد على أمور ثلاثة: ترحد الفنان الأصيل و جداريات و تشهد على أمور ثلاثة: ترحد الفنان الأصيل مع قضيته الوطنية، ومعاناة الشعب الفلسطيني، هذا أشخب الفريب في قدره الذي يقاتل معانياً ويعاني مقاتلاً، ومسار الفنان الجمهد النيول، الذي تعلم الرسم وهو يرسم عن قضيته، وغا وتطور وهو يصقل الادوات الفنية التي تجارز قضية شعبه، والذي ارتقى وامتلك لغته الفنية ولا يزال يرسم ما رسم، ولكن بشكل مختلف. إن كان للفافة الوطنية الفلسطينية اصوائها الواضحة

في الشعر والرواية والقصة القصيرة والمسرح، فإن صوتها الاوضح، في مجال الرسم، قائم في مسار اسماعيل شموط وتمام عارف الاكحل.

ف. د

جداريات السيرة والمسيرة الفلسطينية . اسماعيل وتمام شمّوط، عمّان، الأردن، ٢٠٠٠ .



(70/71) 2002 ISSN 1607-7024 AL-KARMEL(Ramallah)